الجزء الأول السنة الأولى ١٩٤٣



اناء من الفخار . تركيا — النصف الثانى من القرن السادس عشر .
متحف فيكتوريا والبيرت

مجلة أدبية فنية جامعة لنشر الأفكار

البنــــك العثمــــانى

تأسس سنة ١٨٦٣

رأس مـاله ١٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه انجليزى * المدفوع ٥,٠٠٠,٠٠٠
جنيه انجليزى * الاحتيـــاطى ١٢٥٠,٠٠٠ جنيه انجليزى

---

٢٦ ثروجمرتون ستريت لندن

٥٦ - ٦٠ كروس ستريت ، مانشستر

❀ ❀ ❀

استانبول

فروع وعملاء فى جميع بلاد الشرق الادنى

تركيا مصر فلسطين شرق الاردن قبرص العراق

ايران سوريا لبنان

جميع عمليات البنوك



تصنع دراجات فيليبس فى برمنجهام بانجلترا. وواضعو تصميماتها وصانعوها هم مهندسون بريطانيون. فهى مثل صادق عن مهارة البريطانى ومقدرته. ولقد بدأت شركة فيليبس عملها منذ خمسين سنة مضت. وتزعمت صناعة الدراجات ببريطانيا لمدة خمسين عاما. فاشتهر اسم فيليبس فى كل بلد من بلاد العالم. اشتروا دراجات فيليبس واستعملوها بعناية تستفيدوا من خدماتها لسنين عديدة.



ج. ا. فيليبس وشركاه ليمتد

مصانع كريديندا، سميزيك، برمنجهام، انجلترا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها . وقرار هيئة التحرير فيما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى . وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :–

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

شعراء انجلترا المعاصرون

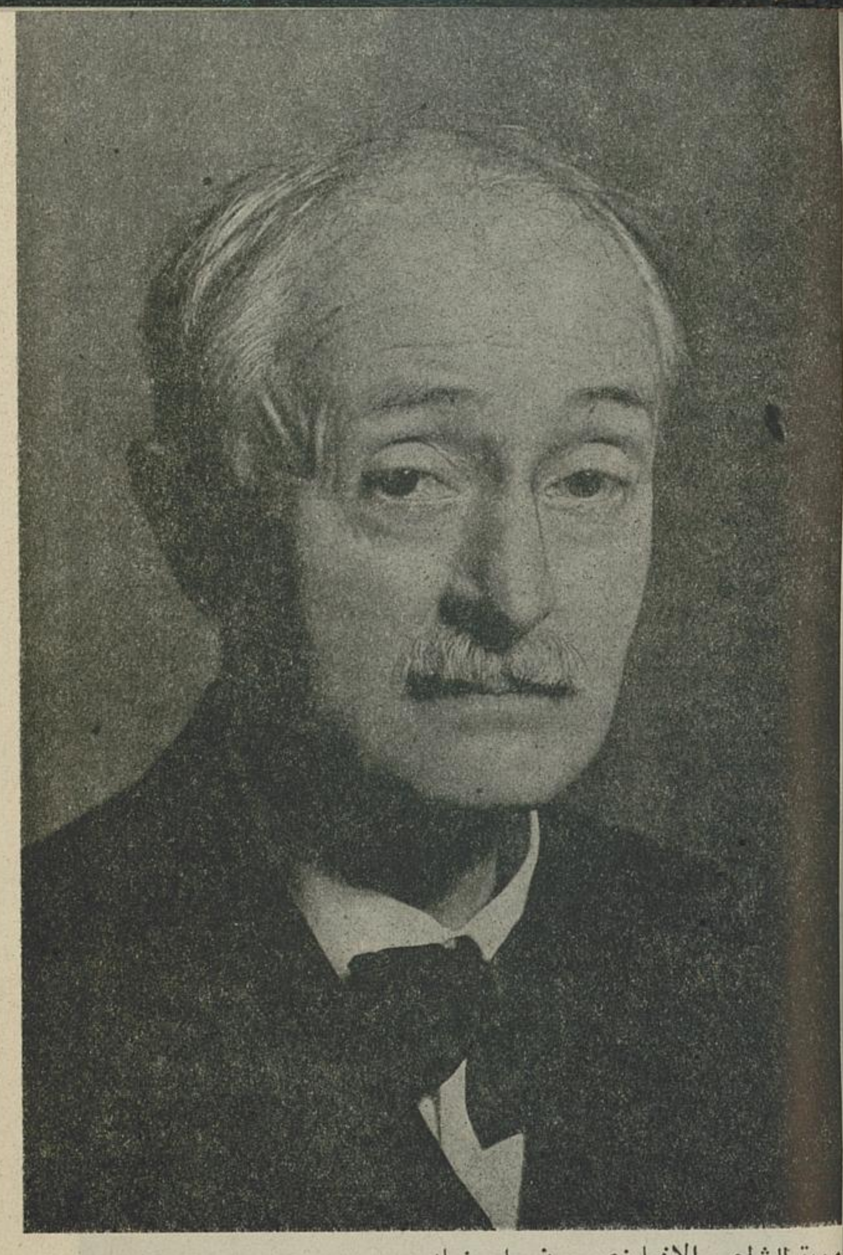
١ - چون ماسيفيلد

نعتزم ان نقدم فى هذه المجموعة لقرائنا من ابناء العروبة الذين قد لا يكونون على المام بالشعر الانجليزى بعض كبار شعراء انجلترا المعاصرين ونرجو ان نوفق بالمجموعة المختارة التى سنقدمها لاثبات ان روائع الشعر الانجليزى لم تنفد بعد وانه على العكس لم يسبق فى تاريخ الادب الانجليزى ان كان فى مثل مستواه الحاضر .

وهذا بلا شك عمل كبير اذا لاحظنا ان آداب اللغة الانجليزية تحتوى على كثير من اعظم قطع العالم الشعرية وان الشاعر الانجليزى المعاصر عندما يبدأ كتابة شعره يبدأها وهو على يقين من ان ما يكتبه سيكون محل مقارنة مع ما كتبه شعراء آخرون معروفون مثل شيكسبير وميلتون وشيلى وووردسورث وتينيسون .

وعلى اى الاحوال فمهمتنا قاصرة على تقديم الدليل ولقرائنا بعد ذلك ان يقضوا فى دعوانا .

ومن الحق ان نبدأ فى اول مقال من هذه المجموعة بالحديث عن اكبر شعراء الانجليز المعروفين فى العصر الحاضر : جون مايسفيلد، ليس لانه اشهر الشعراء الانجليز المعاصرين واكبرهم فقط بل لان هذا الامتياز على غيره من الشعراء قد اعترف به رسميا ايضا بمنحه لقبا خاصا يميزه على جميع الشعراء. ومع انه من الطبيعى انه ليس كل من كان من حظه ان انعم عليه بهذا اللقب هو عظيم شعراء عهده او حتى شاعر عظيم على الاطلاق اذ ان المحاباة ربما كانت قد اثرت فى بعض العهود على من تولوا هذا الاختيار ولكن الواقع ان اختيار مايسفيلد محل روبرت بريدجز قوبل باجماع فى الآراء على انه ليس فى الامكان اعدل من هذا الاختيار .



صورة للشاعر الانجليزى جون مايسفيلد .



«سفينة صيد بليموث» بريشة شارلس نابير هيمى (عضو الاكاديمية الملكية).



«حصادهم الوحيد» بريشة كولين هنتر (تيت جاليرى).



«صيد الراى» بريشة نابير هنرى (شانترى بيرشيس).

قد ولد جون مايسفيلد فى عام ١٨٧٤ ولم يلبث ان واجه صعوبات الحياة ومشاقها اذ انه اخذ يعمل فى البحار من سن الرابعة عشرة وكان ذلك ايام السفن الشراعية تواجه صعوبات البحار واخطار الملاحة . وكذلك واجه مايسفيلد شاعر المستقبل وهو لا يزال حدثا لم يشب عن الطوق، الطبيعة بكل قوتها وجبروتها وقد تركت الخبرة التى اكتسبها بقضاء تلك الايام والليالى فوق البحار العاصفة آثارا لا تمحى فى ذهنه فتعلم بذلك فى مدرسة الحياة وهى اشق المدارس واقساها كيف يزن الانسان ويقدر الاشياء حقيقة قدرها . فليس من العجيب بعد ذلك ان يمتاز شعره بنضوج مبكر وتعقل عملى يصعب ان يبارى فى جميع الشعر الانجليزى الحديث . ولكن مايسفيلد شغف فوق كل شيء بحب البحر وتقاليد الحياة فيه وبذلك اصبح الشاعر الكامل لامة البحار . ورغم كل مصاعب حياة البحر فانه دائم الحنين اليها وهو يقول فى ذلك :

يجب ان اعود الى البحار ثانية، بين البحار المنعزلة والسماء المتسعة
وكل ما ارجوه سفينة ممتدة ونجم متألق يرشدها الطريق
وارتطام العجل وهزيج الريح واهتزاز الشراع
وضباب منتشر على سطح البحر وفجر ينبثق نوره فى الصباح .

يجب ان اعود الى البحار ثانية لان نداء الامواج المتلاطمة
هو نداء عنيف واضح لا يمكن نكرانه
وكل ما ارجوه يوم عاصف وقد تلبدت فيه السحب البيضاء
تجرى مسرعة
وتطايرت قطرات الماء وارغد الزبد وتجاوبت اصوات طيور البحر .

يجب ان اعود الى البحار ثانية الى الحياة البوهيمية الشاردة
الى طريق الطيور والاسماك حيث تعصف الريح كسكين قاطع
وكل ما ارجوه حديث ممتع بهج مع مسافر مرح دائم الضحك
ونوم هادئ وحلم هانىء بعد ان تنتهى الرحلة الطويلة .

وهذه بلا شك ليست اقوال رجل من اصحاب النظريات جلس فى مكتبه او فى حديقة هادئة وهو يتأمل جمال الطبيعة متجردا وانما هى اقوال رجل تألم وعرف الحياة وقد قاومت نفسه مصاعب الريح والامواج القاسية واستمتع بالتغلب والانتصار على اقصى ما يمكن ان يوجهه القدر من صعوبات وصدمات .

وحرفة البحار هى من اقدم الحرف بدأ الانسان ينتقل بسفينته ليعود بها محملة بالنفائس سالمة الى الميناء وذلك مذ وجدت فكرة الاتجار. والشاعر بخياله الشاعرى يقطع القرون ويتأمل تعاقب الحوادث وفعل الزمن ويجمع بذلك فى لوحة شعره بين بابل وبريطانيا معا :

سفينة نينوى العراقية التى شقت البحار من اوفير البعيدة
عائدة الى مينائها فى فلسطين ذات الشمس الساطعة
محملة بالعاج والقرود والطواويس
واخشاب السندل وارز لبنان والنبيذ الابيض الحلو .

والسفينة الاسبانية العظيمة عائدة من الخليج
تترنح على المياه الاستوائية التى انتشرت على جوانبها اشجار النخيل
محملة بالماس والعقيق
والزمرد والتوابل
والياقوت والقرفة والنقود الذهبية .

وسفينة الساحل البريطانية المعتمة
وقد تركت الاملاح آثارها بمدختنها التى خيم عليها الدخان
تشق طريقها بين الاعاصير فى ايام شهر مارس العابثة
محملة بفحم التاين
وقضبان الطرق وظهر الصلب
واخشاب الحريق والادوات الحديدية وصوانى الصفيح الرخيصة .



«دوجر بانك» بريشة ستانفيلد (متحف سوث كينزينجتون) .

وما يسفيلد اكبر بكثير من ان يكون شاعر البحر والبحار فقط فقد كتب بعض اجمل قطع الغناء الجديرة بتقاليد الشعر الانجليزى ولعل اجملها القطعة الآتية :

«قريبا من فالباريسو» بريشة سومرسكيلز (تيت جاليرى) .

لقد شاهدت الفجر وغروب الشمس فوق البرارى والتلال التى
تعصف بها الرياح
وقد اقبلا بجمال عظيم يذكر بنغمات موسيقى اسبانيا القديمة
لقد شاهدت شهر ابريل كالسيدة الحسناء تقبل بازهار النرجس
الصفراء
وتقبل بحشائش الربيع الخضراء وامطار ابريل الدافئة الناعمة .
لقد سمعت انغام الزهور واغانى البحر القديمة
وشاهدت اراضى عجيبة من تحت شراع السفن البيضاء
ولكن اجمل ما اتاح الله لى مشاهدته من جمال
هو صوتها وشعرها وعيناها وشفتاها القانيتان .

والبحار فى صراعه مع البحر الثائر يتجه دائما بابصاره الى الافق الممتد البعيد، والشاعر فى احلامه يبحث كذلك فى آفاقه عن مرسى لتصوراته يستطيع ان يحقق فيها احلامه . ومايسفيلد كشاعر وبحار يعبر عن كل منهما فى كتابته :

نحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء ولا حب العاشقين
ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه
ولكنا نملك الامل فى رحاب الله الذى ينتظرنا على نهاية الطريق .
فليس من حظنا ان ننعم بالراحة والسلام والهدوء
لاننا نبحث عن عالم لن نعثر عليه .
فليس من رحمة لنا على سطح الارض ولا لامثالنا
الذين يبحثون عن عالم مختف لن نراه ابدا .
ولن نرى غير الطريق وطلوع الفجر وبثوق الشمس والريح
والامطار
والرقيب يترصد الطريق فى ضوء النجوم ولن نرى غير النوم ثم
الطريق ثانية .

نحن نبحث عن رحاب الله ومأوى الجمال
فنجد بدلا عنها ضجيج السوق ودوى الاجراس التى تدق عند
دفن الاموات .

ولن نرى المدينة الزاهية حيث يلتقى الاشخاص الذين تشع نفوسهم
بالفرح
بل المدينة التى تظهر بالآلام ويزدحم فى طرقها المحزونون .
نحن نقطع الطريق المترب حتى يخيم الظلام
ويكشف لنا غروب الشمس عن ابراج قد امدت فى الآفاق البعيدة .
نحن نقطع الطريق من الفجر الى الغروب حتى يختفى النهار
بحثا عن المدينة المقدسة الكامنة خلف الآفاق .
فنحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء ولا حب العاشقين
ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه
ولكنا نملك الامل فى رحاب الله الذى ينتظرنا على نهاية الطريق .

ذلك هو الخيال الروحانى الذى حفظ الشاعر فى كل المصاعب التى مرت به فى حياته الطويلة المليئة بالاخطار وهى حياة التقت فيها الافراح بالاحزان على ان مايسفيلد قد وقع بـه منذ شهور قليلـة اقسى الصدمات وهى فقد ولده فى ميدان القتال فى مصر ولكن شعره الذى يعرض بكل اخلاص الحياة بشرها وجمالها يجرى فيه دائما ايمان مقدس بان النصر النهائى مضمون للحب والجمال .

عندما تنفصل الروح عن الجسد
وتخمد حركة الجسم الذى كان ينبض يوما بالحياة
وعندما يبحر الجسم فى عالم اللانهائية



«سفن الصيد وقد بعدت عن الارض» بريشة هنرى مور (تيت جاليرى) .

ايتها الروح حطمى الشباك
شباك الخديعة والنسيان
دققى النظر ان الشمس على حافة الغروب

دققى النظر وليغمرك الفرح
وتمعنى فى الصورة فى انتباه ووضوح
وليغمرك حب الصورة باعزاز واخلاص

اذ انه يتولد عن الحب والمشاهدة
ويخلق منهما الجمال نفسه
فالجمال لنا كالملكة
التى تحفظنا بروح هادئة
وتجزينا بالحب الخالص
فى رحاب بلاطها الدائم الخضرة .

عدو النور

بقلم محمود محمد شعبان

مقدمة

فردريك نيتشه فيلسوف ألمانى خرج للعالم بفلسفته عن القوة ويشر بما أسماه الانسان المتفوق — وقد جحد هذا الفيلسوف كل شىء عدا ذلك فسخر من الاخلاق والدين والمثل — التى يؤمن بها العالم . وأودى به هذا التخبط الفكرى آخر عمره الى الجنون .

ويذهب بعض المفكرين الى أن فلسفة هذا الرجل قد أثرت فى عقلية الشعب الالمانى ففتنته بطلب السيادة على العالم هازئا بكل ما تحرص عليه الانسانية من آداب ومثل . وقد عنّ للكاتب أن يقرأ شيئا عن فلسفة هذا الرجل علها توحى اليه شيئا يفيده . فاوحت اليه فيما أوحت هذه القصة التى يقدمها الى هؤلاء الذين يحبون النور فى كل مكان على الارض والى هؤلاء الذين يدفعون جيوش الظلام عن الذبالة التى تضىء العالم فى صبر وجلد حتى لا تنطفىء فيخيم الظلام على الوجود .

الوقت : تقع حوادث القصة فى أى عهد من العهود التى يحاول فيها الظلام ان يسود العالم .

المكان : ردهة فى قصر الملك .

(يقف حارسان فى الظلام)

الاول – أيها الزميل كم الساعة . . . .

الثانى – وماذا يعنيك من أمر الساعة يا صاحبى؟

الاول – أريد أن أعرف متى تنتهى حراستنا فقد سئمت الوقوف فى هذا الظلام . ألن يتأتى لنا أن نرى النور ثانية فى هذا القصر؟

الثانى – من يدرى متى يحين الوقت يا صاحبى؟

الاول – هل تذكر ذلك اليوم الذى أظلم فيه القصر على من فيه؟ كان ذلك منذ ثلاث سنين غداة زيارة الكاهن الاعظم للملك .

الثانى – قد سمعت حديثا عجبا عن هذا الحادث .

الاول – ماذا سمعت؟

الثانى – يقولون إن الكاهن قد أطلع الملك فى ذلك اليوم على سر رهيب . لقد ذكر له أنه سينال الخلود .

الاول – الخلود ! ! !

الثانى – أجل . وذكر له أن حياته ستتجدد دائما ما بقيت دماء رعاياه ترطب أديم الارض فى كل مكان وحذره من النور فقال له ان النور سيجلب له الجنون .

الاول – من أخبرك بهذا . . ؟؟

الثانى – أخبرنيه خادمه الذى سمعه من الكاهن وهو يلقيه الى الملك .

الاول – ياله من سر . فهذه الحرب التى يشنها كل يوم وهذه الدماء تسيل فى كل مكان وهذه المدائن تذبل انوارها ويخيم عليها الظلام . . . ماذا تقول فيها . . ؟؟؟

الثانى – (ضاحكا فى سخرية) إنها رغبة الملك فى الخلود وخوفه من الجنون . . !

الاول – وهذا المجد للوطن يتحدثون عنه فى كل وقت ومكان . . .

الثانى – مجد . . . ماذا تضيف هذه المدائن المعتمة وهذه الخرائب وهذه الدماء الى تراث الوطن ؟ لاشىء . . يا صاحبى لا شىء. إن ما يبقى للوطن وما يسطره له التاريخ هى الاعمال التى تفيد الانسانية . . إنها ليست المدائن يسودها الظلام ولكن المدائن يشع منها النور .

الاول – ماذا أصابك ايها الزميل حتى ترفع صوتك بما لا ينبغى أن يرتفع به ؟ إنك تجازف بحياتك .

الثانى – حياتى . . وهل بقيت لحياتى قيمة ؟ كان لى أربعة أبناء فقدتهم جميعا ولو أنى فقدتهم فيما يشرف لهان الخطب . . ولكنى أتصور الآن أنى حرمت منهم لامد من حياة هذا المجنون أياما . . .

الاول – أهكذا تتحدث عن مليكك ؟

الثانى – لن أهتم بشىء بعد اليوم . لقد عرفت سرا عظيما ساحاول أن أفيد به بلادى والانسانية . إننى سانشد النور او أشعل شعلته . . إننى فكرت فى ذلك وانتهى الامر . .

الاول – ما هذا الذى أزمعت ؟

الثانى – إننى ساتركك يا صاحبى وقد لا نلتقى الا حين يشرق النور الجديد على كل شىء .

الاول – أنت تعنى أنك ستهرب .

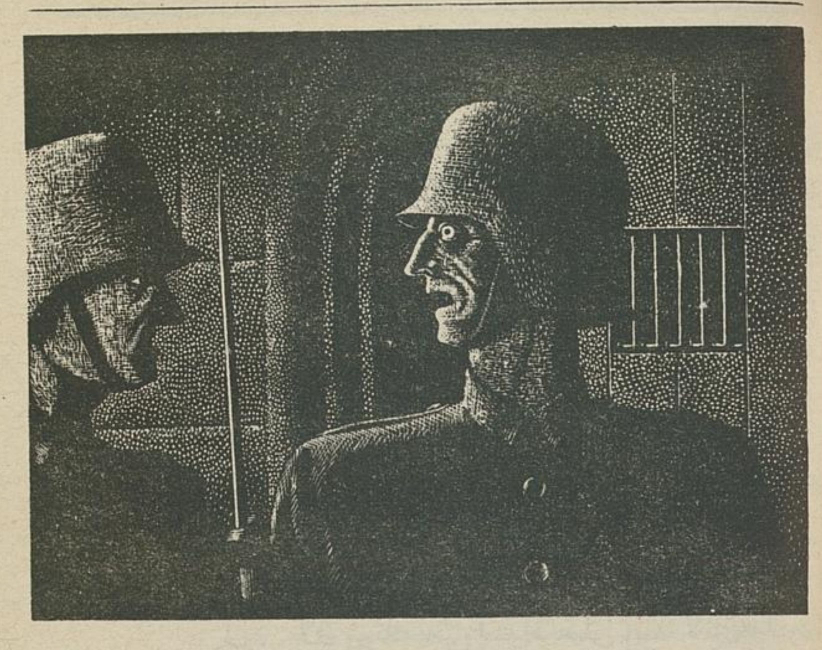
الثانى – أجل . . . والآن .

الاول – أرجو الا تكون مجنونا .

الثانى – إن المجنون هو من يفضل حياة الظلام على حياة النور لان النور قد ودع عقله . وداعا ايها الزميل . . الك رغبة فى الاشتراك معى سعيا الى النور ؟

الاول – لا لا . . إننى أحرص على حياتى .

الثانى – اذن وداعا . (يخرج)



الاول — (يحدث نفسه) مسكين هذا الحارس . . . إنه ينشد النور أو يريد أن يوقد شعلته . . . . .

(يبدو رئيس الحرس وقد استمع الى الكلمات الاخيرة)

رئيس الحرس — أيها الحارس لقد سمعتك تتحدث عن النور . .
الحارس — (مذعورا) أيها الرئيس عفوا . .
رئيس الحرس — إن عقوبة من يتحدث عن النور الموت . ذلك أمر الملك . . . أيها الحراس أقبضوا عليه حتى نقضى فيه بما يأمر القانون .
الحارس — أتوسل اليك سيدى لمن أترك اطفالى . . . . (يبكى)
رئيس الحرس — أيها الجنود هيا نفذوا الامر .
الحارس — (باكيا) الا ترفقت بحالى واطفالى . . . أيها الرفاق اليس مع أحدكم مصباح فينيره علّه يرى على ضوئه مقدار المى وبؤسى؟ . . . إنكم لا تجيبون . . إذن لا فائدة إننى طوع

أمركم فليس لنا أن ننشد الحق فى حلكة الظلام .
(يخرجون)

(يبقى رئيس الحرس وحده فى المكان)

النادى (صوت من الداخل) — جلالة الملك . . . جلالة الملك .

(يدخل الملك وهو لا يكاد يرى من فرط الظلام)

الملك — من أرى هناك ؟
رئيس الحرس — قائد حرسكم يا مولاى .
الملك — أريد قائد جيوشى ووزيرى فى الحال سريعا . . سريعا إذا تأخرت كان جزاؤك الموت . . واذا مت فلا يجب أن يحزنك موتك لانه لن يحزننى أن تموت رغم إخلاصك الشديد لى . . لان موتك يعنى إمتداد حياتى أياما لانال الخلود . . هيا . . لقد حدث بذلك الكاهن الذى لا تخطىء حكمته . . هيا . أما زلت هنا ولما يحضرا بعد؟ الويل لك . . .

(يخرج رئيس الحرس مسرعا فى ذعر)

الملك — (يحدث نفسه) الخلود . . الخلود . الخلود . انى انشد الخلود ان ذلك لم يتحقق لانسان ولكنى ساحققه لنفسى . . لن أدع الدماء تجف من على سطح هذه الارض . . . . .

(يدخل رئيس الحرس)

رئيس الحرس — مولاى إن وزير جلالتك وقائد جيوشك ينتظران الاذن بالمثول بين يدى جلالتك .
الملك — الخلود . . الخلود . . والجنون . . من هذا؟

رئيس الحرس — أنا قائد حرس جلالتكم لقد أحضرت قائد الجيش
ووزير جلالتكم . .

لملك — لقد تأخرت كثيرا .

رئيس الحرس — مولاى إننى لم أستغرق الا دقيقتين . .

لملك — (صاخبا) دقيقتين . . أنت لا تقدر معنى الزمن لانك مجنون . .
اليس فى مقدور الانسان العاقل أن يسود العالم فى
هاتين الدقيقتين أيها المجنون؟ تكلم ! اليس فى
مقدوره؟ . . تكلم .

ائد الحرس — (خائفا) فى مقدور الانسان العاقل أن يفعل يا مولاى .

لك — الى بقائد جيوشى اولا . . .

(يدخل القائد)

لك — هل تستطيع أن تحدثنى ماذا نفذت من أوامرى .

لقائد — مولاى لقد قدت جيوشك المظفرة دائما الى الامام . . وفى كل
مكان سارت فيه كانت الدماء تسيل على الارض أنهارا .

لك — (فى نشوة) كنت أحس فى بعض الأوقات أن شبابى يتجدد . .
إنها هذه الاوقات .

لقائد — واطفأت أنوار هذه المدائن التى أبت أن ترضخ لأرادتك . . فخيم
عليها الظلام .

لك — كذلك أحسست بالنور يملأ جوانب عقلى . .

لقائد — مولاى لقد خلقنا لنفنى وتبقى أنت وستكون هذه رسالتنا فى
الحياة دائما أبدا .

لك — أنت قائد عظيم .

قائد — يكفينى ذلك فخرا .

لك — أيها القائد أنت تعلم مقدار كراهيتى للنور . لقد رأيت الليلة من
نافذة حجرتى شعاعا من النور ينبثق من الغرب .

القائد — مولاى إن النور لا ينبثق من الغرب أبدا .

الملك — أتعلم ذلك علم اليقين . . . . ؟ ؟

القائد — أجل يا مولاى فالنور الذى يرى من الغرب إنما يجنح الى الفناء . إنه يقضى على نفسه .

الملك — حسنا ما كان أجدرك أن تكون حكيما . إذن اتجه الى الشرق بجيوشك لتطفىء أنواره الى الابد . كم يكفيك من الوقت لتفعل ذلك؟ إن أعمال العقلاء تتم فى دقائق . . فى إستطاعتهم أن يطيروا فى الجو ويسبروا أغوار البحار ويقطعوا الفيافى والقفار ويستولوا على الممالك والمدائن ويسودوا الشعوب فى دقائق قليلة . .أليس كذلك يفعل العقلاء ؟

القائد — إنهم يفعلون يا مولاى .

الملك — لقد آمنت الآن أنك تستمد تفكيرك من عقلى . . ما كان أجدرك بالخلود ؟ ؟ — الآن هيا لتنشر الظلام على الشرق أيضا فى الوقت المعلوم وابعث الى وزيرى . . .

(يخرج القائد ويدخل الوزير)

الملك — أيها الوزير . . .

الوزير — السمع والطاعة يا مولاى .

الملك — كيف حال الشعب ؟

الوزير — إنه يدين بالطاعة لمولاى .

الملك — اما زال يؤمن بحكمة كاهنه العظيم . . بأنه من الواجب عليه أن يفنى ليخلق من فنائه الانسان المتفوق الجدير بالخلود والتقديس ؟

الوزير — إنه يؤمن بها يا مولاى ما بقيت الأنوار بعيدة عن عينيه .

الملك — فيجب أن تحرص على الا يتسرب النور الى أى مكان .

الوزير — إننى أفعل يا مولاى . . . ولكن . .

الملك — ماذا . . . ؟

الوزير — إنه حادث خطير يا مولاى .

الملك — ماذا حدث الويل لك؟

الوزير — لقد أنبأتنى العيون أن رجلا خرج من قصركم اليوم يحمل مصباحا منيرا .

الملك — من قصرى أنا وكيف لم يقبضوا عليه . . ؟

الوزير — كانت عليه ثياب حرس جلالتكم لذلك لم يتعرضوا له بسوء كسابق أمركم يامولاى .

الملك — أمتأكد أنت من ذلك؟

الوزير — كل التأكد يا مولاى .

الملك — إن قصرى مظلم كما ترى أيمكن أن يتولد النور من الظلام . . ؟

الوزير — إنهم يقولون إن ذلك ما يحدث بالفعل يا مولاى .

الملك — إذا كان الامر كذلك فالويل لقائد الحرس . . . أيوجد ثمة خطر كبير فى ذلك . . ؟ ؟

الوزير — مولاى لقد أقتضانا إطفاء الأنوار أعواما طوالا وإذا كان الاظلام يحتاج الى جهود كبيرة وسنين طويلة فانه يكفى لانبثاق النور فى كل مكان أن يشرق الكوكب الصغير فى الدقيقة الواحدة .

الملك — كيف لم تقتلوه . . . كيف لم تقتلوه . . . الويل لك من عذابى .

(يدخل رئيس الحرس)

رئيس الحرس — فخامة الوزير . هذا التقرير سلمه لنا رئيس الشرطة وطلب تقديمه فى الحال . (يسلمه ويخرج)

الملك — ماذا يقول هذا المجنون؟



الوزير — ماهذا ؟ . . إنه يقول إن الناس التفوا حول الرجل الذى خرج من القصر وهم يسيرون وفى عقولهم مصابيح . . .

الملك — ماذا يعنى هذا المجنون ؟

الوزير — لا شك أنه يقصد فى أيديهم مصابيح يا مولاى — (قارئا) وهم يسيرون صوب قصر الملك ولم أتمكن من منعهم لان رجال الشرطة قد أنضموا اليهم . .

الملك — ماذا يبغون . . . ؟ ؟

الوزير — ماذا يبغون ؟ سننظر فى ذلك .

الملك — ستنظر فى ذلك أيها المجنون ومتى ؟ الى ان يدخلوا بالنور الى هذا المكان . لا يجب أن يقربوه . . . لايجب . . إن عقلى لا يقدر بثمن . .

الوزير — إن الامل ينعقد على الجيش . . .

الملك — الجيش . . آه . . لقد بعثته الى الشرق . . الم يعد . . ؟

الوزير — إن القائد لم يخرج الا منذ لحظة صغيرة . . خمس دقائق فقط يا مولاى . .

الملك — انت مجنون ! إن خمس دقائق تكفى للسيطرة على العالم . . .

(يعود قائد الحرس ومعه كتاب آخر)

قائد الحرس — وهذا الكتاب وصل الآن من قائد جيوشكم يا مولاى . . .
(يسلمه ويخرج)

الملك — إقرا أيها الوزير لا شك أنه فى طريقه الينا بعد ظفر . . ألم أخبرك أن خمس دقائق تكفى للسيطرة على العالم ؟ . . إنه سيطفئ النور قبل أن يؤذى عقلى .

الوزير — ياللهول . . .

الملك — ماذا ؟ إقرأ فى سرعة ولا تتكلم . .

الوزير — (يقرأ) سيصل كتابى الى مولاى عند ما أكون قد ودعت الحياة . . .

الملك — ودع الحياة . . إنها نكبة . . . اقرأ اقرأ .

الوزير — (يتابع القراءة) مولاى لقد قابلت فى طريقى حكيما شرقيا وقد اصطفيته لاننى أحب الحكماء وحدثته عن أمر جلالتكم لى باطفاء أنوار الشرق . . . . فقال لى هيهات أيها القائد فإن النور أقوى ما ينبعث إنما ينبعث من الشرق فانت تنشد المحال . . . وحدثته عن النور الضعيف الذى رأيته جلالتكم ينبثق من الغرب فقد عن لى أن أتجه اليه فقال إن الشمس اذا وهن نورها تجنح الى الغروب لتقتل ضعفها فتعود فى اليوم التالى قوية فى الشروق فهى تستمد قوتها من الغروب أيضا وكذلك النور . . وقال لى عن الوقت حديثا عجبا . لقد كنا نؤمن نحن العقلاء أن فى استطاعتنا

أن نطفئ أنوار العالم فى دقائق وأن نسيطر على الخلائق جميعها فى دقائق . . . فقال لى إن هذا إيمان المجانين . . أردت أن أقتله . . . ولكن نوره سرى فى عقلى فعلمت أن ما قاله حق ففضلت أن أقتل نفسى على الا أعود الى مولاى ومعى هذا النور . . .

الملك — كفى . . كفى . إنه مجنون. قتله النور .

(يدخل قائد الحرس)

قائد الحرس — مولاى الانوار تملأ ساحة القصر والناس يتدافعون الى مكان جلالتكم . . . لقد بهر النور أعين الحرس فانضموا اليهم يا مولاى .

الوزير — وهل توجد فى أيديهم أسلحة؟

قائد الحرس — كلا يا مولاى . . ليس فى أيديهم الا مصابيحهم . .

الوزير — لا تخش شيئا يا مولاى . .

الملك — أيها التعس إن النور أمضى سلاح لمن أعتاد الظلام . . .

(يتدافع الناس الى مكان الملك وامامهم الحارس الذى هرب من القصر يدورون حول الملك)

الملك — أيها التعساء إطفئوا هذه المصابيح . . إن نورها يجذب النور من عقلى . . هل فى نيتكم أن تدعوا عقلى فى ظلام؟ أيها التعساء ما لكم تدورون حولى؟ آه انكم تعبدونى — انكم تعبدونى . . انا الانسان المتفوق . . . انا خلقتكم يا عبادى (يضحك فى جنون) أنا خلقتكم أيها المجانين . . ما لكم لا تنطقون أى عبادى المجانين؟ . . من الواجب أن تموتوا ليخلد خالقكم . موتوا فقد قضيت عليكم بالموت (يضحك فى جنون) قضيت عليكم بالموت .

وزير – هيا أيها القوم فقد جن الملك .

(يخرج الناس وقد اطمأنوا الى جنون الملك)

ك – ما لكم تتروكونى أى عبادى وحيدا هنا . . اذهبوا اذن الى الجحيم . أيها الوزير ارشدهم عن الطريق اليه .

(يبقى الملك وحيدا يضحك فى جنون فيدخل الكاهن)

ك – أى كاهنى الاعظم ألديك نبوءة أخرى ؟

كاهن – إله . . . حمار . . . بطاطس . . . سمك .

ك – أيها الكاهن لقد جئت لتباركنى اليس كذلك . . ؟ ؟

كاهن – (ينصرف عنه ويهذى) حمار . . اله . . بطاطس . . سمك .

ك – الا تعرفنى ؟ أنا الانسان المتفوق .

كاهن – أين حمارى ؟ أين انسانى المتفوق ؟ . . (يضحك فى جنون)

ك – أنا الاله أيها الكاهن . لقد كان عبادى هنا منذ لحظة . أنا الاله . . أنا الاله .

كاهن – أنت الاله . . ! !

ك – أجل لقد خرج عبادى منذ لحظة .

كاهن – (يضحك) إله . . . إننى عدو الآلهة . . . أنا قاتل الآلهة . لا بد من موتك . . لو بقيت انسانا لابقيت عليك .

(يخرج من عباءته خنجرا ليطعن به الملك)

لك – رحماك أيها الكاهن .

كاهن – مت . . مت . (يطعنه)

ك – (يصيح) آه لقد قتلتنى .

كاهن – حمار . . إله . . بطاطس . . سمك .

ختام

(اذيع فى ١٣ يناير ١٩٤٣ من محطة لندن العربية)

تاريخ الصين ومدنيتها

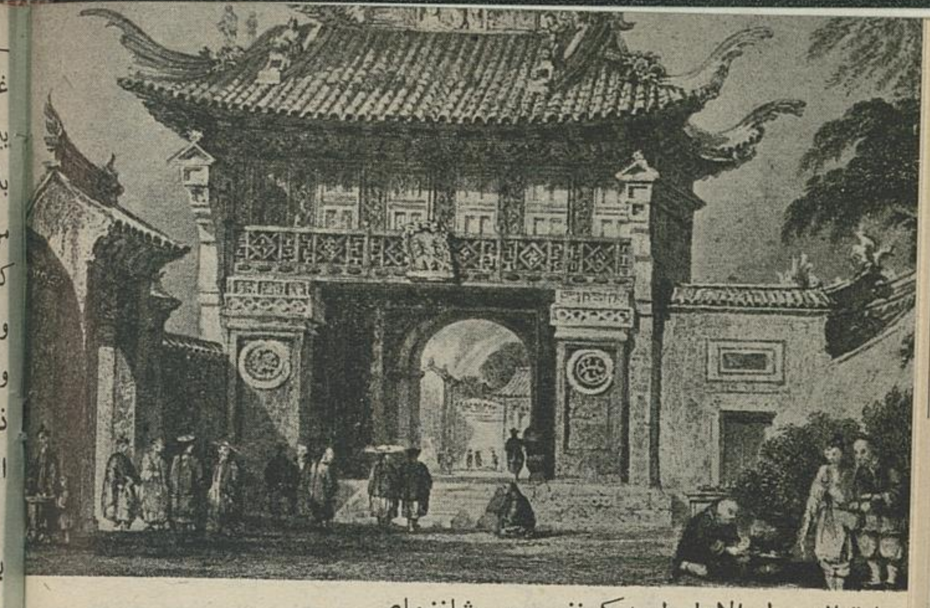
بقلم الدكتور ليونيل جايلز

يحوط باصل الشعب الصينى كثير من الاقاصيص والغموض ولكن يبدو ان اجدادهم قد استقروا فى حوض النهر الاصفر من نحو اربعة آلاف عام او اكثر . وقد قيل انهم ربما كانوا قد هاجروا الى تلك المنطقة من جهة اخرى فى اواسط او غرب آسيا ولكن لم يقم دليل كاف على صحة هذا الرأى . وكانوا عند اول ظهورهم فى التاريخ يشتغلون بالزراعة وتوافرت الروايات بعد ذلك عن كيفية تطورهم حتى الموا بكثير من العلوم والفنون من بينها صناعة الخزف واستعمال الاعشاب لمداواة المرضى وبعض المعلومات الخاصة بالفلك، ثم تقدموا بعد ذلك فظهرت بينهم صناعة الاوانى البرنزية وتدوين الكلام بالكتابة وكان هذا الفن قد تطور تطورا مهما قبل القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد كما يظهر من الخطوط التى توجد على الادوات البرنزية الجميلة من مخلفات هذين العصرين، ومما اكتشف اخيرا من آلاف العظام وبقايا اصداف السلحفاة التى حفرت عليها اسئلة للتكهن . وكان ذلك فى عهد اسرة شانج التى كانت تحكم مساحة من الارض لا تعرف حدودها بالضبط ولكن يبدو انها لم تكن متسعة الارجاء كثيرا . وكانت عاصمتها فى جوار مدينة كايفينج الحديثة . وقد حفظت اسماء بعض ملوك هذه الاسرة فى آثار العظام السالفة الذكر .

وحدث فى تاريخ يستحيل تحديده على وجه الدقة وان كان يدور حوالى نهاية القرن الثانى عشر قبل المسيح ان تحدت مقاطعة تشو الغربية التى بدأت حينئذ فى القوة والاتساع نفوذ هذه الاسرة وسلطتها واخيرا


صورة كونفسيوس على حجر للامير كوشويكو الصينى.

تمكنت من التغلب عليها . وكان هؤلاء الحكام الجدد من نوع آخر يختلف عن الشعوب التى اخضعوها فقد كانوا اقل ثقافة وبذلك مرت قرون عديدة قبل ان عادت الآداب والفنون الى الازدهار من جديد . وقد كان هناك نوع من النظام الاقطاعى قبل دخول هؤلاء الفاتحين الجدد فحل محله نوع آخر اكثر تنظيما فوضعت طبقات جديدة للنبلاء وقسمت البلاد الى مئات من الولايات والمقاطعات يتفاوت حجمها ولكن تشملها جميعا رابطة الولاء والتبعية للملك الذى كانت له ولايته الخاصة ايضا . وقد نجح هذا النظام اولا واطرد تقدم البلاد فى ظله وكان ذلك بفضل الدوق تشاو شقيق اول ملوك هذه الاسرة ونفوذه النافع المفيد . ولكن الحكام الذين تبعوه كانوا اقل منه بكثير فتورطوا فى التبذير واسرفوا فى الاستمتاع وبدأ حكام المقاطعات يختلفون فيما بينهم ويثورون على ملوكهم كما زادت المتاعب والمشاكل بفعل القبائل المتوحشة التى كانت تعيش على الحدود . ووصلت الامور الى نهايتها فى عام ٨٤٢ قبل الميلاد حينما نشبت الثورة ضد الحكومة الظالمة وعزل الملك الحاكم اذذاك . ثم تلت ذلك فترة قصيرة عاد بعدها آخر ملوك تشاو العظام فحكم بثبات وحزم لمدة تبلغ ٤٥ عاما تلتها فترة انتشرت فيها اللامركزية وزاد نفوذ حكام المقاطعات ثم بدأ عدد الولايات المنفردة يقل بسبب غارة القوى على الضعيف منها وغزو البلاد الصغيرة وضمها الى الكبيرة . ويعطينا كتاب تاريخ مبنى على الوثائق المعاصرة صورة صادقة لما سمى بفترة «الربيع والخريف» وهى الفترة من عام ٧٢٢ الى حين وفاة كونفوسيوس فى عام ٤٧٩ حينما تتابع عدة حكام اقوياء من ولاة المقاطعات اغتصبوا قوة



بوابة الدخول الاولى لمعبد كونفسيوس بشانغهاى .

السلطة المركزية وكان من اخص هؤلاء الحكام الديكتاتوريون الخمسة وهم اصحاب ولايات تشى وسونج وتشين وتشيو وتشو .

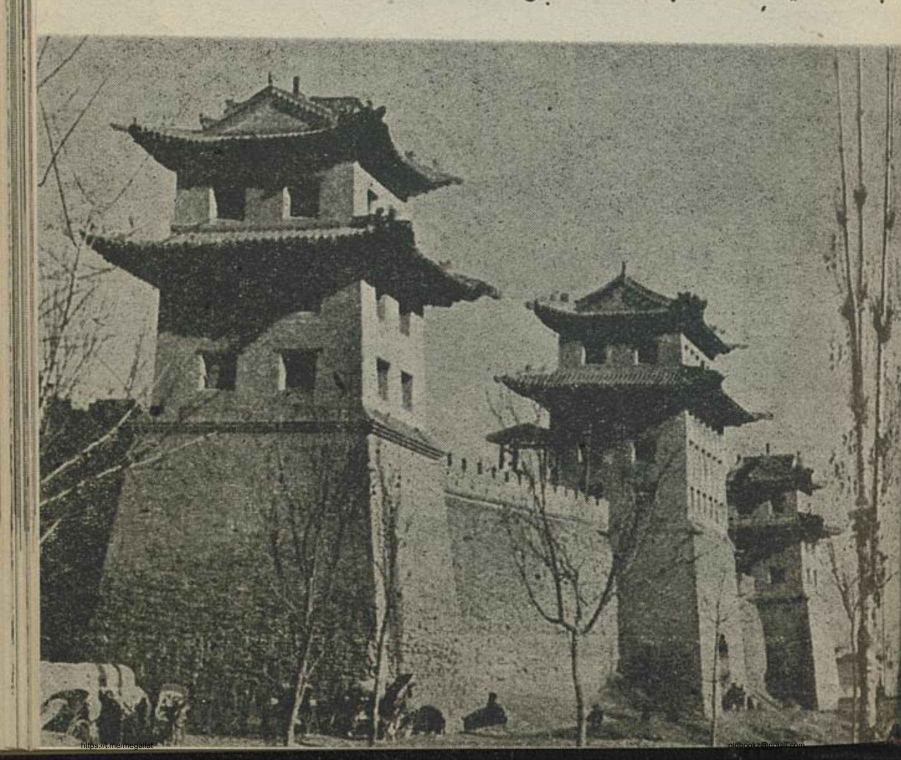
وكان كونفوسيوس نفسه وهو من اهالى ولاية لو فى مقاطعة شانتونج الحالية مربيا ومعلما للفلسفة والاخلاق ولم يظهر له اثر مطلقا فى ميادين السياسة كما لم يتكلم عن الموضوعات الدينية ابدا ولكنه يبدو انه سلم بغير جدل بما كان شائعا فى وقته من عبادة الارواح وعلى الاخص ارواح الاجداد وهى عبادة لا تزال شائعة حتى اليوم . كما شاطر اعتقاد الجميع فى الوهية «السماء» وهو قريب من معنى الاله . وكان النظام الكهنوتى السائد فى الصين هو وليد العادة المتبعة فى عبادة ارواح الاجداد وذلك الذى ادى بدوره الى تبجيل الابوة كاساس لكل الفضائل . ولم تجد تعاليم كونفوسيوس السمحة الا قليلا من القبول والنجاح عند الامراء الطامعين الذين لم يكن يهمهم سوى تعظيم انفسهم . ولم يبدأ تأثير كونفوسيوس فى الظهور الا بعد زوال النظام الاقطاعى السائد فى وقته .

وتعاقب الملوك من اسرة تشاو لنحو ٢٠٠ عام بعد كونفوسيوس من

يران يلفتوا الانظار بينما كان مصير الامبراطورية محل منافسة ونضال
ن بعض رؤساء القبائل الاقوياء . فقد بدأت العمليات الحربية تعظم ونسمع
لا انقطاع عن افناء جيوش كبيرة يتلوه اعدام جماهير بالجملة . وكان
ن العجيب ان يعيش اكثر مفكرى الصين المبتكرين المتعمقين وان يضعوا
تبهم فى هذه الفترة العاصفة التى شاعت فيها روح قوية من البحث
التساؤل وظهر مذهب كونفوسيوس بين جملة من مذاهب متضاربة
نظريات جديدة فى الحكم والسياسة كان لاحداها حظ النجاح الباهر بعد
لك بقليل كما كتب لاخرى معروفة بنظرية تاو ان تؤثر على مجرى حياة
صين وتفكيرها فيما بعد تأثيرا ليس بالهين .

ولم يحل القرن الثالث قبل الميلاد حتى اصبح من الواضح ان آخر
قايا النظام الاقطاعى الذى فرضه الغزاة من عائلة تشاو قد قدر له الفناء
لم يبق للحل الا مسئلة اية مقاطعة من المقاطعات الباقية سوف تسيطر
لى الجميع . وكانت اقوى هذه المقاطعات هى مقاطعة تشين الغربية

ة بحائط مدينة لانشاو بمقاطعة كانسو .





كو – ذي – كين الجامعة الوطنية ببيكينج .

والتي كانت فى حالة شبه وحشية . فاتفقت كلمة ست مقاطعات اخرى على
تأليف اتحاد لصدها ومقاومتها ولكن خاب هذا الاتحاد واستطاعت ولاية
تشين ان تثير المنافسة والخصومة فيما بين باقى الولايات حتى حل بهم

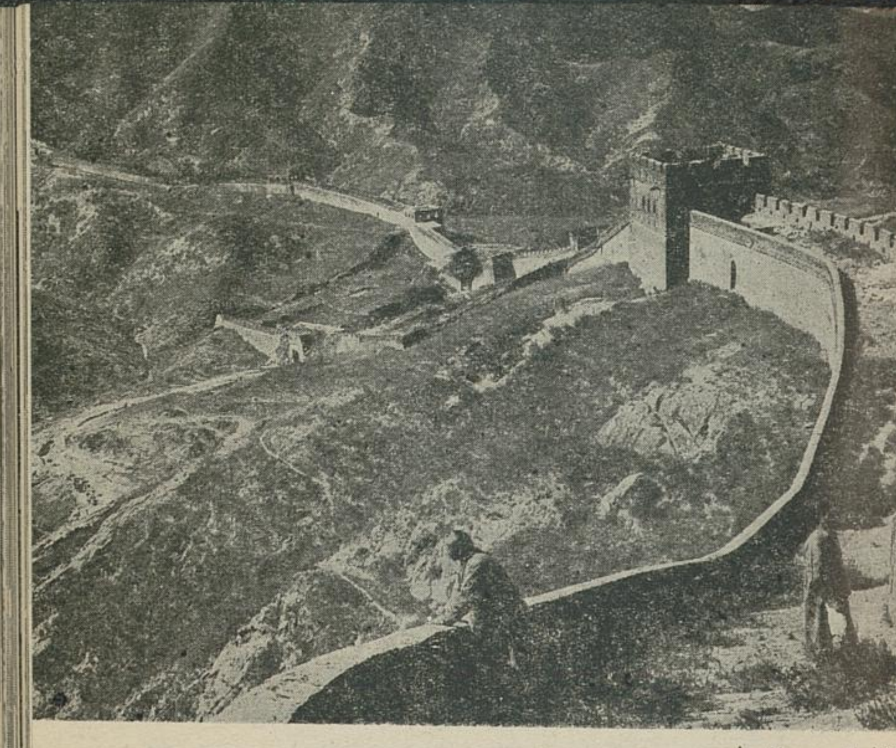
نعب جميعا فتغلبت عليهم الواحدة بعد الاخرى . وفى عام ٢٤٦ قبل
سيح بعد ضم اراضى تشاو بقليل تولى حكم تشين غلام فى الثالثة عشرة
ن عمره وبعد خمسة وعشرين عاما من حكمه استطاع ان ينادى بنفسه اول
براطور للصين المتحدة. وكان حكمه مبنيا على مبادىء قريبة الشبه بمبادىء
نازى اليوم فكان قاسيا مستبدا كما كان عدوا لدودا لمذهب كونفوسيوس
لاميذه . ويمكن تلخيص سياسته فيما يلى : (١) محاربة النظام
اقطاعى بتقسيم البلاد الى مديريات ونواح وضعت كلها تحت امر حكام
دنيين وعسكريين مسئولين امامه مباشرة . (٢) ولما شعر بضرورة
سكات الناقدين الذين يتمسكون بتعاليم الماضى قرر ان تجمع كل المؤلفات
وجودة وان تحرق جميعها الا ما تعلق بالزراعة والطب والتكهن .
٣) ولابعاد خطر قبائل هسيونج نو او الهون المنتشرة على الحدود الشمالية
ط جميع القواعد والاستحكامات الموجودة وكون منها «الحائط العظيم»
لذى بلغ طوله ١٥٠٠ ميل وامتد من شمال كانسو الى خليج لياتسونج
استخدم فى بنائه مئات الالوف من المجرمين والمعتقلين السياسيين .
٤) ووحد بين طرق الوزن والمقاييس ووضع طريقة مبسطة للكتابة
سمها فى جميع انحاء الامبراطورية . ومع ان كثيرا من اصلاحات هذا
لحاكم كانت مفيدة الا ان قسوته فى تنفيذها اكسبته سخطا عاما وكانت
فاته فى عام ٢١٠ بداية اضطراب ونزاع انتهى الى حرب حادة بين
حد قواد مقاطعة تشو الجنوبية والزعيم الفلاح لين بانج الذى هزم عدوه
انشأ اسرة هان .

وقد استمر حكم اسرة هان هذه نحو ٤٠٠ عام متصلة تخللتها
رة قصيرة تولى الملك فيها بعض الثائرين . ويمكن القول بانه قد وضع
ى خلال هذه الاسرة اسس كيان الصين الاجتماعى والسياسى لمدة طويلة .
الواقع ان بعض خصائص النظام الاقطاعى ادخلت الى نظام الحكم ثانية
لكن لم يحل الضعف فى الحكومة المركزية بشكل مستمر كما حدث اثناء
كم اسرة تشاو . وانتعشت العلوم من جديد واتخذ مذهب كونفوسيوس

كمذهب رسمى للدولة . وكان من اثر ذلك ان تولد عند الطبقة الحاكمة
احساس دقيق بالمسئولية وساد الشعب جميعه شعور بالاستقلال. ويمكن
القول بان الصين الحقيقية التى تمثلها القرية الصينية كانت دائما تتجه الى
الاستقلال المحلى حتى فى اشد عهود الملكية المطلقة تعسفا . وقد تحطم
نفوذ هسيونج نو اثناء حكم الامبراطور وو وهو حكم طويل ملىء بالحوادث
واتسعت حدود الامبراطورية فى كل مكان . وقد امتازت اسرة هان الاخيرة
التى بدأ حكمها فى عام ٢٥ بعد الميلاد بغزوات الجنرال بان تشاو
الذى قاد جيشا الى خراسان وارسل مندوبا عنه الى روما ولكنه ارتد
عائدا بعد ما ادرك الخليج الفارسى . وكانت قبائل هسيونج نو الشمالية
تتوالى عليها اثناء ذلك الهزائم الساحقة ولم يعد يسمع عنها بعد ذلك
شىء فى تاريخ الشرق الاقصى وان كان البعض يعتقد ان القبائل المتوحشة
التى غزت اوروبا بقيادة اتيلا ترجع فى اصلها الى هذا العنصر . وكان
مما عجل من نهاية هذه الاسرة عهد الفساد الطويل الذى ساد البلاد

رحلة اول قطار سكة حديد بالصين فى شانغهاى سنة ١٨٧٦ .
افتتاح خط سكة حديد ووسونج .

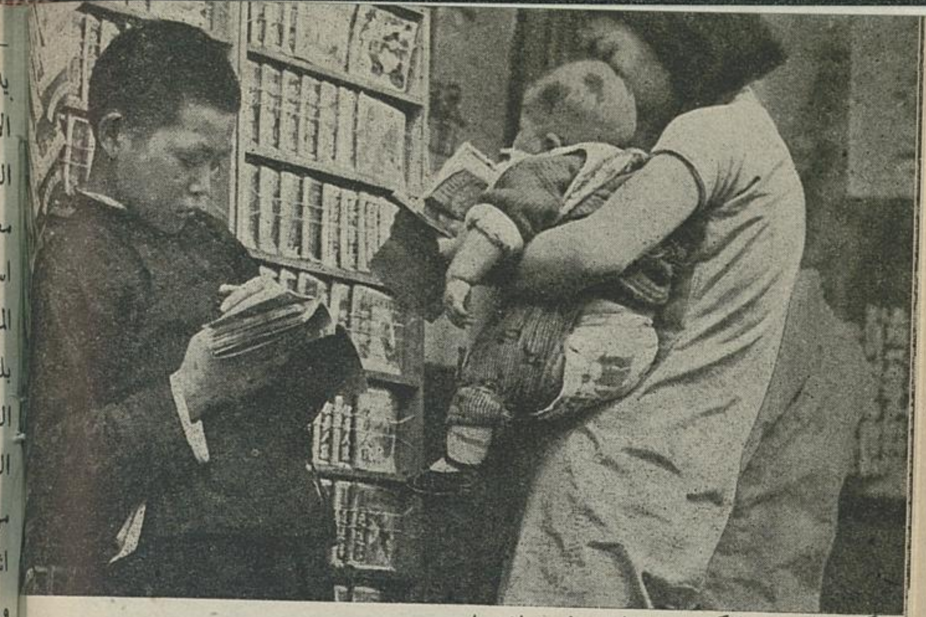




ائط الصين العظيم .

اشتد الاضطراب بقيام احد المنتسبين الى نظرية تاو الذى ادعى لنفسه وة سحرية . واتخذ الثوار العمامة الصفراء شعارا لهم .

وبذلك سقطت الصين فى شبه حالة فوضى كاملة تتخللها حروب واضطرابات وانقسمت البلاد الى ثلاث دول كبيرة اشتهرت بما عرف عنها من الاقاصيص والروايات . وكان من آثار نزاعها واختلافها على السلطة والسيادة ان مهد الطريق لانقسامات اخرى تدفقت بعدها القبائل الوحشية من الشمال الغربى وقامت وسقطت فى مدة تقل عن قرن ونصف نحو ست عشرة دولة . وكان تاريخ هذه الفترة متشعبا بدرجة لا يمكن حصرها ولو بصورة عامة فى هذه العجالة حتى ساد الحالة شىء من الثبات والاستقرار حينما قام الترتر من قبيلة توبا واسسوا حكمهم فى الشمال بينما تعاقب عدد من الاسر الصينية فى الجنوب. وكانت اوروبا فى ذلك الوقت



كشك بيع الكتب بشارع فى شانغهاى .

فى بداية عهدها المظلم ولكن المدنية الصينية لم تصب بمثل النكسة القاضية التى اصيب بها الغرب وكان من الاسباب الرئيسية التى حفظت شعلة العلم والمدنية فى الصين انتشار البوذية وهى مذهب فلسفى ادخله المبشرون الهندو الى الصين اولا ثم قوى وانتشر بفعل سيل من الحجاج الصينيين الذين قصدوا البحث عن الكتب المقدسة فى ارضها الاصلية كما كان انتشار استعمال الورق من الاسباب التى ساعدت على سلامة المدنية . وكان اختراعه حوالى سنة ١٠٠ بعد الميلاد فساعد على تيسير التعليم وتسهيله بالقياس الى ما كان عليه الحال فى اوروبا التى لم تكن عرفت الورق الا بعد ذلك بنحو الف عام تقريبا . فساعد وجود الورق على انتشار الشعر والتصوير فضلا عن النسخ المخطوطة فارتفع مستوى هذه الفنون جميعا فى خلال القرنين الرابع والخامس ووصل فن النحت الى القمة فيما انتجه الفنان المشهور باسم لونج مين .

وكثيرا ما قيل عن الصين انها اشبه ببحر واسع ينشر الملح فى كل ما

خله من السيول وقد امكن للصين بفضل ذلك ان تمتص جميع العناصر
جنبية فتدمجها فى سكانها واستطاعت توحيد البلاد كلها قبل نهاية
رن السادس فى عهد اسرة سيو التى سوف يظل اسم ثانى اباطرتها
روفا للمجموعة العظيمة من الترع والقناوات التى انشأها وان كان
رافه قد اثقل الاهالى ونشأ عن ذلك ثورة انتهت بقيام اسرة تانج
روفة فى سنة ٦١٨ . وكان بطل هذه الحركة لى شيه مين الذى عرف
به الذى منح له بعد وفاته وهو تاى تسونج . وهو يعد فى مقدمة
واد والسياسيين وكانت اصلاحاته الداخلية مما ساعد على انتشار
علیم والتربية كما كانت سياسته الخارجية سببا فى بناء امبراطورية تمتد
ن المحيط الهادى الى بحيرة خوارزم (بحر آرال) . ومن بين الحكام الذين
تهروا فى ذلك العهد ايضا الامبراطورة وو التى حكمت نحو نصف قرن
هسوان تسونج الذى ازدحم بلاطه بنوابغ المصورين والشعراء .
كان الصينيون فى ذلك العهد يفوقون كثيرا كل شعوب العالم فى المدنية
حضارة . ولكن حدث فى مثل مفاجأة الصاعقة ان قامت ثورة يقودها
حد الاشخاص المقربين من الامبراطور وهو من اصل تترى فاصابت
ذه الثورة اسرة تانج فى صميمها . وقد اخمدت بعد ان فقدت بسببها
ياة الملايين وساد الخراب ولكن لم يعقبها السلم مع استمرار حكم
ذه الاسرة بعد ذلك نحو ١٥٠ عاما كانت كلها اعوام قتال وحرب
خرب اهالى التبت العاصمة تشانج آن وثارت القبائل التى تعيش
ى الحدود كما افسد الحكام الخائنون قوة البلاد وعبثوا بها فقامت
ورة اخرى كبيرة كان من اثرها وان اخمدت فى النهاية ان قضى على
لاسرة الحاكمة فى سنة ٩٥٦ . وكان مما عرف عن هذه الاسرة فوق
نايتها بالفنون الجميلة اختراع الطباعة التى باشرها البوذيون اولا
صد نشر كتبهم ثم كملها احد الاهالى بعد ذلك بنحو قرنين . كما نظمت
سرة تانج الامتحانات والمسابقات لمن يريد الالتحاق بخدمة الحكومة
من المعروف ان المرشحين كانوا يقصدون العاصمة لهذا الغرض .

وتلا ذلك عهد انقسام آخر ترتب عليه قيام دويلات عديدة وتعاقب على حكم البلاد فى الخمسين سنة التالية خمس اسر قصيرة العهد . ولم تستطع اية واحدة منها ان تحكم اكثر من جزء صغير من البلاد وكان ذلك فى وقت اخذ فيه عدو جديد يتجمع فى الشمال . وحدث عندما استقرت اسرة سونج فى الحكم ان احدى قبائل الطونغوز المعروفة باسم الختاى كانت قد توصلت فعلا الى احتلال جانب من الاراضى الصينية جنوب الحائط العظيم استحال طردهم منه وكان كل ما استطاع الصينيون عمله فى خلال القرن الحادى عشر ان يتحصنوا فى عاصمتهم بالقرب من الشاطىء الجنوبى للنهر الاصفر حتى سنحت لهم بعد ذلك فرصة لمحالفة فرع آخر من التتار عرف باسم نو تشين (او تشين) وكان بينهم وبين الختاى اسباب النزاع والعدوان . على انه كان من سوء الحظ ان ادى نجاحهم الى الاصطدام مع الصينيين انفسهم فاضطر هؤلاء الى الانسحاب جنوبا وتشييد عاصمة جديدة لهم فى الجنوب الاقصى اى فى مدينة هانج تشاو ثم اضطروا بعد ذلك الى عقد صلح مهين كان من نتائجه ان تخلوا عما يزيد على ما كان احتله الختاى من الاراضى وذلك فوق تعهدهم بدفع جزية سنوية . ورغم كل هذه العقبات فقد احتفظت الثقافة فى عهد سونج بمستواها الرفيع . ومع انها لم تكن فى مثل مستوى الفن والشعر فى عهد اسرة تانج الا انها اصابت نجاحا عظيما فى التاريخ والفلسفة كما ان الفنون السياسية تقدمت فى عهدها وتحقق فعلا اصلاح سياسى كبير اذ وافق الامبراطور فى عام ١٠٦٩ على بعض اصلاحات اشتراكية النزعة ادخلها مستشار الدولة وانج آن شيه الا ان العناصر الرجعية اثبتت قوة نفوذها بعد ذلك فقضى على هذه الاصلاحات اثناء حياته .

وكان المغول فى خلال القرن الثالث عشر دائمى الاغارة على القارة الاسيوية . وكان الصينيون يعدونهم فى البداية ممن يمكن محالفتهم ضد التشين متغافلين بذلك عن الدرس الذى تلقوه فى حروبهم السابقة ضد الختاى . وكانت النكبة فى هذه المرة اعظم واكبر اذ ان قوبلاى حفيد

(فى الاعلى) جامعة ينشينج .
(فى الاسفل) معمل كيمائى بنانكاى .



صورة لامبراطوءة الصين السابقة .

نكيز خان استطاع ان يفتح ليس الجزء الشمالى من الصين الذى كان احتله
لتشين فقط بل كذلك املاك اسرة سونج فى الجنوب . وبذلك خضعت
لصين كلها للمرة الاولى فى تاريخها للتصرف الاجنبى . ولقد ترك الرحالة
ماركو بولو من اهالى البندقية صورة رائعة وان كانت متحيزة عما شاهده
ى امبراطورية قوبلاى العظيمة وقد يبدو انه اغفل ان كل ما بناه المغول
نما بنوه على الاساس المتين الذى قد وضعه الصينيون من قبل . ولقد
كان عدد المغول قليلا جدا بالنسبة للصينيين بلا شك كما كانت الادارة
لحقيقية غالبا فى يد الصينيين انفسهم وفى هذا ما يفسر الحقيقة الثابتة
من ان عهد اسرة يوان كما كانت تسمى بالصينية قد انقرض فى مثل عمر
الانسان وانها لم تقو على المقاومة بمجرد ظهور قائد حازم مثل تشو يوان
شانج . وتولى الامر بعدها اسرة جديدة اتخذت لنفسها لقب مينج
(ومعناها اللامعة) فقوبلت من الشعب باجمعه بالترحيب وان بقيت
المقاطعات الغربية منعزلة لدرجة ما .

ولقد عمد الحكام من اسرة مينج منذ البداية الى عدم تشجيع
الاتصال بالعالم الخارجى اذ لا شك ان هذه الحروب التى قطعت قرونا
طويلة كلها قتال ضد المغيرين قد جعلتهم يعتقدون انه قد يكون من
الاصلح الابتعاد الكلى عن الاجانب، وبذلك لم يعد يعرف الاورربيون
شيئا عما كان يحدث فى الشرق الاقصى خلال هذه الفترة التى بلغت
٢٠٠ عام حتى بدأ ظهور اليسوعيين فى الميدان . وقد حاول المغول
مرارا ان يستعيدوا امبراطوريتهم المفقودة ولم تقتصر النتيجة على
انهم لم ينجحوا وانما احتلت بلادهم نفسها فى عهد تشنج تسو
(المعروف بلقب يونج لو) وان كان هذا الاحتلال لم يدم طويلا . وكان
هذا الامبراطور الصينى هو الذى نقل عاصمة ملكه الى بيكينج وقد غزا
بلاد آنام كما ارسل عدة بعثات استكشافية عن طريق البحر لسيلان وغيرها
من بلاد المحيط الهندى . وقد اشتهر عهد اسرة مينج بصناعة الخزف
والبرنز والاثاث كما وضع بامر يونج لو قاموس للآداب عظيم الحجم .

واطرف ما فى عهده تقدم الدراما والقصة وكلاهما مقتبس من المغول . ولا شك ان اضمحلال هذه الاسرة التدريجى انما كان مرجعه الى حد كبير الى ضعف اباطرتها الاخيرين الاخلاقى ونفوذ البطانة الذى كان له اثر سئ . وكانت الشواطىء معرضة لغزوات القرصان اليابانيين كما تعددت الحروب فى كوريا . واستمرت الحال على ذلك حتى بدأت الصين تتصل بالغرب فى عام ١٥١٦ حينما وصلت سفينة برتغالية الى كانتون واسست المؤسسات التجارية واصبحت مكاو قاعدة مملوكة للبرتغاليين ثم ضم الاسبان بعد ذلك جزائر الفيليبين واحتل الهولنديون بعدهم جزائر بيسكادوريس وجزءا من فورموزا . وكان عمل المبشرين اليسوعيين المتقدمين من امثال ريتشى وغيره مختلفا عن عمل هؤلاء، وكان نجاحهم لا يرجع الى حماسهم ومثابرتهم على خدمة الانسانية فقط وانما كان يرجع ايضا الى اساليبهم العلمية فى الدرس والبحث .

ولكن مستقبل الصين اصبح عرضة للاحتلالات مرة اخرى وذلك لان المنشو تحت قيادة زعيمهم الحاذق نورهاتشو بدأوا يضعون ايديهم على الحدود الشمالية الشرقية . ثم استفادوا من ثورة داخلية فرقت بين خصومهم فهاجموا بيكينج واخضعوا الصين كلها بعد مقاومة شديدة من الصينيين . وتلا ذلك عهد طويل من الرخاء والهدوء لم تنعم الصين بمثله فى تاريخها من قبل وذلك بفضل حكمة وفطنة امبراطورين عظيمين هما كانج هسى وحفيده تشين لونج اللذان دام حكم كل منهما نحو ٦٠ عاما واستطاعا بتسامحهما وعدالتهما وتشجيعهما للصناعات المحلية وتفادى الضرائب الثقيلة وبتقليدهما قبل كل شىء للعادات والسنن الصينية ان يكسبا احترام وولاء الرعايا الصينيين بدرجة لم يصل اليها المغول مطلقا . وقد كانا فوق ذلك من رجال العلم والثقافة وتم كثير من المشروعات الادبية بفضل رعايتهما وعنايتهما الشخصية .

قد زاد عدد سكان الصين ثلاثة امثاله خلال القرن الثامن عشر وبينما كانت اوروبا فريسة لحروب نابليون كان كل شىء يبدو على اتمه فى الشرق

لاقصى ولكن الثورات والحروب لم تلبث ان توالت ووقعت للصين للمرة
لاولى معارك مسلحة مع شعوب الغرب . وكانت اولى المنازعات مع
بريطانيين الذين تظلموا من القيود التى فرضت على التجارة وارسلوا
فارتين خاصتين لهذه المسألة كان نصيبهما الفشل . ولا شك ان الحكومة
صينية كانت عنيدة وقصيرة النظر . وكانت نتيجة هذه الحرب تنازل
لصينيين عن هونج كونج وفتح موانى الصين وقيامها بدفع تعويض
كبير . ثم تلا ذلك حرب اخرى اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وادت
لى احتلال بيكينج . ثم قامت بعد ذلك ثورة تاى بينج التى اشعلها بعض
ن اعتنق المسيحية وكانت موجهة ضد الاسرة الحاكمة فاخمدت بمساعدة
جنبية بعد ان خربت تسع مقاطعات وقضى على الملايين من الابرياء
روافق ذلك بداية عهد الامبراطورة تسو هسى الذى عرف بالفوضى
الاستغلال ثم وقعت حرب مفجعة مع اليابان اعقبتها حركة «الملاكمين»
لتى انتهت بهجوم عام على الاجانب وحصار مفوضياتهم فى بيكينج
اعيد توقيع الجزاءات الصارمة ولم يستمر حكم المانشو بعد ذلك الا سنين
لائل اعلنت بعدها الجمهورية الصينية فى سنة ١٩١٢ وانتخب الدكتور
سون يات سن اول رئيس لها . ومن ذلك الوقت اصبحت اليابان الد اعداء
لصين فانتهزت فرصة الحرب الكبرى الماضية وتقدمت بعدة طلبات مهينة
م بادرت الى احتلال منشوريا كلها بمجرد ان بدأ الجنرال تشانج كاى
شك عمله فى توحيد العناصر المتنازعة تحت قيادة حكومته فى نانكينج .
م ما لبثت بعد ان ازعجها تقدم الصين السريع وعلى الاخص بعد ان
سوى الخلاف مع الشيوعيين ان غزت البلاد فى عام ١٩٣٧ وعمدت الى
ارهاق الاهالى المدنيين بقذفهم بالقنابل بغير رحمة . ومع ذلك فان
الصينيين ما زالوا يقاتلون ببطولة حتى فى عام ١٩٤٣ من عاصمتهم الجديدة
بشونكينج الواقعة فى اعالى نهر يانجتسى وهم على ثقة عظيمة بالنصر
النهائى بعد ان حالفتهم ديموقراطيات العالم الكبرى .

★

مكتبة وزارة الهند

بقلم الدكتور ا . ج . اربرى

قد يكون من المنتظر اذا سئل شخص على جانب من العلم والاطلاع عما يتصوره من محتويات مكتبة احدى مصالح «وايتهول» الحكومية ان يكون جوابه انه يتصورها ممتلئة بصفوف متراكمة من الكتب والوثائق الرسمية ذات الغلاف الازرق وبما يماثلها من اوراق لها بلا شك قيمتها العملية ولكنها تمتاز بما تحويه من احصائيات لا بما تشتمل عليه من علم وادب . وقد يكون تصوره بالنسبة لمكتبة وزارة الهند بالذات انها لا بد ان تكون متضمنة لوثائق مزدحمة بالاحصائيات لانه لا يمكن ادارة امبراطورية تبلغ نحو ٤٠٠ مليون نسمة دون ان تتوافر المعلومات والحقائق والارقام . والواقع ان ذلك كله موجود فى مكتبة وزارة الهند وعلى رفوفها ولكنه لا يكون الا جزءا صغيرا من مجموع محتويات هذه المكتبة التى تحتوى على ٢٣٠ الف كتاب و ٢٠ الف مخطوط بجميع مختلف لغات العالم تقريبا . ومن المستحيل ان تقدر هذه المجموعة بثمن لانها تحتوى على كثير من الكتب النادرة الوجود وبالاختصار فان مكتبة وزارة الهند هى اكبر مكتبة فى العالم اختصت فى آداب الشرق وعلى الاخص الهند .

ففى اواخر القرن الثامن عشر حينما بدأت عقول الغربيين تتجه نحو مبادئ جديدة انقلابية تقوم على الحرية والمساواة ظهرت رغبة عامة فى معرفة كل ما يتصل بحياة اهالى الشرق وآمالهم وهى حركة سبقت الحركة الثقافية التى تعرف الآن باسم «الاستشراق» . ولا يعنى ذلك ان اديان الشرق ولغاته وفلسفته لم تشغل عناية المثقفين من الغربيين واهتمامهم قبل ذلك الوقت . ولكن الواقع ان هذه العناية وهذا الاهتمام بتلك المواضيع العالمية كانا فى اكثرهما واحيانا جملة يرجعان الى

ى الاعلى) وزارة الهند القديمة بشارع ليدينهول — لندن .
ى الاسفل) مكاتب وزارة الهند الحالية بلندن .

ورايت له كرامات اخبرني الشيخ محمد [illegible] عبيد وكان [illegible] وهو صغير [illegible]
[illegible] صاحبه قال كنا مسافرين مع الشيخ يونس معنا في ليلة في الطريق على
عين [illegible] التي يجلب منها الملح [illegible] من [illegible] وعانه قال
وكان الطريق مخوفه فلما [illegible] احوجنا ان ننام من شدة الخوف ونام الشيخ
يونس قال فلما انتبه قلت له كيف [illegible] تنام فقال لي والله ما نمت حتى
جا اسمعيل ابن ابرهيم عليهما الصلاة والسلام [illegible] بترك القفل قال فلما اصبحنا
رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس قال وعزمت مرة على دخول [illegible] وكم
عند الشيخ يونس [illegible] فقال لي اذا دخلت البلد فاشتر له [illegible]
كفنا قال وكان [illegible] فلما [illegible] فعلت له [illegible] الكفن
فقال [illegible] انه لما عاد [illegible] وذكر له [illegible] احوال

والكرامات [illegible]

اما حميت الحمى واما سكنتموه   واما [illegible] جار [illegible]

من كان يبغي العطا مني انا اعطيه   انا فتى [illegible] تشبيه

وذكر لي الشيخ محمد [illegible] الشيخ يونس توفي في سنة سبع [illegible] وستمائة
[illegible] القنية [illegible] وقبره مشهور [illegible] وكان
[illegible] سنة رحمه الله تعالى ورضي عنه

قلت [illegible] هذا اخر ما اخذته من هذا
الكتاب [illegible] ولله الحمد والمنة وذلك في [illegible] شهر ربيع [illegible]
سنة اثنين وسبعمائة [illegible] بخط [illegible] وكان
مبدا ما اخذته منه [illegible]
ربيع الاول من سنة اثنين وسبعمائة [illegible] على الموضع الذي انتهى
اليه

خط عربى يرجع تاريخه الى ٣ ربيع الثانى سنة ٧٠٢ الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٣٠٢.

اعتقاد راسخ وشامل فى امتياز المسيحية على اى دين آخر والى الرغبة فى التدليل على ذلك باقوال هؤلاء الملحدين والوثنيين من اهل الشرق انفسهم. ولكن العامل الذى جد على ذلك وشع بكل قوة وجلاء على الحركة النشطة القائمة الآن هو الاعتقاد بان هذه العلوم الشرقية تستحق العناية والاهتمام لذاتها. وكان هذا الاعتقاد

هو الذى دعا جماعة من الانجليز الذين كانوا بالهند فى خدمة شركة الهند الشرقية الى تأسيس اول جمعية كان غرضها الوحيد متابعة الابحاث الشرقية وكان ذلك فى عام ١٧٨٤ وهى جمعية بنغال الأسيوية . ومن بين مؤسسى هذه الجمعية بعض اصحاب الاسماء المعروفة من طلائع حركة الاستشراق مثل السير وليام جونس المحامى واللغوى المعروف وتشارلس ويلكينز رب الدراسات السنسكريتية واول من اعد الحروف المطبعية السنكسريتية والبنغالية فى الهند .

وقد وافق قيام هذه الدراسات الشرقية الانحلال السريع لسلطة الحكام المغوليين المركزية فى الهند وفناءها وانتشار الحكم البريطانى سواء فى الجيش والسلطات المدنية . وفى اواخر القرن اعتزم مديرو شركة الهند الشرقية فى لندن بعد ان ادركوا اهمية هذه الدراسات الجديدة انشاء مؤسسة للمخطوطات الشرقية كقسم خاص يلحق بمكاتب الشركة بشارع ليدينهول . ودعوا الموظفين السابقين واللاحقين الى الاكتتاب والمساهمة فى سبيل نجاح المشروع وعينوا شارلس ويلكينز مديرا لهذه المؤسسة التى قام ويلكينز على توسيعها متابعة لسياسته التى عرضها فى مذكرة له عن الموضوع حتى شملت انشاء متحف تاريخى للمخلفات الاثرية والطبيعية . وكان تعيين ويلكينز فى عام ١٨٠١ بمرتب قدره ٢٠٠ جنيه فى العام ثم ارتفع بازدياد اعماله وتشعبها مع الزمن الى الف جنيه سنويا . وقد استحق فى آخر حياته الطويلة جزاءا له على ما عمله فى سبيل تدعيم سمعة بلاده كموطن علوم الشرق ان انعم عليه بلقب «سير» .

وكانت اول مساهمة جدية وصلت المؤسسة هى مجموعة عظيمة تحتوى على مخطوطات ثمينة اوصى بها مؤرخ الشركة المحترم روبرت اورم فى وصيته . وكان اورم هذا داعية متحمسا لانشاء مثل هذه المكتبة حيث يستطيع رجال العلوم ان يجدوا مادتهم من المصادر التى يصعب عليهم ان يجمعوها بانفسهم . وكان من المناسب ان يكون اول من يجود

على هذه المؤسسة نفس الرجل الذى دعا الى انشائها . وحدث بعد ذلك ان تم انتصار سيرينجاباتام الرائع وتوفى تيبو سلطان ميسور فوقعت فى يد الجيش مجموعة المخطوطات التى اقتناها هذا الحاكم ووالده من قبله على حساب منافسيه المنهزمين . وبدلا من ان يلجأ الجيش الى السوابق المعروفة فى بيع الغنائم لحساب الجنود المنتصرين قرر فى تسامح وترفع ان يسلم هذه الكنوز الى مدير الشركة العام لتقسيمها بين مجلس المديرين وجمعية البنغال الاسيوية . وقد نفذ هذا الاقتراح بحذافيره وبذلك وضع اول اساس للمجموعة العظيمة من المخطوطات الفارسية والعربية التى تمتلكها مكتبة وزارة الهند فى لندن وجمعية البنغال الاسيوية الملكية فى كلكتا . وقد نمت مجموعة الشركة فى الثلاثين سنة التالية نموا مطردا فضمت اليها فى خلال هذه المدة مجموعات ماكينزى ومجموعة كولبروك التى كانت تبلغ نحو الالفين من مخطوطات سنسكريتية ومجموعات وارن هاستينجز وجون ليدين وكذلك مجموعة جونسون القيمة من المخطوطات والرسوم الصغيرة .

وكان نمو مجموعة التحف الاثرية والقطع الطبيعية اعظم وابلغ ففى سنة ١٨٢٠ عين امين ليتولى ادارة هذا القسم من المؤسسة . ثم فصل المتحف عن المكتبة فى سنة ١٨٣٦ بعد وفاة ويلكينز وبذلك اصبح له كيان مستقل حتى صفيت اعمال الشركة وانتقلت جميع ممتلكاتها بحق الشراء الى الحكومة فاعيد ضم المتحف والمكتبة عند تمام بناء وزارة الهند فى شارع الملك تشارلس . ولكن تبين بعد قليل ان المكان الذى افرد لهما معا فى البناء غير كاف فقرر توزيع محتويات المتحف .

وكان من اهم مراحل تاريخ المكتبة اصدار قانون الصحافة الهندية وتسجيل الكتب فى عام ١٨٦٧ حيث نص هذا القانون على وجوب ارسال نسخة من اى كتاب يصدر فى الهند البريطانية الى وزير الهند فى لندن وبذلك اصبح للمكتبة التى قد تم انتقالها الى الحكومة الحق فى نسخة من جميع المطبوعات الهندية . ولم يلبث ان تبين بوضوح انه ليس من المرغوب فيه الاحتفاظ بنسخة من كل كتاب مسجل فاعطى امين المكتبة

ثم تشتغل أن يديم ظلال بره وامتنانه على رؤوس
كافة العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا
محمد المصطفى الأمين

صحيح ما نمقه وبينه من اعدد حفظه
من القراءة والسماع وذكر بعض المسندات
وبعض المؤلفات وقد أجزت له صاحبه
أدام الله شرفه ورحم سلفه وولده سأل أدام الله وعظم
الله وكرامته لهم رواية جميع ما ينسب لي وعزي
الي من مروي ومقروء ومسموع ومناول
ومجاز ووجادة وما لي من نظم ونثر ومؤلف
ومصنف بشرطه المعلوم عند حملة العلوم
وكتب الملتجي الى حرم الله تعالى محمد الفيروزابادي
عفا الله عنه ما من الطريق وعجل اوبته الى
حصن البيت العتيق انه بحقو اجال المبعمر
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

امضاء بخط الفیروزابادی من اهل کازرون بالقرب من شیراز مؤلف القاموس.

ارتفى حسب ويقال هو في قديمها اي في اولها ٥

باب ـــــ اخذ الشيء باجمعه

يقال اخذ الشيء باجمعه واجمعه واخذه بجذافيره واخذه بجلمته واخذه بزغبره واخذه بزوبره وقال ابن احمر

وان قال غاو من تنوخ قصيدة بها جرب عدت علي بزوبرا

واخذه بصبرته وباصباره ٠ حاشيه قال ابو بكر ويقال اخذه بزأمجه واخذه باصيلته واخذه بصبرته وباصباره واخذه بطليغته واخذه مكملا ٠ وحكى ابو صاعد الاعرابي اخذه بزنوبره واخذه بازمله معنى هذا كله اخذه جميعا واخذه بصنايته وصنبرته واستوعبه واوعبه ايعابا ويقال اخذ بقوف رقبته وقافها وطوفها وطافها وطليغها وطليغها ٠ واخذه بربغه اي بجدا ثته وكذلك بربانه وبغورته وبجذموره وجذماره ٥

اقدم مخطوط عربى بمكتبة وزارة الهند. والناسخ اعجمى من بيهق بخراسان.

الحق فى ان يختار بنفسه مجموعة من بينها بناء على الفهارس التى تصدر كل ثلاثة شهور المشتملة على اسماء جميع الكتب التى صدرت فى الهند البريطانية . وحيث ان فن الطباعة لم يدخل الهند الا فى اواخر القرن الثامن عشر فكان محصول الكتب الهندية حتى اواسط القرن التاسع عشر تافها ولم تبلغ آداب الهند الحديثة اية درجة من التقدم حتى الى ما بعد صدور قانون حق التأليف والنشر . فكان لهذا القانون فضل تمكين مكتبة وزارة

الهند فى جمع مجموعة كاملة من مطبوعات على شىء من القيمة سواء فى اللغة الانجليزية او فى اية لغة من لغات الهند المتعددة مما صدر فى خلال السبعين عاما الاخيرة يضاف اليها جميع الكتب التى صدرت فى بريطانيا او اى بلد آخر والتى لها اتصال بالهند او بشعوبها مما اشترته هذه المكتبة او اهدى لها منذ افتتاحها .

ومن الواضح ان هذه المكتبة لكى تلعب دورها كاحد اقسام وزارة الهند يجب ان تحتوى على كل البيانات الوافرة التى تستلزمها ادارة الهند . ومن هنا احتوت هذه المكتبة على الملفات الزرقاء التى لا بد منها ولكنها لا تكون الا جزءا يسيرا من المجموع . ولفهم تطورات نظام الحكم الحديث فى الهند يجب الالمام الكامل بكل ما يتعلق بتاريخ تلك البلاد ومن هنا وجب ان تحتوى المكتبة على كل ما يساعد على دراسة هذا التاريخ من مصادر تتضمن المخطوطات والكتب المطبوعة التى اختلفت انواعها بتعاقب حكام الهند الذين كان آخرهم المغول المسلمون وشركة الهند الشرقية المسيحية ، بما فى ذلك ما دونه مسافرون وتجار غربيون من «رحلات» وما اهتم بوضعه حكام الهند الشرقيون السابقون فى لغات شرقية من « تواريخ » . ومن الطبيعى كذلك ان يقتضى حكم بلاد واسعة كالهند الماما كاملا بحياة وآمال شعوبها فلا بد اذا ان تحتوى المكتبة على بيانات كاملة عن كل ما يتصل بالاديان والثقافات ومن بينها بطبيعة الحال الآداب الخاصة بشعوب الهند المختلفة وهذا ثابت فى مخطوطات او فى كتب مطبوعة . من ذلك كله يتبين لنا بوضوح مبررات تضخم هذه المكتبة باعتبارها احد اقسام وزارة الهند .

اما من ناحية ما يتصل بمباحث العلماء وتيسيرها فان هذا اعتبار كان له المحل الاول فى تقدير مديرى الشركة عند انشاء المكتبة، وهو اعتبار لم يهمل على الاطلاق ، فان ادارة المكتبة كانت على الدوام من اختصاص مستشرقين ثابتى القدم فى علوم الشرق . ولا شك ان مجموعة الاشخاص الذين اداروا هذه المكتبة منذ انشائها لما يستلفت النظر .

فقد خلف ويلكينز على ادارتها الاستاذ ه. ه. ويلسون الذى جمع بين ادارتها واستاذية السنسكريتية فى اكسفورد ثم اعقبه فى سنة ١٨٦٠ الاستاذ بالانتاين الذى خلفه عند وفاته فى سنة ١٨٦٤ استاذ امريكى قام بخدمات مشكورة لبريطانيا اثناء عهد الثورة والقلاقل فى الهند وهو الاستاذ فيتز ادوارد هول الذى تقاعد فى عام ١٨٦٩ وشغل محله الاستاذ راينهولد روست الالمانى وهو صاحب سمعة لا تحتاج الى تعزيز فى الابحاث الخاصة بالشرق ثم الاستاذ تونى وهو استاذ سابق فى الدراسات القديمة ومن اعضاء كلية ترينتى فى كمبردج . وبعد اعتزاله العمل تمتعت المكتبة بعهد طويل من الادارة القديرة الرشيدة التى قام بها عميد علماء الدراسات الهندية الحاضرين الاستاذ الدكتور ف. و. توماس حتى تخلى عن ادارة المكتبة ليشغل الكرسى الذى شغله سلفه ويلسون من قبل . وقد خلف الاستاذ توماس استاذ آخر لا يقل تبحرا فى العلوم الاسلامية وهو الاستاذ ستورى الذى تدين المكتبة بالكثير لقدرته الادارية والعلمية ولم يترك المكتبة كذلك الا ليشغل كرسيا جامعيا عظيما هو كرسى السير توماس آدامس فى استاذية اللغة العربية بكمبردج . وخلفه فى ادارة المكتبة الدكتور ه. ن. راندل الذى يقوم على ادارتها من عام ١٩٣٣ . ومن بين من عمل فى خدمة المكتبة كذلك من مساعدى مديريها اثنان لم يصلا الى المركز الرئيسى فيها احدهما السير توماس آرنولد الذى اتخذ المكتبة ميدانا لدراساته لمدة خمس سنوات قبل القيام بخدماته العظيمة فى الهند ثم فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، والمستر ا. ج. اليس الذى انتقل من المتحف البريطانى وبمعلوماته التى لا تضارع فى اللغات والمخطوطات والمطبوعات الشرقية خدم المكتبة عشر سنوات حتى اعتزل العمل . وهذا البيان هو بلا شك مما يستلفت النظر بالنسبة لبلاد ينسب اليها عامة انها لا تعترف بالدراسات والابحاث العلمية فى سياستها الامبراطورية .

وقد وضعت المكتبة بادارة هؤلاء الاساتذة المديرين فى تصرف جميع العلماء والمعاهد الدراسية فى مختلف انحاء العالم واعدت غرفة مطالعة

واسعة للتلاميذ وطلاب العلم الذين يقصدونها من مختلف بلاد المعمورة . وكثيرا ما عقدت اواصر الصداقة فى هذه القاعة وهى صداقة لها قيمتها لانعقادها بين اشخاص من اصحاب المواهب والنفوذ ينتسبون لبلاد وجنسيات مختلفة . وقد وضعت المكتبة لنفسها نظاما لاعارة الكتب واسعا يساعد هؤلاء الذين لا يستطيعون الحضور للندن على قراءة كتبها ومخطوطاتها فى مكاتبهم الخاصة والمكاتب الجامعية .

ان حركة الاستشراق الجديدة قد بدأت كما رأينا بفضل جهود جماعة ممن كانوا فى خدمة شركة الهند الشرقية بالهند ومنهم انتقلت هذه الحركة الى انجلترا حيث كانت مؤسسة المحفوظات الشرقية بشارع ليدينهول اولى ثمارها . وقد انتقلت هذه الحركة بعد ذلك الى القارة الاوروبية حيث شملها نابليون برعايته وقوته وادمجها جوته وشوبينهاور فى الادب والفلسفة الالمانية . ولما زاد انتشار هذه الدراسات وتقدمها فى اوروبا وآسيا قصد الكثيرون من الاساتذة الاجانب وعلى الاخص الالمان الى الهند لمتابعة دراستهم التى وهبوا لها انفسهم فتمتعوا جميعا بعطف وكرم الادارة البريطانية فى الهند . فانتقلت بفضل مجهودات هؤلاء الاساتذة وغيرهم من الاوروبيين اساليب البحث العلمى كما يعرفها الغرب الى العلماء الوطنيين فى الهند وغيرها من بلاد الشرق فتأسست تقاليد علمية ثقافية دقيقة فى تلك البلاد التى قد كانت نشأت فيها الثقافة الشرقية . وقصد الكثيرون من ابناء الشرق الى معاهد العلم فى البلاد الاوروبية التى اجتذبتهم اليها فقصدها الكثير منهم لدرس ميراثهم الثقافى العظيم فى بلاد الغرب . وقد لعبت ولا تزال مكتبة وزارة الهند دورا مفيدا مهما فى هذا التبادل العلمى الذى يحاول الغرب به ان يفى ببعض دينه للشرق . كما ان مثل هذه المكتبة تساعد على تيسير دراسة المدنيات الشرقية وثقافة الشرق وبذلك تساعد على القضاء على عوامل سوء الظن والجهل التى وقفت عقبة فى طريق التفاهم والتعاون الكامل بين الشرق والغرب .

واليوم نرى النور يحجب عن جانب كبير من العالم تطفأ فيه انوار العلم والحرية . وحرية الضمير والعلم هى اساس الديموقراطية كما نفهمها فى هذه البلاد . والديموقراطية فى صورتها المثالية لا تقف عند الحدود القومية ولكنها تتعداها وتبسط يد الاخوة الى اقصى نواحى العالم . وكما ان القبيلة تطورت فاصبحت مدينة والمدينة قد تطورت بدورها فاصبحت شعبا فالمعقول كذلك، تبعا لسنة التطور التى مهما اعترضها من عقبات فلن تتغلب ولن تندرس، المعقول ان تتحول الشعوب الى وحدة عالمية واحدة . ولا شك ان الاستشراق له مساهمة فعلية فى سبيل تحقيق هذا التطور اذ ليس هناك اكثر تأصلا من التنافر الذى استفحل فى الماضى بين الشرق والغرب . والاستشراق كفيل بان يثبت ان هذا التنافر ليس مؤسسا الا على الجهل، وان التفاهم الكامل المعقول يمهد الطريق للقضاء على تلك الخصومة الانسانية القديمة . ولا شك ان مكتبة وزارة الهند بخدماتها لهذه القضية تلعب دورا هاما فى تاريخ الانسانية .

جزء من حجرة المطالعة بمكتبة وزارة الهند .



شاعر الديموقراطية


تمثال نصفى للشاعر الامريكى
وولت ويتمان .

لو جاز لاى كاتب ان يلقب بحق بشاعر الديموقراطية فانه باجماع الآراء واتفاق الجميع من حق الشاعر الامريكى وولت ويتمان ان يفوز بهذا الشرف .

ولد ويتمان فى عام ١٨١٩ وتوفى فى عام ١٨٩٢ وبذلك يكون قد شاهد اثناء حياته نمو الولايات المتحدة الامريكية وتطورها من مجموعة من الولايات على الساحل الشرقى من القارة الامريكية لم تكد تتخلص من النفوذ الاجنبى الى اقوى شعوب العالم واكثرها ديموقراطية .

وقد عاصر الايام الخطرة التى لابست الحرب الاهلية الامريكية، وكان بطبيعة الحال من مناصرى الرئيس لينكولن فى هذا الصراع الشديد.

وتعد القصيدة التى رثى بها لينكولن بطل الحريات والحقوق الانسانية الذى قتلته يد مجرمة فى ساعة انتصاره وفوز قضيته من اروع قصائده . وفيها يقول :

ايها الربان الماهر، اى ربانى لقد وصلت رحلتنا الشاقة الى نهايتها
وتغلبت السفينة على كل العقبات والصعاب واحرزنا الفوز الذى
كنا نسعى الى ادراكه،
واصبحت الميناء على مدى النظر ورن طنين الاجراس فى سمعى
وتملكت الجماهير نشوة الفرح والفوز،
واخذ الكل يرقبون بابصارهم السفينة المتئدة وهى تشق طريقها
بقوة وثبات،

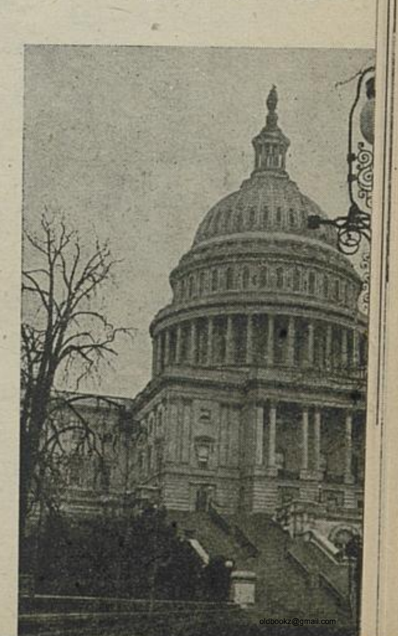
ولكن واحرّ واحرّ قلباه !
لقد تناثرت نقط الدماء القانية على ظهر السفينة حيث يرقد ربانى الماهر
وقد سقط قتيلا هامد الجثة .

اى ربان السفينة، ربانى وزعيمى استيقظ واستمع لرنين الاجراس
استيقظ فقد نصبت لك الاعلام ونفخت من اجلك الابواق
واعدت لك باقات الزهور والاكاليل وازدحم من اجلك الشاطئ
وتجمعت الجماهير المحتشدة تناديك وقد دارت رؤوس افرادها وهى تبحث عنك
ايها الربان الماهر ايها الوالد العظيم
هاهى ذراعى امدها تحت رأسك
وانه لاشبه بالحلم ان تسقط قتيلا هامد الجثة على ظهر السفينة .

ان ربانى لا يجيب وقد صمتت شفتاه واصفر لونهما
ان والدى لا يحس بذراعى فقد وقف نبضه وشلت عزيمته
والقت السفينة مرساها سالمة بعد ان اتمت رحلتها
وعادت منتصرة من رحلتها الحافلة بالاخطار بعد ان ادركت غايتها ومقصدها

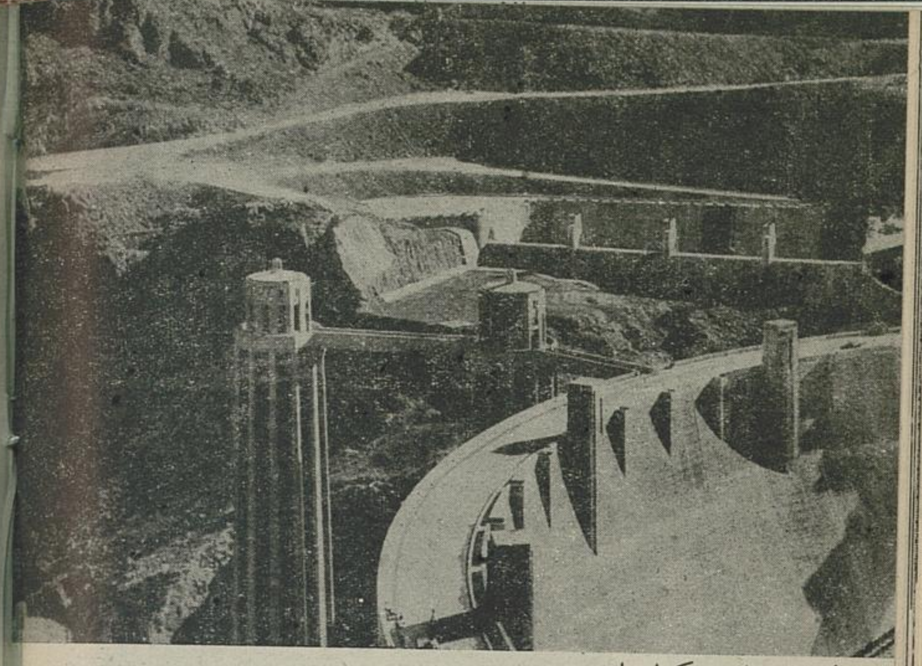
فازدحمى ايتها الشواطئ بالجماهير المستبشرة ودقى ايتها الاجراس

ولكنى وقلبى قد تقطعت نياطه من الحزن اذرع ظهر السفينة حيث يرقد ربانى هامد الجثة فاقد الحياة .


الكابتول — واشنجطن .



ليبرتي كاب ومساقط فيرنال — مكان اشتهر بجماله وبهجته. بكاليفورنيا .



نظر لخزان بولدر بكولورادو .

وقد ادرك ويتمان بحق ان فى ثورة الولايات الجنوبية تهديدا خطرا ليس فقط لحياة الجمهورية الامريكية ووحدتها بل لقضية الحرية فى العالم اجمع ولا شك ان عبارته التى نقشت على قبر لينكولن تلخص فى بلاغة واختصار لا تتجاوز اربعة سطور المثل العليا التى فقد من اجلها الآلاف من مواطنى لينكولن الامريكيين حياتهم وهى :

هذه الرماد كانت قبل الآن رجلا
وكان رجلا لطيفا بسيطا عادلا حازما
وبفضل يده البارعة ورغم ابشع الجرائم عرفها تاريخ اى بلد واى عهد
قد تمكن من انقاذ وحدة الولايات المتحدة .

وكانت وحدة جمهورية الولايات المتحدة الشابة هى اغنية ويتمان التى اعتاد ترديدها من وقت لآخر وهى وحدة اسست على المثل العليا للزمالة والاخوة التى هى صميم الديموقواطية :

هيا فسأحقق للقارة وحدة لا انفصام لها
وسأكون فيها اعظم الاجناس وابقاها على التاريخ
وسأجعل منها بلادا مقدسة لها جاذبية
بفضل محبة الرفاق والاخوان
بفضل محبة الرفاق الباقية على مدى حياتهم .

سأزرع الصداقة والاخوة فى مثل قوة وازدهار الاشجار التى تمتد
على شواطىء انهار امريكا وبحيراتها واوديتها العظيمة
سأجعل فيها مدنا لا تقبل الانفصال
بفضل محبة الرفاق والاخوان
بفضل محبة الرفاق وصداقتهم القوية التى تليق بالرجال .

ومثل هذه الدولة العظيمة القوية التى تفيض بالحياة يجب الا تكون اداة بلا روح او آلة تديرها وتحركها اذرع مسترقة مستعبدة اذ ان الدولة الديموقراطية تقوم اولا وآخرا على حرية الافراد المواطنين وحقهم الكامل فى حرية الفكر والقول وقد كتب ويتمان فى صدر كتابة «اوراق الحشائش» وهى مجموعة من الاشعار ترجمت الى لغات كثيرة :

اذا ما تغنيت بالحديث عن الانسان الفرد
فانما اتغنى بالحديث عن كائن بسيط منفصل بذاته
وعندما يكون الحديث عن الديموقراطية او المجموع
فعندها يكون الحديث عن الكل من قمة الرأس الى اخمص القدم
وليس الحديث عن الاعضاء وحدها او الذهن وحده حديثا
خليقا بالرجل المثالى الكامل
ولكن الجسم كله والهيئة كلها اكثر استحقاقا للعناية والاهتمام
يستوى فى ذلك الرجل والمرأة .

وهذه الحياة الزاخرة بالعواطف والنزعات والقوة

يهزها المرح بالحرية الكاملة القائمة على القوانين الالهية
هذه المعانى التى يمثلها رجل العالم الحديث عنها اتغنى .

وتلك الطاعة العمياء من جانب الرعية للحاكم وهى الطاعة التى يدين بها جماعة الديكتاتوريين فى القرن العشرين كانت بالنسبة لويتمان ككل المفكرين انكارا صريحا للعقل والحكمة السياسية . وقد ورد فى اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية الذى اعلن فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ : «نحن نثق بان المبادىء الآتية واضحة للعقل السليم وهى ان جميع الرجال قد خلقوا متساوين وان الخالق قد وهبهم جميعا حقوقا لا تنازل عنها منها الحياة والحرية وطلب السعادة، وان الحكومات قد وجدت لضمان هذه الحقوق وانها تستمد قوتها من رضاء الشعب، وان من حق الشعب ان يلغى او يستبدل اية حكومة تحود عن هذه الاغراض او تحاول القضاء عليها وان يضع مكانها حكومة لها مبادىء وقوى وان ينظمها فى شكل يكون اكثر تحقيقا للنجاح والسعادة» . وهذا الحق فى الثورة ضد الظلم والطغيان وهو اساس الدولة الديموقراطية هو مما تعصب له ويتمان ونادى به المرة بعد المرة . وفى هذا يقول :

الولايات المتحدة او اية ولاية او مدينة فيها
قاوموها كثيرا واطيعوها قليلا
اذ لو سادت الطاعة العمياء وعم الاستعباد المطلق
لو عم الاستعباد المطلق لما امكن لاية امة ولا ولاية ولا مدينة على ظهر الارض ان تسترد حريتها من جديد .

ما هى اذا الرابطة التى تعزز العلاقات فى دولة ديموقراطية؟ اما الطاعة العمياء فهى غير مقبولة وليست جديرة بالرجال الاحرار ولكن الشعب العظيم يستمد وحدته وتآلفه من الاعمال النبيلة والعظيمة التى يقوم بها الافراد المواطنون . وقد وثق ويتمان فى جوهر ابناء وطنه حتى

انه كان يعتقد انهم بلا شك اكفاء لبلوغ هذا المستوى فى وحدتهم القومية وهو يقول :

رأيت فى احلامى مدينة تعز مناعتها على كل غزوات شعوب الارض
ورأيت انها المدينة الجديدة التى تعتمد على صداقة ساكنيها
وليس فيها اعظم من قوة الحب الصحيح الذى يسود كل شىء آخر
ومظاهر هذا الحب ظاهرة دائما فى كل اعمال ابناء هذه المدينة
وفى جميع مظاهرهم واقوالهم .

ولا شك ان الدولة المؤسسة على مثل هذه المبادئ هى اقوى اعمال الانسان وابقاها :

ماذا تظن اكثر بقاء
اتظنها المدينة الكبيرة

ناطحات السحاب على شارع الكورنيش — شيكاجو .



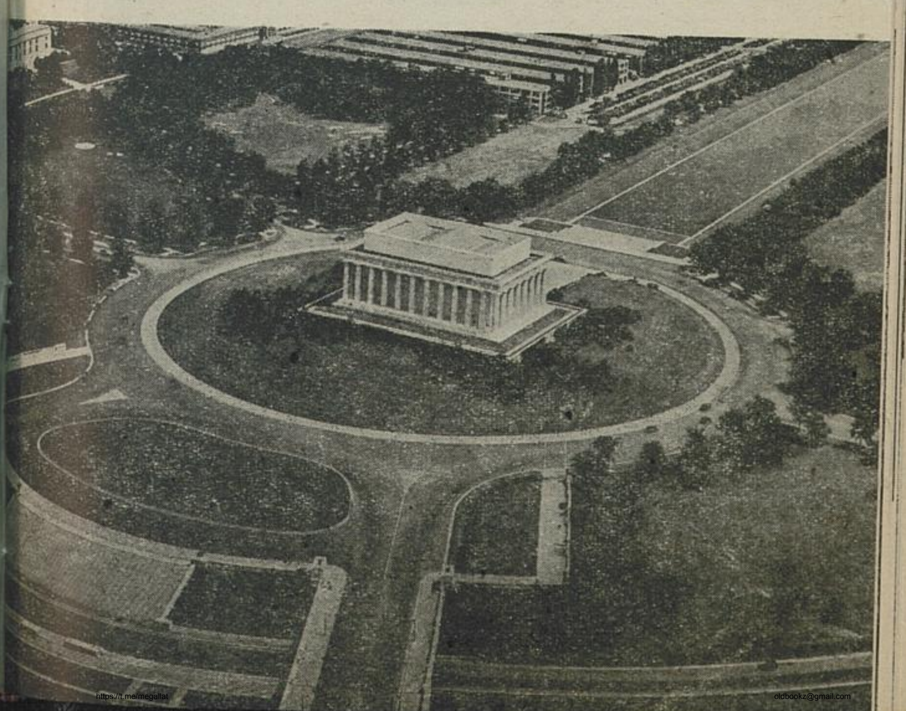
او الدولة المزدحمة بالسكان والمصانع او دستورا بنى على قواعد
مؤسسة او السفن العظيمة
او فنادق بنيت من الجرانيت والحديد او احدى قطع الهندسة
العظيمة او القلاع الحصينة او الاسلحة المتكاثرة ؟

كلا هذا كله لا يغنى عن شىء
وهو انما يؤدى واجب وقته اذ يرقص الراقصون على نغمات
الموسيقى
وينتهى بذلك الحفل السامر وقد ادى كل عمله
واداه على اتمه حتى يتحدى ذلك كله قوة اعظم .

اما المدينة الفاضلة فهى التى تضم بين جنبيها اعظم الرجال والنساء
حتى ولو بنيت من اكواخ متهدمة فانها مع ذلك اعظم مدن العالم .

وكانت اوروبا ايام ويتمان فريسة الحروب التى اثارها الديكتاتوريون
من اهل القارة . وبينما كان الشاعر يتأمل هذه الظروف المحزنة ادرك

ورة اخذت من الجو للنصب التذكارى للينكولن .



بالهامه ان الرجال الذين فقدوا حياتهم فى معركة الحرية التى كانت مغلوبة موقتا لم تكن ارواحهم ضائعة هدرا، وان ارواحا اخرى لم يكن قد حل وقتها بعد كانت فى الانتظار لتقوم مقام هؤلاء الشهداء فى قضية لا بد من انتصارها فى النهاية. واقوال هذا الشاعر الرائعة التى فاه بها فى تلك الايام المظلمة تحمل رسالة مناسبة لظروفنا الحاضرة كانه قالها من اجلنا نحن فى ايامنا هذه :

بينما توضع الجثث فى مراقدها الجديدة وهى جثث شبان ملطخة بالدماء

وقد اعدت حبال المشانق وتطاير رصاص الامراء فان عناصر القوة تضحك ساخرة من هذا كله

كل هذه الاشياء تؤتى ثمارها وهى ثمار طيبة.

وجثث الشبان هذه

جثث هؤلاء الشهداء الذين اعدموا على المشانق وهذه القلوب التى اخترقها الرصاص

هى مع ما يبدو عليها من البرود وفقدان الحركة تعيش فى عالم آخر بقوة لم يصبها الفناء.

فهى تعيش ايها الملوك فى اجسام شبان آخرين

فى اجسام اخوة على استعداد لان يتحدوكم

وقد طهرهم الموت وزادهم العلم ورفعتهم نفوسهم.

فليس من قبر لشهيد من شهداء الحرية الا ونبتت فيه بذور للحرية ستأتى ثمارها ببذور بعد حين

وستنشر الريح هذه البذور فى كل مكان وتعيد نباتها من جديد بعد ان تغذيها الامطار والثلوج.

فان اسلحة الطغاة لا تستطيع ان تقضى على الارواح الاثيرية
فهى انما تسعى فى الارض بعيدة عن الابصار هامسة موحية محذرة.

ايتها الحرية فلييأس الآخرون منك فانى لن ايأس ابدا .

هل اغلق المنزل وغاب عنه سيده ؟
لابأس فلتستعدوا ولن يتعبكم الامل وطول المراقبة والانتظار
فسيعود سيد المنزل عما قريب وهاهو رسوله يسعى الآن على قارعة
الطريق .

لا شك ان مثل هذه الرسالة هى مما يقوى الامل عند هؤلاء الملايين من الرجال والنساء الذين يقاسون العذاب تحت اقدام الدكتاتورية الظالمة ! «سيعود سيد المنزل عما قريب وهاهو رسوله يسعى الآن على قارعة الطريق» . نعم ان رسل الحرية هم الآن منتصرون وهم يحومون اجواء اوروبا المظلمة ويحطمون المصانع التى تعد فيها اسلحة الطغيان ويدقون اجراس الموت للظالمين .

«ايتها الحرية فلييأس الآخرون منك فانى لن ايأس ابدا !» كأن روح ويتمان تسعى فى البلاد اليوم وكانه قال شعره من اجلنا نحن . وكم تبدو كلماته قوية فى آذاننا لانه استطاع بخياله الشعرى ان يصور حقائق عظيمة وهى انه مهما استطاعت قوى الشر بكل جبروتها ان تحاصر قلاع الحرية فان هذه القلاع لن تسقط ابدا وعلى العكس ستكون مركزا لدولة العالم اجمع تلك الدولة التى ستفنى خوف الظلم والفقر والحرب الى الابد، تلك الدولة العالمية التى سيعمل فيها جميع الناس للمصلحة العامة «بفضل محبة الرفاق الباقية على مدى حياتهم» .

ايتها الديموقراطية بينما تصوب الاسلحة من جميع النواحى الى
صدرك
اراك بكل هدوء تلدين اولادا خالدين، ارى فى احلامى قواك
المتزايدة
اراك بثوبك الفضفاض المنتشر تسعين العالم .



تمثال الشهير لابراهام لينكولن .

أعظم ميناء بحرية فى العالم

منزل صغير شبيه بآلاف من امثاله من المنازل الصغيرة يقع فى شارع خلفى مثل المئات من الشوارع الخلفية الاخرى . ولكن هذا الشارع وهذا المنزل هما ضمن مدينة عظيمة مدينة تاريخية مدينة معتزة بنفسها هى مدينة بورتسموث .

وقد كان ذلك البيت الصغير فى شارعه الخلفى منزلا لى لمدة عشرين عاما من حياتى . ففيه ولدت وفيه تعلمت المشى والكلام ومنه خرجت الى المدرسة حيث التحقت اولا فى سن الثالثة بالمدرسة الاولية الحكومية القريبة ثم بالمدرسة الثانوية التى اسسها فى سنة ١٧٣٢ الدكتور وليام سميث من اهالى بورتسموث . وقد تابعت دراستى فى هذه المدرسة حتى التحقت بجامعة كمبردج .

وقد كان والدى بحارا كوالده واجداده من قبل وقد حارب احد اجدادى الاقدمين تحت قيادة نلسون فى موقعة الطرف الاغر وهى الموقعة التى قضت على نابليون . وقاتل والدى وعمى فى موقعة جاتلاند وهى التى هدمت اطماع قيصر المانيا . وقد قتل عمى فى هذه المعركة. وكنت لسوء الحظ اول من خرج عن تقاليد الاسرة القديمة بعدم الالتحاق بالبحرية. ولكن اذا كنت لم استجب لنداء الامواج المتلاطمة والآفاق البعيدة فانى بدورى

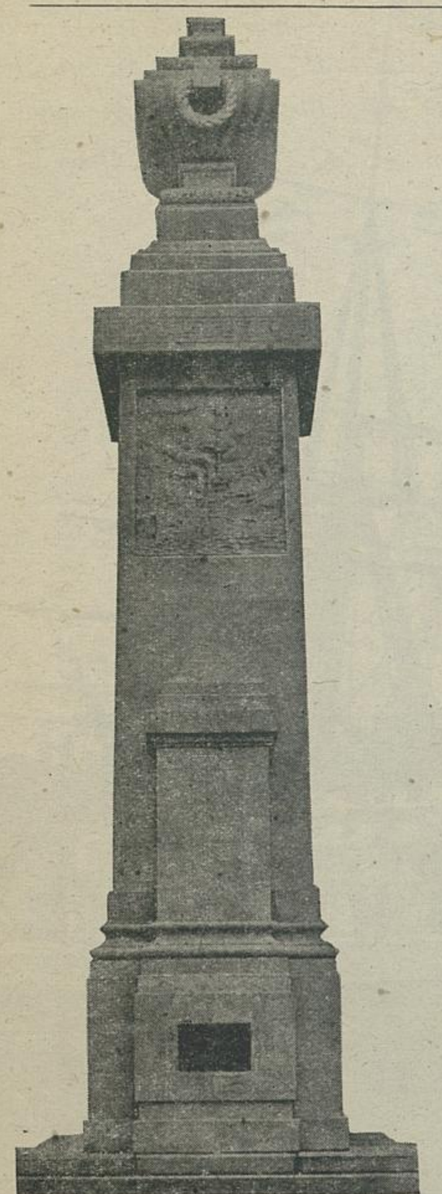


شعار مدينة بورتسموث .

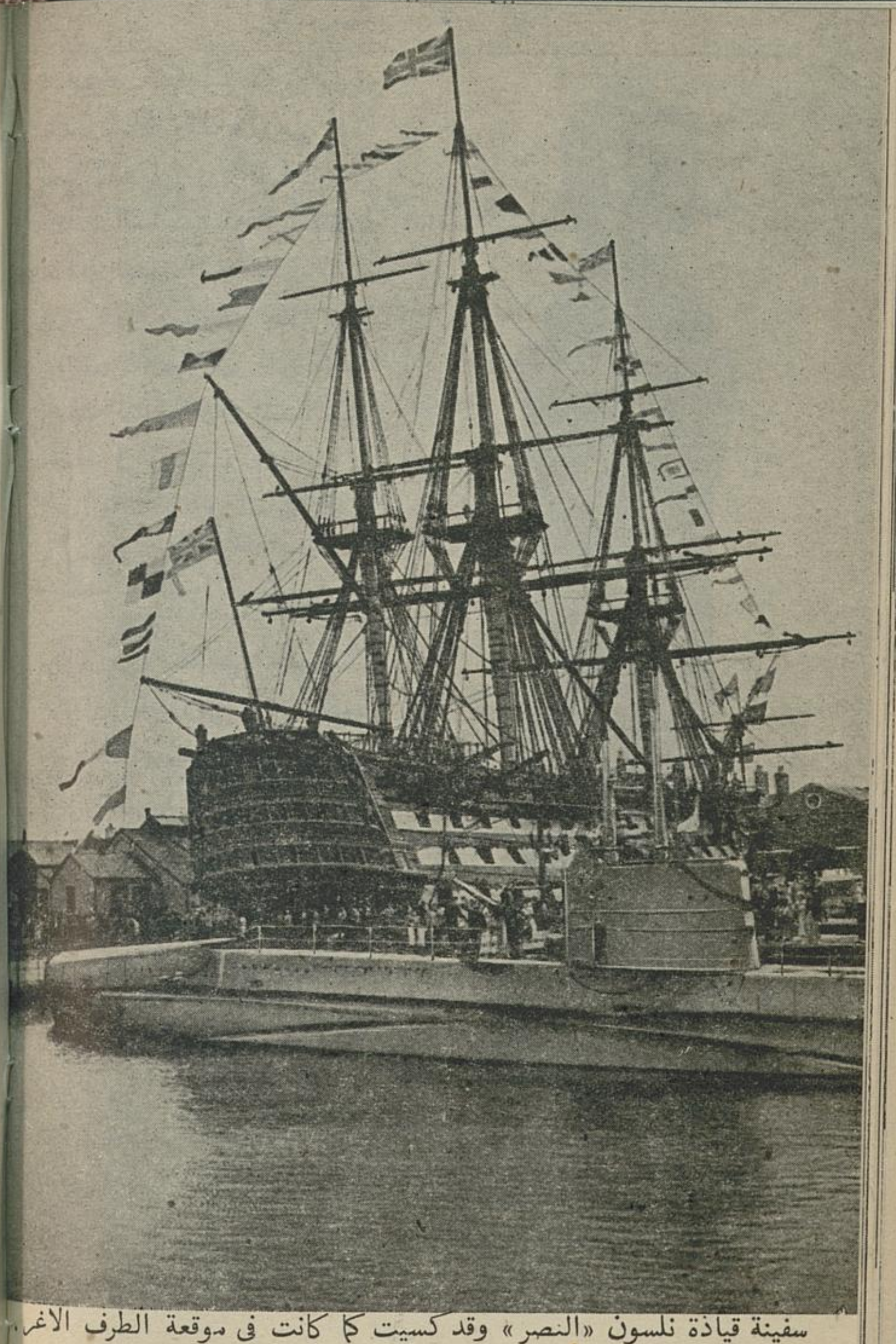
قد استجبت نداء آخر لآفاق اخرى بعيدة جذابة ومغرية وهى آفاق العقل الممتدة . والا فكيف يمكن ان افسر الغامض وهو ما خالطنى، انا ابن البحار الذى ولد فى منزل صغير فى شارع خلفى فى بورتسموث، من الميل الى دراسة اللغات الشرقية وان انشد ماء الحياة فى ينابيع اشعار ابن العربى وقصائد ابن الفارض؟

تاريخ بورتسموث

بورتسموث كما يعرف الكثيرون من القراء ولا شك هى اعظم ميناء بحرية فى العالم وهى اكبر قاعدة للاسطول البريطانى اكبر اساطيل العالم. ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠٠ نسمة ولمعظمهم روابط بالبحرية البريطانية اما كبحارة او زوجات وابناء البحارة اوكصناع للسفن او زوجات وابناء لهم . وهكذا الحال فى بورتسموث من قرون عديدة. وقد استعمل الرومان خليج برتسموث الواسع المحاط بالبر مرسى لهم حين استيلائهم لبريطانيا، وبنوا فى مدخل هذا المرسى معسكرا محصنا يعرف الآن



النصب التذكارى لشهداء البحرية فى الحرب الماضية ببورتسموث .



سفينة قيادة نلسون «النصر» وقد كسيت كما كانت فى موقعة الطرف الاغر.
وترى بمقدمة الصورة احدى الغواصات البريطانية .

باسم بورتشستر . وبه قلعة عمرها الرومان واتمها النورمانديون وهى ما زالت قائمة حتى اليوم اثرا عظيما للايام الماضيـة . وقد سجن بها الاسرى الفرنسيون ايام حروب نابليون وما زالت اسماؤهم المحفورة على حيطـان قـلعـة بورتشستر تستدعى انتبـاه الزائر المدقق .

عظمة بورتسموث

ترجع عظمـة بورتسموث الى ايام هنرى الثامن وبدء عظمـة قوة بريطانيا البحرية اذ ابتدأت احواض بورتسموث تتسع من ذلك العهـد . وكانت اولا عبارة عن بضعة افدنة مجهزة لبناء واصلاح السفن الخشبية الصغيرة من النوع الذى حطم به دريك الاسطول الاسبانى فى سنـة ١٥٨٨ وخلفتها الآن الاحواض والمصانع تنتشر على مساحة واسعة وتكون حلقة هامة فى سلسلة حلقات قوة بريطانيا وعظمتها .

وبورتسموث كما عرفتهـا فى صبـاى هى بورتسموث السـابقـة على الحرب العالمية الماضية ١٩١٤—١٩١٨ وكان كثير من الجزيرة التى بنيت عليها المدينة — وهى عبارة عن ارض على شكل الكمثرى يبلغ اتساعها فى ابعد مساحاتها عرضا وطولا نحو اربعة اميال ويفصلها قنال ضيق عن البر — ما زال ارضـا زراعيـة وحقـولا خضراء ينبت فيها القـمح وترعى الماشية . وقد ذهبت الآن هـذه المزارع تماما وزحف عمال البناء بسرعـة على الاراضى الزراعية ليعدوا عليها مساكن للسكان المتزايدين . وما زلت اذكر اول اوتوبيس قطع شوارع بورتسموث .

شاهدت فى صيف عام ١٩١٤ قبل اعلان الحرب الاولى بين بريطانيا والمانيا بايام قليلة احد المناظر العالـقـة دائما فى مخيلتى . وكان ذلك فى صباح احد الايام حيث شاهدت اكثر وحدات الاسطول البريطانى التى كانت قد تجمعت فى ممر سبيتهيد بين بورتسموث وجزيرة وايت لاستعراضها بحضور جـلالـة الملك جورج الخـامس، وهى تخرج الى عرض البحر فى صف لا نهاية له لتأخـذ مواقفها فى المحيطات والبحار لحراسة بريطانيـا

والمصالح البريطانية ضد المانيا وهجماتها . وكان الرجل المكلف اذ ذاك بمسئولية العمل الذى قام به الاسطول البريطانى فى ذلك العراك العنيف الذى حدث بعد ذلك بقليل هو نفس الرجل الذى قبض بيده الحازمة على دفة الامور وقاد بريطانيا سالمة وسط صخور واخطار الحرب الحاضرة والذى سيمكنها بفضل الله من السلامة والنصر وهو رئيس وزرائها الحالى ونستون تشرشل .

ذكريات بورتسموث التاريخية

كنت فى عهد طفولتى اعجب كثيرا بالذكريات التاريخية لبعض مبانى مسقط رأسى القديمة حيث عاش كثير من الرجال العظام على مرأى من البحار التى اسست عليها عظمة انجلترا . وكان مما يسرنى كثيرا مطالعة اللوحات التى ركبت على كثير من هذه المنازل والمبانى القديمة وقد كتب على احداها «هنا قضى نلسون ليلته الاخيرة فى انجلترا» وعلى الاخرى «هنا عاش آنسون» وعلى ثالثة «هنا عاش شارلس ديكنز ومكث مدة طويلة» وعلى رابعة «هنا استوطن جورج مرديث». وكثيرا ما مر بخاطرى وارجو ان يتجاوز القارئ عن دور الصبى انه ربما كتبت يوما لوحة من هذه اللوحات على المنزل الصغير فى الشارع الخلفى الذى كان منزلى لعشرين عاما وهو مثل من احلام الاطفال النهارية.

بورتسموث فى السلم والحرب

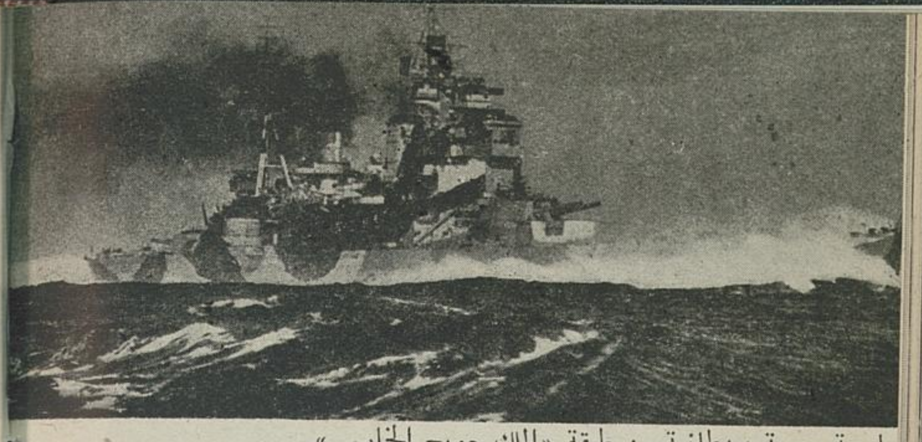
بورتسموث مدينة مرحة مزدحمة العمل فى ايام السلم . فهناك اولا بطبيعة الحال الحياة الصناعية والتجارية والاجتماعية لمدينة يبلغ عدد سكانها نحو . . . . . ۳ نسمة . وهناك كنائس جميلة كثيرة منها كاثيدرائية سان توماس التاريخية التى بنيت فى القرن الثانى عشر فى وسط بورتسموث القديمة وبدلا من نموذج الديك بدوارة الريح يوجد نموذج سفينة حربية وهذا اثر ناطق بماضى بورتسموث. وهناك عدة دور فاخرة للتمثيل حيث ترى اشهر الروايات التمثيلية قبل عرضها على مسارح حى غرب لندن احيانا .



الجيلدهول ببورتسموث .

وهناك كثير من دور السينما الجميلة المتسعة وكذلك المدارس ومن بينها المدرسة الثانوية التى اشرنا اليها ومدرستان ثانويتان حكوميتان الى جانب الكليات الفنية والتجارية . وهناك ايضا المتنزهات الفسيحة . كما ان بورتسموث تفخر بنادى كرة القدم تنتسب اليه فرقة من احسن فرق انجلترا . وقد لعبت هذه الفرقة فى ويمبلى فى عام ١٩٣٩ فى مباراة اعتبرت من احسن المباريات التى شوهدت وفازت بكأس اتحاد كرة القدم .

ولكن ببورتسموث فى ايام السلم اكثر من هذا كله . اذ ان لها ساحلا بحريا ممتازا يجذب عشرات الالوف من المتنزهين فى الصيف حيث يجرى الاطفال فى الطرق المظللة بالاشجار او يرقدون على رمال الشواطئ او يعبثون بالمياه المتدافقة فيكتسبون الصحة والقوة من الشمس الساطعة ونسيم البحر المنعش . وهناك حدائق جميلة يتردد عليها العشاق وساحات



بارجة حربية بريطانية من طبقة «الملك جورج الخامس» .

التينس للرياضيين والخضرة المستوية للعب الكرات التى تناسب الذوق الهادىء وفرق موسيقية للطرب والرقص وسفن بخارية تنقل المتنزهين لجزيرة وايت القريبة . وهكذا اسباب عديدة لتسلية من يعشق اللهو واسباب اخرى للراحة والهدوء لمن ينشدهما .

اما بورتسموث فى ايام الحرب فقد خلعت هذه الثياب الزاهية وبدت فى قوتها العابسة الصارمة وكل شىء فيها يوجهه غرض واحد الا وهو الفوز فى الحرب والقضاء على البربرية الالمانية . على انه يجب الا يعتقد القارىء ان بورتسموث قد فقدت كل بهجتها .

فبورتسموث لم تنس كيف تكون مرحة . وقد زرتها من اسابيع مضت للمرة الاولى منذ بدأت الحرب . وقد اطلق الطيارون الالمان قنابلهم على بورتسموث وعلى منازلها الصغيرة فى شوارعها الخلفية وعلى الكنائس ودور التمثيل والمدارس ودور السينما : تلك كانت الاهداف التى طرب لها هؤلاء البرابرة من الشبان الالمان .

بورتسموث اليوم

ومع ذلك كله فبورتسموث لم تنس ان تكون مرحة طروبة لان اهاليها لم ينسوا عظمة مدينتهم السابقة وهم شديدو الاحساس بعظمتها

الحاضرة وهم لا يزالون يرون حتى الآن سفينة قيادة نلسون «النصر» وهى السفينة الحربية الخشبية التى حارب فيها اعظم قائد بحرى من البريطانيين فى اعظم موقعة بحرية فى تاريخ بريطانيا ومات بعد ان عرف ان اسطول نابليون قد تحطم تحطما نهائيا. وهم يرون ذلك النصب التذكارى فى متنزهات بورتسموث وهو يحمل اسماء هؤلاء البحارة البريطانيين الذين فقدوا حياتهم من اجل حرية العالم فى حرب عام ١٩١٤—١٩١٨ ومن بينهم اسم عمى. وهم يرون اليوم فى طرقات المدينة احفاد هؤلاء الابطال الذين حاربوا تحت قيادة جيليكو وبيتى وسلالة اولئك البحارة الخالدين الذين حاربوا تحت قيادة نلسون ودريك. وهم يعلمون ان بريطانيا ستفوز فى هذه الحرب وهم فخورون بالدور الذى تقوم به البحرية البريطانية فى ضمان ذلك النصر. وهم فخورون كذلك بالدور الذى تلعبه بورتسموث فى انقاذ العالم من البربرية والاستبداد.

ولن تكون هناك لوحة معلقة على المنزل الصغير فى الشارع الخلفى حيث ولدت. فقد علمتنى السنون الحكمة والتعقل. وانا اليوم اعلم ان احلام صبى فى التشبه بديكينز ومرديث لن تتحقق. ولكن هناك مع ذلك سبب آخر اقوى يمنع تركيب تلك اللوحة على الاطلاق. ذلك ان المنزل الصغير فى الشارع الخلفى مع انه يبعد الاميال عن اى هدف حربى، هذا المنزل الصغير الذى قضيت فيه العشرين عاما الاولى من حياتى يبدو انه كان هدفا ظاهرا لطيار المانى فى احدى ليالى الشتاء الماضى. وهكذا قضى على آمال طفولتى بين انقاض هذا المنزل الصغير.

ولكن بورتسموث باقية وصورة شعارها هلال تعلوه نجمة وهى رابطة غريبة عظيمة المغزى بين بورتسموث والشرق الاسلامى حيث وجد الكثير من ابناء بورتسموث السعادة ووجد احدهم على الاقل مجالا للالهام والدراسة. وكتابة شعار بورتسموث هى «نسترشد بنور السماء». واذا استرشد بنور السماء هل يمكن ان يخطئ الانسان طريق الواجب والحق!

اكسفورد

بقلم الآنسة اجلال حافظ

كانت اول اقامتى فى اكسفورد فى عام ١٩٣٩ عندما اعلنت الحرب ونقلت على اثر ذلك جامعة لندن بفروع الدراسات المتنوعة التى تدرس فيها الى امكنة مختلفة فى نواحى انجلترا وقد وقع الاختبار على نقل كلية الفنون التى انتمى اليها الى اكسفورد المدينة الجامعية الشهيرة ومع ان الاسم ، الذى يطلق على الجامعة كما يطلق على المدينة ذاتها التى بها الجامعة ، هو اسم مشهور فى كل ارجاء العالم وهو عزيز بنوع خاص على اكابر رجال الشرق والغرب ممن درسوا بالجامعة الشهيرة الا ان تاريخ تلك المدينة وتاريخ الجامعة ونشأتها هو تاريخ شيق مجيد وقد لا يكون معلوما بتفاصيله المثيرة لعدد كبير منا ولهذا رأيت ان اتخذه موضوعا لهذه المقالة مع اضافة وصف للحياة الحالية فيها .

كلمة اكسفورد فى الانجليزية مكونة من جزأين «اكس» ومعناها ثور و« فورد » ومعناها مخاضة الماء او ورد الماء . وعلى هذا فكلمة اكسفورد معناها «مخاضة الثيران» .

ومع ان العرب تقول فى امثالها ان الاسماء لا تعلل فلهذه التسمية علة سأرويها فى اختصار ؛ ومع ان تفاصيل القصة ترجع فى بعض اجزائها الى خيال المؤرخين الذين ربما حوروا فيها تبعا لما املاه عليهم خيالهم فليس هُناك ما يدعو الى رفض تصديق الحقائق الاساسية فى القصة او الشك فى صحة الزمان والمكان .

علق احد الامراء بابنة الملك (ديدان) وشغف بها وجدا وغراما وكانت الاميرة تدعى (فريدزويد) جميلة فتانة المنظر وكان الامير ينحدر من سلالة الملوك والامراء ولذا فهو ند لها وكفء لان يكون زوجها .



برج توم — اكسفورد .

فى الاعلى : كلية باليول .
فى الاسفل : برج وكبرى مودلين — اكسفورد .

يد انه كان كلما ازداد بها وجدا كلما ازدادت فى جفائه وصده فزاد ذلك فى
دة هيامه بها، فكان كالظل يتبعها اينما حلت وحيثما رحلت ولما كان الامير
لى شيء من الغلظة وقسوة الطباع كان بغض الاميرة له يزداد يوما عن يوم.
وحدث ذات يوم ان تمكنت الاميرة من الفرار من وجه ذلك العاشق
لبائس المستبد فاغضبه ذلك ايما غضب وجمع جيشا وراح يجد فى طلبها
نتقاما منها لرفضها وفرارها من وجهه. وبينما كانت الاميرة تختبئ فى
غابة من الغابات اذ واتها الانباء التى فحواها ان عاشقها التعس قد فقد
صره وغدا ضريرا وهو فى طريقه للهجوم بجيشه على تلك البقعة التى كانت
تختبئ فيها. فكان ذلك معجزة ارادت الاميرة ان تخلد ذكراها فأمرت
باقامة دير قريبا من مخاضة ماء حيث اعتادت وهى فى مخبئها ان تخرج كل
يوم لتشاهد الثيران وهى تسير فى طريقها الى تلك المخاضة، ومن ثم
طلقت على هذا الدير اسم اكسفورد او مخاضة الثيران.

حدثت وقائع تلك القصة فى سنة ٧٠٠ ميلادية، وهذا اول تاريخ يرد
فيه ذكر لاسم اكسفورد ولم يسمع بالاسم قبل ذلك التاريخ. وقد ورد
اسم اكسفورد ايضا فى اخبار السكسون فى سنة ٩١٢ عندما اشير اليها
كمكان على جانب من الاهمية. وعلى ذلك فاكسفورد هى مكان قديم
مرت عليه السنون والاحقاب لها فى الوجود اكثر من الف عام، وهى
اليوم مركز العلوم والمعارف ومقر الحكمة والنور وهى قلب بريطانيا
النابض الذى يبعث فيها الحياة والفتوة.

تتربع مدينة اكسفورد التى تزدان بجمال الشباب وفتنة الصبا كما
تتحلى بوقار الشيخوخة وعظمة الزمن بقبابها الرمادية اللون وابراجها
التى تناطح السحاب فى بقعة منخفضة تحوطها التلال من كل جانب.
ويجرى على كل من ضفتيها فرعا نهر الازيس وهو احد فروع نهر التاميز
ويطلق على الفرع الثانى اسم الشارول، وتحوطها من كل جانب خضرة
الريف المتناسقة الالوان، وهى خضرة الاراضى التى تغطى بالحشائش
وخضرة الغابات المشهورة التى تنتشر على مسافة قريبة منها.

ومن هنا يتضح لنا ان اسم اكسفورد اطلق على المدينة قبل ان يسمع بذكر جامعتها التى لم توجد فى الحقيقة الا فى اواخر القرن الثانى عشر، اذ يستدل من الوثائق التى عثر عليها المؤرخون على وجود مكان عام لطلب العلم فى اكسفورد على جانب غير قليل من الشهرة، وحتى ذلك العهد كان الرجل الانجليزى اذا رغب فى طلب العلم ولى وجهه شطر فرنسا ليدرس فى جامعة باريس الكبرى .

ويدلنا التاريخ على انه فى سنة ١١٦٧ حدثت هجرة عامة من باريس الى اكسفورد ويختلف المؤرخون فى تعليل سبب تلك الهجرة، فمن قائل بان هنرى الثانى ملك انجلترا حينئذ ارسل يطلب عودة جميع الطلاب الانجليز من فرنسا، ومن قائل ان فرنسا اكثر الامم مدنية وحضارة فى ذلك العهد امرت بطرد جميع الطلاب الاجانب من جامعتها وابعادهم من حدود مملكتها .

ولا بد انه كان لاكسفورد فى ذلك التاريخ شأن يذكر كمكان لطلب العلم اذ كانت تحتوى على بعض المدارس ودور العلم ولعل هذا هو السبب الذى من اجله يممت جماعة الطلاب وجهها شطر تلك المدينة عقب عودتها من فرنسا لمواصلة الدراسة فيها ولم يفكروا مثلا فى الاستقرار فى اول بلد ساحلية وطأتها اقدامهم فى الاراضى الانجليزية بعد اجتيازهم بحر المانش ولعل من المحتمل ايضا ان تكون الصدفة وحدها هى التى دفعتهم الى تلك البقعة الجميلة التى كانت تحوطها الغابات البرية من كل جانب .

ومهما يكن من امر فقد اخذت شهرة اكسفورد منذ ذلك الحين تنتشر فى طول البلاد وعرضها ولم يمض طويل حتى كان الطلاب يؤمونها لطلب العلم من جميع نواحى انجلترا .

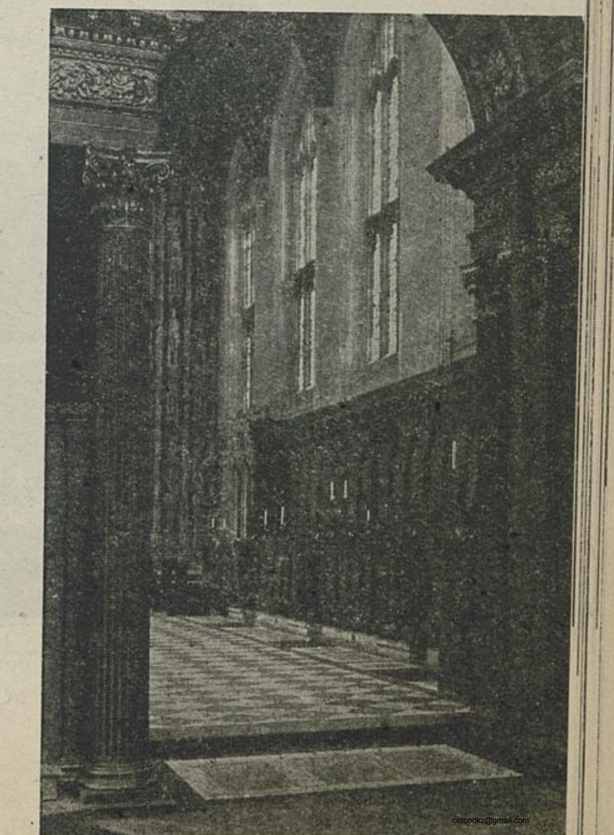
وهنا يجب ان اذكر ما كان للشرق من اثر لا يمحى فى مدنية اوروبا كلها التى ظلت تتعثر فى غياهب ظلمات العصور الوسطى تعانى الامرين قرونا طويلة ولم تتحرر من نير الجهل والظلم والانحلال الا فى اواخر

ى الاعلى : متحف جامعة اكسفورد .
ى الاسفل : كلية كوينز .

القرن الحادى عشر وخاصة بعد احتكاكها بالشرق الذى كان يفوقها اذ ذاك فى المدنية والحضارة بمراحل عديدة فاستقت منه اول كأس للعلم والنور ومنه تعلمت اول دروسها فى الحكمة والفلسفة وبدأت تنتشر بعد ذلك فى جميع انحاء اوروبا المعاهد العلمية التى يطلق عليها الآن اسم الجامعات .

اما جامعة اكسفورد فقد ظلت تزداد فى النمو والازدهار والشهرة ويكثر عدد طلابها فى كل يوم حتى اواخر القرن الثالث عشر عندما حصلت الجامعة على امتيازات جعلتها وحدة قائمة بذاتها تستقل عن المدينة نفسها كامل الاستقلال ولا تسرى عليها القوانين التى تسرى على المدينة . فكان رئيس الجامعة يعتبر هو الرئيس المسئول عن كل ما يجرى فى الجامعة وعن سلوك من ينتسب اليها من الطلاب وليس لاى سلطة فى المدينة مهما كانت ان تتدخل فى شئونه او تطبق قوانينها على مملكته الجامعية المستقلة.

وكان سبب ذلك الفصل بين سلطة المدينة وسلطة الجامعة ما حدث مرة من نزاع قام بين اهالى المدينة وبين طلاب الجامعة ادى الى اشتباكهم فى عراك تسبب عنه قتل اثنين وستين من الطلاب وكان ذلك فى سنة ١٣٥٤ . ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٨٢٥ كان من عادة رئيس بلدية اكسفورد ان يذهب فى كل عام يصحبه احد المحضرين وستون



كنيسة اول سولز .

عضوا من اهالى المدينة الى كنيسة سانت مارى التابعة للجامعة لتقديم فدية
قدرها اثنان وستون قرشا تخليدا لذكرى تلك الحادثة .

وقد استمر ذلك النزاع بين الاهالى والطلاب زمنا طويلا بل قرونا
عديدة ولم يقف عند حد الا من عهد قريب جدا اذ لا يزال يوجد من بين
الاحياء من يستطيع ان يروى عن خبرة شخصية بعض الحوادث التى
وقعت فى ذلك الشجار وتلك المنازعات المشهورة والتى تسمى الآن
بالانجليزية (تون آند جون) ومعناها بالعربية شجار (المدينة والجامعة) .

كان لذلك النزاع الذى بدأ يدب بين طلاب العلم من ناحية وبين
الاهالى من ناحية اخرى دخل كبير لا فى ادارة شئون الجامعة فحسب
بل وفى نظام حكم مدينة اكسفورد ايضا كما سيرد فى سياق الكلام .

يخلط كثير من الناس وخاصة اولئك الذين يبعدون عن الوسط
الجامعى بين كلمة الجامعة والكلية لانهم قد لا يعرفون ماهية الصلة بينهما .

ان الجامعة هى البناء الذى تلقى فيه المحاضرات فى فروع العلم
المتنوعة وتشرف على هذه الناحية هيأة منفصلة هى التى ذكرت نشأتها
وتطورها فى اول المقال . بيد ان الكلية هى الهيأة التى تشرف على حياة
الطالب الداخلية من حيث مسكنه ومأكله ومشربه وهى مستقلة عن
الجامعة تمام الاستقلال .

اما تاريخ الكليات فهو يبدأ بموت اسقف مدينة (دورهام) فى اواخر
القرن الثالث عشر عندما خلف للجامعة مبلغا صغيرا من المال ارادت ان
تستثمره فابتاعت به عددا من المنازل الصغيرة . ولا يوجد ما يحمل على
الاعتقاد بان وقوع هيأة الجامعة على هذا الاختيار يرجع الى امر آخر
سوى رغبتها فى استثمار المبلغ الذى اوصى به الاسقف ولا يوجد ما يحمل
على الاعتقاد بان ابتياع تلك المنازل كان لقصد جعلها كمسكن للطلاب
او الاساتذة وان كان بعض هؤلاء قد اتخذها بالفعل مسكنا له . ولا يوجد
ما يدل كذلك على انها اشتريت بقصد ايجاد رابطة بين رواد الجامعة ،

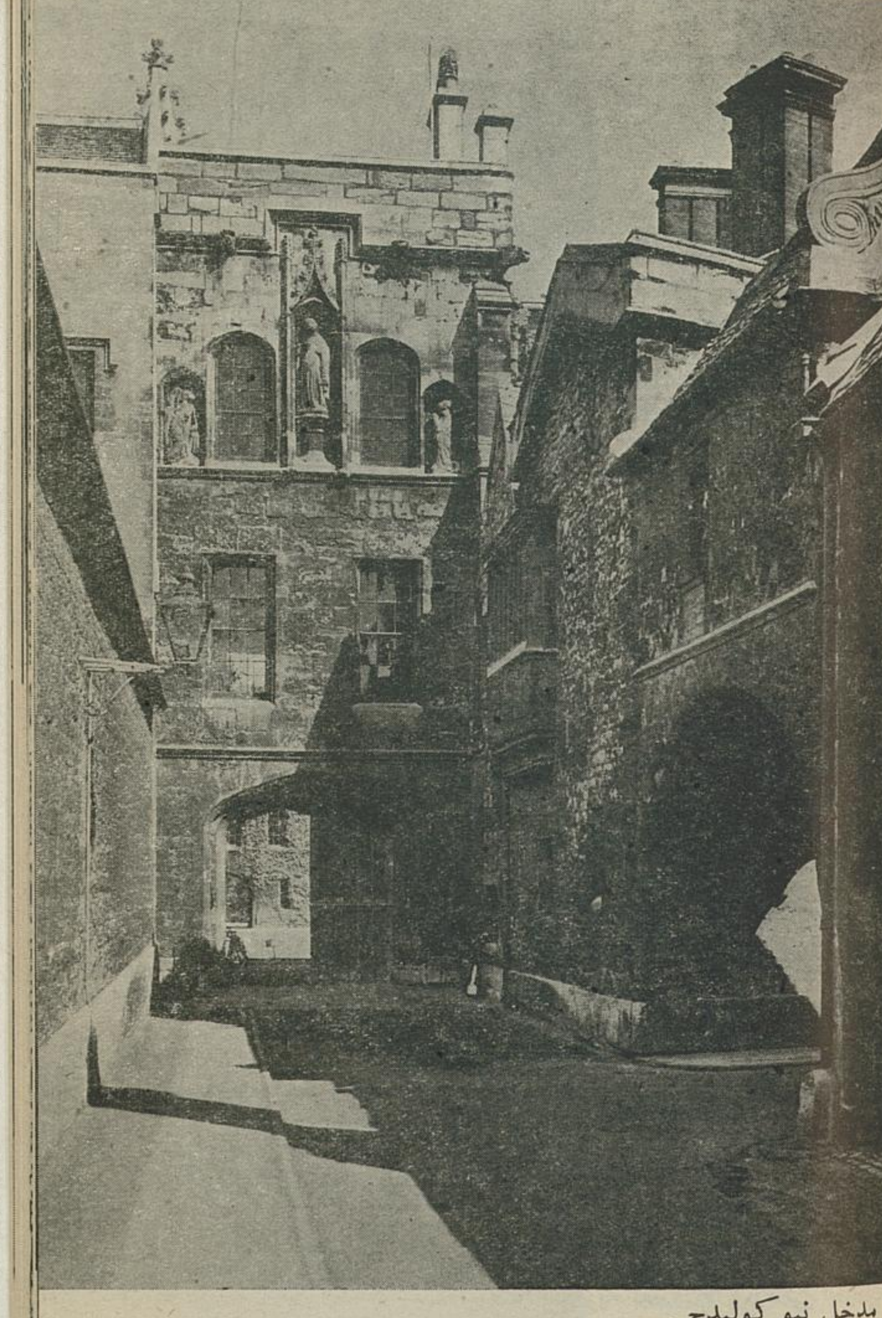
ولكن يمكن القول بانه منذ ذلك التاريخ اى منذ سنة ١٢٨٠ كانت هذه المنازل هى النواة الاولى لما يطلق عليه الآن كليات الجامعة . وقد خصصت فى اول الامر لسكنى بعض الاساتذة الفقراء الذين اقاموا بها واوقفوا حياتهم على تدريس علم الالهيات فى الجامعة . ولم يلبث ان تزايد عدد المقيمين بهذه المنازل من اربعة اساتذة الى عدد فصلين من فصول الطلاب وقد عهد الى الطلبة القدماء منهم الاشراف على الطلبة المستجدين .

اما حياة هؤلاء الطلاب الذين سكنوا تلك المنازل فكانت شيئا اشبه بحياة القديسين وكانت لغة المخاطبة الاساسية هى اللغة اللاتينية كما كان يفرض على المستجدين اطاعة الطلاب الاكبر سنا طاعة عمياء .

وفى سنة ١٦٣٤ بدأ اولو الامر يفكرون فى اعادة انشاء تلك المنازل التى ظل عددها فى تزايد واصبحت تعد مسكن الطلاب الاساسى وكانت حتى ذلك الحين مبنية من الخشب ومبطنة بالطوب النىء .

ظل نفوذ الجامعة يزداد تدريجيا بسبب النزاع الذى كان دائم الحدوث بين الطلاب والاهالى وكان رئيسها يستمد نفوذه من رئيس الكنيسة اى الاسقف وعلى هذا كان اشرافه على طلبة العلم هو من ناحية دينية اكثر منه من ناحية كونهم اعضاء فى الجامعة . وفى كل تلك المشاجرات والمنازعات كان سلاح الاساتذة والطلاب قويا ضد الاهالى اذ كانوا يهددونهم بمغادرة اكسفورد وشد رحالهم الى بلد آخر، اذ لم تكن الجامعة الى ذلك العهد تمتلك من المتاع ما يحتم عليها مواصلة البقاء فى اكسفورد . وعلى هذا كان الطلاب يقسمون يمينا ان ينفضوا عنهم غبار اكسفورد اذا سولت لاحد الاهالى نفسه تعمد اساءتهم او عدم تقديم الاحترام اللائق بمقامهم الرفيع . واضطر الاهالى ازاء هذا التهديد الذى كان معناه خسارة مادية لهم وما كان يُصحبه من تأييد الملك هنرى الثالث ورئيس الكنيسة اضطروا الى الاقلاع عن عدوانهم وشجارهم .

وما زال نفوذ الجامعة فى تزايد حتى وصل غايته فى المرسوم الذى اصدره الملك هنري الثالث وخول فيه لرئيس الجامعة بعض الحقوق على



مدخل نيو كوليدج .

الأهالى انفسهم . بيد ان رئاسة الجامعة فى الوقت الحاضر هى رئاسة شرفية اكثر منها اى شىء آخر ويختار لها فى العادة من يمتازون بالكفاءة السياسية.

الطلاب فى اول عهدهم بطلب العلم .

كان الطلاب فى العصور الوسطى يعطون صورة حقيقية للمتجولين فى سبيل طلب العلم فكانوا ينتقلون من جامعة الى جامعة اخرى ومن مملكة الى ثانية لا لغرض سوى البحث والتحصيل وعلى الرغم من اخطار البحار كان هؤلاء الطلاب يسافرون من مشارق الارض الى مغاربها فاذا انفردت جامعة بالشهرة فى فرع من فروع العلم كالقانون او دراسة الالهيات يمم الطلاب من اقصى انحاء المعمورة وجوههم شطر تلك الجامعة .

كنيسة سانت مارى .

وكان حكام البلاد يزودونهم بالخطابات التى تثبت شخصيتهم وحسن سلوكهم حتى يقابلوا بالترحيب اينما حلوا وحيثما رحلوا، حتى لقد اصدر الملك ادوارد الثالث ملك انجلترا اثناء النزاع الذى نشب بين انجلترا واسكتلندا يحرم مس اى اسكتلندى نزح الى اكسفورد او كمبردج فى طلب العلم بأى اذى كان .

ولم تكن اخطار البحار فى ذلك العهد هينة اذ لم يكن هناك سوى المراكب الشراعية ولم تكتشف البوصلة البحرية بعد، كلا ولم تكن اخطار

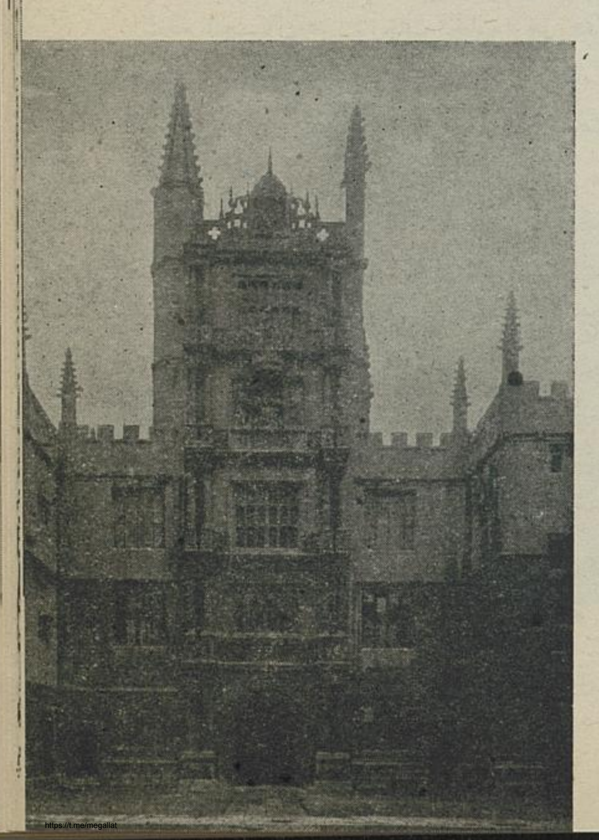
سفر عن طريق البر بأقل خطرا، ولما كانت اكسفورد كما قدمت تحاط
غابات من كل جانب كان الطلاب يفدون اليها فى جماعات وهم
جون بالسلاح .

ومن طريف ما يروى فى تاريخ الجامعة التفرقة التى وجدت بين الاثرياء
الطلاب وبين الفقراء منهم الذين لا يملكون شروى نقير؛ اذ لم يكن
جاء بعد اليوم الذى ارتفعت فيه قيمة العلم والثقافة الى درجة ادبية
ية . وعلى هذا كان ينظر الى ابناء النبلاء نظرة خاصة ولتمييزهم عن
رهم كانوا يرتدون فوق رؤسهم قبعات تبطن بالفراء الثمين كما كانوا
صلون على امتيازات لا يتمتع بها سواهم .

سفورد الحديثة .

ان لمدينة اكسفورد
غير شك سحرا خاصا
ؤثر على النفس تأثيرا
ويا بحيث لا يتسنى
بنائها ان ينسوها ولو
ل بهم الزمن . وعندما
اول ان افسر سر هذا
سحر يتراءى لى انه
جع الى امرين ، اولهما
م المدينة الذى يكسبها
ة من الوقار وثانيهما
عها فى نفس الوقت
سال الشباب وفتنته .
لى جانب الاحساس
رهبة والاجلال والعظمة

برج الاطرزة الخمسة .



والوقار الذى توحيه معاهدها العلمية ومبانيها العتيقة تراها دائما وابدا شابة فتية تتدفق الحياة فى عروق جسمها المزدهر. ولما كان جمال تلك المدينة قد ترعرع ونما مع مرور الزمن كان كذلك تأثير سحرها على الانسان يتسرب الى نفسه بالتدريج. فالطالب الذى يقصدها لتلقى العلم بين جدران معاهدها على ايدى اساتذتها من الفلاسفة والعلماء هو الذى يعرف سر هذا الاثر الذى يخلد فى نفوس ابنائها.

وقد اخترت ان ادرج حركة تعليم المرأة فى الجامعة تحت عنوان اكسفورد الحديثة لان تاريخها فى الواقع حديث جدا، اذ لم تحدث اول حركة فى هذا الشأن الا فى عام ١٨٦٦ عندما صرح لزوجات الاساتذة واخواتهم حضور بعض المحاضرات فنظمت لهن فصول خاصة بصفة مؤقتة؛ ثم صرح للنساء بالتقدم لبعض امتحانات الجامعة لاول مرة عام ١٨٨٤؛ واخيرا فى عام ١٩٢٠ ابيح لعضوات الجامعة من الجنس اللطيف التقدم للحصول على درجات الجامعة على قدم المساواة مع الرجال وراحت تسرى عليهن منذ ذلك الحين قوانين الجامعة من غير تمييز بينهن وبين الرجال وتلحق بالجامعة اليوم اربع كليات خاصة بالنساء يبلغ عدد العضوات فيها حوالى ٨٠٠ عضوة.

وحياة الطالب او الطالبة فى اكسفورد اليوم — او على الاصح قبل الحرب — هى حياة مليئة بانواع النشاط الثقافى، والرياضة البدنية وانواع التسلية المنتجة. فهناك عدد كبير من الجمعيات للطالب ان يشترك فيها جميعها ان اراد واشهر تلك الجمعيات هو «اتحاد الجامعة» وهو شهير بمناظراته التى يعقدها على الطريقة البرلمانية البحتة. ولذا كان اول تمرين لكثيرين من رجال السياسة البريطانية الذين تفوقوا فى الخطابة والمناظرة هو فى ذلك الاتحاد المذكور.

وتوجد نواد اخرى متنوعة مثل نادى الفن المسرحى ويلتحق به من يولعون بالمسرح وقد شاهدت روايات عدة اخرجها ذلك النادى وكانت

(فى الاعلى) كلية اوريل .

(فى الاسفل) اول سولز ورادكليف وسانت ماري — اكسفورد .

كلها لا تقل جودة فى الاخراج والتمثيل عن روايات المحترفين على مسارح لندن الشهيرة .

وهناك نادى الموسيقى الشهير بحفلاته الموسيقية التى ينظمها باستمرار ويلحق بهذا النادى مكتبة للموسيقى يستعير منها الطالب اسطوانات اشهر الموسيقى وكذلك الكتب المتعلقة بالموسيقى . وهناك بالاضافة الى هذا نواد عديدة جدا للرياضة البدنية التى تشمل التجديف فى نهرى اكسفورد الشهيرين والعاب التنس وما خلافه .

ولا تجد كلية من كليات اكسفورد الا وتمتلك ذخائر عظيمة القيمة اما لجمالها الفنى او لتاريخها المجيد . فتحتوى (البودليان) اشهر مكاتب اكسفورد على مخطوطات يدوية قديمة منها مخطوطات يدوية للشاعر شلى ومدونات بخط يد الملك ادوارد السادس والملكة الياصبات فى سن طفولتهما، كما تجد بها صورا زيتية لكبار الرسامين . وتملك كلية كريست تشرتش مجموعة نفيسة من الصور الزيتية بريشة اكابر الفنانين الانجليز مثل جينزبره وهوجارث ورينولد وعدد كبير من المناظر الطبيعية بريشة الرسام الشهير ترنر ودافيد كوكس .

وفى ختام القول اقول ان الاثر الذى تخلفه اكسفورد فى نفوس ابنائها لا ينحصر فيما يتلقونه من علم الاساتذة بل ان هذا التاريخ الذى ذكرت شيئا عنه هو الذى يعطى المدينة سحرا يخلد فى نفوس ابنائها بعد تركهم لها .

فى وسط كل هذا، بين جمال الطبيعة الذى يحيط باكسفورد من كل ناحية وهذا التاريخ الشيق الذى تنطق به مبانيها الرائعة وفى انحاء متاحفها التى تجمع تلك الدرر الفنية، عرفت لاول مرة قيمة العلم الحقيقية او قيمة الدرس والتحصيل من اجل العلم وحده لا لغرض اجتياز امتحان او الحصول على شهادة ما . كان هذا اسمى واجل درس تعلمته من اكسفورد .

فى مكتبتنا

بقلم المحرر

لا شك ان من اعظم دواعى الامل والثقة انه رغم ظروف الحرب الحاضرة والعجز الظاهر فى كميات ورق الطباعة لا يزال سيل المطبوعات والكتب يتدفق من دور الطباعة العربية فى مختلف انحاء العالم ولا نزال نتلقى فى مكتبتنا بلندن من اصدقائنا سواء من الشرق او الغرب نسخا من احدث الكتب . وسنخصص ان شاء الله بعض اعمدتنا من وقت لآخر لتقديم بعض نماذج من احدث المطبوعات حتى يظل قراؤنا فى كل بلد على علم بتقدم حركة نهضة الآداب العربية . ونرجو المؤلفين والناشرين الذين يودون ذكر كتبهم فى مجلتنا ان يتفضلوا بمعاونتنا لتحقيق هذه الغاية . وسنقصر المقال الاول من هذه المجموعة على الكلام عن بعض الكتب والنشرات الممتازة التى وصلتنا من مصر حديثا .

لا شك ان جماهير المعجبين بالدكتور محمد حسين هيكل باشا الذين يتبعوا عمله الناجح فى سبيل الآداب العربية خلال ثلاثين عاما يرحبون بظهور احدث كتاب له وعنوانه «الصديق ابو بكر» — مطبعة مصر سنة ١٣٦١ (٤٠٨ ص) — وقد تابع فيه المؤلف دراسة تاريخ الاسلام التى بدأها بكتابه المسمى «حياة محمد» سنة ١٩٣٥ . وقد تحدث الكاتب فى هذا المؤلف الجديد الذى طبع باناقة على ورق جيد عن حياة اول الخلفاء الراشدين وذلك فى «تقديم» وثمانية عشر فصلا وخاتمة . وقد رجع المؤلف فى ابحاثه الى مصادر عربية وانجليزية وفرنسية استقى منها دراسته الممتازة التى تعد مثلا فى وضوح العرض وجمال الاسلوب . ونحن نرجو ان يثابر سعادته على عمله العظيم وان يتحفنا بحلقة اخرى من سلسلة دراساته التاريخية فى شكل دراسة حياة عمر بن الخطاب .

وقد كان من دواعى سرورنا العظيم كذلك ان تصلنا مجموعة شعرية اخرى من قلم الكاتب النابه عباس محمود العقاد وهى آخر مجموعاته التى اسماها «اعاصير مغرب» — المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٦١ (١٨٠ ص) — وهى تحتوى على اشعار عن موضوعات مختلفة كتبت خلال السنين الاخيرة. كما يسرنا ان ننشر لنفس الكاتب فى مكان آخر من هذه المجلة قصيدته «ابنا النور» وهى من مجموعته الاخرى «عابر سبيل» وذلك مع ترجمة الى الانجليزية. وسننشر فى المستقبل ان شاء الله بعض مقطوعات شعرية من اعمال هذا الشاعر العظيم. ويسرنا بنوع خاص ان نطالع من جديد فى «اعاصير مغرب» قصيدة «الى المستمع العربى بلندن» التى كتبها الكاتب فى بدء السنة الثانية لزميلتنا المستمع العربى التى دخلت الآن العام الرابع من حياتها. ومن القطع الشعرية الجديرة بالتنويه فى هذه المجموعة المرثية الرائعة «آه من التراب» التى كتبها الشاعر عباس العقاد بمناسبة وفاة الآنسة مى زيادة ومطلعها :

اين فى المحفل «مى» يا صحاب
عودتنا هاهنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب
مستجيب حين يدعى مستجاب
اين فى المحفل «مى» يا صحاب

وقد سرنا كثيرا ان يعود صديق قديم قد امتعنا فى الماضى بكتاباته عن الآداب العربية والفارسية الى اتحافنا من جديد بمجلد من مقالات ومنظومات اذ عاد الدكتور عبد الوهاب عزام فى كتابه الاخير «الاوابد» — مطبعة المعارف سنة ١٣٦١ (٢٠٢ ص) — الى الافصاح عن مزاياه النبيلة العقلية والروحية. وكتاب «الاوابد» مليء بالحكمة والجمال والورع ولا شك انه سيأخذ مكانا عاليا ضمن كتب الآداب العربية. هذا وقد نشرنا فى صحيفة اخرى القصيدة الجميلة «اروع الاشياء» من مجموعة

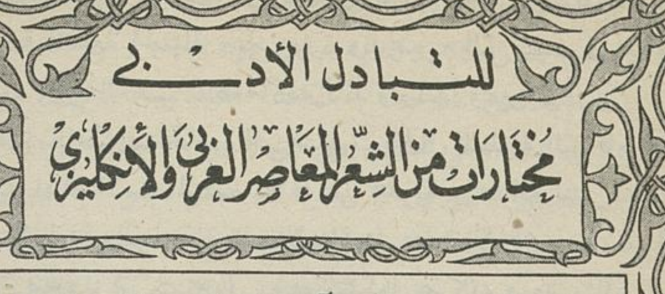
«الاوابد» ومعها ترجمة انجليزية. ولا شك ان القراء الانجليز سيسرهم بنوع خاص مطالعة القطعة الجميلة «على بحيرة وندرمير» التى كتبت فى عام ١٩٢٦ اثناء زيارة الكاتب لمقاطعة كامبرلاند وجبالها وبحيراتها .

ومما يتفق مع الظروف الحاضرة التى اشتهرت باعمال البطولة التى قام بها القاتلون من ابناء الامم المتحدة دفاعا عن الحرية والعدالة نشر كتاب «قصص فى البطولة والوطنية» بقلم الاستاذ محمد عطية الابراشى — مطبعة المعارف سنة ١٩٣٩ (١٥٠ ص) . وهو مشكول بحركاته ويعد مثاليا فى نوعه من حيث صلاحيته لمطالعة الاولاد والبنات . وقد تحدث الكاتب فيمن تحدث عن بطولتهم عن جورج واشينجطون وابراهام لينكولن والدوق اوف ولينجتون وثيسيوس . ونحن نقترح كموضوع لكتاب آخر قد يقوم به هذا الكاتب القدير وضع سلسلة اخرى من اعمال ابطال الاسلام لمطالعة الاطفال ايضا .

ومن الكتب الجديرة بمطالعة رجال التربية لارتباطه بموضوع عظيم الاهمية فيما يتعلق بمستقبل كل بلد كتاب «الشخصية الناجعة» — مطبعة المجلة الجديدة (١٤٨ ص) — وهو احدث كتاب للاستاذ سلامة موسى وفيه حلل الكاتب عوامل تكوين الشخصية الكاملة التامة وهو كتاب مليء بالحكمة والنصيحة العملية .

ولكى نختم هذا الاستعراض المختصر للمطبوعات الحديثة بطريقة طريفة يجب ان نشير الى كتاب يثير اللذة والشغف وعلى الاخص فى هذه الايام وهو كتاب «الطابور الاول» من تأليف احمد الصاوى محمد — مطبعة المعارف سنة ١٩٤٢ (١٨٤ ص) — وهو كتاب انيق الطبع الى حد كبير وغلافه ملفت للنظر ويقص احاديث ومخاطرات لمشاهير الجواسيس وما اعد من الوسائل لمكافحة اعمالهم . وقليل من الناس من يستطيع مقاومة الرغبة فى اقتناء هذا الكتاب الممتع .

★



نعتزم ان ننشر من وقت لآخر مختارات من الشعر المعاصر العربي والانكليزي مصحوبة بترجمتها بالانكليزية والعربية. ويسرنا ان ندعو قراءنا من ابناء العروبة لمعاونتنا في هذا الشأن بارسال ترجمة عربية للشعر الانجليزي المعاصر.

* * *

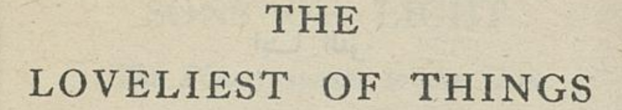
أروع الأشياء

أتذكرين يوم جئت حيرى ... سائلة : ما أروع الأشياء
أتذكرين حيرتي وأني ... طوفت في الأرض وفي السماء
ثم انثنيت واللسان عي ... يعثر بين العجز والحياء

* * *

أتذكرين بعد ذاك يوما ... أسلمك الحزن الى البكاء
ترقرقت فيه الدموع تترى ... لألاءة في خدك الوضاء
هذي الدموع، لاعراك حزن ... اوحت لقلبي أصدق الايحاء
أروع شيء في الورى دموع ... في مقلة الحزينة الحسناء

عبد الوهاب عزام : الأوابد ص ٦٧



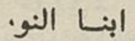
THE LOVELIEST OF THINGS

Do you recall the day you came,
Perplexed, a question on your tongue?
"What is the loveliest of things?"
O hardest of all questionings!
Do you remember how I gazed
About the world, and then, amazed,
I turned to you, and dumbly hung
My head in silent, helpless shame?

And do you recollect again
The day grief gave you o'er to tears?
And as I watched the brignt drops roll
Upon your glistening cheek, my soul
Suddenly saw revealed most true
(May sorrow spare you) and I knew:
The loveliest thing to man appears
When lovely woman weeps in pain.

ABDULWAHHAB AZZAM.

A.J.A.



الزهر يخاطب الجوهر

يا جوهر الحسن لا تضعنى لديك بالموضع المهان

فالزهر والجوهر المصفى صنوان فى النور توأمان

أشعة النور فى يدينا وديعة او وديعتان

لكننا بيننا اختلفنا يا جوهر الحسن فى الصيان

تصونها أنت من بعيد بالسيف والرمح والسنان

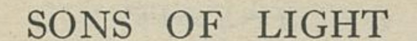
ولم تزل فى يدى كنزا يصان بالعطف والحنان

ومعدن النور فىّ حى وفيك معنى الحياة فان

فيا زمانا بلا حياة انى حياة بلا زمان

كل له من أبيه حظ ونحن بالحظ راضيان

عباس محمود العقاد : عابر السبيل ص ١١٨



SONS OF LIGHT

The Flower speaks to the Gem

I prithee, gem of loveliness,
  Look not on me with proud disdain :
  The selfsame radiance bathes us twain,
My light than thine is no whit less.

We hold this gleam within our grip,
  A sacred trust for both to keep ;
  Yet herein lies the difference deep--
The manner of our guardianship.

Thy light thou guardest from afar,
  With sword and lance and glittering spear;
  I hold my treasure very near ;
Affection, love, my weapons are.

In me the precious vein of light
  Burns with a fierce vitality :
  The radiance that shines in thee
Draws not from life its lustre bright

Thy lot is time inanimate,
  My portion, life with little age ;
  So fate assigns our heritage,
And we are satisfied with fate.

ABBAS MAHMUD EL-AQQAD.

A.J.A.

اغنيـة ريفيـة

اذا داعب الماء ظل الشجر   وغازلت السحب ضوء القمر

ورددت الطير انفـاسها   خوافق بين الندى والزهر

وناحت مطوقة بالهوى   تناجى الهديل وتشكو القدر

ومر على النهر ثغر النسيم   يقبـل كل شراع عبر

وأطلعت الأرض من ليلها   مفاتن مختلفات الصور

هنالك صفصافة فى الدجى   كأن الظلام بها ما شعر

أخذت مكانى فى ظلها   شريد الفؤاد كئيب النظر

أمر بعينى خلال السماء   وأطرق مستغرقا فى الفكر

أطالع وجهك تحت النخيل   وأسمع صوتك عند النهر

الى أن يمل الدجى وحشتى   وتشكو الكآبة منى الضجر

وتعجب من حيرتى الكائنات   وتشفق منى نجوم السحر

فأمضى لأرجع مستشرفا   لقاءك فى الموعد المنتظر

على محمود طه : الملاح التائه ص ٤٤–٤٥

COUNTRY SONG



When the river sports with the trees' shade,
and the clouds flirt with the moon,
And song-birds pant their throbbing
breath betwixt the dew and the bloom,
When the ring-dove mourns her sad love,
and of cruel fate doth croon,
And the breeze brushes the stream's brow
and kisses the sail-spread boom ;

When the night-bound earth to wondering
eye a myriad charms displays,
In the deep gloom stands a willow-tree,
unknown to the gathered shade.
And there with vagabond heart I sit, and
stare with downcast gaze,
Or lift my sight to the far sky, and the
stars' slow cavalcade.

I watch your face 'neath the palm's fronds,
and hear your voice by the stream,
Till my sadness wearies the gloom's self,
and sorrow protests of my pain,
And creation marvels at my distress, and in
pity the dawn stars gleam ;
Then I rise and go, for the time comes
when we shall meet again.

ALI MAHMUD TAHA.

A.J.A.

الشاشة البيضاء

بقلم ت . ه ميتارد

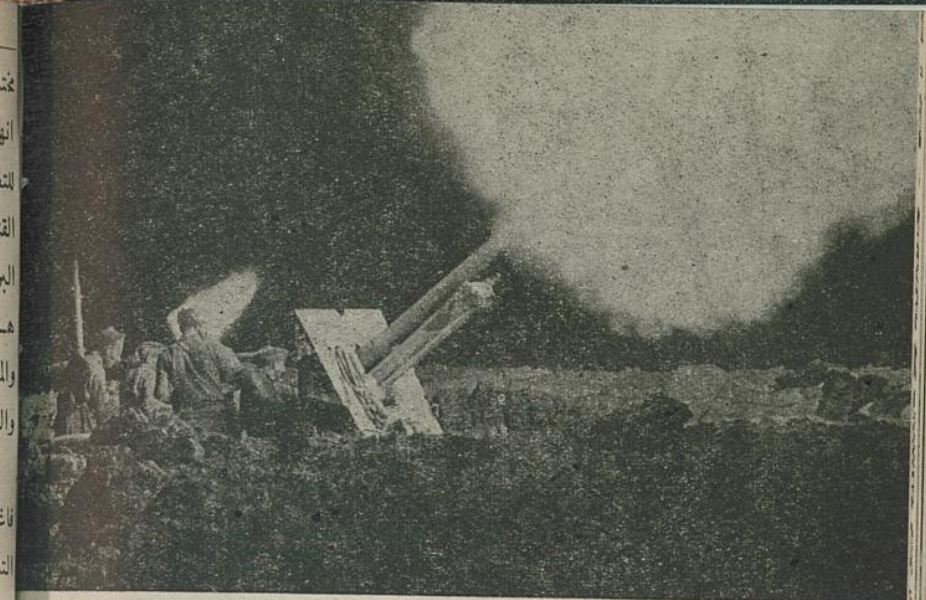
قد مرت صناعة السينما بعد ان اخترعت السينما الناطقة منذ اثنى عشر عاما بمرحلة انقلابية . فقد نشأت فيها بين ضحية وعشاها صناعة جديدة . وقليل من الناس من ادرك حينذاك قيمة هذا الاكتشاف الجديد وما ينتظره فيه من دنيا جديدة . وقد اقتصرت صناعة السينما الناطقة عند اول انشائها واثناء انصراف مصانعها الى اعداد نفسها لهذه الصناعة الجديدة وما يلزمها من أدوات على تصوير مناظر الاستعراض الموسيقية . ولكن تحول الامر بعد ذلك الى صناعة كبيرة جديدة دخلتها اساليب جديدة فى العرض والتمثيل واستخدم فيها كثير من اصحاب المواهب الفنية العالية واقبل كبار الكتاب على اخراج مؤلفاتهم فى صورة اكثر حيوية كما شمل التغيير طريقة التمثيل وفن الممثلين انفسهم .

والسينما تقدم للجميع انواعا مختلفة من التسلية والترويح عن النفس اذ هى تقوم بعرض مناظر الطبيعة الجميلة وفنون الشرق والغرب وشعوب العالم وتقدمها لمن لا يستطيع السفر وتقدم كذلك مختلف الروايات وفيها جميعا نوع من المغزى والفكر . ومنذ ان حلت الاشرطة السينمائية الملونة اصبحت السينما متعة للجميع ومثارا لعناية هؤلاء الذين يشتغلون فى هذه الصناعة . ولا شك ان السينما قد رفعت مستوى حياة الرجل العادى والمرأة العادية اذ ادخلت فى اذهانهم صورا ومذاهب جديدة فى فنون العمارة والاثاث والملبس كما انها ولدت طرقا جديدة للحديث . ومع ان التغيير فى مناحى الحياة بتأثير السينما قد حدث تدريجيا الا انه يمكن القول بلا شك ان السينما قد تركت اثرها فى حياتنا اليومية وكل ما يتصل بها .



ـعه فيلم بريطانى . المخرج يرشد الممثلين بينما ينتظر المصور لالتقاط المنظر
ير .

ويتم تصوير الحوادث الهامة بسهولة فى اماكن مختلفة ثم ترسل
ى اقصى نواحى الكرة الارضية فى اقصر وقت ممكن . وهذه الحوادث
هامة تكون اقرب الى الواقع بلا شك وهى معروضة على الشاشة البيضاء
ها عند نشرها فى الصحف السيارة . والمثل الصينى القديم يقول «ان
مة الصورة تقدر بعشرة آلاف كلمة » هو بلا شك قول يصح اليوم تماما .
د انتشر بتأثير السينما فى جميع انحاء العالم نوع من التسامح بالنسبة
ير وعاداتهم وتقاليدهم وآرائهم وذاع تبادل الافكار واساليب المعيشة
كان يستحيل تحقيقه بغير واسطة الافلام السينمائية .
والسينما اليوم من اكبر اسباب التسلية والترويح عن النفس وهى
املة لكل ما يشبع نواحى النفس البشرية ومشاعرها . ومع ان اغلبية
ناس تحيى حياة منعزلة هادئة فانهم يقصدون السينما لانها تنتقل



احد المدافع البريطانية من عيار ٢٥ رطل اثناء انطلاقه . والصورة من فيلم «انتصار الصحراء» .

بهم عن طريق التصور والخيال الى عالم جديد وبذلك يغادرونها وقد اتسعت نظرتهم الى غيرهم من الاجناس البشرية فاصبحت اكثر هدوءا وتعقلا وتسامحا . والسينما عظيمة النفع كذلك من الناحية الثقافية والتعليمية لانها تساعدنا على ادراك النواحى الصالحة فى الآخرين كما ان الافلام التعليمية هى بلا شك اكثر مساعدة للطالب فى المصانع ومراكز التدريب من المعلم نفسه وهى عظيمة النفع بالنسبة للطفل ايضا لانه بطبيعة الحال يستطيع ادراك الدرس من الشريط السينمائى اسرع مما لو كان فى قاعة الدرس لانه يجد متعة وتسلية فى مشاهدة الفلم .

واليوم قد اضطر كثير من شركات الافلام السينمائية الى العدول عن اخراج كثير من الافلام التى كانت تنوى اخراجها واضطرت الى استبدالها باعمال اخرى اكثر اهمية وهى الافلام الخاصة بالحرب الحاضرة فاصبحت السينما الاخبارية تعرض سيلا من الحوادث التى وقعت فى

ف انحاء العالم . وآلة التصوير لها قيمتها ومنفعتها التى لا تقدر الى درجة
ا تستعمل الآن فى كثير من طائرات القتال البريطانية التى جهزت بآلات
سوير مهمتها ان تصور الوقائع الجوية كما حدثت تماما ، كما ان قاذفات
ابل تستعمل آلات التصوير لاعمال الاستكشاف ولكل من الجيش
يطانى والبحرية الملكية البريطانية مصورون سينمائيون . وجميع
ه الصور الحية الواقعية تؤخذ ثم تعرض فيستطيع الرجل العادى
رأة العادية مشاهدة حوادث الحرب الواقعية بينما يستعمل الجندى
بحار والطيار السينما كوسيلة للارشاد والتعليم .

وقد ادرك النازى بسرعة مزايا الفلم السينمائى كوسيلة للدعاية
رقوا البلاد المحايدة بسيل من الافلام التى تعرض فظائعهم واساليب
مير البهيمية التى اتبعتها قواتهم فى البلاد التى غزوها وذلك رغبة
م فى ارهاب المتفرج المحايد . ولكن النتيجة كانت لسوء حظهم على عكس
كانوا يرمون اليه لان هذه الافلام قوبلت فى كثير من انحاء العالم
يل من السخط والاعتراض ورفضت دور السينما عرض افلام الدعاية
انية . ولم يسمح وزير الدعاية الالمانية الماكر الدكتور جوبلز بظهور
ر لاى جندى المانى مقتول فى اى فلم من هذه الافلام رغم الحقيقة
روفة من ان مئات الالوف من جنود الالمان قد فقدوا حياتهم بميادين
ال فى سبيل تحقيق رغبتهم الجنونية فى سيادة العالم . ومع ذلك فقد
ضت هذه الافلام جثث المدنيين من رجال ونساء واطفال قد فتكت
م وشوهتهم مدافع الجنود الالمانية وقنابلهم . وهذه الوحشية من شأنها
شك ان تحرك الارادة وتثير العزيمة وقد كان من اثرها فعلا اثارة
ضاء والاحتقار لهذا الجنس العابد للقتل والدماء بدلا من اثارة
وف والوجل .

اما البريطانيون وهم سادة الافلام الاخبارية بلا منازع فقد عرضوا
يتهم على العالم بغير ضجيج الطبول وقرعها ولكن ببساطة وصراحة
ضوا افلاما تمثل البريطانيين رجالا ونساء وهم يقومون باعمالهم

العادية فى ظروف الحرب كما عرضوا مناظر مدينة لندن اثناء الغارات الجوية الشديدة التى لحقت بها وفيها اشتهر اشخاص عاديون كابطال نظرا لما ابدوه من الثقة والهدوء والتفانى فى الواجب وكذلك عرضوا مناظر العمال من الرجال والنساء وهم يشتغلون فى المصانع الحربية وصورا تمثل المجهودات الحربية فى استراليا وجنوب افريقيا والهند ومناظر تمرين الرجال الذين جندوا للعمل فى سلاح الطيران الملكى ومرنوا فى كندا تنفيذا لمشروع تمرين الشباب على الطيران فى اجزاء الامبراطورية كما عرضت فلما ممتازا يمثل غارة واقعية على المانيا قامت بها قاذفات القنابل التابعة لسلاح الطيران الملكى .

وقد تم عرض هذا الفلم ببساطة تمثل الحقيقة المجردة للعمل الصارم الحازم الذى يقوم به سلاح الطيران الملكى من تدمير مراكز المانيا الحربية . وهو عمل يطرد نموا مع الزمن ويزداد شدة وقسوة . وقام رجال سلاح الطيران الملكى وحدهم بعملية التصوير فى هذا الفلم وهم رجال لا يعدون مثل هذه العمليات الحربية اكثر من نزهة يقومون بها وعلى افواههم ابتسامة عريضة على انهم يعلمون انهم يقاتلون وينتصرون على عدو يزيد فى فظاعته ووحشيته عن اتيلا زعيم قبائل الهون . وقد اكتسب هذا الفلم الذى عرف باسم «هدف الليلة» اعجاب العالم لبساطته ودقة تصويره للواقع وعد من اعظم نماذج الافلام الاخبارية . وقد تلاه فلم آخر من روائع الافلام التى تمثل نشاط سلاح الطيران الملكى وهو فلم « القيادة الساحلية » الذى يبين كيف يقوم سلاح الطيران الملكى بمراقبة طرق البحار وحراسة السفن المحملة بالواردات القيمة الى بريطانيا .

ومن الافلام الاخبارية فلم آخر يمثل رجالا كانوا قبل الحرب مجرد صيادين للاسماك ولكنهم الآن يساعدون فى المحافظة على سلامة الطرق البحرية وقد سمى هذا الفلم «رجال البحرية التجارية» وهو يبين كيف يقذف هؤلاء الرجال بالطوربيد دون تحذير او اخطار ودون ان يمهلوا



ـر من الفيلم البريطانى «القيادة الساحليـة» يرى فيه الملاح بالطائرة
ية من طرا: «سندرلند» .

يتدبروا طريق النجاة وذلك اثناء قيامهم بالعمل الذى يرمى الى تنشيط
لبادلات التجاريـة بين الشعوب . ومع ذلك فلا يلبثون بمجرد عودتهم
لى انجلترا ان يلتحقوا بسفن غيرها ويعودوا مرة اخرى لمجابهة ليس اخطار
لبحر فقط بل كذلك اخطار الغواصات الالمانية الغادرة الحائمة فى المحيطات
لتى تلقى فى الكثير من الاحيان جزاءها العادل ككل غادر فلا تلبث
ن يطويها قاع البحر .

تلك هى امثلة قليلة جدا لهذه النماذج العظيمة من الافلام الاخبارية مما
تم اخراجه ولا يزال فى طريق الاخراج وكلها تلقى اعجاب العالم اجمع لانها
تمثل الرجال المسالمين والنساء المسالمات الذين انصرفوا بحكم ظروف الحرب

عن اعمالهم العادية الى الاعمال الحربية، وكذلك الافلام التى تعرض اعمال القوات البريطانية الثلاث . واليوم تعرض دور السينما من هذا النوع اهم هذه الافلام واعظمها وهو الفلم المعروف باسم «انتصار الصحراء» الذى يبين انكسار الجيش الالمانى الذى طورد مسافة ١٥٠٠ ميل من مصر الى حدود تونس .

ولا شك ان صناعة السينما هى احد الفنون الجميلة التى نمت وستنمو مع مرور الايام لان كل فلم جديد يجب الا يقل قوة عن سابقه ان لم يفقه . ومهما كان التمثيل متقنا فى الافلام الروائية الا ان افلام السينما الاخبارية لها دائما الافضلية فى تقدير الذوق العام لانها تعرض الرجال والنساء فى حياتهم العادية اليومية لا صورا مستمدة من الخيال وتصورهم مجابهين الاخطار . لذلك كانت هذه الافلام اهلا لاعجاب الجماهير وحماسها اذا وضعت فى صورة لطيفة صادقة .

والقارئ كأحد افراد الجمهور المتردد على دور السينما يستطيع ان يحكم على ذلك بنفسه اذا شاهد الطريقة البسيطة الصادقة التى يعرض بها الفلم الاخبارى الذى يصور هؤلاء الابطال المجهولين والباسلات من النساء وهم يؤدون واجبهم المتواضع فى هذا العراك العنيف . هى صور لم تكن لتعرض بهذه القوة الا عن طريق السينما . اما الدعاية النازية فطريقتها دائما ان تحاول التأثير على المتفرجين بالافلام التى تعرض قوة المانيا العظيمة وهى افلام لا تلبث بسبب التكرار الممل والمبالغة ان تفقد قوة تأثيرها . اما الفلم الاخبارى البريطانى فهو دائما صورة بسيطة صادقة للواقع فلذلك يترك اثرا باقيا فى اذهان المتفرجين .

والمتفرجون دائما هم الحكم الاول والاخير على نجاح الافلام . وقد اثبتت الافلام الاخبارية البريطانية ان شركات السينما البريطانية قد اسست لنفسها سمعة لا تبارى لانها تقدم الحقائق وتعرضها على الجماهير سواء أكانت مرة مؤلمة ام مرحة مسلية ومثل هذه الافلام هى محل ترحيب دور السينما فى العالم اجمع .

ودزفورد الانقلابى

علماء الطبيعة فى القرن العشرين بقلم ايفور ب . ن . ايفانز

ولد من ٧١ عاما مضت فى كوخ خشبى وسط غابات نيوزيلندا
يفة ابن رابع لجيمس روذرفورد احد كبار زارعى القنب فى بلاده . ولم
بيال روذرفورد حينئذ ان رأس ولده الصغير قد حوى ذهنا كتب له
يقلب نظريات علم الطبيعة التى عرفت منذ مائة سنة ، وهو الذهن
ى قدر له ان يثبت ان الطبيعة هى اكبر العوامل الكيمياوية كلها
ى التى تحول الراديوم الى الرصاص وتحطم الذرة فتولد من عنصر
صرين .

على ان هذا الغلام ايرنست روذرفورد الذى يعد اسمه اليوم بين
لام مثل اسم اسحاق نيوتن وكلارك ماكسويل وميشل فارادای
كون لم يكن طفلا خارقا للعادة . وقد قضى وقته يمرح بين شواطئ
يلندا وسهولها وانهارها وجبالها وغاباتها تحركه فى ذلك رغبة
مة فى معرفة كل ما يتصل بالعناصر الطبيعية وقواها المتفاعلة .

وقد اشتغل كثيرا ولعب كثيرا حتى قبل عهد بدء دراسته وكان
بدا مجدا فى مدرسته كما كان ذهنه دائم الاستقصاء والتحرى وذا موهبة
برة على تركيز ملكاته مما ساعد على نجاحه الدراسى . وتمكن بفضل
مة وعدالة نظام التعليم المجانى الجديد الذى اسسه اهالى نيوزيلندا
ورون من نحو ٧٠ عاما ان يستفيد بفرصة التعلم كل الاستفادة
ن هذا النظام افضل من انظمة تعليم اوروبا المعاصرة وذلك فى بلاد
تكدتخرج من حال الطفولة .

وكان روذرفورد موفقا فى اساتذته الذين تركوا له بكل حكمة الحرية
كاملة فى ان يتابع تفكيره وابحاثه حتى يصل الى النتائج التى يراها

على طريقته الخاصة . كما انهم فى الوقت نفسه لاحظوا نموه العقلى وسايروه بالطريقة التى تضمن له النجاح .

وقد فاز دائما فى امتحاناته بلا صعوبة بينما احرز كثيرا من الجوائز فى الرياضيات والتاريخ واللغتين الانجليزية واللاتينية . وكان مع ذلك يلعب كرة القدم ممتازا فى كثير من الالعاب الرياضية ماهرا فى اطلاق النار. وكان دائم العمل على تنمية مواهبه الفكرية فى ثبات واتزان .

وقد تقدم فى عامه الدراسى الاخير لمسابقة مدرسية يعطيه نجاحه فيها الحق فى مجانية التعليم فى الجامعة ثم قضى بعض الوقت فى مزرعة والده انتظارا للنتيجة .

وفى صباح احد الايام بينما كان يعمل على جمع البطاطس من الارض خرجت والدته من المنزل مسرعة وهى تصيح : «لقد احرزتها !» فسألها عما كانت تقصده . ثم ادرك للفور انها كانت ولا شك تقصد المسابقة الدراسية فالقى بفأسه على الارض قائلا : «تلك آخر حبة من البطاطس استخرجتها من الارض . »

وكان فوزه فى المسابقة للالتحاق المجانى بكلية كانتيربرى اول مدارج مستقبله . وقد كان من المحتمل ان يكون مزارعا لولا هذه المسابقة الدراسية .

واخيرا فاز هذا الطالب الصريح البسيط فى عاداته المحبب الى اخوانه الذى كان يعشق رياضة المشى والمناقشات العلمية باجازته الجامعية فى الرياضيات وانتهى من تمرينه الجامعى ثم بدأ يستعد لشهادة الاستاذية فى الرياضيات. وهذه اقتضت منه بدء العمل فى بحث علمى جديد .

وبدأ روذرفورد عمله فى الامواج اللاسلكية ولم يكن يعرف عنها اذ ذاك الا القليل، فى غرفة صغيرة تحت سطح الارض حيث يعلق الطلبة ارديتهم الجامعية فوفق الى صنع جهاز عجيب دقيق للالتقاط المغناطيسى . اعده من ابرة وسلك سميك ومقياس كهربائى . وتمكن بذلك من التقاط الاشارات

سلكية على اكثر من مسافة ٦٠ ياردة وعد ذلك فى عام ١٨٩٣
ا كبيرا . ثم نشر ابحاثه وحصل فى عام ١٨٩٤ على الدرجة
ى المتازة فى الطبيعة والرياضيات، وكانت هى التى مهدت له الطريق
عامل كافينديش فى كمبردج مركز العلوم الطبيعية فى العالم اجمع،
ها جائزة جامعية اسست عام ١٨٥١ .

وفى هذا العام كان المشرفون على معامل كافينديش تحت رئاسة السير
ج . طومسون اكبر علماء الطبيعة فى انجلترا وقتئذ قد فتحوا ابواب
لهم لخريجى الجامعات الاخرى . وكان روذرفورد اول من استفاد منهم بذلك .

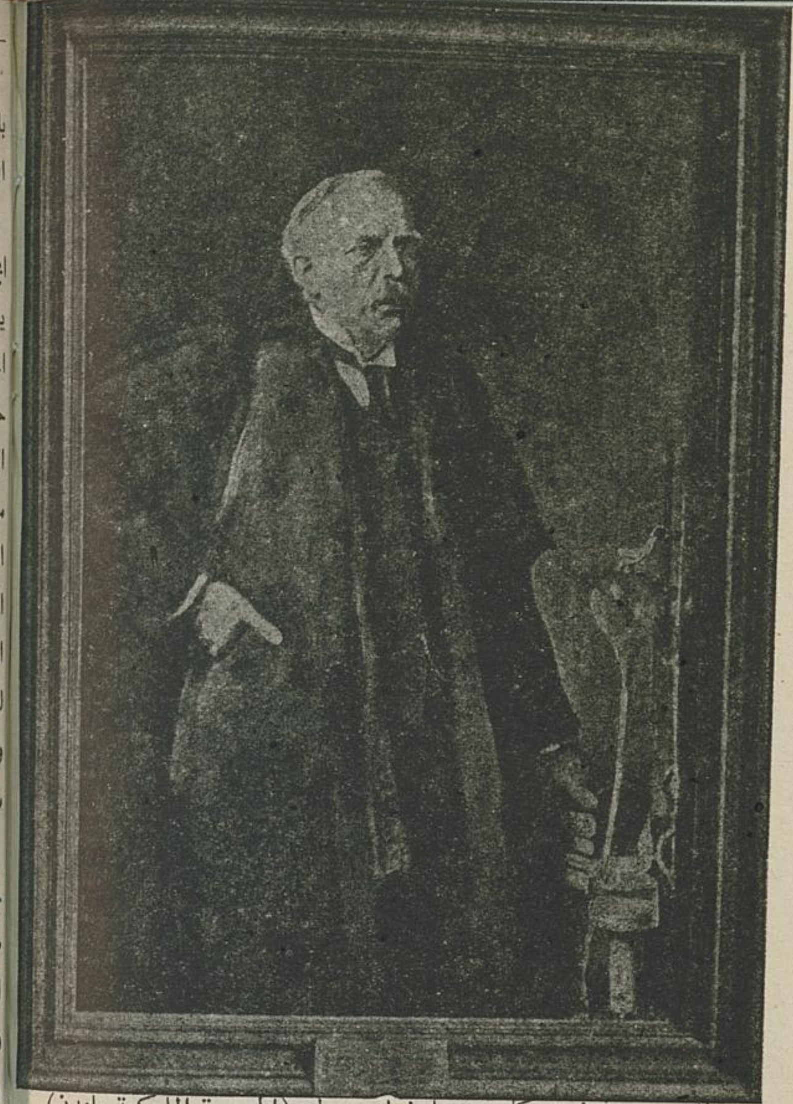
ولم يلبث الشاب النافر الخجول ذو الارادة القوية والعقل الجبار ان
ب على كل من حاول العبث به باسئلته البسيطة المفحمة التى كان
هها اليهم فاخذ الجميع يشيرون اليه وهم يقولون «هذا ارنب من
يلندا يعرف كيف يحفر جحره فى الاعماق» .

ولم يلبث روذرفورد ان اعجب بحماس طومسون ولطفه واستمر فى ابحاثه
سلكية حتى تمكن من التقاط الاشارات على بعد ميلين وكان هذا رقما
يا فى ذلك الوقت .

ومن حسن حظ ماركونى ان روذرفورد اعتزل العمل فى اللاسلكى بعد
اكمل جهازه فى التقاط الاشارات اللاسلكية وبدأ يساعد طومسون
تجاربه التى انتهت بان اعلن طومسون وجود «الاليكترون» وهى ذرة
هربائية سالبة تبلغ $\frac{١٨}{١٠٠}$ من ذرة الهيدروجين توصل الكهربائية
سالبة خلال الغازات والمعادن .

فقد كانت الحوادث تتعاقب بسرعة فى ابحاث العلوم فى اواخر القرن
سع عشر . وكانت اشعة اكس وشعاع اليورانيوم الفعال والراديوم
معتها الغريبة ظواهر غير عادية حينئذ تثير الحيرة بما لا يمكن ان
اس اليه النظرية الميكانيكية الحديثة عن المادة وانقسامها الى ذرات
سدة مدورة .

واستغرق روذرفورد الشاب فى تحليل هذه الظواهر المزدحمة فقسم اولا



اللورد روذرفورد كما رسمه اوزولد بيرلى (الجمعية الملكية بلندن) .

الاشعة التى يشعها اليورانيوم الى الاشعة التى رمز اليها بحرف «الالف»
والاشعة التى رمز اليها بحرف «الباء» . اما الاشعة التى رمز اليها بحرف
«الجيم» فقد اكتشفها فيلارد بعد ذلك بعامين .

وبينما كان روذفورد على وشك ان يفتح بابحاثه عالما جديدا مليئا
لاحتمالات اختاره طومسون من بين ٢٥ مرشحا لان يكون وهو فى سن
ثامنة والعشرين استاذا للطبيعة فى جامعة ماكجيل بكندا .

وبمجرد ان وصل الى كندا بادر الى تنظيم قسمه باكمله وتركيزه فى
بحاث عوامل الراديوم ثم واصل ابحاثه متجردا من كل غرض آخر واخذ
ذلل بكل مثابرة المسألة بعد الاخرى . وكانت طريقته دائما ان يركز
جتهاده فى مسألة يتعمد محاولة حلها مباشرة وان يتجه الى هذا الحل
ى ولو كشفت له ابحاثه عن احتمالات اخرى رافضا دائما ان يميل الى
ة جهة او ان يشعب بحثه مهما كانت ظواهر الاحتمال الجديد جاذبة
غرية وكانت طريقتـه بسيطة كأجهزته . وقد تمكن بعبقريته التى جمع
يها معلوماته عن الطبيعة، وهى معلومات كانت توحى اليه دائما باسلم
لاتجاهات، ان يجعل ابسط النظريات قادرة على شرح وتفسير اعقد
سائل واكثرها اشكالا . وكان يقول دائما لتلاميذه : «ان المطلوب
تحقيق التقدم والنجاح هو ليس النظريات التى يبدو عليها الاجتهاد
المهارة او الافكار الغارقة فى التصور عن الطبيعة ولكن القدرة فى معرفة
ا يمكن ان يعبر عنه بفكرة الخالق فى الطبيعة » .

وفى عام ١٩٠٠ سافر الى كندا للعمل مع روذرفورد شاب من خريجى
جامعة اكسفورد فى الطبيعة اسمة سودى . وبالاشتراك مع روذرفورد
صوب ذرات اشعـة «الف» الى اهـداف وتبـين لهما من ذلك كيـف ان
ليورانيوم والراديوم تـتفرع عنهما عناصر اخرى ذوات عوامل الراديوم
فى سنة ١٩٠٢ تمكنا من ان يقضيا نهائيا على النظريـة التى كان الجميع
يسلم بها حينئذ وهى ان العنصر لا يزول . وكانت نظريتهما بكل بساطة
«ان ذرات العناصر ذوات عوامل الراديوم هى دائمة التغيير والفناء»
وان الراديوم يتحول فى النهاية الى رصاص .

وبـين عام ١٨٩٩ الى عام ١٩٠٧ نشر روذرفورد وتلاميـذه مئـات
الابحاث العظيمة فيها جمع وتوضيح وتنظيم عوامل الراديوم .

وفى عام ١٩٠٧ عاد روذرفورد الى انجلترا استاذا للطبيعة فى جامعة مانشستر حيث واصل ابحاثه . وكان منها ان صوب ذرات اشعة «الف» المنبعثة من الراديوم الى لوحة من الالومنيوم فلاحظ يوما ان بعض الذرات قد تخلفت فى الانبوبة على خلاف المفروض . فادرك من ذلك انه لا بد لحصول هذه الظاهرة ان تكون ذرتان قد جمعهما مكان واحد فى نفس الوقت . واستمر فى عمله يشق طريقه بمهارة حتى اعلن ان الذرة هى عبارة عن مجموعة شمسية مصغرة تتركب من نواة مشقلة بالكهربائية الموجبة تدور فى فلكها اجسام سالبة . وبذلك يكون قد نظر الى صميم الذرة مباشرة وشاهد ما بها ثم كشفه للعالم اجمع . فلم يكن جسم الذرة الجامد المدور كما فرضه نظرية دالتون، الا فراغا يحتوى على مادة قليلة.

وقد بنى نيلز بوهر على نماذج ذرة روذرفورد نظرياته الرياضية بعد ان قضى ثمانية اسابيع فى عمل متواصل فى مانشستر . كما ان ه . ج . ج . موزلى الشاب الذى قتل فى الحرب العالمية الاولى قد احدث بابحاثه نظاما جديدا فى ميدان اشعة اكس .

وبذلك اصبح لايرنست روذرفورد شهرة عالمية فى العلوم وانعم عليه بلقب سير فى عام ١٩١٤ بعدما فاز بجائزة نوبل للكيمياء فى سنة ١٩٠٨ وتوالت عليه الالقاب الفخرية من مختلف الجامعات ولكنها جميعا توالت على رجل يكره الادعاء وكان المثل الاعلى فى العظمة النفسية بتواضعه وبساطته وكرمه وصداقته وحماسه وحبه للمرح والسرور . كان استاذا ملهما صاحب قدرة كبيرة على التنظيم متسامحا حر الفكر . وكان يجمع حوله الشبان المشتغلين بالابحاث العلمية فأداموا حوله جو الشباب ولم يكن ليتردد فى ان يعهد اليهم باعمال هامة اساسية وقد قال : «يبدو العالم المجهول كانه ضباب متكاثف امام اعين الانسان . ويجب لاختراق هذه الحجب ان نعتمد ليس على مساعدة الانسان المتفوق بل على جهود متحدة لجماعة من الاشخاص العاديين حصلوا على تمرين سديد ولهم كفاءة علمية » . وبذلك اصبح روذرفورد زعيم جماعة .

وقد عطلت الحرب الماضية اعماله واوقفت مدرسته فى مانشستر
تغل هو نفسه بادارة الابحاث الخاصة بتحديد مواقع الغواصات ووصل
كثير من النجاح . ولكنه مع ذلك واصل ابحاثه فى ذرات «الف» فى
ات فراغه . واعلن فى سنة ١٩١٩ انه قد تمكن بواسطتها من تفريق
تروجين وبذلك استطاع ان يفصل جزءا من الذرة.

وفى عام ١٩١٩ ايضا اعتزل السير ج. ج. طومسون العمل فى
رة معامل كافينديش فخلف روذرفورد استاذه العظيم .

ومع انه كان قد حقق لنفسه فعلا ثلاثة استكشافات اساسية
ة فان روذرفورد لم يكتف، كما يمكن ان يفعل رجل اقل منه
اهب فى مثل ظروفه، بالادارة وحدها واستمر فى ابحاثه فانشأ
ئة قضت العشر سنوات الاولى فى تدعيم الابحاث التى وصل اليها
ضعت اساسا لتقسيم الذرة بفضل ابحاث كوكروفت وولتون واكتشاف
جزاء الجديدة المسماة البوزيترون والنيوترون التى تنبأ بها روذرفورد
ل ذلك بسنوات .

ولم يكن روذرفورد يهتم بالفوارق الجنسية مطلقا فقد جمع حوله فى
نشستر الرجال من جميع بقاع الارض من امريكا والصين وشيلى
شيكوسلوفاكيا والهند والنرويج وروسيا واليابان . وكان كل ما يهمه
و قدرة الرجل على الابتكار والعمل وكان يقول : «ان التقدم فى كثير
ن النواحى يستلزم تعاون الشعوب كما يستلزم تعاون الافراد . والعلوم
لصناعات تتطلب حالة استقرار لم يصل اليها العالم بعد . »

واصبح هذا الرجل الكبير الخشن فى مظهره الذى كان يبدو اقرب
ى الفلاح منه الى الاستاذ محبوبا بين تلاميذه وعرف بينهم فى المعمل
سم «الوالد» . وكانت قدرته على النكتة لا تقاوم وكان يقاسم الجميع
اته كما ظل فى جميع ادوار حياته يجد لذة خاصة وعطفا خاصا فى تتبع
حوال كل من اشتغلوا معه .

وقد عمل بصفته رئيسا للجمعية الملكية على انشاء معامل موند وعلى

تكليف العالم السوفيتى بيتر كابيتزا بادارتها . وكان كابيتزا قد عمل قبل ذلك ١٢ عاما واشتغل مع روذرفورد فى ابحاث هامة .

وبعد عامين لم يعد كابيتزا الى كمبردج بطلب من حكومته . وجاء ذلك فجأة، فانزعج روذرفورد من ذلك وخشى انه بسبب اوهام لا محل لها او عدم التفاهم الكامل ربما لا يستطيع كابيتزا ان يقدم للعالم خير ما عنده واخيرا هدأ باله عندما اعلنت حكومة جمهورية السوفييت ان كابيتزا قد عين مديرا لمعهد الابحاث الطبيعية الجديد .

ولم يكن روذرفورد ليتجر بابحاثه التى قدمها للعالم بلا مقابل . كما انه من ناحية اخرى لم يدخر وسعا فى العمل على تطبيق الابحاث العلمية على الحياة العادية . ويرجع الفضل فى تقدم حركة اتحاد الابحاث العلمية فى بريطانيا العظمى الى بعد نظره وعنايته واهتمامه الحار وذلك عندما كان مديرا للجنة الاستشارية لادارة الابحاث الطبيعية والصناعية . وكان يعتقد ان العلم لا بد ان يكون فى خدمة الصناعة اذا اريد للعالم ان يحيا حياة سعيدة .

وفى عام ١٩٢١ كرمته بلاده بان انعمت عليه بلقب اللوردية فاصبح لورد نيوزيلندا الاول بلقب بارون روذرفورد اوف نلسون وكمبردج كما منح فى سنة ١٩٢٥ وسام الفضل وربما كان ذلك الوسام اعظم تكريم تقدمه بريطانيا .

وقد عمل كثيرا فى سنواته الاخيرة كاول رئيس لجمعية حماية العلوم والفنون (مجلس المساعدة الجامعية سابقا) وكان عمل هذه الهيئة مساعدة العلماء والاساتذة الذين نفوا من المانيا وغيرها لاسباب سياسية وعنصرية .

وقد دعى لعضوية كثير من اللجان وللاشتراك فى كثير من الاعمال غير العلمية فى سنواته الاخيرة ولكنه تمكن من ان يجمع بين ذلك كله دون اى تعطيل لاعماله فى معامل كافينديش، وكان يقول « ان الحياة لامر عظيم ولم اكن لاستعيضه باى شىء » . وقد ظل يداوم عمله، ولم يكن ليعرف التشاؤم اذ الحياة عنده كانت طيبة

دام هناك فرصة للعمل المفيد حتى اذا انتهى من عمله استمتع بتمريناته
باضية ومطالعة كتبه وصحبة زوجته واصدقائه فى جلسة عائلية امام
ان التدفئة المتقدة .

ولا شك ان جانبا كبيرا من نجاحه وسعادته فى الحياة يرجع الى حياة
مالة السعيدة الطويلة التى بدأها فى سنة ١٩٠٠ عندما تزوج زميلته
الدراسة ايام صباه فى نيوزيلندا . وقد شاركت ليدى روذرفورد زوجها
كل ما يهمه وادارت اعمال مكتبه وكانت له سكرتيرة عظيمة النفع .
نت حياتهما مثلا حقيقيا للتعاون الكامل والزمالة الصحيحة .

وفى يوم من ايام اكتوبر سنة ١٩٣٧ قضى نحبه ابسط الرجال واحبهم
الجميع وهو رجل لم يعرف لنفسه عدوا وكان صديقا لكل من
فه وكان الاطفال يأنسون اليه بمجرد رؤيته . واسلم الروح بين
عى زوجته بعد مرض قصير وكان فى السادسة والستين من عمره .

وهكذا ذهب «شاب العلوم» الخالد الدائم العمل الذى ظل فتى
مة طول حياته ، وتركت وفاته فراغا لن يملأ فى ايامنا .

ولا شك انه كان اعظم علماء الطبيعة الذين قاموا بتجارب علمية فى
دنا الحاضر . وقد ادرك بغريزته الطريقة الى العوامل الهامة الاساسية
كن بعظمته العقلية ان يلهم غيره وان يغير الفكر العلمى الحديث وهو
ذلك لم يكن معجبا بل كان بسيطا الى حد انه قال عن نفسه فى عامه
خير : «ان ما اعرفه بعد هذه الاعوام الطويلة من الدراسة والبحث
يزيد الا قليلا عما كنت اعرفه عندما بدأت» .

هدية بريطانيا للعالم

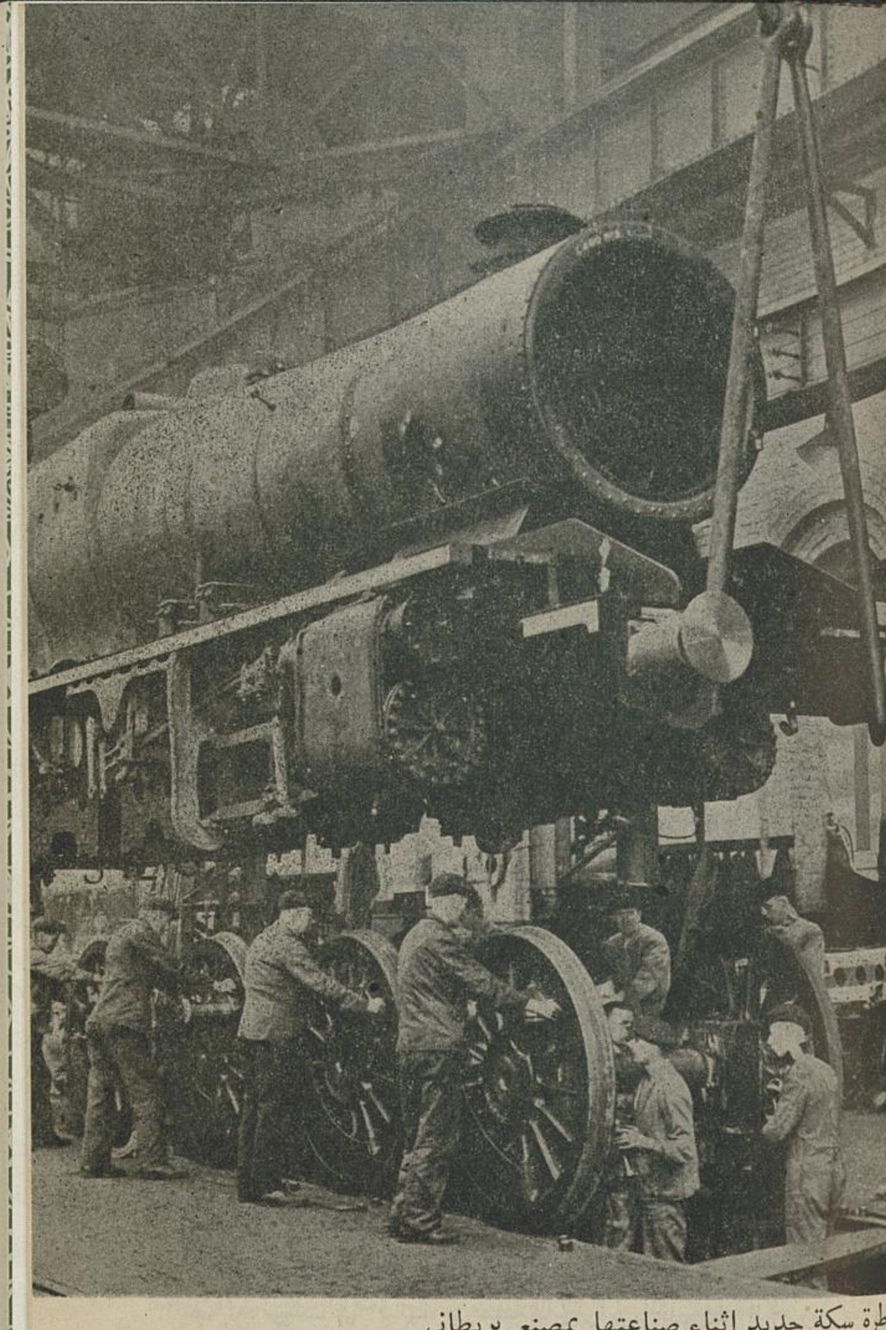
السكك الحديدية

تفرعت ملايين الكيلومترات من اشرطة السكك الحديدية التى تكون سكك حديد العالم الحديثة عن خط قصير يبلغ طوله ٢٤ كيلومترا انشئ بين مدينتى ستوكتون ودارلينجتون فى شمال انجلترا . اذ تحركت على طول هذا الخط فى سنة ١٨٢٥ اول قاطرة حديدية فى العالم وكان لها مدخنة طويلة رفيعة وقد تولى قيادتها مخترعها جورج ستيفنسون وتقدمها فارس يحمل علما احمر تتبعه مجموعة غريبة من العربات والمركبات وقد وقف يرقبها جمهور محتشد يخشى ان يشعل الشرر المتناثر من القاطرة النيران فى الحقول المجاورة .

ومنذ ذلك اليوم عمدت بريطانيا — والمسافات بين انحائها المختلفة ليست بعيدة كما ان مدنها مركزة فى ابعاد متقاربة — الى محاولة اكتشافات جديدة وبناء سكك حديدية كثيرة والوصول بهذا الاختراع الى حد الكمال حتى اصبحت قاطراتها السريعة اليوم تقطع كيلومترين فى الدقيقة الواحدة .

وفى هذا المقال يعرض المستر نورمان هيلسون الصحفى اللندنى المعروف التقدم العجيب الذى احرزته السكك الحديدية ببريطانيا وهى البلاد التى لم تقم باختراع السكة الحديدة فقط ولكنها ايضا لا تزال حتى اليوم البلاد التى لا تضارع فى عنايتها بالمواصلات البخارية وموالاة البحث والتجارب فى كل ما يتصل بها .

يوجد الآن نحو ٧٥٧٠٠٠ ميل من السكك الحديدية فى العالم وهى ق



طرة سكة حديد اثناء صناعتها بمصنع بريطانى .

جميعا مدينة فى وجودها الى ١٥ ميلا من السكك الحديدية مدت فى عام ١٨٢٥ بين مدينتين بريطانيتين صناعيتين هما ستوكتون ودارلينجتون فى حوض نهر التيز .

وقد وقف جمهور حائر متشكك يراقب مهندسا اسمه جورج ستيفنسون (كان الكثيرون يعدونه شبه مجنون) وهو يصعد الى ماكينة غريبة الشكل تجر قطارا مكونا من ٣٤ عربة ويبلغ وزنها ٩٠ طنا وتسير مترنحة الى حيث تختفى عن الابصار . وقد تقدم هذا القطار فارس يحمل علما احمر حتى لا يلحق ضرر بالمتسكعين على الشريط او بالقطار وقاطرته . وكان هذا الفارس ينطلق متمهلا بحصانه حتى اذا بلغ جورج ستيفنسون مسافة من الطريق صالحة لان يسرع بقاطرته اضطر الفارس لان يركض بحصانه لان القاطرة قد اطلق لها العنان فبلغت سرعة كانت اذذاك تعد غير معقولة وهى ١٥ ميلا فى الساعة ! .

وهذه الخمسة عشر ميلا لو ان قطارات اليوم سارت على معدل اربعة امثالها لما عدت سريعة على الاطلاق بعد ان بلغت سرعة القاطرات الآن معدلا يزيد عن هذا بكثير . وقد حدث فى عام ١٩٣١ ان قطع احد قطارات السكك الحديدية التابعة لشركة سكك حديد الغرب المسافة بين سويندون وبادينجتون فى لندن وهى تبلغ ١٢٣,٦ كيلومترا فى ٥٨ دقيقة اى بمعدل ١٢٨ كيلومترا فى الساعة .

والواقع ان القطارات قد استطاعت بلوغ معدل سرعة الاكسبريسات الحديثة من نحو عام ١٨٦٠ حينما كمل تكوين القاطرة البخارية . وهى لم تكن لتصل الى هذا الكمال لولا اكتشاف آخر بريطانى هو صناعة الصلب على طريقة بسمر .

فالحضارة العالمية الحديثة اذا تدين بدين كبير الى جورج ستيفنسون المهندس وهنرى بسمر المخترع .

على ان فكرة انشاء طرق ثابتة وصالحة لتسهيل سير العربات ونقل البضائع ليست فى اصلها مرتبطة باختراع القاطرات البخارية اذ الواقع

طرقا خشبية كانت قد مدت فى نيوكاسل فى القرن السادس عشر ولم
ى حكم شارل الثانى (١٦٦٠—١٦٨٥) حتى كان امر هذه الطرق
روفا فى انحاء عديدة من البلاد . وفى سنة ١٧٧٠ تم صنع اول شريط
يدى بمصانع كولبروكديل .

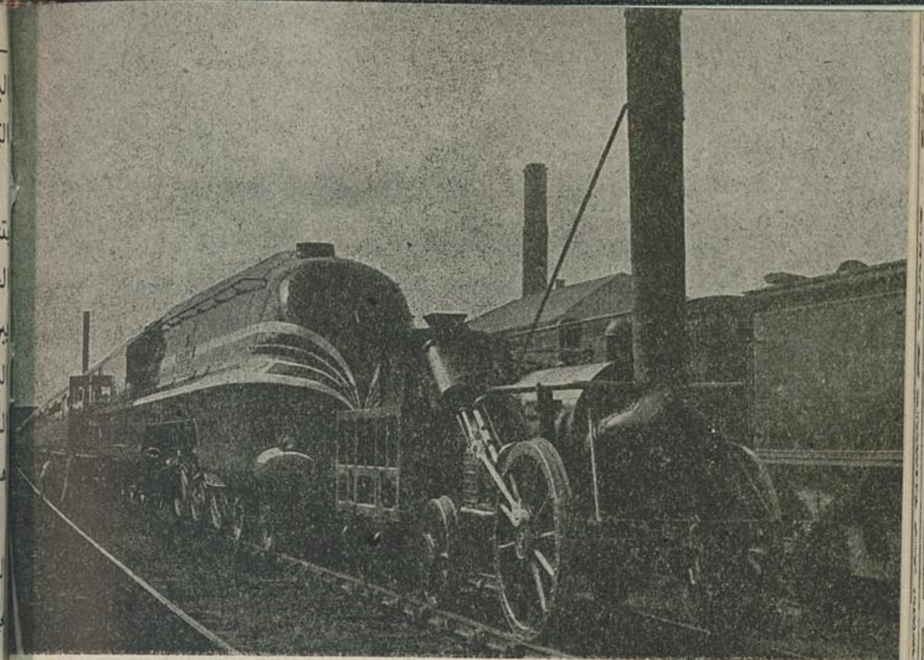
وقد استعمل ريتشارد تريفيثيك، وهو من اوائل من فكروا فى
طارات البخارية ذات الضغط العالى، طريقا ممهدا اجرى عليه تجاربه
ولى وكان ذلك فى عام ١٨٠٤ . كما ان هيدلى الذى بنى القاطرة المعروفة
سم «بافينج بيلى» فى عام ١٨١٣ استعمل طريقة اخرى مشابهة .

ولكن طريق ستوكتون دارلنجتون قد انشئ على اساس اكثر
وحا . ومع ذلك فان العزم كان قد انصرف عندما بنى ستيفنسون قاطرته
شهورة الى تخصيص هذا الطريق لنقل البضائع فقط . واثبت انصاره
ـه قد ترتب على ذلك فعلا نزول اثمان الفحم فى دارلنجتون من ١٨
ن الى ٨½ شلن للطن الواحد بعد ان تم نقله بالسكة الحديدية .

وكان الجمهور هو الذى اصر على ان يستفيد من هذا الاختراع
جديد فترتب على ذلك ان سمح للأهالى المحليين والزائرين بالسفر فى
ربة خاصة ذات سطحين اطلق عليها اسم «التجربة» فكانت هذه العربة
ى البداية والصورة الاولى لما اصبح يعرف اليوم بعربة صالون السكة
حديد .

على ان استخدام السكك الحديدية كاحدى وسائل النقل العالمية لم
دأ التفكير فى تحقيقه الا عند نجاح التجربة الثانية وهو افتتاح الطريق،
ن مانشستر وليفربول فى عام ١٨٣٠ عبر المستنقعات الخطرة المعروفة
سم شات موس عندما قاد ستيفنسون بنفسه القاطرة المشهورة «روكيت»
سرعة ٤٤ ميلا فى الساعة وهى سرعة لم تكن فى وقتها تخطر على البال .

وقد ادركت الولايات المتحدة بسرعة مستقبل القاطرات البخارية
عظيم فكلفت جورج ستيفنسون ببناء قاطرة بخارية سميت «امريكا»
رسلت عبر الاطلنطيق اليها . كما اوصيت شركة ستوربريدج ببناء عدة



القديم والجديد . الى اليمين : «الروكيت» وقد بنيت فى عام ١٨٢٥ وكان فى امكانها قطع المسافات بسرعة تتراوح ما بين ٢٥ و ٣٠ ميلا فى الساعة . الى اليسار : احدى قاطرات بريطانيا الحديثة ويمكنها السير بسرعة تزيد على ٩٠ ميلا فى الساعة .

قاطرات عرفت باسم «الاسود» . واتخذ ماثيوس بولدوين القاطرة «بلانيت» وهى القاطرة الاولى التى بناها ستيفنسون نموذجا لبناء اول قاطرات امريكية ناجحة فى مصنعه بفيلادلفيا فى عام ١٨٣٢ وقد اطلق على هذه القاطرات اسم «اولد ايرنسايدز» . وكان من الغريب بعد ذلك ان يعمد المهندسون الامريكيون الى الرجوع الى النماذج السابقة على ذلك فيتخذون من القاطرة «بافينج بيلى» اساسا لصناعة القاطرات الامريكية حتى يومنا هذا .

وقد بدأت السكك الحديدية تنتشر بعد ذلك فى مختلف بقاع اوروبا وكانت فرنسا والنمسا اسبق البلاد اليها . وكثر استدعاء المهندسين

ريطانيين لهذا الغرض حيث تركوا آثارهم الباقية فى السكك الحديدية ى مدت على اراضى القارة الاوروبية .

وكان نابليون على ما اعتقد اول من وضع شيئا شبيها باللوائح الخاصة ظيم قواعد المرور والسير على اليمين . ومن هنا نشأت عادة سير ربات على يمين الطريق فى اوروبا . ولكن كان بناء قاطرات السكك الحديدية يطانيا على اساس اعدادها للسير على يسار الطريق. فلما كلف المهندسون ريطانيون ببناء السكة الحديدية بفرنسا قاموا بانشائها على الطريقة ريطانية اى على اساس ان يكون سير القاطرة على اليسار وقد بقيت ه الطريقة متبعة حتى الآن فى فرنسا .

وقد اعاق تقدم السكك الحديدية فى مراحلها الاولى من حيث قوة والسرعة عدم صلاحية الطرق الحديدية اذ لم تكن من القوة ث تستطيع ان تتحمل حمولة القاطرات الحديثة او العربات الثقيلة .

ولكن جورج بسمر (١٨١٣–١٨٩٨) قد استطاع ان يجد حلا ذه المشكلة فأنشأ هذا المخترع الشاب من اهالى هارتفوردشير مصنعا ى سانت بانكراس الذى كان فى ذلك الحين من ضواحى لندن وبدأ يجرى اربه على الحديد. وبتمرير تيار شديد من الهواء على المعدن المنصهر بدأ ريقه الى اكتشاف صناعة الصلب .

وقد عرض اختراعه بنجاح فى عام ١٨٥٦ وبذلك كان ثانى اختراعات العظيمة الخاصة بالسكة الحديد فى طريقه الى النجاح الكامل .

ومكنت صناعة الصلب الجديدة من وجود قطارات الاكسبريس حديثة السريعة .

ومنذ ذلك الوقت قام المهندسون البريطانيون ببناء السكك الحديدية جميع انحاء العالم فمدوا شباكها عبر جبال امريكا الشمالية والجنوبية عالية ومكنوا للسكك الحديدية من ان تخترق الصحارى وان تربط همالايا فى شمال الهند بترافانكور فى جنوبها .

ولا شك ان السكك الحديدية هى من اهم ما قدمت بريطانيا للعالم .

يرجع عهد استعمال العجل الى عصور سحيقة فى التاريخ حتى لان الذاكرة ما زالت تعى استعمال الاشوريين لعرباتهم ذات العجل وهى تنطلق وكأنها «قطيع من الذئاب». ومع ذلك فقد مرت آلاف من السنين منذ ذلك الوقت قبل ان يحكم صنع تلك الوسيلة الحيوية للسرعة والسلامة الا وهى اطارات دنلوب.

اطارات دنلوب



ذات الانياب التى تنشب فى الارض

DUNLOP RUBBER COMPANY, LIMITED, FORT DUNLOP, BIRMINGHAM

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(26635) Wt. 34477/P4595 26-48-3 2700 12/43 L. & B.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الصناعات الكيماوية الامبراطورية

ذلك هو رمز شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية ، تلك الشركة الكيماوية البريطانية العظيمة التى تعرف فى العالم كله بالحروف الاولى من اسمها وهى I.C.I. تكونت فى سنة ١٩٢٦ باتحاد شركات شهيرة مثل برونر موند ، وشركة نوبل للمفرقعات ، وشركة الكالى المتحدة وشركة الصباغة البريطانية . ويبلغ مجموع راس مال شركة I.C.I. اليوم ٧٤،٠٠٠،٠٠٠ جنيها ولها فى الجزر البريطانية ما لا يقل عن ٧٣ مصنعا تستخدم ما يقرب من ١٣٠،٠٠٠ عامل . ور تماهى اكبر مناتج الكيمياء الثقيلة فى العالم . كما انها احدى الثلاث من اكبر الشركات التى تصنع الصباغة والمواد الكيمائية العضوية ، وواحدة من اكبر الشركات التى تصنع المعادن غير الحديدية . وللشركة فوق ذلك هيئة تتولى بيع منتجاتها ممتدة فى كافة اطراف المعمورة . اما منتجاتها فعديدة . ومن سياسة الشركة الا تدخر جهدا او تبخل بمال فى توسيع مدى البحوث العلمية التى تمكنها من الاستمرار فى سبق منافستها ، ومن ان تكون السابقة فى انجاز المخترعات العظيمة ، وفى ذلك ضمان لاقتران خير نتائج ابحاث المعامل بما امتاز به الصناع البريطانيون فى المصانع من اتقان لاعمالهم . ولذلك فحيثما ترى رمز I.C.I. كن على يقين انك ترى خير ما فى امكان الصناعات الكيمائية انتاجه .

ICI

IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES LIMITED, LONDON

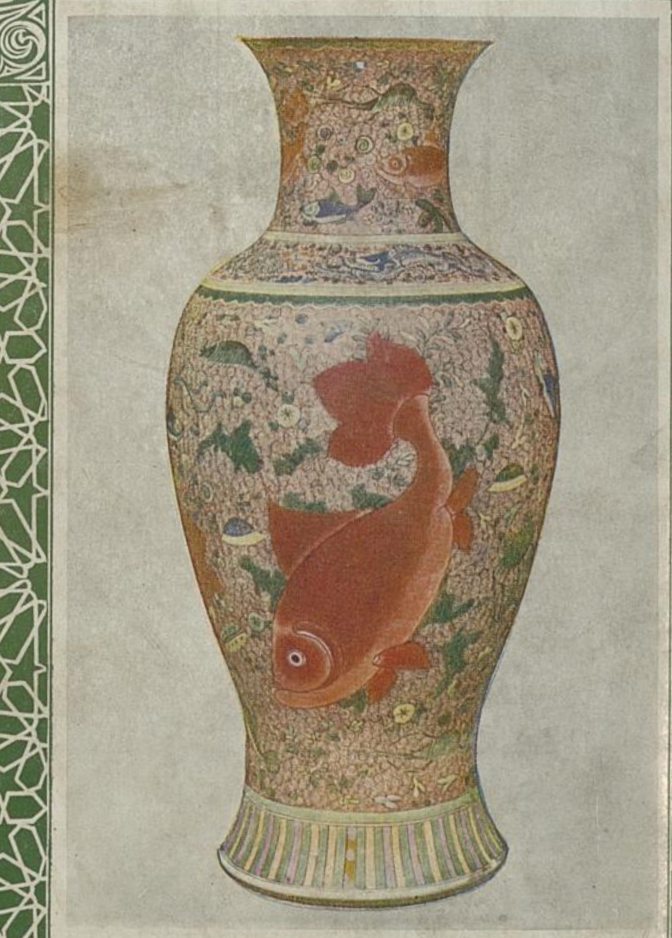
الصناعات الكيماوية الامبراطورية ليمتد

Agents :—Imperial Chemical Industries (Egypt) S.A., Egypt, Sudan.
Imperial Chemical Industries (Levant) Ltd., Palestine, Syria, Transjordan, Iraq.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجزء الثاني ١٩٤٣ السنة الأولى

الأدب والفن



زهرية « العائلة الخضراء » بما تحويه من رسوم الاسماك ذات اللون الاحمر يرجع تاريخها الى عهد كانج هسى (١٦٦٢ - ١٧٢٢).

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار


YARDLEY
YARDLEY
Old English Lavender
TALC POWDER

B.S.A.

ثلاثة حروف مشهورة

يصعب ان تجد اى بلد فى العالم لم تبعث حروف B.S.A. والعلامة التجارية ذات الشعار الثقة والاعجاب بين خبرائها.

وليس هذا بغريب فلا يخلو طريق من طرق العالم من دراجات وموتوسيكلات B.S.A. واليوم ترسل جميع دراجات وموتوسيكلات B.S.A. الى جنود قوات الدول المتحدة. ولكن تعد الخطط لايام السلم. وعندما يحين هذا الوقت ستجد فى خدمتك طرازات احدث واجمل عن تلك التى جعلت هذه الحروف الثلاثة مشهورة فى العالم.

BSA

FOK 41

BICYCLES & MOTOR CYCLES

دراجات و موتوسيكلات



B.S.A. CYCLES, LTD., BIRMINGHAM 11, ENGLAND.

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها . وقرار هيئة التحرير فيما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى . وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

خواطر في الأدب العربي

بدء التأليف النثري

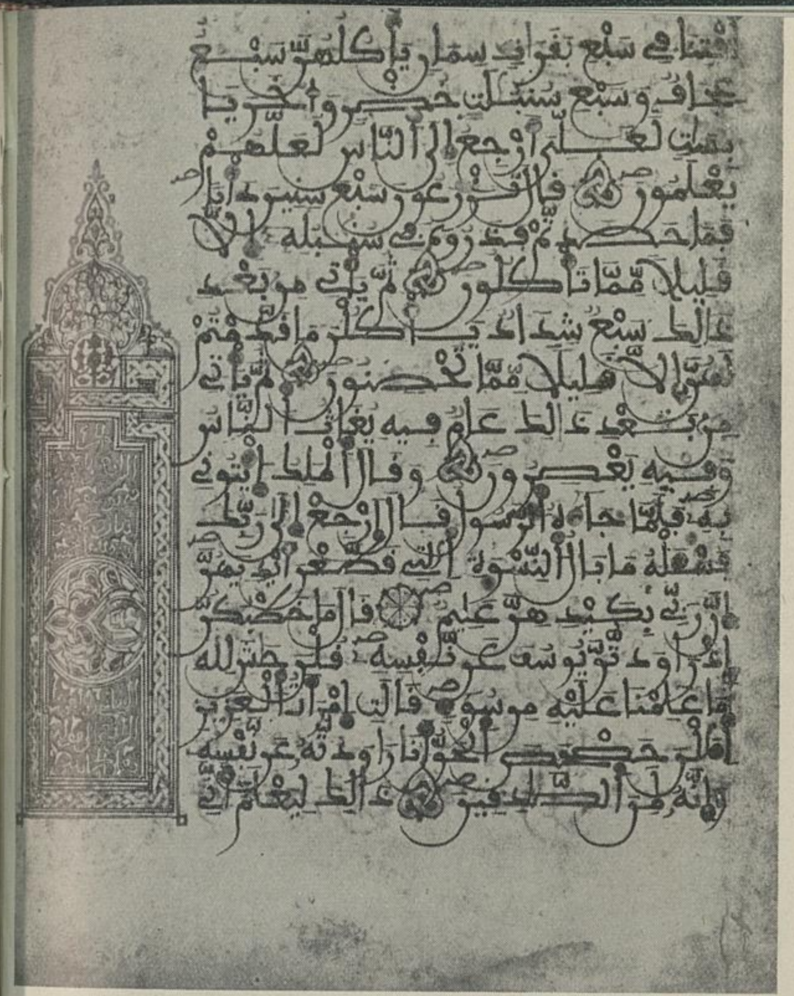
بقلم المستشرق الكبير الاستاذ هـ. ا. ر. جب

ان فى اطلاقنا على الملاحظات التى نعرضها للقراء فى هذا المقال اسم (خواطر) لا (بحوث) اشارة الى تفرقة هامة بين الاسمين. فمن كلمة (بحوث) يقصد البحث والتنقيب فى كل المواد التى لها علاقة بالموضوع المنتخب، يتبعه اختبار ونقد مفصل لتلك المواد وكل ما كتبه عنها العلماء الحديثون والاقدمون. وهذه الطريقة العلمية لازمة بنوع خاص عند محاولة الوصول الى نتائج راسخة عن اى معضلة او قضية لم يتم بعد اكتشاف كل ما يتعلق بها ومنها القضية المذكورة عند رأس هذا المقال. بيد ان هذا ليس ما ننوى تسجيله هنا والا لما تناسب المقال مع صفة هذه المجلة. فسنتبع طريقة اشبه شئ بطريقة الرسام او المصور الذى ينتخب من بين مجموعة كبيرة من التفاصيل التى تظهر امام عينيه نخبة لها اهمية خاصة فى نظره هو نفسه ثم يشكلها فى اطار من صنعه كذلك. فقيمة التلوين والتصوير، اذا كان ناجحا، ان يجعل فى قدرة الناظر او المشاهد ان يدرك بطريقة مباشرة وبوضوح شيئا عن جوهر الموضوع الذى يقدمه له الرسام. اما القياس على ذلك النجاح فيتوقف على مدى اظهار المصور لجوهر الموضوع عن طريق اختياره للتفاصيل وعرضها للمشاهد. بيد انه ليس للمصور حق الحكم على نجاحه او فشله لان هذا الحكم انما هو من حق الآخرين.

والآن لنعد الى الموضوع، لقد اكد البعض انه كان للعرب بالفعل آداب نثرية فى العصر الجاهلى. وهنا نسأل، هل من الممكن ان نصدر

أمر بكتابة هذا السبع الشريف وإخوته
المقر الكريم العالي المولوي الأميري
الركني استاذ الدار العالية أعز الله نصره
وكتب محمد بن الوحيد حامدا لله تعالى
ومصليا على سيدنا محمد وآله الطاهرين
وأصحابه الأكرمين ومسلما وذلك في جمادى
الآخرة سنة أربع وسبعمائة للهجرة

مثال رائع من الخط النسخ يرجع تاريخه الى سنة ٧٠٤ هجرية .
(المتحف البريطانى .)



جزء من سورة يوسف من مخطوط قديم للقرآن الكريم بالخط المغربى .

بيانا قاطعا فى هذا الصدد سواء اكان بالتأييد او الدحض؟ اننى اعتقد انه لم يقم برهان حتى الآن على وجود اى آداب نثرية مدونة بين العرب الذين سكنوا جزيرة العرب . ويزعم من ناحية انه ربما وجدت كتب مدونة فى (الحيرة)، وانه وجدت بالفعل بعض المقيدات التاريخية هناك فهذا لا مراء فيه ولكن ما بعد ذلك لا يعدو ان يكون مجرد افتراض .

والبرهان على هذا البيان السلبى هو بحكم الضرورة غير مباشر وهذا
امر طبيعى لانه يندر ان يثبت على قضية سلبية بطريقة مباشرة . ففى حالة
اى بيان ايجابى لا يستدعى الامر سوى التقدم بالبراهين الواضحة او
المباشرة حتى يثبت صحة البيان بينما لا يثبت البيان السلبى لمجرد غياب هذه
البراهين المباشرة او الواضحة . ومع كل، فلو انه وجدت كتب مدونة من
الادب المنثور فى جزيرة العرب فى العصر الجاهلى لعد عجيبا اختفاء
آثارها هذا الاختفاء الكلى حتى من احاديث العرب المنقولة . اذ ما هى
الذكريات التى صانتها لنا احاديث العرب المنقولة عن النشاط الادبى فى
زمن الجاهلية؟ نجد انه الى جانب الشعر وبعض الامثال والحكم قد
صانت ايضا بضعة امثلة من البلاغة والبيان وبعضا من القصص، ثم لا
شئ . هذه المنتجات قد وجدت بلا شك كما تؤكد لنا الاحاديث المنقولة
ولكن مما يستحق الاعتبار ان هذه كلها من انواع الادب التى قد تناقلتها
الالسن شفويا لا كتابيا، مثل الشعر القديم . بل اننا لنشك فيما اذا كان
الجاهليون قد اعتبروها كمنتجات فنية اعتبارهم للشعر كما نشك فيما اذا
كانت هذه المنتجات قد تنوقلت لاكثر من جيل او جيلين الا اذا اتفق
انها اتصلت اتصالا وثيقا بقصيدة عصماء . ولكن مع اننا نعترف بل
ونؤكد وجودها الا ان احاديث العرب المنقولة ذاتها لم تدع مطلقا انها
وجدت على صورة تأليف مدون، ويتفق العلماء بالاجماع على ان الامثلة
التى قد تنتخب كنموذج لقصص الجاهلية تنسب ولا ريب، بمراعاة
اسس النقد الادبى البينة، الى عصر متأخر . والذى تجدر ملاحظته فوق ما
تقدم انه عند ما بدئ فى اثبات مؤلفات النثر العربى كتابيا بعد الهجرة
لم تكن الكتب التى دونت اولاً هى كتب الحكم ولا البلاغة او القصص،
ولو ان الجاهليين زاولوا كتابة مثل تلك الكتب بالفعل فى جزيرة
العرب لكان من المنتظر ان يوالوا كتابتها بعد الهجرة، كما تبع شعراء
القصيد فى عهد بنى امية نموذج القصيد فى العصر الجاهلى .

بل اننا لنجد من البراهين غير المباشرة ما يكون اشد قوة عند

تأملنا فى تطورات آداب النثر العربى فى عصر بنى امية واوائل العصر العباسى . فكما يعرف الجميع لقد كان العرب يملكون حينذاك مدونا، الا وهو القرآن . وعلى الرغم مما كان للقرآن، كما سنرى، من اثر كبير على نهوض التأليف النثرى المدون الا ان القرآن فى نفسه لم يجعل فكرة كتابة الادب امرا مألوفا لدى العرب وهذا يرجع الى ان القرآن فى حد ذاته يعد كتابا فريدا، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى — انه مع وجود عدد من نسخ القرآن — فان اغلبية القراء لم يقرأوا القرآن بل كانوا يتلونه غيابيا .

وعلى هذا فان العوامل التى ادت الى تداول الكتب المدونة كانت من نوع آخر وكان بعض هذه العوامل مادية والبعض الآخر عوامل نفسانية . فاول العوامل المادية هو توطيد دعائم اسلوب او طراز موحد للكتابة العربية ولا شك ان تعدد نسخ القرآن كان اكبر عون على توطيد ذلك الاسلوب ولكن المرجح ان استخدام اللغة العربية فى الشئون الادارية كان وسيلة فعالة كبرى على نشر العلم بطراز معهود فى الكتابة العربية، ومن الثابت ايضا ان هذا الطراز لم يتم تطوره الكامل بتحقيق حروف الهجاء حتى اواخر القرن الاول بعد الهجرة . وهناك عامل آخر كان له بعض التأثير (وان لم يجب ان نبالغ فيه) ذلك هو انتشار المواد التى يكتب عليها فنى خلال القرن الاول كان ورق البردى هو المستخدم فى العادة ولكن ورق البردى مثل الرق — نوع من الجلد الابيض — غالى الثمن ولذلك كان يقتصد فى استخدامه حتى فى الدواوين الادارية، وعندما ندقق النظر فى الوثائق المحفوظة فى المتاحف الاثرية نرى ان وثائق هامة مذيلة بامضاء الحكام قد دونت على قصاصات من ذلك البردى، فليس من المحتمل ان يمتلك الافراد العاديون كميات كبيرة من ورق البردى لتصرفهم الخاص، وفى الواقع لقد انتشرت الكتابة بسهولة بين عامة الافراد لاول مرة عقب اختراع الورق المصنوع من الخرق ومن الثابت حدوث هذا فى اواسط القرن الثانى . وقد اسس اول مصنع للورق فى بغداد

مخطوط عربى قديم يبين الحروف الكوفية . (المتحف البريطانى) .

فى عهد هارون الرشيد وما حل اواخر القرن الثانى حتى وجد الورق بوفرة ورخص فى الثمن .

مثل تلك العوامل المادية قد هيأت الظروف الصالحة التى فيها ترعرعت العوامل النفسانية . من اهم تلك العوامل بكل تأكيد كان انتشار الاسلام بين شعوب سوريا والعراق وبلاد الفرس وامتزاجهم الكلى بالعرب، ومن الاقوال التى اعتاد الانسان سماعها ان العرب مدينون للفرس فى معظم التطورات الحديثة التى جدت على الثقافة الاسلامية . حقيقة لقد عمل الفرس كثيرا على النهوض بمستوى


الرساله الثانيه الى اهل قورنثيه وهي من العدد الثالثه من بولس رسول يسوع المسيح بمشيه الله وطيموثاوس الاخ الى جماعة الله التي بقرنثوس ومع جميع الاطهار الذين باخاييا كلها النعمه معكم والسلم من الله ابينا ومن ربنا يسوع المسيح تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح ابو الرحمه واله كل عزا الذي

صحيفة من مخطوط قديم (القرن الخامس او السادس) به نصوص بالعربية والارمنية والقبطية والسريانية والحبشية . (المتحف البريطانى .)

الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى وعلى الاخص فى مستوى الجمال الذوقى .

فيه والعادة ادخاله فيه

باب بيع المصراة والرد بالعيب

المصراة تدليس يثبت به الخيار في الابل والبقر والغنم
اذا علم بها بعد البيع فيثبت له الخيار الى تمام ثلثة ايام
وقيل اذا علم بالتصرية ثبت له الخيار على الفور وقال ابو
اسحق من الثلث اعتبرت لمعرفة التصرية فانها لا تعرف
فيما دونها فاذا انقضت الثلث استبان له التصرية يثبت
له الخيار على الفور وقبل انقضائها لا خيار له وبقولنا قال مالك
واحمد وابو يوسف وزفر وقال ابو حنيفة ومحمد لا يثبت الخيار
بالتصرية بحال وقال داود لا يثبت الخيار بالتصرية في
غير الابل والغنم فاذا ردها رد معها بدل اللبن وقد اختلفت
الرواية فيه فروى ابو هريرة رد معها صاعا من تمر وروى ابن
عمر رضي الله عنه مثل او مثلي لبنها قمحا فقال ابو العباس بن
سريج يرد في كل بلد من غالب قوته وقال ابو اسحق
الواجب صاع من تمر وحديث ابن عمر محمول عليه اذا
كان اللبن اكثر قيمة من التمر فعلى هذا اذا اعوز التمر

صحيفة من نسخة قديمة من المبسوط لابى بكر النيسابورى كتبت فى سنة ٤٠١ هجرية بقلم كوش بنت عبد الله الرومية .

ولكن الارجح ان اكتتابهم الاصلى فى ناحية الآداب المدونة كان يقل عن اكتتاب الشعوب المتكلمة باللغة الآرامية لان الآداب المقيدة فى بلاد

الفرس فى العهد الساسانى كانت قليلة نسبيا وما وجد منها كان فى اكثره اما آداب البلاط (مثل كتاب الملوك وكليلة ودمنة) او آداب دينية ويرجع السبب فى هذا الى العوامل المادية السابق ذكرها كما كان الاسلوب الكتابى المستعمل بين الفرس فى هذا العهد اسلوبا ثقيلا غير مهذب لا يصلح لنشر ثقافة ادبية عامة هذا الى جانب ندورة ادوات الكتابة وارتفاع اثمانها، اما فى اللغة الآرامية فكانت هناك حضارة ادبية ذائعة الصيت واسعة الانتشار موروثة فى اغلبها من الحضارة اليونانية كما انهم امتلكوا كتبا آلت اليهم من اجيال سبقتهم .

ولما كانت مدينة (البصرة) فى واقع الامر هى المركز الرئيسى لدراسات الادب العربى فى مبدأ الامر فهذا يشير الى ان احد العوامل التى عملت على تشجيع تلك الدراسات كانت (اكاديمية) جندى شابور ومع ان تلك الاكاديمية وجدت فى الاراضى الفارسية فلم تكن مركزا للدراسات الفارسية بقدر ما كانت مركزا للدراسات الآرامية وكان اغلبية قوادها من العلماء من النسطوريين، بيد انها كانت فى نفس الوقت مكانا عاما لاجتماع الثقافات — الفارسية والهندية، واليونانية والآرامية ايضا — وما ناولته للعرب كان مزيجا من كل هذه الثقافات .

وعلاوة على ما تقدم فلكى ينهض اى نوع من الثقافات الادبية يجب ان يتوفر عدد كاف من الاشخاص الذين يميلون للادب من جهة ويتوفر لديهم فراغ من الوقت ليعتنوا به، وتوفر وقت الفراغ لدى طبقة من الناس لا يكفى فى حد ذاته لخلق ثقافة ادبية على اى حال كما يدلنا التاريخ مرارا، بل يقينا لقد وضح لنا التاريخ ذلك مرة اخرى فى نفس تلك الفترة من تاريخ العرب اذ لقد وجدت مثل تلك الطبقة العاطلة فى الواقع فى مكة فى القرن الاول ومع انها قد اخرجت لنا مجموعة فائقة من الشعراء الا انها لم تخلف آدابا نثرية من اى نوع كان . وهذا بكل تأكيد من اقوى الادلة على انه لم توجد تقاليد خاصة بتدوين الآداب حتى فى مكة فى العصر الجاهلى . ولكن طائفة اخرى من الافراد العاطلين اى من توفرت لديهم اوقات

الفراغ قد ازدهرت فى العراق فى اواخر عهد الخلفاء من بنى امية واوائل عهد الخلفاء العباسيين نتيجة نمو حياة الاستقرار والحياة التجارية وبين هؤلاء اخصبت البذور بالطريقة السالفة الذكر وانتجت اول ثمار الادب .

ان العوامل التى لخصناها حتى الآن — تطور ادوات الكتابة والامثلة والنفوذ الذى كان للحضارات السالفة فى غربى آسيا ونهوض طبقة من الشعب يتوفر لديها وقت الفراغ — كافية فى حد نفسها لتعلل اول بزوغ للآداب العربية المدونة وقد اخرجت هذه العوامل، مستقلة عن العامل الذى سوف نناقشه الآن، ذلك النوع من الآداب العربية الصميمة الذى يطلق عليه اسم (الادب) وقد تتوفر لدينا الفرصة مرة اخرى للكتابة عن هذا الموضوع وسنكتفى بهذا القدر الآن .

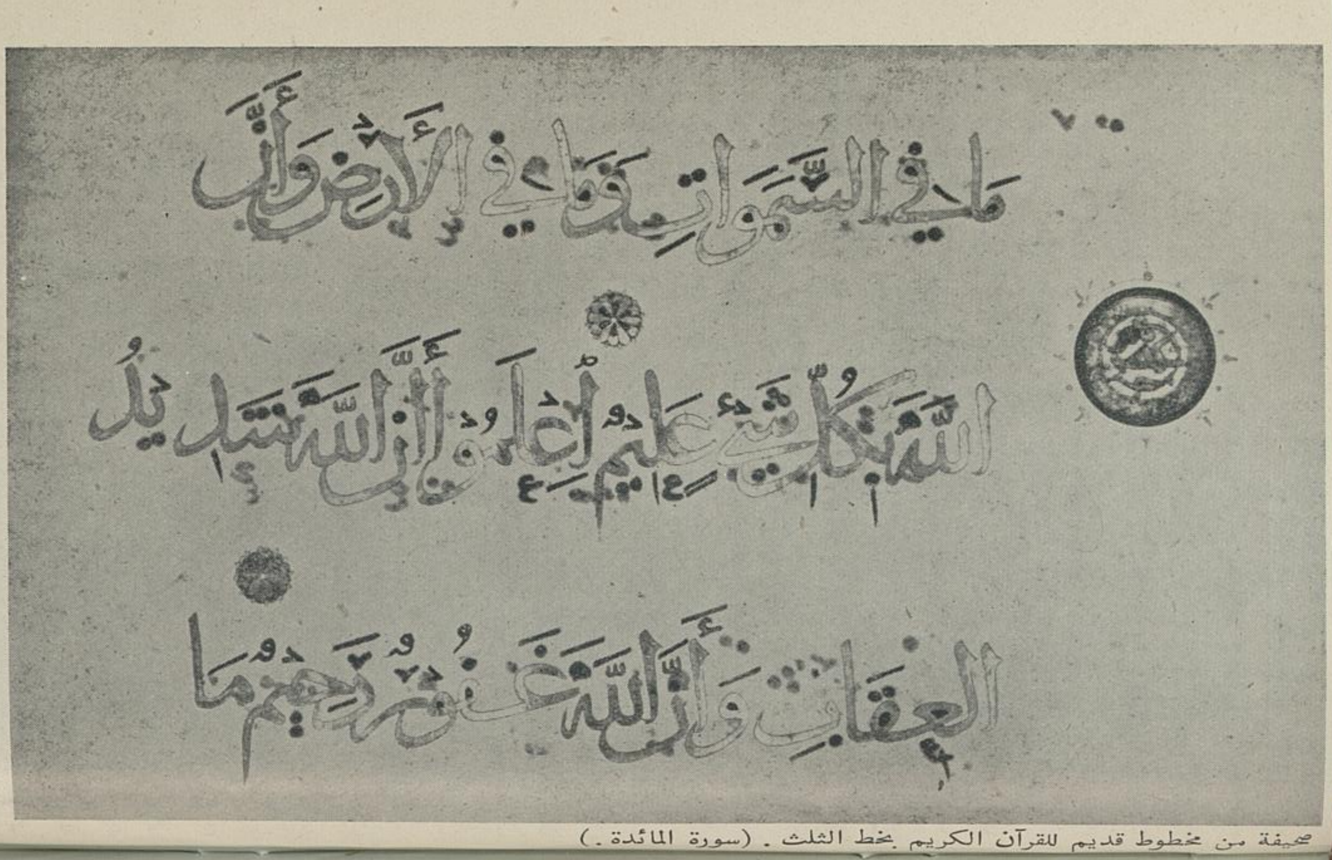
اما ذلك العامل الآخر الذى، بالاضافة الى الاسباب السالف ذكرها، يدخل فى فاتحة الانشاء العربى فله ايضا اصلان احدهما مادى والثانى نفسانى. واما الاصل المادى فهو الاضطرار الى ارشاد المنتمين الى دين الاسلام بلغة القرآن لا من بين الجاليات غير العربية فحسب بل الاجيال العربية ايضا التى كانت تزداد نموا فى الامصار. وكان الاصل النفسانى هو ما امتاز به العرب من شعورهم القوى نحو لغتهم واعجابهم الشديد بوفرة تلك اللغة وتراكيبها ولو كان هذا الفخر باللغة العربية والاعجاب بها قويا الى هذه الدرجة حتى فى ايام الجاهلية فما بالك به وقد نزل القرآن بتلك اللغة ونزح العرب على اثر ذلك الى خارج شبه جزيرة العرب ليحكموا اوطانا جديدة !

وهكذا فقد كان امرا طبيعيا، نظرا لشعور العرب هذا نحو لغتهم والرغبة فى المحافظة عليها من الفساد، ان تكون اللغة العربية اول موضوع دراساتهم الادبية حتى ولو كان عنصر الادب (والمقصود هنا الادب المكتوب) لم يغد ان يكون مجرد بذرة . وهذه هى الحقيقة التى تميز الادب العربى عن معظم الآداب الاخرى ان لم يكن عنها جميعها،

اذ فى الشعوب الاخرى جاء تطور دراسة اللغة من الناحية العلمية متأخراً نسبيا ولم يكن للطرق الفنية فى قواعد النحو والتحاليل اللغوية نفوذ كبير على انواع وصفات ادبهم ولكن فى اللغة العربية — سواء اكان نتيجة هذا خيرا ام شرا — كانت التطورات التالية فى الادب العربى تقع تحت تأثير الدراسات اللغوية التى تمت فى عصور التكوين .

لما كان موضوع هذا المقال هو فواتح تدوين كتب النثر فلست انوى ان اتصدى لموضوع فاتحة الدراسات النحوية فى اللغة العربية اذ كل ما يهمنا هو الشواهد او الحجج التى امد بها تاريخ الدراسات النحوية موضوع هذا المقال . وتاريخ تلك الدراسات، اى النحوية، يناسب موضوعنا بنوع خاص لان معلوماتنا المتعلقة بها، على الرغم من وقوع كثير من الالتباسات فى مراحلها الاولى، تفوق معلوماتنا فى اى دراسات اخرى ولانه لما كانت الدراسات النحوية قد تحولت الى دراسة علمية منظمة منذ وقت مبكر فانها ترينا بوضوح النشوء والتقدم التدريجى الذى مر به الادب المسطر .

ولو بدأنا بفحص الفهرست لابن النديم وهو من اهم المصادر التى تحت ايدينا لاستقاء المعلومات المتعلقة بفاتحة الادب لرأينا تفاصيل وحقائق تهمنا كثيرا، فيخبرنا هذا الكاتب مثلا ان اقدم مجلد رآه عن النحو كان يحتوى على اربع صفحات مدونة على ورق صينى ترجمتها (هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من ابى الاسود رحمة الله عليه بخط يحى بن يعمر) . هذه الجملة كما هو واضح تدل على ان محتويات هذه الورقات الاربع كانت عبارة عن مذكرات عن تدريس شفوى (كلام) وقد دونها احد تلامذة ابى الاسود، وفى الواقع تتكرر عبارة (روى عنه فلان وفلان) فى ما يحكى ابن النديم عن تدريس ابى الاسود . وعند ما نتحول الى ادباء الجيل الذى يتلوه لا نجد تغيرا يذكر فى الموقف، فيقول ابن النديم عن عيسى ابن عمر الثقفى «وله من الكتب كتاب الجامع [و] كتاب المكمل» ولكنه يضيف مباشرة « وقد فقد الناس هذين الكتابين مذ المدة الطويلة ولم تقع الى احد علمناه ولا خبر احد انه رآهما » واذ يروى لنا ابن النديم



صحيفة من مخطوط قديم للقرآن الكريم بخط الثلث . (سورة المائدة .)

ان عيسى بن عمر كان ضريرا فان لدينا كل عذر فى ان نشك فيما اذا كانت هذه الكتب قد دونت على الاطلاق او تعدت ان تكون مواد منظمة درسها شفويا فتداولتها السنة بعض تلاميذه. بيد ان ما يروى لنا عن (ابى عمرو بن العلاء المازنى) لمما يستلفت النظر حقيقة اذ يقول ان هذا الأديب كان نساخا لا يمل ولا يكل وان اكوام كتبه قد ملأت حجرة حتى لامست سقفها الا انه اتلفها كلها فى نوبة من الحماس الدينى. وجلى واضح هنا ايضا ان كلمة «كتب» انما يقصد منها كتابات او على الاكثر مذكرات ومع كل فان القصة ولو تحال مبالغا فيها الا انها تشير الى زيادة انتشار ادوات الكتابة بين فئة الادباء وان كان ابو عمرو نفسه قد علم تلميذه الاصمعى كلاميا وليس كتابيا.

من هذه العبارات وغيرها مما يشابهها تتوفر لدينا ادلة كافية للاشارة الى انه فى دوائر العلوم اللغوية الاولى كانت الدراسات كلها شفوية وعلى الرغم من ان الاساتذه والتلاميذ ربما دونوا كتابيا بعض المذكرات الا ان هذا شئ يخالف التأليف او تداول كتب كاملة التسطير. بل وحتى عندما نصل الى الكتب الشهيرة مثل كتاب العين للخليل بن احمد وكتاب سيبويه يظل موضوع التأليف مضطربا مشكوكا فى امره، فانظر مثلا ما يقوله مؤلف الفهرست عن كتاب العين. «قال ابو بكر بن دريد وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان واربعين [ومائتين] قدم به وراق من خراسان وكان فى ثمانية واربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا وكان سمع بهذا الكتاب انه بخراسان فى خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل احد ولا روى فى شئ من الاخبار انه عمل هذا البتة وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له واحذاه طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث».

اما عن كتاب سيبويه فهذا ما يقول «والطريق الى كتاب سيبويه

الاخفش [المجاشعى] وذلك ان كتاب سيبويه لا يعلم ان احدا قرأه عليه ولا قرأه سيبويه ولكنه لما مات قرئ الكتاب على الاخفش » .

وهكذا فمن تاريخ هذه الكتب الهامة وكثير غيرها مثل الموطأ لمالك بن انس والسيرة لمحمد ابن اسحق نرى انه حتى النصف الثانى من القرن الثانى لم تعلق اهمية لفكرة انتساب التأليف لمؤلف معين فكان «المؤلف» هو عبارة عن الاديب الذى ينظم مادة الكتاب او ينظم محتوياتها وهذه المواد كانت تتداولها تلامذة المؤلف شفويا ولا تدون فى صورة مقرر كامل الا بعد وفاته بعدة سنوات وقد حدث كثيرا انها دونت فى صور كتابية مختلفة كما هو معلوم فى حالة كتاب «الموطأ»، ولا تتكون فكرة التأليف كما يفهمها الادباء الا بعد ان تستقر سنة تسطير الكتب والذى نراه واضحا فى نشاط القرن الثانى ليس سنة ادب مسطر بل سنة التدريس الشفوى ينقل عن طريق رواة، ولا يناقض هذا كون هؤلاء الرواة قد دونوا فى بعض المناسبات مذكرات عن دروس من سبقوهم .

وتزداد هذه النتيجة وضوحا عندما نختبر ما وصل الينا من تلك الاعمال التى تنسب الى الجيل التالى من الادباء اللغويين، ولا ينسب لهؤلاء فى الغالب مؤلفات كبيرة شاملة مثل كتاب سيبويه مثلا بل تقرن اسماؤهم بعدد كبير من الرسائل القصيرة عن موضوعات معينة تتعلق باللغة او الشعر العربى، ومن اشهر هؤلاء العلماء الاصمعى الذى توفى فى سنة ٢١٦ هجرية والذى قيل انه كتب او املى عددا من الرسائل فى مواضيع شتى مثل الابل والخيل والنبات والاحوال الجوية وغيرها . وقد يتخيل لنا من هذه البيانات اننا قد وصلنا عندئذ الى عهد من التأليف الادبى فى الصورة التى نفهمها اليوم من هذا التعبير فلنتوجه ببصرنا الى الكتب ذاتها كما ورثناها .

والكتاب الذى يمكننا ان نستدل منه على اوضح صورة للعملية الادبية هو كتاب «فحولة الشعراء» وها كم فاتحة الكتاب .

ذبح البقرة والشاة أصمى الصيد فرك البرغوث
فصع القملة صدغ النملة عن ابى عبيد عن الاحمر وحطم
أحسن وأفصح لأن القرآن نطق بذلك في قصة سليمن
صلى الله عليه وسلم أطفأ السراج أخمد النار
أجهز على الجريح **فصل** في تفصيل أحوال
القتيل اذا قتل الانسان القاتل ذبحا قيل ذعطه
وسحطه عن الأصمعي فان خنقه حتى يموت قيل ذرعه
عن الأموي فان أحرقه بالنار قيل شيطه عن ابى عمرو
فان قتله صبرا قيل أصبره فان قتله بعد التعذيب
وقطع الأطراف قيل أمثله فان قتله بقود قيل
أقاده وأقصه

الباب السابع عشر

في ذكر ضروب الحيوان وأوصافها وأجناسها

صحيفة من مخطوط عربى يرجع تاريخه الى سنة ٦٠٠ هجرية. (مكتبة جامعة كمبردج.)

«قال ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى قال ابو حاتم سهل ابن محمد بن عثمان السجزى سمعت الاصمعى عبد الملك بن قريب غير مرة

يفضل النابغة الذبيانى على سائر شعراء الجاهلية وسألته آخر ما سألته قبيل موته من اول الفحول قال النابغة الذبيانى ثم قال ما ارى فى الدنيا لاحد مثل قول امرئ القيس (وقاهم جدهم ببنى ابيهم وبالاشقين ما كان العقاب) قال ابو حاتم فلما رآنى اكتب كلامه فكر ثم قال بل اولهم كلهم فى الجودة امرؤ القيس له الحظوة والسبق وكلهم اخذوا من قوله واتبعوا مذهبه . »

ومن هذه العبارات نفهم انه من غير الممكن باى صورة من الصور ان يقال ان الاصمعى قد سطر كتابا عن فحولة الشعراء فنستطيع أن نقول ان مهمة الاصمعى كانت ايجاد فكرة الكتاب ولكنه قبل ان يصبح قطعة من التأليف الادبى قد مر بمرحلتين اخريين فنقل عن طريق الرواية لا طريق الكتابة بواسطة ابى حاتم السجزى وفى النهاية نسقه وسطره ابن دريد اوشخص آخر املاه عليه ابن دريد . وان امعنا النظر فى الكتب الاخرى الباقية التى تنسب الى الاصمعى مباشرة لوجدنا ان اسانيدها تدلنا على امثال تلك الاحوال بعينها فمثلا كتاب الدارات يستهل هكذا «قال ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى حدثنى ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى » ويختتم هكذا «تم كتاب الدارات والحمد لله اولا وآخرا وهو عن ابى سعيد الاصمعى رواية ابى حاتم السجستانى . »

الا اننا فى هذه المرة لا نخبر عن الشخص الذى سطر الكتاب فى آخر الامر، ولكن فى مقدمة كتاب النبات والشجر يوضح الاسناد هذا الامر وضوحا لا غبار عليه اذ ينتهى هكذا «اخبرنا ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد قراءة عليه وانا اسمع فى ذى الحجة سنة ست وثلثمائة قال اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى عن ابى سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى » .

وهكذا فان كتاب الكرم ايضا الذى يقتبس جزئيا من تدريس الاصمعى قد نقله السجستانى الى ابى سعيد الحسن بن الحسن السكرى . وهذه الظاهرة بعينها تبدو فى كل المدونات الاولى التى خلفت لنا وهى تامة

الاسناد، بيد انه يحدث ان تخلف لنا هذه الكتب فى نسخ متأخرة حيث اغفل اسناد الكتاب .

وسنسرد هنا مثلا واحدا اخيرا لانه يزيد موضوع اسناد التأليف الى مؤلف نورا ووضوحا، هذا هو كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١ هجرية الذى يستهل هكذا «قال ابو محمد انا (اى اخبرنا) ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر بن بجير القاضى انا ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال أنا عبد الله محمد بن سلام الجمحى» .

فى هذا المثل نجد ناقلين هما ابو خليفة وابو طاهر القاضى وعندنا بعض التفاصيل من موارد اخرى بان هذا الكتاب قد نقله غيرهما من تلامذة محمد بن سلام . وفى الفهرست، كما لاحظ البروفسور هل المصدر الاول لكتاب طبقات الشعراء، ذكر ابن النديم كتابا يطلق عليه نفس ذلك العنوان منسوباً لا الى محمد بن سلام فقط بل الى ابى خليفة وغيره من الناقلين ايضا . ومن هنا يقال ان كتاب طبقات الشعراء قد الفه ثلاثة مؤلفين ولكنه هو نفس الكتاب الذى ينسب الى الجميع، فاذا لاحظ القارئ هذه النقطة دعه بعد ذلك يفحص فى الفهرست قائمة الكتب المنسوبة الى الاصمعى وابى حاتم وابى دريد ومن هنا يصل الى النتيجة التى يراها هو . واننى متأكد باننا لو كنا نملك بعضا من مئات الكتب التى تذكر فى كتاب الفهرست وغيره من الكتب عن الكتب والتى تنسب الى ادباء القرن الثانى لوجدنا نفس الظاهرة تتكرر مرات عديدة .

وبناء على ذلك نتوصل من كل هذا الى ان كافة النشاط اللغوى فى القرن الثانى والنصف الاول من القرن الثالث لم يكن معينا ولا محددا او ثابتا وكان يتلاءم فى ابرز مميزاته الى غيره من النشاط الادبى والدراسات الادبية المعاصرة، وبالاخص ان المؤلفات اللغوية المعينة، بما يفهم من هذه العبارة اليوم، والتى تنسب الى مؤلفين بالذات لا يمكن ان تؤرخ الى ما قبل اوائل القرن الثالث بعد الهجرة .

اننا نرمى الى ان نقدم لقرائنا فى هذه السلسلة الجديدة بعض قصص تبين بصورة واضحة بطولة الانسان التى لا تقهرها العقبات . وقد وقعت بعض هذه الحوادث حبا فى المغامرة فقط وبعضها فى سبيل نفع الانسان او مصلحة العلوم وبعضها لاسباب اخرى متنوعة ولكنها جميعا يربطها معنى اساسى واحد — هو ايمان الانسان البسيط وثقته فى الله وفى توفيقه .

رِحْلَةٌ عَابِسَةٌ

بقلم ستابلتون تروبل

فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ غادرت السفينة «ترا نوفا» ميناء كرايستشيرش فى نيوزيلندا وعليها ٦٥ رجلا قصدوا بشجاعة لا تقهر مواجهة اخطار وصعوبات مجهولة فى طريقهم الى اكتشاف القطب الجنوبى . وكانت هذه الجماعة مكونة من طاقم رجال السفينة وبعض رجال علمى الجيولوجيا والمساحة من اصحاب الخبرة والمراس وبعض رجال آخرين للقيام باعمال التخزين وبناء الاكواخ وكذلك جماعة من الضباط يقودهم الكابتن روبرت فالكون سكوت من ضباط البحرية الملكية البريطانية . وكان من بين هذه الجماعة عدد كبير من رجال الجيولوجيا وكان احدهم متخصصا فى علم الجغرافيا الطبيعية، كما كان من بينهم بعض رجال علوم وظائف الاعضاء والطبيعة والمساحة مما لم يسبق له مثيل فى اية بعثة استكشافية حاولت قبل ذلك اكتشاف القطب . وكان مع هذه

الاعلى : منظر لجزء من ظهر المركب «تيرا نوفا» اثناء رحلتها صوب الجنوب .
ويمكن رؤية بعض الكلاب التى تجر الزلاقات .
الاسفل : صورة رائعة لقاعدة بعثة سكوت الشتوية . ويمكن رؤية قمة اريبس من بعد .

البعثة فوق المؤن التى حملت بها السفينة ٣٣ كلبا من الكلاب المعدة لجر الاحمال على الجليد و١٩ حصانا صغيرا وثلاث زلاقات تسير بقوة الموتور.

وقد واجهت السفينة فى رحلتها صوب الجنوب جوا سيئا للغاية وعواصف ثائرة فاهتم الجميع بحفظ المخزونات والبضائع والاعتناء بشأن الخيول الصغيرة التى كان الاعتماد عليها كبيرا والتى ساءت صحتها بسبب الضربات الشديدة التى كانت تتحملها السفينة بفعل البحر الثائر. وفى يوم ٧ ديسمبر اى بعد سبعة عشر يوما من يوم اقلعت السفينة ظهرت اولى علامات الجليد. ومن ذلك الوقت اخذت الثلوج تقطع على السفينة طريقها باستمرار مما عطل من سرعتها. وقد اثبت سكوت فى تقاريره ان السفينة فى خلال ٢٠ يوما لم تستطع ان تبحر فعلا اكثر من تسعة ايام وانهم فقدوا تسعة ايام ونصف يوم عندما احاطت بهم الثلوج فلم يستطيعوا التقدم وانهم فقدوا يوما ونصف يوم يحاولون قطع طريقهم خلال الثلوج المتراكمة مما اضطرهم الى استنفاذ كمية ليست بالقليلة من المخزون من الفحم. وكان من دواعى فرحهم وابتهاجهم ان شاهدوا ارضا فى يوم ٣١ ديسمبر.

وفى يوم ٤ يناير سنة ١٩١١ القت السفينة مرساها عند رأس كروزير وافرغت حمولتها فى ظرف اسبوع. وقد حدث اثناء الافراغ ان فقدت احدى الزلاقات التى تتحرك بالموتور فى حطام الثلوج وهى الزلاقات التى كانت هذه الجماعة تعتمد عليها الى حد كبير. ثم بدأت الجماعة تعد كوخا لتتخذه كقاعدة اساسية ثم اودعت المؤن فى مكان امين وتم ايواء الحيوانات بعناية واخذت المقاييس الجوية وقامت بابحاث جيولوجية وعلمية.

ولم تكد الجماعة تتم انزال معداتها من السفينة حتى بدأت فرق منها تعد المخازن والمحطات التى لا بد منها عند بدء الرحلة الاستكشافية للقطب. وقد حدث فى اثناء عودة فرقة من تلك الفرق الى القاعدة انها

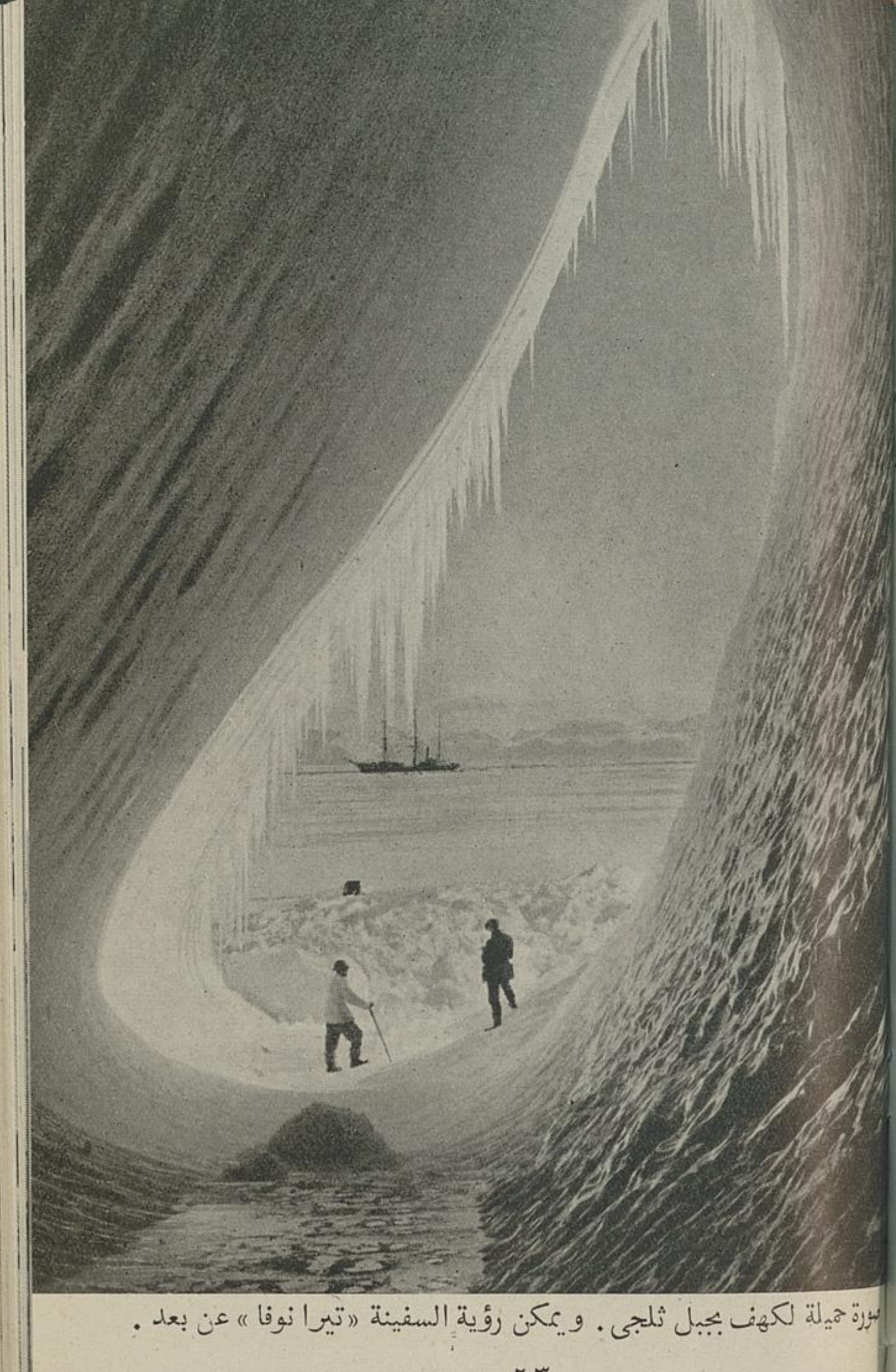
قررت حادثا هاما وهو ان آمندسن المكتشف النرويجى كان قد ضرب خيمه فى خليج ويلز. ومع ان هذا الخبر قد ازعج سكوت، لان خليج ويلز اقرب الى القطب الجنوبى بنحو ٦٠ ميلا من الطريق الذى كان سكوت قد رسمه لنفسه، الا انه قابله بثبات وصمم على الاستمرار فى طريقه كما لو كان الحادث لم يقع اصلا.

وفى خلال المدة التحضيرية للرحلة التى رسم فيها جميع الخطط فى الكوخ اجريت ادق الابحاث الجوية ودرست كل التفاصيل الجغرافية. وكانت هذه الابحاث فى مجموعها اهم واكمل ابحاث تمت عن هذا الجزء من العالم وامدت التقارير التى عاد بها من كتبت له الحياة من اعضاء هذه البعثة رجال العلوم بمعلومات قيمة فيما يختص بتكوين طبقات الارض فى النواحى القطبية.

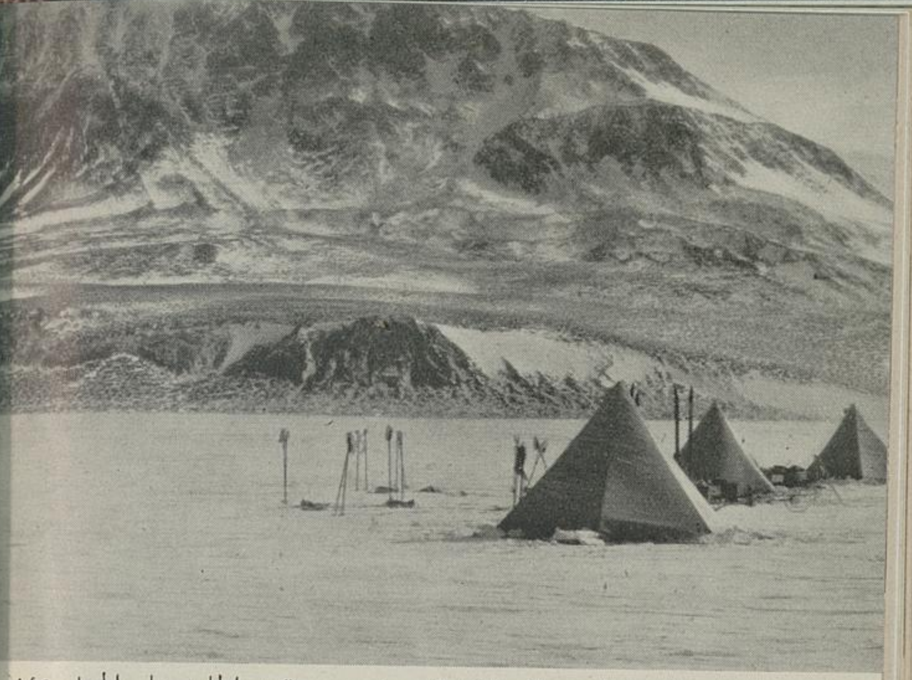
وقد قرر سكوت ان صحة جميع اعضاء البعثة كانت على اتمها وتكلم باعجاب شديد عن كليسولد الطباخ الذى كان الكثير من النجاح منوطا بكفاءته. وكان كل رجال البعثة فى حالة معنوية جيدة وقد احتفظوا جميعا حتى آخر لحظة بروح السعادة والزمالة التى تسودهم مع ان حياة العزلة والوحدة التى يحيونها كانت اهلا لان تلهب شعورهم بالحنين الى ارض الوطن.

وفى يوم ٣ مارس حلت بالبعثة كارثة عظيمة اذ حمل التيار كتلة من الجليد ربط عليها تسعة احصنة فجرفها ولم تنجح جهود رجال البعثة فى انقاذ هذه الحيوانات المسكينة التى فقدت كلها واستلزمت هذه الكارثة مراجعة كل الخطط التى اعدت للقيام بالرحلة الى الجنوب.

وفى يوم ٢ اغسطس عادت احدى الفرق الى القاعدة الرئيسية بعد خمسة اسابيع واجهت خلالها اشد ما يمكن ان يتعرض له الانسان من متاعب وصعاب وحدث افرادها عن شدة الزوابع والعواصف الثلجية التى وصلت الى درجة وسرعة لا تصدق. ولكنهم عادوا مع ذلك بفضل ثباتهم بمعلومات كانت جديدة عن حياة طائر الغلموت، واضافة الى ذلك—



صورة جميلة لكهف بجبل ثلجى . و يمكن رؤية السفينة «تيرا نوفا» عن بعد .



المستودع فى منتصف الطريق الى ثلاجة بيردمور. وقد اطلق على الجبل بمؤخر
الصورة اسم كلودميكر ويبلغ ارتفاعه ٩٩٧١ قدم.

وهذا امر له اهمية فائقة — بما اكتسبوه من خبرة فى تدبير المعدات والمؤن وتوزيع الاطعمة مما ساعد كثيرا على ترتيب اعمال البعثة عندما تم الاتفاق نهائيا على جميع الخطط. وبدأت الرحلة القطبية الطويلة فساعدت هذه الخبرة على تحقيق كل ما كان فى قدرة الانسان من استعداد لمواجهة ما ظنوه وقتئذ اسوأ الاحتمالات والظروف.

وفى يوم اول نوفمبر سنة ١٩١١ بدأت الرحلة المحفوفة بالاخطار وكانت الفرقة مكونة من الكابتن ر. ف. سكوت من رجال البحرية الملكية والكابتن اوتس من حرس انسكيلينج دراجون السادس والضابط ايفانز والملازم باورز والدكتور ويلسون والمستر تشيرى — جرارد والمستر رايت والضابط كرين والمستر اتكنسون الجراح والمستر لاشلى والمستر كيوهان المكلفين بالعناية بامر الكلاب والزلاقات الثلجية ومعهم بعض المساعدين.

وقد ارسلت الزلاقتان الثلجيتان الباقيتان فى المقدمة قبل الاحصنة والكلاب وذلك للعمل على اقامة المستودعات ورسم الطريق . وقد قدرت البعثة لنفسها مسافة ١٣ ميلا تقطعها فى اليوم الواحد . ولكن لم تلبث الصعوبات والمتاعب تواجههم وتظهر عليهم تدريجيا علامات الضعف والانحلال . ولكنهم مع ذلك ظلوا يقاومون الزوابع والعواصف الثلجية ويدفعون طريقهم من يوم لآخر حتى وجدوا انفسهم فى يوم ٢٤ ديسمبر مضطرين الى اطلاق الرصاص على احد الاحصنة الذى اصبح من الضعف بحيث لا يستطيع مواصلة الرحلة .

ولم تكن تلك خسارتهم الوحيدة فى ذلك اليوم فقد اضطروا الى التخلى عن الزلاقات الثلجية التى كانت البعثة تعتمد عليها الى حد كبير وذلك بسبب تعطيل وفشل هذه الزلاقات التى تسير بالموتور . وأمر جميع سائقيها بالعودة الى القاعدة فيما عدا اثنين منهم .

واستمر باقى اعضاء البعثة فى رحلتهم، وكانت الثلوج قد تراكمت وانهالت فغاصت الاحصنة فى الثلوج حتى افخاذها واصبح التقدم بطيئا صعبا . واضطر رجال البعثة الى اطلاق الرصاص على حصان آخر بعد ان قتل الاول باربعة ايام واصبح من الواضح بعد ذلك انه لن تمر بضعة ايام على الآخرين حتى يصيبهم ما لحق بغيرهم اذ اخذت كمية العليق تقل وتدهورت صحة الاحصنة . ومما زاد فى سوء الحال ان عاصفة ثلجية واجهتهم فى يوم ٣ ديسمبر فعطلت سيرهم . ورغم هذه الصعاب والت البعثة تقدمها على امل تحسين الجو حتى كان اليوم الخامس فضاعفت شدة العاصفة



الكابتن سكوت فى زى السير على الثلوج .

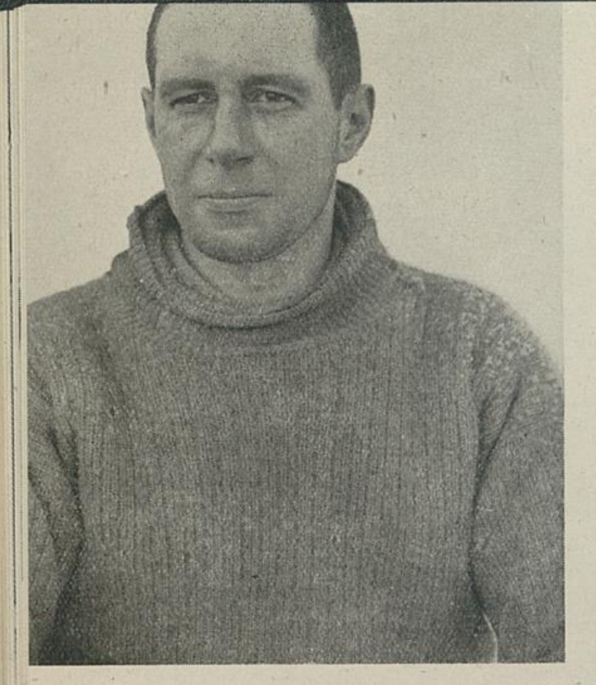
واضطروا الى ان يضربوا خيمهم لمدة اربعة ايام حتى بدأت العاصفة تفقد حدتها .

وبذلك فقدت البعثة اربعة ايام ضاعت عليها سدى وضاع معها مقدار قيم من الطعام والمؤن وترتب على هذه المحنة الشاقة انهم لم يروا بدا من اطلاق الرصاص على الاحصنة السبعة الباقية وكان اثر هذه الحادثة قاسيا عليهم الى حد ان اطلقوا على المكان اسم «ثغرة المجزر» واصبحوا بعد ذلك متكلين على كلابهم وزلاقاتهم الثلاث التى يجرها افراد البعثة وكان سكوت يجر الزلاقة الاولى ومعه ويلسون واوتس والضابط ايفانز اما الثانية فكان يجرها ادوارد ايفانز واتكنسون ورايت ولاشلى والثالثة كان يجرها باورز وتشيرى — جرارد وكرين وكيوهان . وفى اليوم التالى اضطر رجلان هما ميرز وديمترى ان يعودا الى القاعدة بالكلاب لانها بدأت تفقد قوتها ومراسها وبدأت تؤثر عليها الاحوال السيئة كل السوء . وبذلك لم يبق هناك من وسيلة للنقل الا الزلاقات التى يجرها الانسان .

وبذلك ذهب صوت تدليل الكلاب وحديث السائق لحصانه وصدى اقدام الاحصنة على الارض الجليدية الصلبة وحفيف الزلاقات التابعة لها .

واندفع رجال الزلاقات الثلاث حتى وصلوا مستودع «اعالى الثلوج» يوم ٢١ ديسمبر . ومنه عاد رايت وتشيرى — جرارد واتكنسون وكيوهان الى القاعدة عبر نهر جليدى ووجد الباقون رحلتهم صعبة قاسية بعد الزوابع الحديثة لان الارض بدأت ترتفع تدريجيا وتقل كثافة الجو كلما تقدموا جنوبا . ومع ذلك استمر الرجال فى تقدمهم يكافحون هذه الصعاب، وبعد اربعة ايام حدث ان سقط لاشلى فى هوة . وما زالت مصاعب الرحلة تزداد الى حد انهم وجدوا فى بعض المواضع انه من المستحيل ان يتقدموا حتى على الزلاقات، وفى يوم ٤ يناير سنة ١٩١٢ كلف ايفانز ولاشى وجرين بالعودة الى القاعدة .

وكان صدى اقدام الرجال الخمسة الباقين وخطواتهم فى الجليد يعكر الصمت المحيط بهم وهم يدفعون طريقهم بعزم وعناية الى القطب



الكابين اوتس الرجل الشهم الذى ضحى بنفسه متعمدا لانقاذ حياة زملائه .

بعض رجال البعثة — وهم من اليمين الى اليسار : كرين، الضابط ايفانز، جران، ديبنهام، الكابتن سكوت، باورز، الليفتينانت ايفانز، رايت، وتايلر .



قمة اريبس وقبة كلود مع ثلاجة ترى بمقدمة الصورة التى توضح جمال وبهاء الثلوج

الجنوبى . ولم يلبث الضابط ايفانز ان اصيب بتجمد يديه كما اصبح الجهد والتعب ظاهرين على كل رجل . وكانوا جميعا يقاومون جوا عابسا وريحا قاسية وهم يسيرون على ثلوج متخاذلة وفجوات عميقة وجليد غير ثابت ولا مستقر .

وبدأ مقياس الحرارة فى الهبوط واثبت سكوت انه وصل فى ١٤ يناير الى ٢٥ درجة تحت الصفر على ارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم وبدأت علامات التأثر بقسوة البرد تظهر على اوتس . ولكن هولاء المخاطرين البواسل ظلوا يشقون طريقهم فى هذه الصحراء البيضاء الغامضة الصامتة حتى وقعت عينا باورز الحادتان فى يوم الثلاثاء ١٦ يناير على نقطة سوداء لا يمكن ان تكون قطعة من الجليد . فتابعوا طريقهم اليها حتى تبين لهم انها علم اسود ربط الى زلاقة الى جانب آثار معسكر . وكانت آثار الزلاقات والكلاب على الجليد ظاهرة واضحة وبذلك ثبت ان آمندسن كان قد وصل الى القطب قبلهم فكانت صدمة عظيمة صدمة الفشل والخيبة .

وفى خيمة آمندسن عثرت البعثة على وثيقة تبين منها ان خمسة من النرويجيين هم روالد آمندسن واولاف اولافسن بزالاند وهيلمز هانسن وسفير ه . هاسيل واوسكار وستينج قد وصلوا الى القطب الجنوبى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩١١ اى قبل وصول بعثة سكوت بشهر واحد .

وعند تحديد مكانهم لاحظ سكوت ان العلامات التى اقامها آمندسن لتحديد مكان القطب الجنوبى تبعد ثلاثة اميال ونصف ميل عن الموقع الذى حدده هو واثبت ان القطب يرتفع نحو ٩٫٥٠٠ قدم عن سطح البحر . ولم تلبث البعثة بمجرد وصولها ان بدأت رحلتها الطويلة المتعبة المليئة بالمفاجآت الى قاعدتها الاصلية . وبدأت الاقدار تداعب هولاء الرجال الخمسة الذين كانت قوة احتمالهم الجسمية لا تقاس بقوة ارادتهم التى لا تقاوم وعزمهم وشجاعتهم . فكانت الاقدار تلعب بهم لعب القط بالفأر

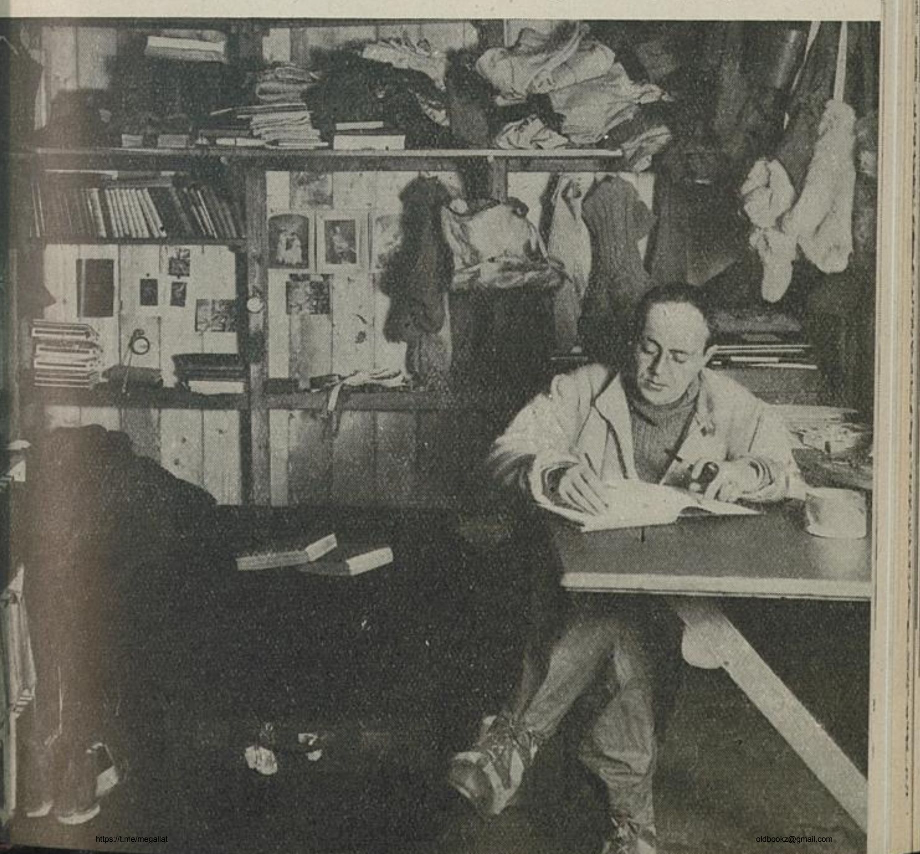
نظر آخر لقمة اريبس البركان الثائر بجزيرة روس . ويرى بمقدمة الصورة جبل ثلجى لكن الحكم على حجمه بمقارنته بالرجل الواقف عليه .



فلما كان يوم ٢١ يناير فاجأتهم عاصفة ثلجية شديدة اضطرتهم الى الانتظار بضع ساعات حتى بدأت تهدأ . واشتد البرد بعدها وسقطت درجة الحرارة الى ٣٠ تحت الصفر ووجد ايفانز الذى كانت يداه ما زالتا متجمدتين ان انفه ايضا قد اصبح فى مثل تلك الحالة المؤلمة وبدأت حالته الصحية تسوء كما قلت الاطعمة ونقص الوقود الى حد كبير . واستمرت حالتهم على هذا المنوال حتى صادفتهم بعد اربعة ايام زوبعة ثلجية اخرى . ومع ذلك فقد ظلوا يقاومون حتى وصلوا الى المخزن الذى يقع فى منتصف الطريق وتركوه ومعهم من المؤونة ما يكفيهم تسعة ايام ونصف يوم .

وبدأت حالتهم الصحية تسوء وساءت حالة اصابع ايفانز وانفه، واثرت الثلوج على قوة ابصار ويلسون، كما ان اوتس كان يشكو فقد

الكابتن سكوت يدون مذكراته .



الاحساس باحدى قدميه وذلك بتأثير البرد القارس ولكنهم مع ذلك ظلوا يكافحون ببطولة . وكانوا يتفقدون احيانا آثار رحلتهم فى الذهاب التى كانت الرياح اللداد قد عصفت ببعضها، واحيانا يقطعون الاميال بغير جدوى دائرين حول الفجوات السحيقة التى تكونت حديثا . واصبح نصيب كل واحد منهم من الاطعمة على قلة لا تكفى لان تزودهم بالقوة اللازمة لمكافحة هذه الصعاب بل لاتكاد تفى بالقدر الضرورى لتغذيتهم . واصبحت قدرتهم على المسير تتطلب مجهودا عظيما . وفى يوم ٢٨ يناير لما بقى عليهم ان يقطعوا نحو ٤٣ ميلا للوصول الى المحطة التالية لم يجدوا معهم من الطعام الا ما يكفيهم لستة ايام .

وحل بهم سوء الطالع فى ٣٠ يناير اذ اشتكى ويلسون فى هذا اليوم تصلبا فى ساقه مما نشأ عنه بطبيعة الحال ابطاء الجميع فى سيرهم . وفقد ايفانز طرفى اصبعين فاصبحت يداه فى حالة مريعة وسقط سكوت نفسه فى هوة فتصلب كتفه .

وبذلك هبط معدل السير . ومما زاد الامر تعقيدا ان ايفانز سقط فى يوم ٤ فبراير وكان سقوطه بشدة ترتب عليها اضطراب حواسه واصيب بالارتجاج فساءت حالته تدريجيا وبدأت جروحه والقطوع التى فى جسمه تتقيح وظهرت عليه علامات الضعف والوهن الشديدين . قد كانوا يكافحون لمدة سبعة اسابيع متوالية ريحا عاصفة لا تنقطع شدتها وبردا قارسا مما كان يكفى لاضعاف اى انسان يعوزه الغذاء الكافى . وفى ١٧ فبراير قضى الضابط ايفانز وودع الحياة بعد ما كانت قدرته على المقاومة قد بدأت تضعف قبل الوصول الى القطب . واصبح من الواضح ان حالته قد ساءت بسبب الصدمة التى لحقت به من تجمد اطرافه ثم السقوط بين كتل الجليد . ولا شك انه كان قد اصيب فى مخه عندما سقط فى ٤فبراير اذ ان قواه الفكرية تبلدت بعد ذلك الى حد عدم الحساسية تقريبا .

ثم تناقصت قدرتهم على قطع المسافة وقل الوقود ولم يعد فى استطاعتهم فى يوم ٢٤ فبراير ان يقطعوا اكثر من اربعة اميال . وسقطت درجة

الحرارة الى ٤٠ تحت الصفر ومع ذلك تابعوا رحلتهم باصرار حتى اصابهم القدر فى يوم ٢٠ مارس بثلاث ضربات قاسية اذ وجدوا انه لم يبق لديهم زيت كاف لقطع مسافة ٧١ ميلا حتى يصلوا الى المحطة التالية . والزيت مادة حيوية لا بد منها لطبخ طعامهم القليل وتدفئة خيمتهم . وحدث ان تجمدت اقدام اوتس فتسبب له عن ذلك الم لا يطاق . كما ان الريح التى رحبوا بها فى البداية قد انقلبت الى جو معتم ترتب عنه هبوط درجة الحرارة اثناء الليل الى ٤٠ درجة تحت الصفر .

وساءت حالة اوتس الصحية تدريجيا . وفى ١٠ مارس بدأ يتضح ان الامل فى حياته قد صار ضعيفا . وبعد اربعة ايام اخرى استيقظ اعضاء البعثة على عاصفة ثلجية حادة وادرك اوتس انه لا يمكن ان يعيش وان نصيب كل رجل من الاطعمة قد اصبح ضئيلا فقال لزملائه «انى ساخرج قليلا وربما قضيت بعض الوقت فى الخارج» ولم يعد مطلقا . كذلك خرج الى العاصفة الثلجية الثائرة رجل شجاع لملاقاة حتفه مضحيا بحياته على امل انقاذ حياة زملائه .

ولم تعد نهاية هذه المخاطرة بعيدة على الثلاثة الباقين اذ انه فى يوم ١٩ مارس وهم على بعد ١١ ميلا فقط من المحطة اضطرتهم زوبعة ثلجية الى الانتظار وتعلق هؤلاء الرجال باهداب الحياة بتشبث واصرار . وفى يوم ٢٩ مارس وهو آخر يوم فى مذكرات سكوت تحدث سكوت عن هذه الزوبعة التى كانت قائمة باستمرار من يوم ٢١ مارس واضطرتهم الى الانتظار فى خيمتهم وهم على استعداد لان يستأنفوا رحلتهم فى اية لحظة . وكانت الخيمة تهتز تحت شدة الزوبعة الثائرة ونفد طعامهم واضمحلت قواهم . وتبين الصفحة الاخيرة من مذكرات سكوت ايمانه وتواضعه واستسلامه لارادة الله وهى حالة قد ظهرت آثارها عليه وعلى زملائه طوال محنتهم المريعة . وتظهر الجملة القصيرة الاخيرة التى ختم بها مذكراته اخلاقه على أتمها وفيها يقول «انه شىء يؤسف له ولكنى اظن انى لن استطيع الكتابة بعد الآن» .



ورة تاريخية . والافراد من اليمين الى اليسار هم : الضابط ايفانز،
دكتور ولسون، الكابتن سكوت، الليفتينانت باورز والكابتن اوتس
قطب الجنوبى .

وبعد ثمانية اشهر اكتشفت جثثهم . ومع ان الكارثة كانت تواجههم باستمرار فانهم فى سبيل خدمة العلم والجيولوجيا احتفظوا باحمالهم الثقيلة من العينات الجيولوجية . ولم يعثر على جثة اوتس . وقد تبين من دراسة قصة هذه البعثة ان فقد الاحصنة بفعل تيار الجليد فى مارس سنة ١٩١١ قد اضطرهم الى تأخير رحلتهم الى القطب عن الميعاد الذى حدد اولا والى تحديد مقدار ما حملوه من اثقال . كما انه قد تسبب عن حالة الجو اثناء ذهابهم وعلى الاخص الزوابع الثلجية ان تعطل معدل تقدمهم فى السير . كما ان الثلوج الهشة التى كانت تصادفهم عبر كتل الجليد قد نقصت من سرعتهم . واثر ذلك كله الى حد كبير على معداتهم ومؤونتهم وما اختزنوه من وقود .

وكانت درجة الحرارة من العوامل المضادة اذ انهم واجهوا عند قمة

القطب بردا بلغ بين ۲۰ و ۳۰ درجة تحت الصفر . وفى عودتهم هبطت درجة الحرارة ايضا حتى كانت على الدوام بين ۳۰ و ٤٧ درجة تحت الصفر . وكان يصحب ذلك كله رياح عاصفة مواجهة لهم طوال سيرهم . وهكذا قضت تلك العقبات التى لم تكن فى حساب احد على قيمة التفصيلات الدقيقة والتفكير السليم والعناية الكاملة فى تقدير البعثة لحاجاتها الغذائية وكساء افرادها ومقدار ما اختزنوه من مؤن .

وهكذا يرقد الآن فى قبر من الجليد وفى وسط الصحراء البيضاء التى لا نهاية لها وفى راحة وهدوء لا يزعجها شئ بقايا خمسة من اشجع وانبل رجال العالم . . .

الراحة الأبدية تحت الثلوج الخالدة . قبر الكابتن سكوت والدكتور ولسون والليفتينانت باورز .



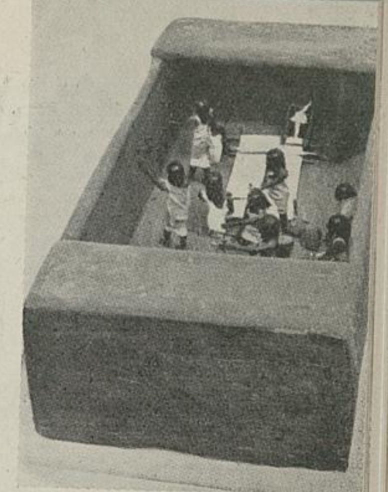
الأطرزة فى صناعة النسج المصرية

«تكشف لنا مصر عن احد المصادر وربما هو المصدر الاصلى الذى انفجر منه نهر الجمال وفاض باستمرار على العالم» .

ج . كابارت . فى كتاب «تراث مصر» (اكسفورد سنة ١٩٤٢) صحيفة ١١٩ .

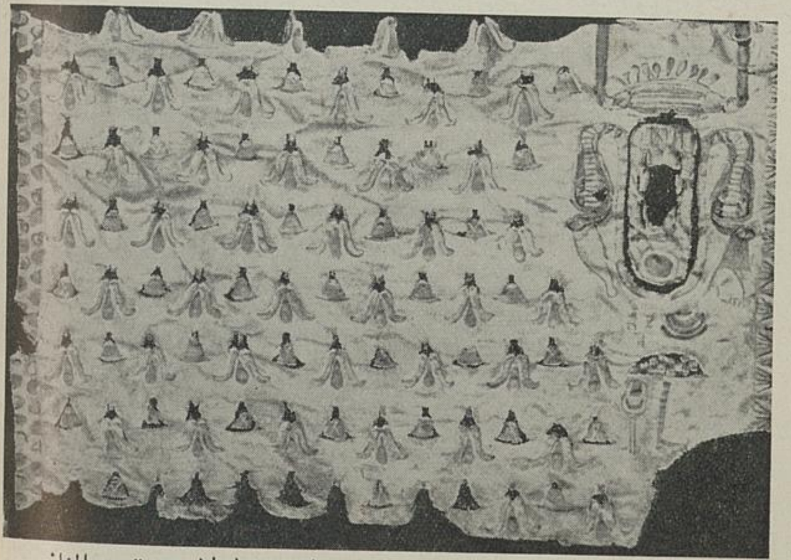
بينما تستحق التحف العظيمة من العمارة والنحت التى انضمت فى ثروة الانسان خلال القرون المتعاقبة ان تعتبر اهم واعظم ما اسدت مصر الى تاريخ الفن فان الرسامين ورجال الحرف من المصريين قد تركوا بدورهم اثرا لا يقل اهمية فى تقدم ما يعرف «بالحرف الصغيرة» التى من بينها قيام صناعة النسيج . وهى ذات اهمية عظمى ونفع كبير لحياة الانسان وسعادته، لان نتاج هذه الصناعة ليس مما يسر العين الناظرة فقط ولكنه يحقق راحة الجسم كله ايضا .وقد اعتزمنا فى هذا المقال وما يتلوه ان نستعرض باختصار بعض اعمال تصميم المنسوجات ورسمها فى مصر ومن بينها دراسة اعمال بعض الفنانين المصريين من الشبان الذين يدرسون الآن فى انجلترا .

ومع انه من المعروف من زمن بعيد ان قدماء المصريين قد تفوقوا فى نسج الاقمشة وتصميم رسومها الا انه لم تكتشف نماذج من اعمالهم فى هذه الناحية الا فى خلال الخمسين عاما الاخيرة . وتبين صورة مصنع النساج المأخوذة من قبر «مكترع» فى الدير البحرى (اللوحة رقم ١) منسجا بسيطا تنسج عليه ملابس قطنية . وقد حفظت منها عينات كثيرة وهى من التيل الابيض البسيط . ولكن حتى تاريخ اكتشاف «الكورسيه» الملون المنسوج الذى عثر عليه فى قبر امنحوتب الثانى لم نكن قد عثرنا بعد على نماذج لمنسوجات مرسومة ملونة ترجع الى تاريخ الدولة الحديثة



اللوحة ١ . مصنع الغزالين النموذجى—من قبر مكترع بالدير البحرى .

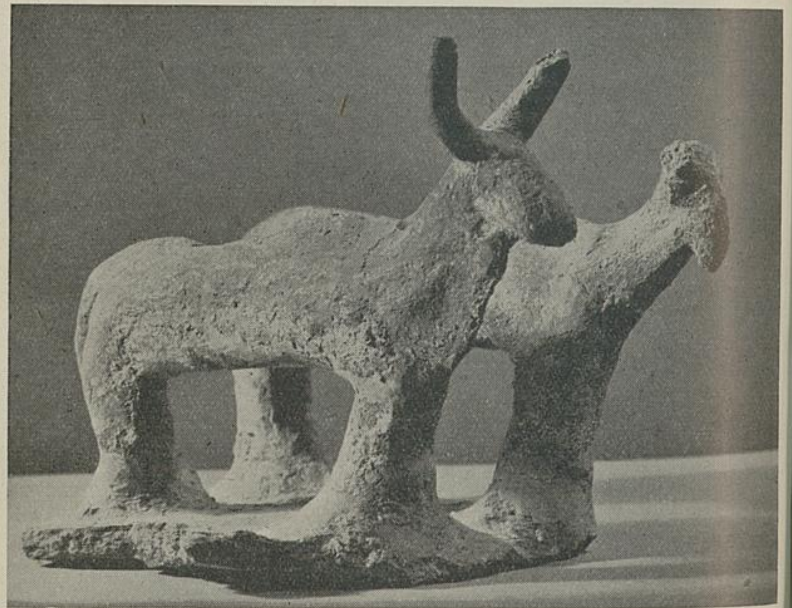
(الاسرة الثامنة عشر الى الاسرة الرابعة والعشرين) (اللوحة رقم ٢) . ومن المحتمل ان كثيرا من الرسوم التى نقشت على الاسقف فى قبور النبلاء فى طيبة تمثل منسوجات ملونة كما بين ذلك الاستاذ ب . ى . نيوبرى . بينما توجد الرسوم التصميمية بطبيعة الحال فى كثير من نماذج الاعمال اليدوية كصناعة المقابض من العاج والامشطة وصناعة الاوانى الفخارية فى العهد السابق على قيام الأسرات والنقش البارز على الاحجار الجيرية فى عهد الدولة القديمة (الاسرة الاولى الى الاسرة السادسة)، والتماثيل الملونة والتصوير على الحيطان فى عهد الدولة الوسطى (الاسرة الحادية عشر الى الاسرة الثالثة عشر) وتعطينا الالواح المرسومة على حوائط قصر رمسيس الثالث نماذجا للملابس المرسومة الملونة (اللوحة رقم ٣).



اللوحة ٢ . قطعة من قماش مغزول لرباط الوسط لامنحوتب الثانى .



اللوحة ٣ . الحائط من الصينى الملون بقصر رمسيس الثالث. (متحف القاهرة.)



اللوحة ٤ . نماذج حيوانات من الطين. (ستوديو ليمتد والصورة لديل ووينرايت.)





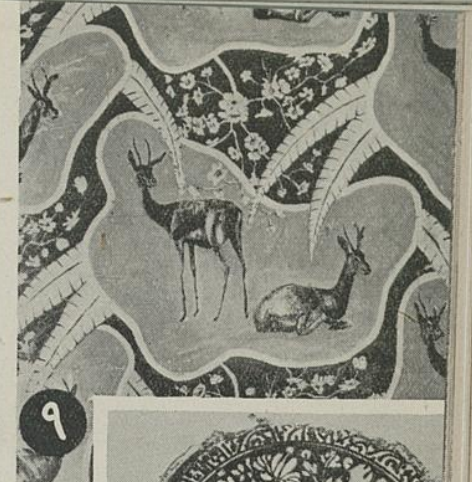
اللوحة ٥ (الى اليمين). رأس صولجان يمثل الملك العقرب. (ستوديو ليمتد والصورة لديل ووينرايت .)
اللوحة ٦ (الى اليسار) . اوانى فخارية ترجع الى عهد ما قبل الاسرات .

ويجب فى دراسة تطورات صناعة رسم النسيج فى مصر القديمة ان تذكر مختلف المواد التى استعملت فيها الرسومات الملونة اذ ان هذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن الحصول بها على صورة كاملة . ونماذج الاقمشة المصرية من العهد اليونانى الرومانى والقبطى كثيرة موجودة فى كل المتاحف الكبيرة . والواقع ان هذا الفن قد وصل الى درجة الكمال من الرقى فى القرون الستة من اول العهد المسيحى . واستمرت صناعة النسيج منذ الفتح الاسلامى فى تقدمها ، ونحن نراها الآن فى طريقها تحاول ادراك درجة اعلى . وقد استأثرت بعض الاطرزة خلال تاريخ الفن المصرى باهتمام الاجيال بعد الاجيال من الرسامين والمصممين . وسنختار من بين هذه الاطرزة الاربعة الاكثر انتشارا وذلك لنبين قوة التقاليد فى صناعة رسم



اللوحة ٧ . قطعة من الكلس — تمثل قارب زينة فى حوض . والنحوت منقوشة ومملوءة بالالوان . اما الزخرفة فهى من الذهب . الى اليسار : صورة لرأس الماعز وتمثال صغير صورت عن قرب .







اللوحة ٨ (الركن الاعلى الى اليسار) . تصميم
للآنسة عطية عويس .

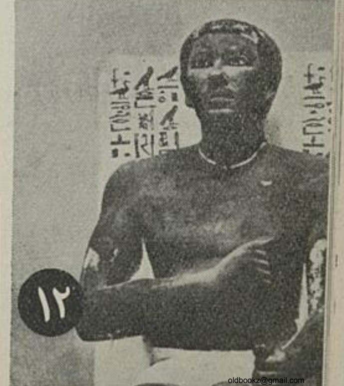
اللوحة ٩ (الركن الاعلى الى اليمين). تصميم
للآنسة فتحية خليفة .

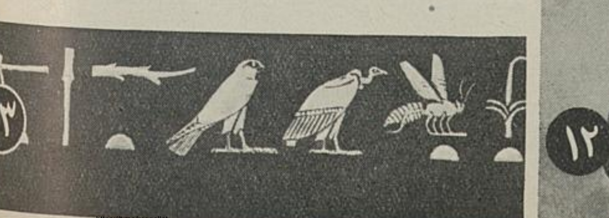
اللوحة ١٠. قطعة من زجاج ازرق مزين يرجع
تاريخها الى القرن الرابع عشر. (متحف القاهرة.)

اللوحة ١١ . حلى لصدر امنمحت الثالث.
(متحف القاهرة .)

اللوحة ١٢ . جزء من تمثال مصنوع من حجر
الكلس الملون لرع هلب يبين رسوم طيور .

اللوحة ١٣ . تفاصيل وجزئيات النقوش الابنوسية
والذهبية على كرسى الملكة حتب هرس الذى
وجد بقبرها . والحروف الهيروغلوفية هى من
ذهب خالص مطعم على ابنوس .





الاقمشة وتصميمها . ونحن فى كلامنا عن التقاليد فى صناعة رسم الاقمشة لا نعنى مطلقا ان المتأخرين من الرسامين والفنانين قد اسرفوا فى تقليد رسوم سابقيهم اكثر مما نعنى ان الفنان المصرى يبدى احساسا غريزيا بالنسبة لهذه الاطرزة . وهذا الاحساس مستمد من العوامل المحيطة به وهو لذلك يتأثر بها تأثرا يبعده عن الاطرزة الاخرى التى يحتمل ان يفضلها . وهذا العامل دائم التأثير حتى الآن وهو ملحوظ فى بقاء المصممين المصريين اوفياء لشخصية بلادهم العبقرية عندما يحاولون ان يجمعوا بين الاطرزة التقليدة وبين الاتجاهات الحديثة فى الفن الاوروبى . وقد تم من ذلك حتى الآن ما يعزز الثقة فى المستقبل الى حد كبير ويمكننا ان ننتظر بوثوق ثروة اضافية من جهة الفن الغربى مستمدة من دراسة المصممين الاوروبيين للموضوعات المصرية .

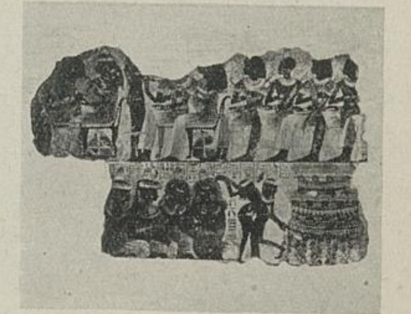
. . . .

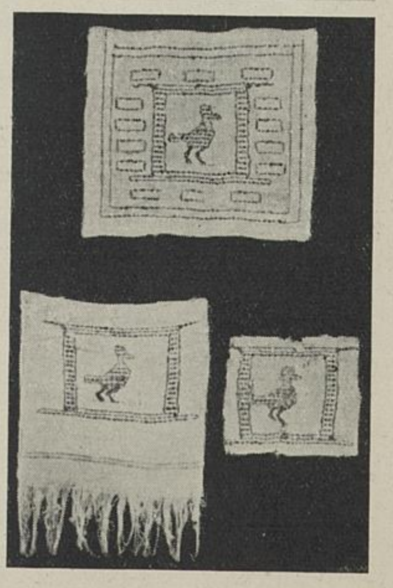
ولنبدأ اولا بالمعاملة الفنية للحيوانات ذات القرون وعلى الاخص الوعل والغزال . وقد احتذى الفنانون المصريون منذ اكثر من خمسة آلاف عام صناعة نماذج من الطين تمثل هذه الحيوانات (اللوحة رقم ٤) وهى ممتازة برشاقتها وحيويتها . وتبين لوحة ملونة من العهد السابق على الاسرات وجدت فى هيراكونوبوليس مجموعة من الاوعال فى اوضاع مختلفة (اللوحة رقم ٥) . ويوجد مثل بسيط لهذه المعاملة على نماذج من الفخار فى العهد نفسه (اللوحة رقم ٦) . وكان هذا الموضوع شائعا خلال الاسر المتعاقبة وقد بلغت معاملته حد الكمال فى عهد توت عنخ امون (اللوحة رقم ٧) كما ان معاملته فى العصر الاسلامى ظاهرة من قطعة من اناء زرقاء ترجع الى القرن السابع وهى محفوظة الآن بدار الآثار العربية بالقاهرة (اللوحة رقم ١٠) . ولتكملة هذه الحلقة التى يسهل توسعتها باضافة امثلة اخرى عديدة اليها، قد يكون من المفيد ان ندرس نموذجين حديثين للحيوانات ذات القرون ادمجت فى رسومات الاقمشة . فاللوحة التاسعة تعرض رسما اعدته الآنسة فتحية خليفة التى حضرت

لتكملة دراساتها بانجلترا فى عام ١٩٣٧ . ومن المفيد بصفة خاصة مقارنة هذا الرسم بالرسم المعروض فى اللوحة العاشرة التى تبين مجموعة مشابهة من الحيوانات والزهور مجتمعة . ويظهر عنصر التجديد فى رسوم الآنسة فتحية خليفة فى الشكل غير المألوف للاطار المرسوم حول الغزال . وتبين اللوحة الثامنة معاملة اخرى مفيدة للوعل وهو يرى هنا مع صور النخيل . وهذا التصميم من عمل الآنسة عطية عويس التى تدرس فى انجلترا من سنة ١٩٣٧ ايضا .

اما الموضوع الثانى فنتخذه من معاملة الطيور . واغلب استعمالها كان بلا شك فى الكتابات الهيروغلوفية القديمة وهى « الطيور الصغيرة السحرية » التى كتب عنها الشاعر الانجليزى جون درينكووتر اثناء زيارته لمصر . وقد وصلت هذه الرسوم حد الكمال فى عهد الدولة القديمة (اللوحة رقم ١٢) ولا شك ان رشاقة هذه الحروف الصغيرة واناقتها تعد فى نوعها وحيدة فى تاريخ الفن (اللوحة رقم ١٣) ومن الامثلة الشائعة لرسوم الطيور صورة الطير المنشور الجناح (اللوحة رقم ١١) وقد حوت آثار توت







اللوحة ١٤ (فى الاعلى) حلى للصدر مرصع بالاحجار الكريمة والزجاج الملون. اللوحة ١٥ (فى الوسط). منظر مأدبة من قبر فى طيبة . اللوحة ١٦ (تحت) . منسوجات قبطية من اخميم .

عنخ اسون نماذج جميلة من هذا النوع (اللوحة رقم ١٤) وتوجد نماذج عديدة للطيور المصرية فى «منظر الطيور» باحد قبور طيبة وهى محفوظة الآن فى المتحف البريطانى (اللوحة رقم ١٥) وتوجد امثلة كثيرة فجة ومتكلفة لطراز الطيور فى بعض المنسوجات القبطية التى نشأت فى اخميم (اللوحة رقم ١٦) بينما تظهر قطعة من الرخام وجدت فى قبة الملك المظفر بيبرس طريقة اخرى لمعاملة هذا الطراز الجميل (اللوحة رقم ١٧). وهذه الامثلة التى انتخبت حيثما اتفق تكفى للدلالة على قدم واستمرار التقاليد التى تقوم وراء رسوم الآنسة فتحية خليفة الدقيقة للطيور المحاطة باطار الزهور. (اللوحة رقم ١٨.)

وفى مقال آخر تال سنعرض بعض نماذج لمعاملة الازهار والاشجار فى الفن المصرى عامة مع اشارة خاصة الى معاملتها فى رسوم النسيج.

(يتبع)

اللوحة ١٧ (فى الاعلى). حجر من الرخام وجد بمقبر السلطان بيبرس الثانى الذى يحل محل قصر الوزير الفاطمى.

اللوحة ١٨ (الى اليمين). تصميم آخر من تصميمات الآنسة فتحية خليفة.



كبار المستشرقين من البريطانيين

ميكائيل سكوت

المستمعون الذين تتبعوا سلسلة الأحاديث التى ألقاها فى سنة ١٩٤٠ الدكتور برنارد لويس عن جهود البريطانيين فى الدراسات العربية، أو اولئك الذين اطلعوا على هذه المحاضرات حين طبعها المجلس البريطانى للثقافة فى كتيب خاص بمثل هذا الاسم، يذكرون التاريخ العام للدراسات العربية فى بريطانيا من القرن الثانى عشر حتى يومنا هذا. ولما كانت أحاديث الدكتور برنارد لويس قد أثارت اهتماما كبيرا فقد رجح لدينا أن نقوم بسلسلة جديدة من المقالات هى وإن شملت نفس موضوع البحث إلى حد ما فانها تفتح ميادين جديدة فى هذه الدراسة.

وفى سلسلتنا هذه نعتزم أن نقدم فكرة عامة عن سير عدة من المستشرقين البريطانيين يصح اتخاذهم مثالا للكثيرين من زملائهم وان نبين ما لهؤلاء من أياد على الدراسات العربية ونوضح فى استعراضنا لحياتهم وأعمالهم ذلك الاهتمام التى نالته اللغة العربية والثقافة العربية فى بريطانيا خلال زمن يتجاوز ثمانية قرون.

ولنجعل موضوع حديثنا الأول هذا رجلا هو من أقدم من درسوا العربية من البريطانيين كما أنه من أعظمهم قدرا، وهو وإن نسج الزمن المتطاول ستر الابهام والغموض على كثير من تفاصيل حياته وأحاطه بضروب من الأساطير فانه برغم ذلك كله يسطع نجمه من خلال تلك الغيوم شاهدا على أنه كان من عباقرة أيامه كما أن عمله قد عرف قدر منه يكفى للبرهنة على أنه كان مستشرقا يكفل له علمه أن يتبوأ مكانا فى الاستشراق البريطانى الرفيع المنزلة.

ذلكم هو ميكائيل سكوت، ولد قبيل سنة ١١٨٠ وربما كان ميلاده

عام ١١٧٥ أى فى نفس السنة التى اعترف فيها الخليفة المستضىء بصلاح الدين الأيوبى سلطانا على شمالى افريقية ومصر و سورية . وسكوت كما يدل اسمه من أبناء اسكتلندا، والقبيلية الاسكتلندية الكبيرة التى حملت هذا الاسم ادعت أنه أحد أفرادها البارزين، وإن صح هذا الادعاء استطعنا أن نرجح أن ميكائيل قد رأت عيناه ضياء الحياة للمرة الأولى فى مقاطعة فايف فى قرية بالويرس قرب كركلدى فى تلك البقعة التى شمخ فيها زمانا الحصن الشاهق الذى امتلكته قبيلة سكوت .

درس ميكائيل فى اكسفورد ثم فى باريس وفى جامعة باريس حاز لقب (الرياضى) ومن باريس انتقل الى بولونيا ثم إلى بالرمو . وكانت صقلية فى ذلك الحين تحت حكم الامبراطور فردريك الثانى وكانت لا تزال القصبة المزدهرة للثقافة العربية والدراسات العربية . وما من شك أنه هنا قام المتعلم الاسكتلندى الشاب بأوسع خطاه فى دراسة اللغة العربية وسرعان ما نجده فى خدمة الدون فيليب الكاتب المسجل للامبراطور فردريك .

ثم إن ميكائيل ارتحل من بالرمو إلى طليطلة قصبة ملوك كاستيلية وكانت مدينة طليطلة قد خرجت عن نطاق العالم الاسلامى قبل ذلك بقرن من الزمان أو اكثر وبرغم ذلك فانها كانت لا تزال محتفظة بالكثير من عاداتها العربية القديمة وما انتصف القرن الثانى عشر حتى صارت مركزا لمدرسة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وكان المستشرق الانجليزى أديلارد المولود فى مدينة باث قد زار اسبانيا فى اوائل هذا القرن وترجم الزيج الفلكى الذى وضعه المجريطى كما أن انجليزيا آخر اسمه روبرت اوف تشستر كان قد زار طليطلة فى حوالى سنة ١١٤٥ وعمل الترجمة اللاتينية الأولى لما كتبه الخوارزمى فى علم الجبر . وهكذا وجد ميكائيل أن مواطنيه قد شقوا له نهجا نيرا فى الدراسة العربية عليه أن يحذو فيه حذوهم ففى خلال إقامته فى طليطلة انكب على أول مؤلف هام له وانتهى منه فى سنة ١٢١٠ وهو (خلاصة لفلسفة ابن سينا) .

عاد ميكائيل سكوت من طليطلة إلى بالرمو فجعله فردريك منجم بلاطه . وكان فن التنجيم فى ذلك الزمان فنا رفيع القدر قام طلبته المبرزون بدور هام فى الحياة السياسية ذلك أن المنجم كان بتقديره وحسابه يعين الوقت السعيد الطالع الذى يحسن فيه البدء بعمل جليل أضف إلى ذلك أن ما يكسبه فنه من علم بالمستقبل مزعوم كان يجد سوقا نافقة بطبيعة الحال . ونحن اليوم قد نبتسم هازئين بهذا الذى نعده خرافة سخيفة آمن بها أهل الزمان الخالى فى بساطة وجهل، ولكننا يجدر بنا أن نتذكر أنه من علم التنجيم الكاذب نشأ علم الفلك الحق وأن المنجمين فى القرون الوسطى قد بذلوا كثيرا مما سبب اتساع آفاق المعرفة الانسانية .

ونحن لا نعرف إلا النزر اليسير عن رحلات ميكائيل سكوت فى باقى حياته . والفيلسوف العالم الانجليزى الشهير (روجر بيكن) اعجوبة زمانه شهد بمبلغ علم ميكائيل فى العربية وقال إنه جاء إلى اكسفورد فى سنة ١٢٣٠ جالبا معه مؤلفات ارسطو عن التاريخ الطبيعى والرياضيات مقرونة بشروح حكيمة حتى عظم شأن الفلسفة الأرسطية بين المتكلمين باللاتينية . ومن المحتمل أن هذه الزيارة التى قام بها ميكائيل إلى جامعته القديمة كانت قسما من سفارة أرسله فيها سيده الامبراطور بغرض إيقاف جامعات أوربا على كتب أرسطو باللاتينية التى قام هو وغيره من العلماء بترجمتها من العربية فى بالرمو .

وفى حوالى سنة ١٢٣٥ توفى سكوت ولا يستطيع أحد أن يجزم أين وكيف مات وإن كان هناك روايتان مختلفتان تعارض إحداهما الأخرى . أما الخرافة الاسكتلندية فتقول إن سكوت عاد إلى وطنه الذى فيه ولد بعد ترحله الطويل فى آفاق الأرض وهناك لقى حتفه إثر إقدامه الطائش على الأكل من خنزيرة ذبحت وهى لما تزل فى حرارتها ؛ وأما الرواية الايطالية فتعطى الوصف التالى للكيفية التى لاقى فيها مصرعه . توقع سكوت من معرفته بخفايا الغيوب أنه سيقتله حجر يسقط على رأسه ودفعه هذا إلى أن يبتكر خوذة خاصة تستطيع أن تصمد لضربة قذيفة ثقلها

اوقيتان ولبس هذه الخوذة على رأسه فى كل الأوقات، ولكن حكمته وبعد نظره ما كانا ليقياه من صروف الأقدار ففى يوم كان هو من المصلين فى كنيسة ايطالية وكان من تقاليد تلك الصلاة أن يرفع غطاء رأسه احتراما وإجلالا حين تحين اللحظة التى يرفع فيها خبز العشاء الربانى وما أن خلع ميكائيل خوذته حتى تفكك حجر من سقف الكنيسة وسقط على جمجمته العارية فخر فى الحال صريعا .

حظى ميكائيل سكوت وهو لا يزال حيا بشهرة بالعلم تبلغ حد الأساطير وبعد موته انتشر هذا التقدير الخرافى فى كل أصقاع القارة الأوربية كما أنه اخترعت الأقاصيص عن قواه الخارقة للطبيعة وذاعت ذيوعا عظيما فان أوربا كانت اذ ذاك لا تزال غارقة فى حلكة العصور المظلمة وكانت سوق الجهل والخرافة فيها رائجة فكيف لا يعتبرون كساحر قدير على المعجزات ذلك العالم الذى يستطيع أن يقرأ ويكتب ليس فى اللاتينية المعروفة لغة الكنيسة المسيحية فحسب بل فى العربية الغريبة لغة العالم الاسلامى . وليس فى ذلك من عجب فان الناس حين يكون حظهم من العلم الصحيح طفيفا يكونون على اهبة للايمان الساذج بأشياء يرفضها العقل المدرب ويعدها من المحال ولا خلاص من جبروت الجهل ونيره الثقيل المرهق إلا بانتشار المعرفة الحقة .

فنحن مثلا نرى أن كثيرا من الأساطير التى نمت وأحاطت باسم سكوت تعنى بالاشارة بموهبته الخارقة فى التنبؤ بالمستقبل ذلك أنه لا شئ يثير اهتمام النفس البشرية الضعيفة جيلا بعد جيل اكثر من تشوقها وشغفها باستطلاع خفايا ما يكنه القدر فى صحائفه للفرد . ثم إن سكوت باعتباره من علماء السيمياء أو الكيمياء الخرافية عده الناس وكأن لديه وصفات بارعة لتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب إبريز وفى دائرة علمه كل أسرار الموت والخلود، ونحن لا نقرأ عنه فى كتابات الأجيال التالية إلا متنكرا فى هذا الزى الشنيع فدانتى يذكره فى جحيمه كأحد اولئك الذين تفقهوا فى أخاديع السحر فتملكوا زمام الخداع المعسول كما أن بوكاشيو

يصفه بأنه من أفذاذ علم العرافة والسحر وتبارى الروائيون من الطليان
والاسكتلنديين فى اختلاق براهين جديدة على حكمته الفائقة لاستطاعة
البشر، وحتى تتصل حلقة الأساطير قرنا بعد قرن حتى نجد السير
والتر سكوت وهو عضو آخر ذائع الصيت من أعضاء قبيلة سكوت، نجده
فى اوائل القرن التاسع عشر يقدم إلينا ميكائيل فى (انشودة المغنى
الأخير)، وحتى كولريدج العبقرى فكر وقتاً فى وضع قصة تمثيلية عن حياة
ميكائيل سكوت إذ كان يعد تلك الحياة عبرة أروع من قصة
الحكيم فاوست التى اتخذها كل من كرستوفر مارلو وجوته ملهما
لقصة تمثيلية.

ولكن لنا أن نغضى النظر عن كل هذه الأقاصيص الخرافية التى نسجها
القصاصون فى القرون الوسطى حول الحياة البسيطة التى عاشها ذلك
العلامة فلنقف اهتمامنا على ما نستطيع الآن أن نثق بأنه القسط الذى
أسداه ميكائيل سكوت إلى المعرفة الانسانية ولنذكر فضله الحق الذى عليه
وحده يقوم استحقاقه لخلود الذكر. توجد كثير من الكتب والدراسات
التى تنسب إلى سكوت ولكننا لن نذكر منها إلا ذلك العدد القليل الذى
نستطيع أن نجزم بأنه من تأليفه حقا. وأشهر مؤلفاته هو كتاب علم
الفراسة الذى يدور على كيفية الحكم على شخصية المرء بدراسة أوصافه
الجسمانية ويحتوى على قسم يختص بأسرار التناسل، وقد طبع هذا الكتاب
لأول مرة فى سنة ١٤٧٧ ثم ترجم إلى عدة لغات وعرف أيضا بعنوانه
الآخر (كتاب الأسرار الطبيعية) ذلك العنوان الذى أحاط الكتاب بهالة
من التقدير الخرافى فان اولئك الذين لم يعرفوا من اللاتينية اكثر من
القدر الذى يمكنهم من فهم هذا العنوان خلقوا فى ذهنهم صورا وأخاييل
عن العجائب والغرائب التى تحتويها صفحات هذا الكتاب. وكتاب آخر له
هو (المسألة الدقيقة عن طبيعة الشمس والقمر) وموضوعه علم السيميا
القديم الذى كان أبا علم الكيمياء الحديث، ومنه البحث عن الكبريت
الاحمر. ومن مؤلفات سكوت عن أرسطو ترجمته لكتابه عن الحيوان

وقد نشرت هذه الترجمة فى سنة ١٤٩٢ . وله دراسات أخرى لا تزال فى نسخها الخطية لم تطبع بعد ومن هذه ترجمات لشروح ابن رشد على ما كتبه أرسطو عن (السماء والأرض) وعن النفس . وإذ كان ابن رشد لا يزال حيا حتى سنة ١١٩٨ فان تعليمه كان لا يزال مزدهرا حين بدأ سكوت بدراساته ولذلك نستطيع أن نعتبر تفاسيره للفيلسوف الاسلامى العظيم حجة يؤخذ بها، وفى الحق إن الفضل يرجع إلى ميكائيل سكوت اكثر من أى رجل آخر فى ذيوع اسم ابن رشد — أو كما ترجم الى اللاتينية أفيروس (Averroes) — فى أوربا فى القرون الوسطى حيث استخدم رجال المدارس المسيحية شروحه على فلسفة أرسطو كأساس بنوا عليه فلسفتهم هم .

أنجبت اسكتلندا كثيرا من الفلاسفة العظام فى تاريخها الطويل الباهر الذى تزدان صفحاته باخلاص متحمس لا ينقطع فى خدمة التعليم وطلب العلم، وفى هذه القلادة النفيسة من العلماء يتخذ ميكائيل سكوت مكانه كجوهرة من أبرز جواهرها سواء فى قدم العهد أو فى غلاء القدر وإن روح الاستطلاع والاستكشاف تلك الروح الخالدة التى حملت الاسكتلنديين جيلا بعد جيل إلى أقصى أطراف الأرض قد حملت سكوت فى عصره ونأت به عن مروجه المحببة إلى قصر بالرمو ومكتبات طليطلة . هناك أهل نفسه لهذا العمل السامى ألا وهو نقل ما تركه فلاسفة الاغريق من تعليم إلى العالم العربى محفوظا من الضياع ومشروحا شرحا صحيحا على يد عظام الفلاسفة فى الاسلام . فهو قد جاهد حتى بنى جسرا يصل بين ثقافتى الغرب والشرق وبهذا ينشىء فلسفة عالمية تتجاوز حدود الجنس واللون والدين فاذا راعينا عصره الذى عاش فيه والحدود التى فرضتها عليه بيئته استطعنا أن نقول إنه حاز قسطا كبيرا من النجاح فى هذا المضمار ولما كان علم الاستشراق الحديث يجاهد فى نفس هذه الغاية فان ميكائيل سكوت يمكن أن يسمى بحق أبا الاستشراق البريطانى وإنه لجدير بأن يعد من أسبق المستشرقين البريطانيين وأجلهم مقدارا .

البقال جودت افندى

بقلم اغا عزت

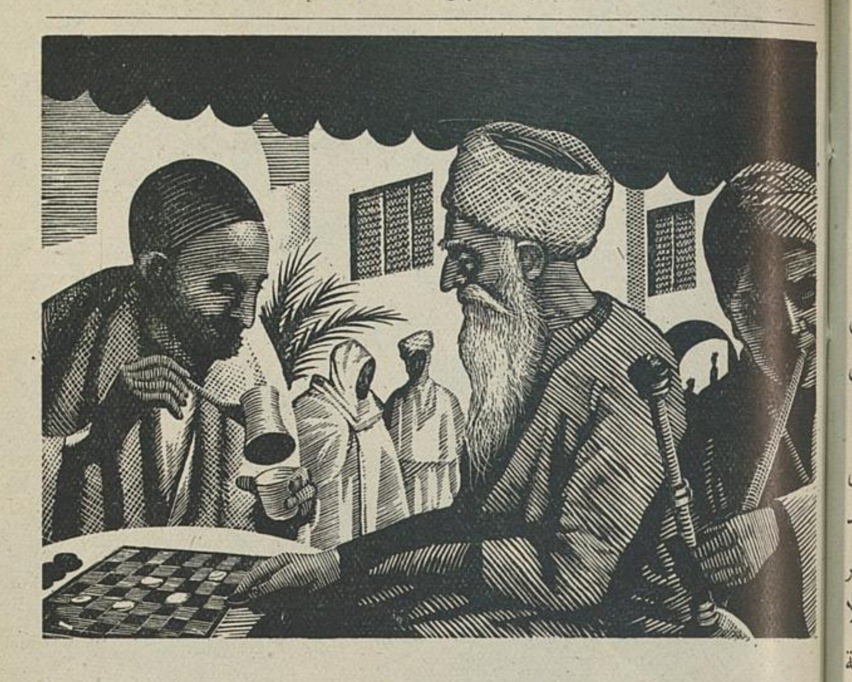
كان احمد قضى خمس سنين كتابع لجودت افندى البقال العجوز الذى
احتكر البقالة فى هذا الحى المتواضع من المدينة لنحو اربعين عاما ومع ان
احمد لم يكن يشكو لاحد الا انه ربما لم يكن سعيدا بعمله على الاطلاق .

وكان جودت افندى يقوم باطعامه وبكسائه الذى كان يعتمد فيه على
كل ما يمكن الوصول اليه من الملابس المستعملة، كما انه اعد لسكنى احمد
الغرفة الصغيرة التى تقع الى جوار غرفته فوق محل البقالة . وبلغ اجر
احمد اليومى نحو ٢٥ مليما وبالاختصار فمع ان احمد التابع لم يكن جائعا ولا
محتاجا وكان عنده من الملابس ما يقيه تقلبات الجو ومن النقود ما يفى بحاجات
جيبه فان ذلك كله لم يكن ليكفى شابا مثل احمد فى الخامسة والعشرين
كان كجميع من فى سنه يحلم بالملابس الجميلة واللهو وامتاع النفس .

وكان لجودت افندى البقال الوحيد فى الحى زبائن كثيرون . ولكن
الايام كانت تمر فى حالة متواضعة، ففى الصباح اعتاد الزبائن من رجال
ونساء واطفال ان يترددوا على المحل وتدور ضوضاء البيع والشراء نحو
ساعتين ثم يعقبهما صمت عميق يترك فيه جودت افندى المحل لاحمد
ويذهب اما الى غرفته لتحضير البرقوق المحلى او الى قهوة الحى حيث
يشغل نفسه بلعبة الدومينو والطاولة مع بعض المتقاعدين الذين يكونون
فى انتظاره .

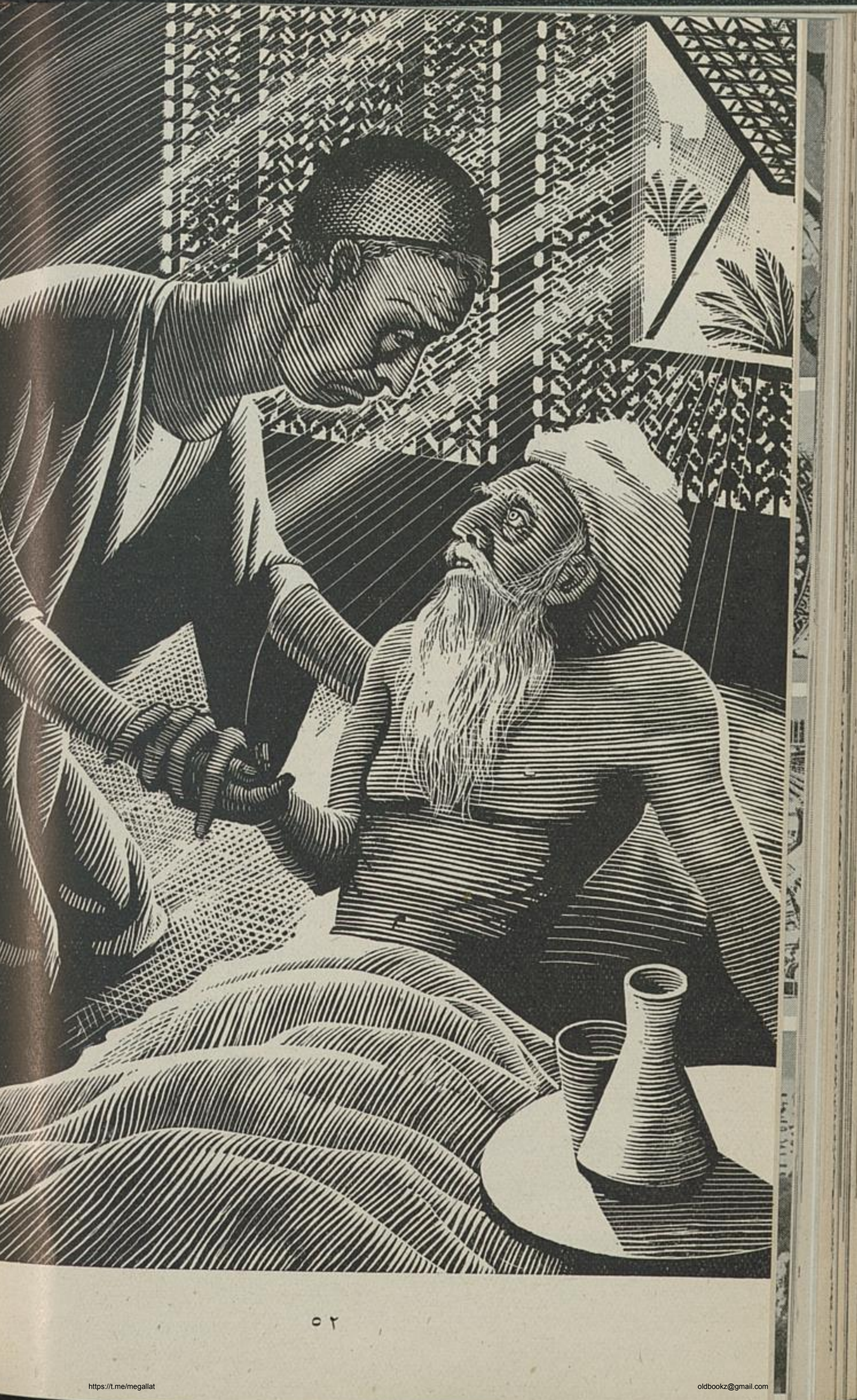
وفى المساء تعاود المحل نفس حركة الصباح . لكن لا تكاد الشمس
تغرب صيفا او شتاء حتى ينقطع المارة فى الشوارع ويحين الوقت لجودت
افندى وتابعه لغلق المحل والذهاب الى النوم فى الطابق الاعلى .

وكان اهل الحى جميعا يعتقدون ان جودت افندى واسع الثروة وا



بدلا من انفاق آلاف الليرات التى تجمعت فى محله خلال الاربعين عاما التى قضاها كبقال الحى حولها الى ذهب ودفنها فى جرة فى باطن الارض . والواقع ان طريقة معيشة جودت افندى كانت تبرر اعتقاد اهل الحى فيه . فمع ان عمره كان يبلغ السبعين فان احدا لم يتح له الدخول الى منزله ولم يكن له اقارب او صلة باحد . وكان يطبخ طعامه فى فراغ يقع خلف الدكان اعده كمطبخ ثم يتناوله مع تابعه . ولم يدر فى فكره مطلقا فى سنواته الاخيرة ان يعد لنفسه منزلا صغيرا ويتزوج من امرأة فى منتصف عمرها تتولى العناية بامره . وكان جميع اهل الحى ينتقدون بخل جودت افندى ويتهمونه بانه يعيش عيشة غير آدمية .

وفى يوم من الايام اصيب جودت افندى فجأة بمرض الزمه الفراش وازدادت حالته سوءا على مر الزمان . ووقع عبء العمل كله على تابعه احمد . وكان احمد اذا فرغ من الزبائن قضى وقته اما فى اعداد اللبن او الدواء لسيده او التردد على الطبيب او الصيدلى .



وفى لحظة فتح جودت افندى عينيه بعد نوم عميق ونادى احمد الذى كان ينتظر على قلق بجوار الفراش قائلا «ولدى احمد انى لن اعيش اكثر من خمسة ايام او ستة فاصغ الى جيدا انى اود ان اسر اليك بخبر» .

وبدأ احمد يتسمع بانتباه . وبعد ان تنفس جودت افندى بصعوبة عدة مرات استمر قائلا «لقد اشتغلت عندى يا ولدى نحو خمسة اعوام وانى شديد الامتنان لعملك . وكان الذين سبقوك فى العمل اما لصوصا او مشئومين . ولكنك كنت جديرا بالثقة كما لو كنت ولدى . ولذلك جعلتك منى فى منزلة الابن . وليس لى اقارب يمكن ان يرثوا ما اترك، ولكنى للاسف لا املك ذهبا فى جرة مدفونة فى الارض كما يظن كل انسان . وثروتى قاصرة على هذا المحل وما فيه وخمس ليرات فى الدرج » .

واستمر قائلا «وانى لم اجمع ثروة لانى شخص يسره ان يعطى كل ما عنده للأرامل والسائلين واليتامى كما انى لم اتباه بذلك . ولذلك لم اخبر احدا بما فعلته لمساعدة الفقراء، واوصيت كل من وصله منى نقود ان يبقى الامر سرا لا يعرفه غيره . وعناوين هؤلاء الذين ساعدتهم وواليت الاهتمام بامرهم ومجموع المبالغ التى كنت اهبها لهم كل اسبوع قد اثبتت جميعها فى دفتر الجيب . وانا اهديك محلى ومحتوياته على شرط واحد وهو ان تستمر فيما كنت اقدمه من مساعدات وان توالى الفقير بعطفك وان تستمر على دفع الاعانات الاسبوعية المخصصة من غير تأخر» .

وكان احمد حائرا فى اول الامر بما يسمعه من الاخلاق العالية من جهة البقال العجوز الذى اتهمه الجميع بالبخل ولكنه لم يلبث ان امسك بيده والدموع تملأ عينيه . وبعد يوم او يومين تمت جميع الاجراءات القانونية وحول محل جودت افندى البقال بما فيه من بضائع الى ولده الروحى احمد . وبعد اسبوع قضى جودت افندى فى سلام مودعا هذا العالم .

وقد وافق بعض الناس على عمل جودت افندى البقال وعلى معيشته

المعتزلة مع انه كان فى صحة جيدة وعلى مثل ما كان يغمله من توزيع اسواله مما لا يفعله غيره . على ان بعض الآخرين لم يقروا صنعه .

وهؤلاء الذين وافقوا على اعماله كان رأيهم انه من المروءة ان يضحى المرء بنفسه ليوقى الآخرين شرالفقر . وهؤلاء الذين لم يوافقوا على تصرفاته كان رأيهم ان كل شخص يكسب عيشه بالعمل والسعى لاكتساب الزبائن من واجبه بالنسبة للمجتمع والمدنية ان يحيا حياة انسانية بطريقة مريحة . ومع انه قد يكون عملا عظيما من الناحية الروحية ان يعمل المرء على ازالة متاعب الآخرين الا انه ليس من حق احد ان يقضى على نفسه باعتزال العالم .

اما ان اى الفريقين على حق فى رأيه فنحن لا نبدى رأيا اعتقادا منا بان الفصل فى ذلك ليس من اختصاصنا ونقتصر كقصاصين على رواية الحادثة كما وقعت . (مترجم من الاصل التركى .)

كونفوشيوس ومقتطفاته

بقلم الدكتور ليونيل جايلز

ترجع بعض شهرة كونفوشيوس خارج وطنه الى الحقيقة المعروفة من ان احد المبشرين اليسوعيين القدماء قد حرف اسمه (كونج فو تزو او المعلم كونج) واعطاه صيغة لاتينية وجعله كلمة يسهل التلفظ بها حتى عم رواجها فى جميع انحاء العالم. ولقد كانت عائلته تعرف باسم كونج وكان اسمه الشخصى تشيو كما انه كان يعرف غالبا عند خاصة اصدقائه باسم تشونج - نى. على ان مذهب كونفوشيوس لم يترق الى مرتبة المذهب القومى الا بعد أن توفى صاحبه بنحو ٣٠٠ عام نشأت فى خلالها حول اسمه بعض الأقاصيص والخرافات التى سرعان ما اعترف بها كحقائق تاريخية. وقد ادرجت بعض هذه الاقاصيص فى تأليف المؤرخ سو - ما تشيان فى بابه المفصل عن كونفوشيوس، وهذا الباب اول محاولة لوضع سيرة له منظمة. ويجب ان نزيد حذرا واحتياطا فى كل ما يروى من اخباره بعد ذلك التاريخ.

يقال ان كونفوشيوس قد ولد حوالى منتصف القرن السادس قبل الميلاد فى قرية قريبة من عاصمة ولاية لو القديمة (مقاطعة شانتونج الحالية) وكان والده جنديا اشتهر بالقوة وشدة البأس وقد تزوج من سيدة تقل عنه فى العمر كثيرا تم توفى وولده الوحيد فى الثالثة من عمره وبقيت عائلته فى حالة فقر وحاجة. وتزوج كونفوشيوس نفسه فى سن التاسعة عشر وانجب ولدا لم يعرف بالامتياز فى شىء وفتاتين لا نعرف عنهما شيئا بتة. وبعد ان اشتغل كونفوشيوس فى وظيفة صغيرة بادارة الحبوب تركها الى التدريس وسرعان ما احاطت به جماعة من الطلبة المخلصين. ويقال انه فى سن

الخمسين التحق بخدمة عائلة تشى من اعيان مقاطعة لو وعين حاكما لاحدى مدنها . ومن الراجح إن هذا الخبر ثابت ثبوتا كافيا اما ما روى من انه عين بعد ذلك مديرا للاعمال ووزيرا للجرائم فى حكومة الامير تينج فقليل الاحتمال لاسباب كثيرة ويجب عدم الأخذ به نظرا لانه لم يقم عليه دليل كاف . كما انه لا يمكن ان نثق بالرواية المثيرة التى تذاع عن احدى مؤامرات القصر التى انتهت باقصائه عن عمله الرسمى فى عام ٤٩٦ قبل الميلاد . وكل ما نعرفه انه لسبب من الاسباب حل به غضب اولياء الامور فاضطره ذلك الى هجرة موطنه والتجول الدائم لمدة اثنى عشر عاما صحبه فيه بعض المخلصين من اتباعه وتلاميذه . فأخذ ينتقل من ولاية الى أخرى باحثا عن حاكم من حكام النظام الاقطاعى قد يكون على شىء من النور والعلم حتى يطبق تعاليمه . وقد قابله بعضهم بشىء من الرعاية وبعضهم بعداء صريح ولكن احدا منهم لم يعهد اليه بالعمل الذى رأى نفسه اهلا له. وسمح له فى آخر الامر بالعودة الى ولاية لو وذلك كما يظهر بمسعى بعض تلاميذه السابقين فعاد اليها عجوزا متعبا متشائما وهناك قضى السنوات الخمس الباقية من حياته بعيدا عن الاشتراك فى السياسة ومشتغلا بالتأليف وربما كان من بين ما الفه «كتاب الاغانى» وتدوين الوقائع التاريخية المعروف باسم «سجلات الربيع والخريف» . وكان كونفوشيوس فى الظاهر قد فشل فى رسالته ولكنه قد ألقى البذور التى ولو انها اخذت وقتا طويلا حتى تم نضجها فقد قدر لها ان تأتى باعظم الثمرات .

وكونفوشيوس كسقراط قد اعتمد فى تعاليمه على المشافهة ولم يترك كتابا دون فيه مذهبه . ولكن لم تفقد جميع حكمه واقواله اذ بقى الكثير منها فى ذهن اتباعه الذين نقلوها الى اتباعهم وتلاميذهم . ويبدو ان بعضها قد اثبت بالكتابة عندما نطق بها صاحبها اذ قد روى فى مرة من المرات على الاقل ان شخصا استفتاه وكتب جواب المعلم على حزامه. وبذلك توافرت مجموعة لحكم كونفوشيوس تدريجيا وبعد مرور قرن على وفاته وجد



منحوت للفيلسوف الصينى العظيم كونفوشيوس .

مصنف من اقواله ربما كان هو الذى وصل الينا باسم «لون يو» او المقتطفات . وهذا التأليف فى شكله الحاضر منقسم الى ٢٠ كتابا وكل كتاب الى عدة فصول قصيرة تحتوى فى غالبها على اقوال مجردة وأجوبة على اسئلة فى موضوعات اغلبها اخلاقية وشخصية . ويمكن تقسيم هذه الكتب الى مجموعات مختلفة فى اصلها وتاريخها كل الاختلاف، والواقع ان المواد لا تكون او لا تكاد ان تكون مرتبة ترتيبا منظما . هذا ما عدا الكتاب العاشر الذى خصص كله لتفاصيل مختلفة خاصة بالسلوك الشخصى وهى تفاصيل ظن من وقت قديم انها راجعة الى كونفوشيوس نفسه، ولكن يظن بعضهم الآن انها ربما كانت نقلت عن بعض الرسائل القديمة فى الرسوم ثم طبقت على كونفوشيوس . على انه مما لا شك فيه ان المعلم الكبير قد اقر كثيرا من هذه المبادىء وكل ما نعرفه عنه يدل على انه كان رجلا نبيلا فى غريزته ونشأته . فنستطيع مثلا ان نقطع بانه كان يبدو جادا حزينا عند رؤية شخص فى حداد ولو كان من خاصة معارفه، كما انه كان يبدى نفس الاحترام عند مقابلة الموظفين فى أرديتهم الرسمية وعند مقابلة العميان مهما كان بلاء ثيابهم . على ان هناك فى بعض التصرفات

من الشذوذ ما يثير السخرية ومما يدعو الى الارتياح ان هذا الشذوذ يحتمل الا يرجع الى المعلم نفسه. من ذلك ما نقل من انه «عند ما مر بعرش الامير بدت عليه علامات التغير وتخاذلت قدماه وخانته الكلمات» وان «ملابسه الليلية يجب ان تكون أطول مرة ونصف مرة من طول جسمه» وانه «لم يكن يتكلم عند تناول الطعام ولم يكن يتكلم وهو على فراشه» وانه «كانت تتغير ملامح وجهه عند لمح البرق او هبة الريح المفاجئة». ويظهر ان بعض الكتب الاخرى ايضا ما هي الا اضافات متأخرة. فاحد الكتب مثلا خصص باكمله لأقوال تلاميذه البارزين وكتاب آخر يبدو متأثرا بتعاليم «تاو» بشكل ان يكاد يكون مضادا لتعاليم كونفوشيوس فى وضعه العام. على انه مما لا شك فيه ان جل المقتطفات يمكن قبوله بكل ثقة على انه ان لم يحتوعلى نص اقوال كونفوشيوس فى كل مرة فهو على الاقل مرآة صادقة لجملة تعاليمه.

ويجب الا يدور فى الذهن ان كونفوشيوس فرض على نفسه اثبات اساليب صريحة فى الفلسفة او انه كان، من باب اولى، معلما دينيا فى اية صورة من الصور. وقد كانت ديانة اهل الصين فى ايامه، مثل ديانتهم فى الايام الحاضرة، تعتمد على مصالحة او عبادة ارواح الموتى وعلى الاخص ارواح الموتى من اجداد الاسرة. وقد رضى كونفوشيوس بهذا المذهب وان كان فى هذا متأثرا بحبه للتقاليد القديمة اكثر منه بالاقتناع والايمان. وقد تفادى البحث فى موضوع ما بعد الحياة ولم يعد اهل الخير والفضيلة باكثر مما يناله الرجل من استراحة ضميره. وتبدو ميوله الشكاكة فى اجابته على سؤال عن واجب الانسان نحو الكائنات الروحية اذ قال «كيف يمكن ان نقوم بواجبنا نحو ارواح الموتى قبل ان نقوم بواجبنا نحو الاحياء»؟ وقد تساءل تشى — لو عن الموت فاجابه المعلم «كيف يمكننا ان نعرف ماهية الموت قبل ان نعرف ماهية الحياة»؟ وقال ان من رأيه «ان التفانى فى دراسة ما فوق الطبيعة عمل ضار» وان الرجل العاقل «مع احترامه للارواح يجب ان يبقيها بعيدة عنه». على ان

هناك اقوالا متعددة لكونفوشيوس تدل على انه كان يعتقد باخلاص، ولو كان فيه شئ من الغموض، فى وجود اله واحد عز وجل يجب ان يقيم له الحاكم بالنيابة عن شعبه العبادة والقربان . وقد حدث مرة ان رئيس وزارة مقاطعة وى الذى ظن ان كونفوشيوس قد حضر طالبا لوظيفة وأراد ان يشير الى ان السلطة الحقيقية كلها فى يده لا فى يد الامير، سأله قائلا «ما معنى القول الثائر ان من الأحكم استرضاء اله البطون بدلا من استرضاء اله المحراب» فاجاب المعلم «ان القول باطل وان الذى يخطئ فى حق الاله لن يعتمد على شفاعة احد» . ومن الاقوال التى يشك فى صحة نسبتها الى كونفوشيوس ما يدل على اعتقاده فى رسالته المقدسة كراعى المدنية .

على ان الاثر العام الذى تتركه المقتطفات هو انه كان يعتقد قبل كل شئ فى استطاعة الطبيعة البشرية وقدرتها واتجاهها الفطرى للخير وقد قال «ان جميع الرجال قد ولدوا مستقيمين ومن يفقد استقامته ثم استمر حيا فما احسن حظه فى نجاته» . فماذا كان تصور كونفوشيوس لمعنى الاستقامة او الفضيلة؟ انه يستعمل فى الدلالة على هذا المعنى كلمة «جن» وهى ركن الاساس فى مبادئ الاخلاق الكونفوشية . فالرمز الصينى لهذه الكلمة يتركب من عنصرين اى «رجل» و «اثنين» وهاتان الكلمتان تثيران فكرة العلاقة بين الرجل والآخر او ما يمكن تسميته بالانسانية . وهى طيبة قلب الانسان الطبيعية تنشأ فى اول الامر من الاحساس بالعطف والشفقة نحو الآخرين ثم تهذب وترقى الى اعلى درجة من الكمال . وليس فى القاموس كلمة تجمع كل معانيها المختلفة ولكن كلمات الخير والاحسان والشفقة والحب وفى معنى اعم كلمة طيبة او «فضائل الاخلاق» كلها كلمات مناسبة قد تؤدى المعنى فى احوال مختلفة . «قد استفتى فان تشيه عن معنى الطيبة الحقيقية («جن») فاجابه المعلم انها حب اخوانك من بنى الانسان . فاستفتى بعد ذلك عن معنى الحكمة فاجابه المعلم انها معرفة اخوانك من بنى الانسان» . وقال ايضا «ان الرجل الفاضل يفكر فى

الاشياء الصعبة اولا ويجعل للاعتبارات المادية المحل الثانى » والشيء
الصعب عنده هو العمل الفاضل الذى يقوم به لاجل ذاته بصرف النظر
عن العواقب . وقال ايضا «ان الرجل الطيب حقا يجب ان يكون من
اصحاب الشجاعة ولكن ليس من المحتم ان يكون الرجل الشجاع طيبا » .
وكلمة « جن » فى بعض الاحوال لا تختلف كثيرا عن كلمة «شو» وهى
الكلمة التى استعملها المعلم عندما سئل عما اذا كان هناك قاعدة واحدة
يمكن ان يسير عليها الانسان مدى حياته فاجاب «لا شك انها مبدأ
الاحسان وهو الا تعمل لغيرك ما لا تحب ان يعمله لك» . وقد فسر
احد كبار اتباعه ذلك المبدأ الذى ساد كل تعاليم المعلم بانه عبارة عن
« اخلاص المرء لنفسه واكرام الجار» يعنى باخلاص المرء لنفسه الاستقامة
واداء الواجب .

على ان هناك عاملا رئيسيا آخر فى دستور الانسان الاخلاقى يجب الا
يهمل وهذا العامل الآخر هو ما عبر عنه كونفوشيوس بكلمة «لى» وهى
كلمة تتردد دائما على شفتى المعلم وكان معناها الاول «الابريق» ثم تحول
الى الغسل ثم الى الرسوم والى السلوك الذى يناسب كل حالة فى
معاملات الانسان، وزيادة على ذلك، الى حالة النفس التى ينجم عنها مثل
هذا السلوك . وهذه الحالة حالة الاعتدال المتناسب شأنها ان تضع حدا
للميل الى المبالغة والاندفاع فى اية جهة . يقول «فبدون مراعاة الاعتدال
فالمجاملة تصبح غبنا والحكمة تصل الى الجبن والشجاعة تؤدى الى التهور
والصراحة تصير غلظة » . وذلك المعنى هو الملازم الطبيعى لمعنى «جن»
ومن التعاريف التى عرفت بها هذه الكلمة انها «اخضاع النفس ورجوع
الانسان الى تحقيق شعوره الطبيعى بما يليق به — ان لا تستعمل عينيك
ولا اذنيك ولا قدرتك على الكلام او الحركة بغير ان تخضع نفسك لذلك
القانون الداخلى الحاكم على وجدانك» . وقد كان بعض المترجمين
للمقتطفات يبالغون فى فرضهم انه اينما وجدت كلمة «لى» فانها تشير الى
قاعدة مذهبية او ادبية معينة ونشأ من ذلك الفكرة القائلة بال

كونفوشيوس كان ضيق الفكر شديد التعلق بالمظاهر والرسوم الجافة فى كل نواحى الحياة وهذا بعيد جدا عن الحقيقة اذ انه ولو ان الرسوم التى مضت عليها القرون كان لها عنده تقدير كبير يتفق مع غريزته المحافظة فانه من الواضح انه كان يعدها تافهة وعديمة الاهمية اذا تجردت من الشعور الباطنى . وقد قال مرة «ان رجلا بغير عاطفة الاحسان فى قلبه فما يفيده الرسوم »، وقال مرة اخرى «ان البساطة فى جميع الرسوم افضل من المبالغة ففى الحزن على الميت فالاسف الصادر من القلب افضل من المبالغة فى مراسم الحزن وشكلياته » .

على ان معنى الكمال فى الطيبة لا يوجد الا فى القديسين والحكماء الملهمين وهم قليلا ما يظهرون على سطح هذه الارض . ويمكن لكل من ركز تفكيره باخلاص فى الفضيلة «وجعل من معنى الواجب اساس اخلاقه وجمع اليه فى العمل معنى الاعتدال المتناسب واظهر ذلك كله بروح خالية من الانانية وكلله بالاخلاص والصدق » ان يصل الى حد قريب من المثل الاعلى . ومثل هذا الرجل هو من يوصف بالكلمة الصينية تشون تزو ومعناها مثال الامراء وهو ضد المثل الدنىء او الحقير ولذلك « يكون الرجل من مثال الامراء متمسكا بالفضيلة والرجل الوضيع متمسكا بالمتاع المادى، وينشد الرجل من مثال الامراء العدالة والرجل الوضيع الامل فيما يناله من عطف الآخرين » . ولذلك « يكون النوع الممتاز من الرجل هادئا وديعا ويكون الرجل الوضيع ثائرا قلقا » .

ويبدو ان كونفوشيوس لم يضع حدا فاصلا بين الاخلاق الشخصية والاخلاق السياسية . فان المبادىء الاساسية التى وضعها للافراد من نوع مثال الامراء هى عنده بطبيعة الحال نفس المبادىء التى يطبقها على اى اشخاص مهما كانت الوظائف التى كلفوا بها . والشرط الاساسى للحكومة الصالحة عنده هو ان يكون الحاكم نفسه فاضلا ومستقيما . يقول « اذا كان الرجل يستطيع ان يصلح قلبه فليس هناك ما يمنعه من ان يكون صاحب نصيب فى الحكم اما اذا لم يستطع ان يصلح قلبه فانه ليس بأهل

لاصلاح الآخرين » . كان هذا سر الملوك الحكماء الاقدمين اولئك الحكماء الذين لا يمل كونفوشيوس من عرضهم على جيل معاصريه كمثل يمتثلون به . كان من ظنه ان تأثيرهم قد يسرى فى الشعب اجمع بمجرد قوة مثالهم الاعلى لان «من طبيعة الحشائش ان تنحنى امام عصف الرياح » اما القانون والعقاب فليس لهما الا اهمية قليلة لان «الاشخاص الذين يحكمون عنفا وجبرا ويخضعون للقانون خوفا من العذاب قد يتجنبون الجرائم ولكنهم يفقدون احترام انفسهم، اما الاشخاص الذين تحكمهم قوة المعانى ويخضعهم الهام الشعور المستقيم فانهم سيحتفظون باحترام انفسهم بل وسيصبحون اخيارا » .

وكونفوشيوس كما رأينا لم تكن له خبرة ذات شأن فى الادارة العملية. ومع انه كان يشعر بانه جدير بمركز من مراكز النفوذ والسلطة فان تقديره لقواه كان متواضعا الى حد كبير . وقد قال «ستجد بلا شك فى اية قرية لا يزيد عدد بيوتها على الاثنى عشر، رجالا فى مثل نزاهتى وضميرى غير انهم قد لا يكونون فى مثل تفرغى للدرس » (يعنى بذلك اصلاح النفس بكل معانيه) . وقد اعترف كونفوشيوس بتخيره لآثار القدماء واعلن ان عمله هو النقل لا الابتكار . وقد صرح فى ساعة هياج وقلق «الفشل فى غرس الفضيلة والفشل فى فحص وتحليل ما تعلمته والعجز عن متابعة الطريق المستقيم بعد ان وضحت لى معالمه والعجز عن اصلاح اخطائى كل هذه هى اسباب حزنى وألمى » . وقد كان اكثر عدلا فى تقدير لنفسه عندما قال «انى لا ادعى انى قدست الحكمة واكملت الفضيلة وكل ما استطيع ان اقوله عن نفسى هو انى لا اتوانى فيما اختططته لنفسى من طريق وانى لا اكل فى تثقيف الآخرين : هذا ولا شىء بعده » . وقال كونج - شى هوا «ولكن ميزة المثابرة هذه هى ذاتها ما عجزنا عن ادراكه نحن تلاميذك » .

ويبدو ان كونج - شى هوا كان من خاصة التلاميذ الذين اتيح لهم الاتصال القريب باستاذهم . وقد ظهر خلاف الاخلاق والميول لهولاء

الشبان فى كتاب المقتطفات بكل وضوح وباسلوب فني يزيد الكتاب طرافة . فهناك اولا ين هوى وهو مثل صادق لتعليم كونفوشيوس وقد توفى فى ريعان شبابه وحزن الكل عليه حزنا شديدا . قال عنه استاذه «لقد كان هوى فيلسوفا حقا ولو ان رجالا آخرين عاشوا مثل عيشته فى حارة حقيرة وعلى طبق واحد من الطعام وجرعة واحدة من الشراب لما استطاعوا ان يتحملوا هذه الفاقة ، ولكن هوى كان منشرحا على الدوام وكان فيلسوفا حقا » . ثم هناك تزو لو المغتر المندفع المخلص ومع ان المعلم لم ير بدا من معاتبته مرارا كثيرة فلا شك انه كان بينه وبين استاذه رابطة عطف ومودة قوية . كان هو «الرجل الذى يفصل الدعوى الطويلة فى كلمات قليلة »، « ولم ينم على وعد » . وهناك ايضا تزو كونج الباحث الجدى والمحقق النشيط الذى تخصص فى درس الرسوم وعرف باعجابه بكونفوشيوس فى حياته وفنائه فى ذكراه بعد وفاته . ثم تزنج تزو (اى الفيلسوف تزنج) الذى انشأ فيما بعد مذهبا خاصا له وكان من كبار رواة تعاليم كونفوشيوس وان كان صبغها الى حد ما بمبالغاته فى واجبات بر الوالدين . ثم جان تشيو الذى كان رجلا ماهرا واداريا باهرا وان كان ميله الى الرخصة فى الاخلاق بعض الشيء قد عرضه لغضب الاستاذ اكثر من مرة . قال عن نفسه « ليس الامر انى لا اجد متعة فى تعاليم استاذى ولكن قواى هى التى تخوننى» فاجابه استاذه «ان هؤلاء الذين تخونهم قواهم يسقطون صرعى على جوانب الطريق ، ولكن ما تعمله انت هو ان تقيم حواجز لن تجتهد ان تعبرها » .

وربما يكفى ما بيناه دلالة على مقدار الاحترام العظيم الذى يكنه الصينيون دائما للمقتطفات . ومن اعظم حظنا ان يكون مثل هذا الكتاب قد صنف فى عهد كان فيه فن الكتابة فى طفولته، وان يكون قد احتفظ خلال هذه القرون الطويلة بحالته الاولى . ولا شك ان السبب فى ان كونفوشيوس قد اخذ مكانه المستحق كاكبر حكماء الصين يرجع الى تأثير هذا الكتاب على حكم الخلف .

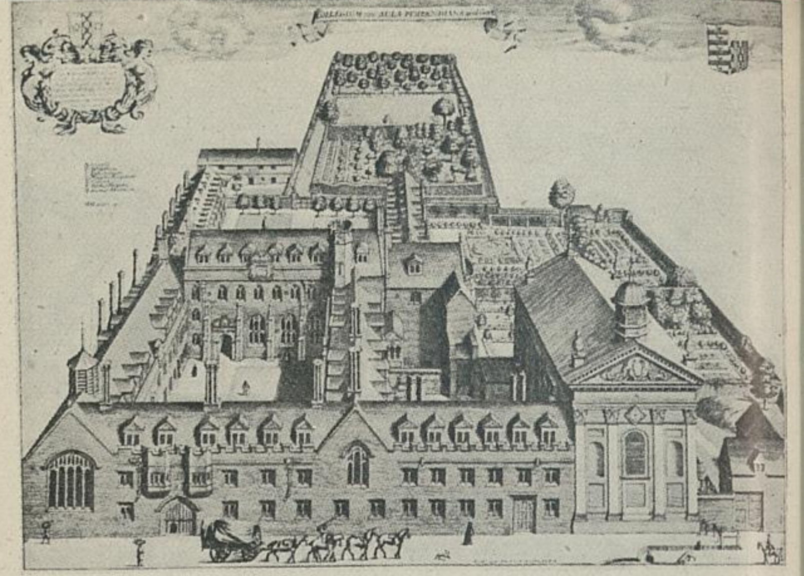
ستة قرون فى خدمة التعليم

بقلم الدكتور ا . ج . اربرى

كلية بمبروك — بكمبردج — هذا الاسم الذى نظر اليه لسنوات عدة كرمز للدراسات الشرقية، فهناك فى بمبروك عاش ادوارد جرانفيل براون اشهر استاذ عاش خارج البلاد الفارسية معرفة للغة تلك البلاد وتاريخها وآدابها . ولا يزال على قيد الحياة اليوم، لا فى بلاد الفرس وحدها بل وفى انحاء العالم الاسلامى طرا من يعتزون بذكريات زياراتهم للعلامة براون فى حجرته الخاصة بكلية بمبروك وتلقيهم لحفاوته وكرمه الحار عندما كان يستضيفهم لغذاء او عشاء فى قاعة الطعام بالكلية . بيد ان عدد الذين يبجلون ذكرى براون ممن لم يزوروا انجلترا فى حياتهم قط لا يزال يفوق هؤلاء الذين حظوا بمعرفته الشخصية، كما ان الاسمين بمبروك وكمبردج هما اسمان مألوفان لديهم لصلتهما التى لا تنفصل بذكرى براون الخالدة .

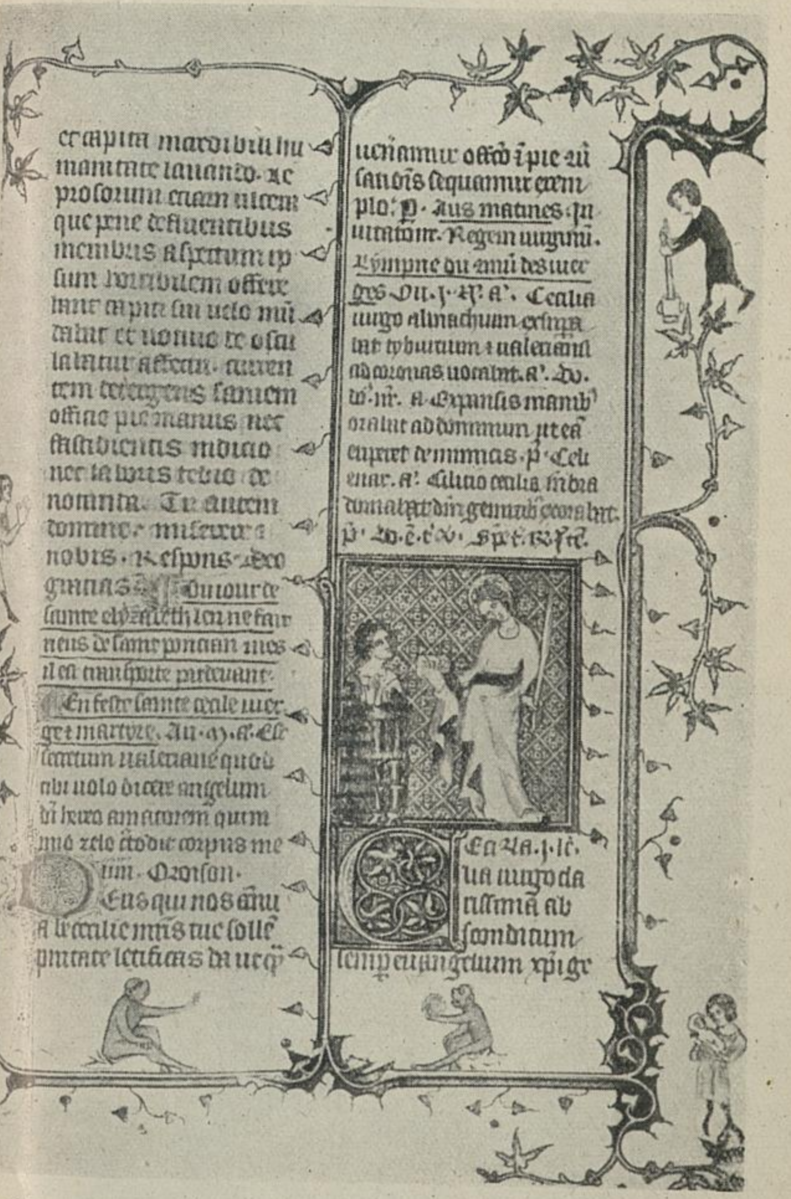
وسيقدم الكاتب فى الاسطر التالية، وهو مثل براون من اعضاء كلية بمبروك ومثله ايضا من تلامذة الثقافة الاسلامية ممن اشتد تأثرهم واعجابهم بها، سيقدم الكاتب لمحات قصارا عن تاريخ تلك الكلية راجيا ان يجد القراء فى انحاء الممالك الاسلامية شيئا من المتعة والتسلية فى قراءة ذلك التاريخ .

اسست كلية بمبروك فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٣٤٧ اى بعد مضى اقل من قرن على وقوع بغداد فى يد هولاكو خان وانقراض دولة الخلفاء العباسيين المحزن، وهكذا فهى ثالث كلية انشئت فى كمبردج اذ لم يسبقها سوى كلية بيترهاوس التى اسست عام ١٢٨٤ وكلية كلير التى تم تأسيسها عام ١٣٢٦ . وكانت مارى اوف سانت بول



فى الاعلى : منحوت لكلية بمبروك كما كانت فى نهاية القرن السابع عشر.

فى الاسفل : منحوت لواجهة كلية بمبرك فى القرن التاسع عشر.



صحيفة من كتاب الادعية الذى كتب بباريس يبين صورة مؤسسة كلية بمبروك مع سانت سيسيليا .

(Mary of St. Pol) كونتيسة بمبروك وارسلة آيمر دى فالنس ايرل بمبروك هى التى امدت بالمال والاملاك اللازمة لتأسيس كلية بمبروك وقد ولدت مارى بين عام ١٢٩٦ و ١٣٠٣ وكانت ابنة جاى كونت سانت بول فى مقاطعة (بادى كاليه) بنورماندیا الذى ينحدر من سلالة شاتيون الفرنسية الشهيرة وقد تزوجت من ايرل بمبروك فى عام ١٣٢١ ولكن زوجها توفى ولم يمض على زواجهما اكثر من ثلاث سنوات، بيد ان الارملة لم تتزوج بعد وفاة زوجها بل اوقفت بقية حياتها على الاعمال الخيرية .

وماتت مارى فى السادس عشر من شهر مارس سنة ١٣٧٧ وهى قريرة العين برؤيتها للكلية التى جاهدت فى سبيل تأسيسها تسير فى طريق النجاح لخدمة التعليم الذى استمر خلال تقلبات ستة قرون حتى يومنا الحاضر .



فنجان المؤسسة . وهى احدى اقدم التحف البريطانية الفضية ونقوشها تمثل ثانى اقدم العلامات التجارية التى يرجع تاريخها الى عام ١٤٨١ .

وفى الرخصة الملكية التى منحها الملك ادوارد الثالث للكلية تقرر ان يكون للكلية رئيس او مشرف وثلاثون عالما او طالبا وان يكون ٢٤ شخصا من بين هؤلاء الثلاثين ممن يطلق عليهم «زملاء» وستة تلاميذ (والزميل هو احد تلامذة الكلية يوالى اتخاذ كمبردج محلا لاقامته بعد تخرجه اى حصوله على درجة الجامعة ويعاون اجمالا فى شئون ادارة الكلية كما يقوم ببعض التدريس ويوالى البحث فى

اى فرع من فروع العلم). وكانت هبة المؤسسة فى الواقع لا تتسع لاكثر من رئيس وستة زملاء وطالبين، بيد ان دخل الكلية ظل ينمو بتعاقب السنين عن طريق تبرعات المحسنين حتى غدت تتسع فى الوقت الحاضر لرئيس وخمسة عشر زميلا وعدد كبير من الطلاب، ويبلغ متوسط طلابها فى اوقات السلم حوالى ٣٠٠ طالب .

وفى تاريخ الكلية الطويل تلقى التعليم الجامعى بها رجال بارزون – رجال قد تركوا اثرهم فى كل نواحى الحياة بعد مغادرتهم للكلية – بيد ان المقام لا يتسع هنا الا لذكر قلائل من هؤلاء .

ومن الطبيعى ان يكون اشهر ابناء كلية بمبروك هو (وليام بت الاصغر) رئيس الوزارة البريطانية فى الوقت الذى توجهت فيه مطامح نابليون نحو تكوين امبراطورية عالمية . ومن الذخائر التى تقع فى حوزة الكلية هو ذلك الخطاب الذى ارسله والد بت ايرل اوف تشاتهام الى رئيس الكلية (جيمس براون) حينذاك وفيه يخبره عن عزمه على ارسال ابنه وليام الى الكلية كطالب، وفى الخطاب ما يستحق الملاحظة اذ انه يبين عن الاحترام العظيم الذى كان يتمتع به رئيس الكلية فى القرن الثامن عشر فنرى ايرل تشاتهام الذى احتل رئاسة الوزراء هو ايضا لعدة سنوات يوقع على الخطاب المرسل الى الرئيس بعبارة (عبدكم المخلص المطيع) . والتحق وليام بت بكلية بمبروك عام ١٧٧٣ واختار حجرتى نومه وجلوسه فى « فناء اللبلاب » (Ivy Court)، وفى نفس هاتين الحجرتين عاش ادوارد جرانفيل براون فيما بعد لعدة سنوات . وظل بت مقيما بالكلية فترة طويلة حتى غادرها اخيرا فى عام ١٧٨٠، ثم التحق بالبرلمان فى السنة التالية وفى عام ١٧٨٣ عين رئيسا لوزارة انجلترا ولما يتجاوز من العمر ٢٣ عاما . ومن شاهد من القراء الفلم السينمائى الشهير « مستر بت الصغير » حيث قام روبارت دونات بتمثيل شخصية ذلك الرجل النابغة يعرف شيئا عن تلك الشخصية الفذة .

كان وليام بت خطيبا مجيدا كما كان سياسيا حكيما ثاقب الفكر ولا تزال

فى الاعلى : الحوش القديم لكلية بمبروك .

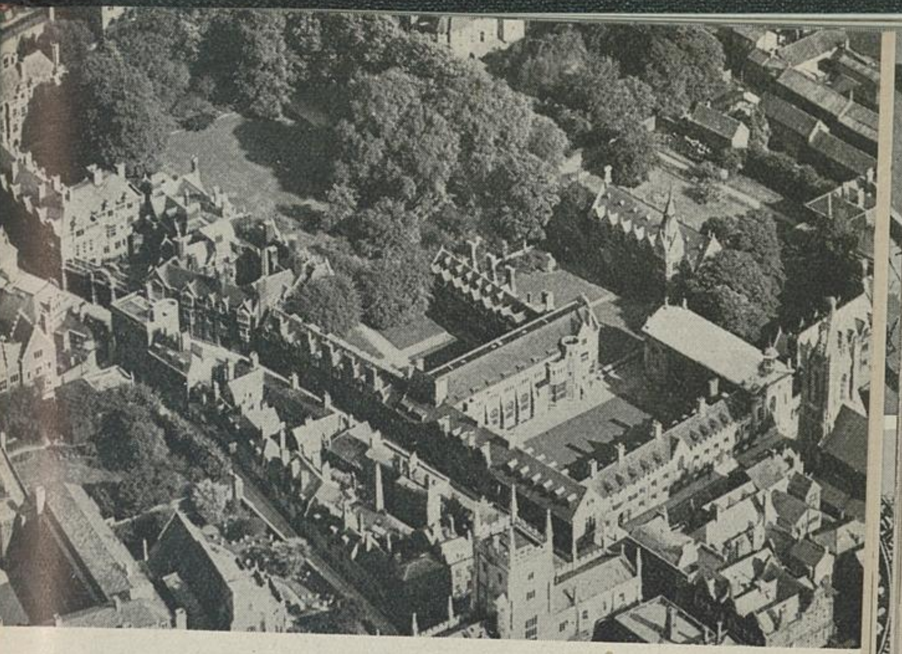
فى الاسفل : الحوش الجديد لكلية بمبروك .

آراؤه النبيلة التى عبر عنها فى لغة لن يبيدها الزمن لا تزال تبعث الالهام
فى ارواح ابناء وطنه الذين تعودوا فى السنوات الاخيرة ان يسمعوا نفس
تلك الآراء الجريئة تخرج فى عبارات لا تقل تأثيرا فى نفس سامعها على
لسان رئيس وزراء بريطانيا الحالى. يقينا كم يصعب الا يظن الانسان
وهو يقرأ كلمات وليام بت بانه انما ينصت الى خطاب يلقيه ونستون تشرشل .
وللدلالة سأقتبس بضع عبارات من خطاب القاه وليام بت على مسامع مجلس
النواب فى عام ١٨٠٤ قبل وقوع معركة ترفلجار بعام واحد عندما
اصطفت جنود نابليون على بعد ٢٠ ميلا ليس الا من شواطئ بريطانيا
وقد عقدت النية على توجيه الضربة الاخيرة لآخر حصن من حصون
الحرية فى اوروبا . «لا ارانى بحاجة لان اذكر المجلس» قال بت «بأننا قد
وصلنا الى عهد جديد فى تاريخ الامم وبان الداعى يدعونا للجهاد لا من
اجل مصير هذه الامة فقط بل لحماية العالم المتحضر باجمعه . يجب ان
نذكر باننا لا نخضع لهذا الحرمان الذى لا نظير له من اجل انفسنا
وحدنا . ان لدينا الآن واجبنا المقدس نحو انفسنا، فعلينا وقاية انفسنا، بيد
ان واجب الشعب الانجليزى اليوم يقع فى مرتبة اعلى وانبل من كل
هذا . فعلينا اولا وقبل كل شئ ان نزود انفسنا بما يضمن حمايتنا ضد
عدو لا يعرف عداوه لهذا البلد حدا، بيد ان هذا لا يجب ان يحد من
نظرنا او مجهودنا نحو قضية مقدسة . ففى وسط هذا الدمار والبؤس والشقاء
الذى يحيق بالامم نرى من حقنا ان نبتهج وان نعتز بأننا ظللنا ارفع من
ان يمسنا هذا الطموح وهذا الاستبداد الجبار ويحق لنا ان نفخر ايضا
لاننا لا نزود انفسنا بما يكفى حمايتنا وحدنا بل اننا ندل امما ترزح تحت
طوق حديدى من الاستعباد على ما يمكن ادراكه بواسطة الجهود التى
تبذلها امة حرة . وان هناك فى هذا الركن من العالم على الاقل لا يزال
اسم الحرية يبجل ويكرم ويقدس . »

وبينما يعد وليام بت من ابرز ابناء كلية بمبروك فى العالم السياسى
فللكلية حق الفخر باسم آخر لا يقل شهرة وذيوعا فى عالم الادب . جا

ادموند سبنسر الذى اشتهر بنوع خاص لقطعته الشعرية «الملكة الجنية» (The Fairie Queene) الى كلية بمبروك كطالب فقير يقوم ببعض الخدمة فى الكلية مقابل اقامته بها وقد حدث هذا فى صيف عام ١٥٦٩ وقد حصل على درجته فى عام ١٥٧٣ . ويعد سبنسر ثانى اكابر الشعراء فى الادب الانجليزى اذ يعد جوفرى تشوصر اولهم ويطلق عليه، اى سبنسر، اسم «شاعر الشعراء» وذلك لان كثيرين من الشعراء الذين جاءوا بعده كانوا يجدون متعة كبيرة فى دراسة شعره ومن هنا كان له تأثير واضح على كتاباتهم .

وهناك فى بمبروك ايضا عاش شاعر من عظماء الشعراء البريطانيين وهو توماس جراى الذى ولد عام ١٧١٦ وتوفى عام ١٧٧١ . وقد كان جراى ينتمى فى الاصل الى كلية بيترهاوس (Peterhouse) وهى احدى جارات بمبروك ولكن حدث فى ليلة فى عام ١٧٥٦ ان اوقعه بعض زملائه فى العوبة بقصد المزاح ذلك انهم وضعوا برميلا مملوءا بالماء تحت نافذة حجرته وصرخ احدهم قائلا «النار النار» ولما كان جراى يخاف النار خوفا جما وقد اعد فى حجرته خصيصا سلما من الالياف لينجو من ويلاتها لو ان النيران اصابت البناء حقيقة فى يوم من الايام فانه وقع فى الشباك التى اعدها له زملاؤه على سبيل المرح والفكاهة . وفى صباح اليوم التالى خطا جراى متجها نحو البناء المقابل — بمبروك — ولم يعد الى كليته السابقة مرة اخرى . وفى عام ١٧٦٨ عين استاذا للتاريخ الحديث، وفى الثلاثين من يوليو عام ١٧٧١ توفى فى حجرته الخاصة بالكلية، هذه الحجرة نفسها التى تلقت بت بعد سنتين . ومن اشهر القطع الشعرية التى الفها جراى هى « المرثية المدونة فى ساحة احدى الكنائس » والتى فيها يعبر الشاعر عن تأملاته عن القرويين الذين تثوى بقاياهم «تحت اشجار الدردار الخشنة » هؤلاء الرجال الذين لولا حظهم العاثر وانحدارهم من اصل خامل الذكر لربحوا مجدا واسما لا يقلان عظمة ونبوغا عن اخوانهم السعداء الذين كللت الشهرة جبينهم .



منظر اخذ من الجو لكلية بمبروك .

رب جوهرة نفيسة ذات اشعة صافية
قد ضمتها كهوف اليم المظلمة التى لم يسبر غورها بعد
ورب وردة قد خلقت لكى تعلو وجهها حمرة ولكن ما من عين هنال
لترقب جمالها الذى قدر عليه ان يبدد فى هواء الفلاة .

ومع هذا فلو ان حياة هؤلاء البسطاء قد نقصها بريق الثروة وتألق
وعظمة المراتب العالية و كبرياؤها الا انهم قد عرفوا نوعا من السعاد
يعلو على الهرج والمرج الذى يحيط بالشهرة وبعد الصيت .

امانيهم الرزينة لم تتعلم كيف تضل
وهى بعيدة عن نضال الحشد الصاخب
لقد مشوا فى وهد الحياة البهيج
حيث ابقوا على نغم حياة لا ضجة فيها ولا عجيج .

وقد اخرجت كلية بمبروك للكنيسة بعض ابنائها الممتازين، من رؤس

اساقفة واساقفة واختصاصيين فى علم اللاهوت ووعاظ وكهنة جديين .
ومن ابرز هذه الجماعات الدينية ربما كان رئيس الاساقفة ردلى الذى عين
رئيسا للكلية عام ١٥٤٠ والذى حكم عليه فى عام ١٥٥٥ فى اكسفورد
ان يموت محترقا فراح ضحية للمنازعات الدينية التى قامت بين رجال الدين
فى ذلك العهد . ومن بين زعماء الدولة والدين الذين تتصل اسماؤهم
باسم بمبروك هو لونسلوت اندروز (Launcelot Andrewes) رئيس الكلية من
عام ١٥٨٩ الى عام ١٦٠٥ الذى كان يعد اكبر علامة فى زمنه فى
معرفة اللغة العبرانية واللغة اليونانية كما اشتهر بالورع الشديد والتقوى
والى اندروز يرجع الفضل فى اجتذاب ماثيو رن (Matthew Wren) الى
الكلية وهو يعد اهم شخصية فى تاريخ الكلية فى القرن السابع عشر. ولم
يكن رن مديرا نابغا ومحسنا جوادا فحسب بل هو ايضا خال السير
كرستوفر رن (Christopher Wren) اشهر المهندسين المعماريين فى تاريخ
انجلترا وهو الذى وضع تصميم كنيسة سانت بول وغيرها من كنائس لندن
الشهيرة . ومن الظريف الذى يستحق الذكر ان اول بناء وضع تصميمه
السير كرستوفر كان المعبد الصغير التابع للكلية . ومع ان هذا البناء يعبر
عن بساطة مع صرامة فى تصميمه الا ان فيه تتمثل تلك الرشاقة التى تمتاز
بها كل مبانى رن .

وقد كان فى خلال القرن السابع عشر عندما اتم بناء « فناء اللبلاب »
(Ivy Court) هذا الجزء من البناء حيث اقام جراى وبت وبراون، اما
شجرة اللبلاب التى منها استمد الفناء اسمه فقد ذهبت من سنوات
قلائل عندما اكتشف انها تلحق دمارا بجوائط البناء، اما بناء ذلك الفناء
ذاته الذى صنع بالطوب الاحمر فما يزال قائما يضم بين جوانبه ذكريات هؤلاء
العظماء الذين اقاموا فيه يوما من الايام . وفيما عدا ذلك فان الجزء الاكبر
من بقية ابنية الكلية حديث نسبيا، فقاعة الطعام التى بنيت فى القرن الرابع
عشر قد هدمت فى عام ١٨٧٥ وحوالى نفس التاريخ هدمت الاجزاء

العتيقة الاخرى . وعلى اى حال فان معظم ابنية الفناء العتيق (Old Court)
لا تزال قائمة كما هى لم يمسها تعاقب القرون .

وفى عام ١٩٤٧ ستحتفل كلية بمبروك بانقضاء ستة قرون على تأسيسها
وفى كل عام يلتحق بها طلاب جدد يزحفون اليها لاتمام دراستهم بين
تقاليدها العتيقة . واليوم كما فى اى وقت مضى من تاريخها تؤدى الكلية
واجبها نحو الله والانسانية على الوجه المرضى . ففى الوزارة الحالية يحتل
ر . ا . بتلر (R. A. Butler) منصب وزير المعارف الهام ووالد بتلر
بعد ان امضى سيرة مشهودة فى الهند يحتل اليوم منصب رئيس الكلية .
ويوجد رجال بمبروك فى كل نواحى الحياة المتشعبة فى كل ركن من اركان
المعمورة، وهم وان اختلفوا وتباينوا فى مواهبهم واميالهم الا ان حبهم
للكلية التى ضمتهم بين جوانبها يجمع بينهم ويؤلف بين قلوبهم، هذه الكلية
التى علمتهم ان يكونوا رجالا كما لقنتهم العلوم والآداب، رجالا تقدموا
الى طرق الحياة ليزيدوها ويزيدوا انفسهم شهرة وعلوا . لتبق بمبروك
ولتخلد الايام ذكراها .

★

الموسيقى فى انجلترا

بقلم ليو ستينبرج

اذا اراد احد ان يعرف ما اذا كان للشعب الانجليزى غرام بالموسيقى فعليه ان يراقب افراده اثناء احدى الحفلات الموسيقية فلن يجد لهم مثيلا فى اى بلد آخر فى الافتتان بالموسيقى والحماس لها وهو حماس ليس طارئا لم يؤسس على تقاليد ثابتة اذ ان جمهور المستمعين الانجليز اصحاب تاريخ طويل ممتاز يرجع الى اوائل القرون الوسطى حينما كان بعض الاشخاص كالاسقف اولدهيلم يعملون على نشر الدين بين مواطنيهم الوثنيين .

وقد كان اولدهيلم هذا يجلس فى ميادين الاسواق القروية او مفارق الطرق وهو يغنى على نغمات قيثارته فكان القرويون واهالى المدن يتركون اعمالهم المختلفة ويتجمعون عند اقدام الموسيقار . وبعد ان يتجمع عدد كبير من الناس كان يضع قيثارته الى جانبه ثم يبدأ مواعظه الدينية . وبذلك قدم لنا مثلا من اقدم الامثلة على غرام الانجليز بالاغانى والموسيقى .

لقد كان ذلك من نحو ١٢٠٠ عام تقريبا . ولما كان نبل الانساب يقاس بقدمها فقد وجب ان يأخذ البريطانيون مكانا ممتازا بين شعوب العالم التى تعشق الموسيقى وعلى الاخص لانهم على خلاف كثير من العائلات النبيلة لم يعمدوا الى الاتجار بمجد آبائهم وشعر كل جيل على مدى ادوار تاريخ الموسيقى البريطانية كما لو كان من واجبه ان يجدد تقاليده الموسيقية التى ورثها عن اسلافه . وكانوا على الدوام اما مؤلفين للموسيقى يعشقون عملهم بكل قلوبهم او مستمعين متعطفين يعملون على



موسيقيو القرن الخامس عشر الانجليز.

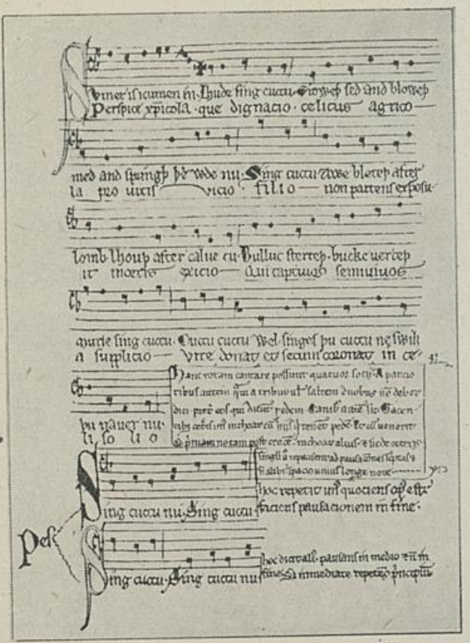
دعوة اكبر موسيقي اوربا الى
قاعاتهم الموسيقية كما لو كانت هذه
القاعات هى منازلهم الروحية.

ومع ذلك فلا يزال يتردد في
اوربا من قديم الزمن عن انجلترا
تهمة عتيقة وهى انها «البلاد التي
ليس لها موسيقى». ومن سوء الحظ
ان هـذه التهمة لن تعـد تقبل
الجدل المؤسس على البرهان لانها
تؤسس على العلم او الاقتناع وا
اسست على الميول العاطفية وعلى
اللذة الرخيصة فى تجريد الآخرين
من مزاياهم. ومن هنا اثار الدكتور
جوبلز من مدة ليست بالبعيدة هذه
الاكذوبة حينما هدمت غارات قوة سلاح الطيران الملكى دار الاوبرا الالمانية
ببرلين. فقد زعم ان عمل سلاح الطيران البريطانى لا يثير الدهشة لا
لم يعرف عن البريطانيين انه كان لهم يوما ما غرام بالموسيقى وقال
القذائف التى وقعت على دار الاوبرا كانت اولى الدلائل التاريخية ع
مدى اهتمامهم بالفنون.

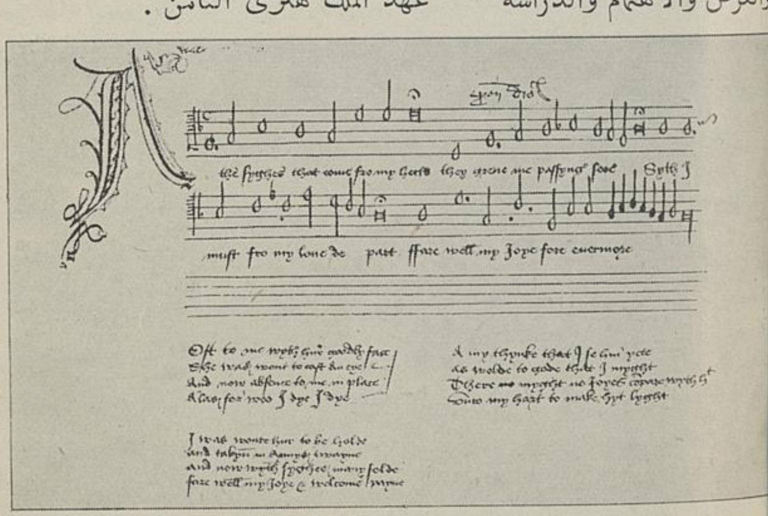
وقد يكون من الممكن فى هذا المجال ان يكون الدكتور جوبلز ع
جهل بمدى خطئه اذ انه لم توجد على وجه الارض جماعة لم يكن ل
موسيقى من اى نوع كانت. ولقد كان حظ انجلترا من الموسيقى ونصيبها
عظيما لا يقل عن نصيب اية بلاد اخرى.

ولم يكن اثر انجلترا ظاهرا دائما فى التاليف الموسيقية الخالدة كما ح
فى الفترة العقيمة نوعا بين عامى ١٧٠٠ — ١٨٥٠ وهى الفترة
ربما كانت السبب فى هذا الاتهام الشائع رغم تعاقب الفترات الخا

بالانتاج الموسيقى بعد ذلك . والمانيا مثلا تفاخرت بمصوريها العظام فى القرن السادس عشر ولم يكن لها موسيقيون، ثم انها انجبت كثيرا من المؤلفين الموسيقيين فى القرن الثامن عشر ولم تلد مصورا واحدا ذا اهمية . والواقع ان انتاج الاقلية الممتازة لا يمكن ان يعد مقياسا لثقافة المجموع، كما ان التاليف الموسيقية وحدها لا تكفى للتدليل على ميول الجماعة فى الموسيقى وهى الميول التى يحكم عليها بالاحرى بما يشاهد من الاستماع والعرض والاهتمام والدراسة



فى الأعلى: نوتة موسيقية انجليزية يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر . فى الاسفل : اغنية دونت موسيقيا فى عهد الملك هنرى الثامن .



واحترام الموسيقى . وهذه العادات فى مجموعها هى المزايا الدائمة التى ينفرد
بها الشعوب التى تشتهر بالموسيقى بكل معنى الكلمة . اما الحالات التى
تولد وتنمو فيها العبقرية الموسيقية المبتكرة فهى ليست الا حالات معدودة
وتكاد تكون عارضة .

ومع ذلك فان انجلترا لها ايضا نصيبها من النجاح الباهر فى
الاكتشافات الموسيقية ففيها اخترعت واكملت آلات المفاتيح الموسيقية
وهى الآلات التى لا غنى عنها فى الموسيقى الاوربية . كما ان تداخل الالحان
الموسيقية قد تحقق وتطور بفضل جهود جون دانستابل الانجليزى فى اوائل
القرن الخامس عشر. وقد ترتب على ذلك اكبر انقلاب فى تاريخ الموسيقى
الاوربية . وكان هيو اشتون اول من الف الالحان الموسيقية للآلات على
حدتها وكان ذلك فى القرن السادس عشر وهو اول موسيقار ادرك
واستفاد من مزايا الآلات الموسيقية وحدها دون ان تصاحبها فى النغمات
اصوات الغناء .

ولم يكن كل هذا الا مقدمة بسيطة لعصر الموسيقى الانجليزية الذهبى فى
اواخر القرن السادس عشر وهو عصر شيكسبير والملكة اليزابيث كانت
الحياة الموسيقية فيه نصيب الشعب اجمعه اذ رافقت الموسيقى كل ساعة
من ساعاتهم وكل عمل من اعمالهم، وربما فى هذا ما لا يقل اهمية من آثار
كبار المؤلفين الموسيقيين .

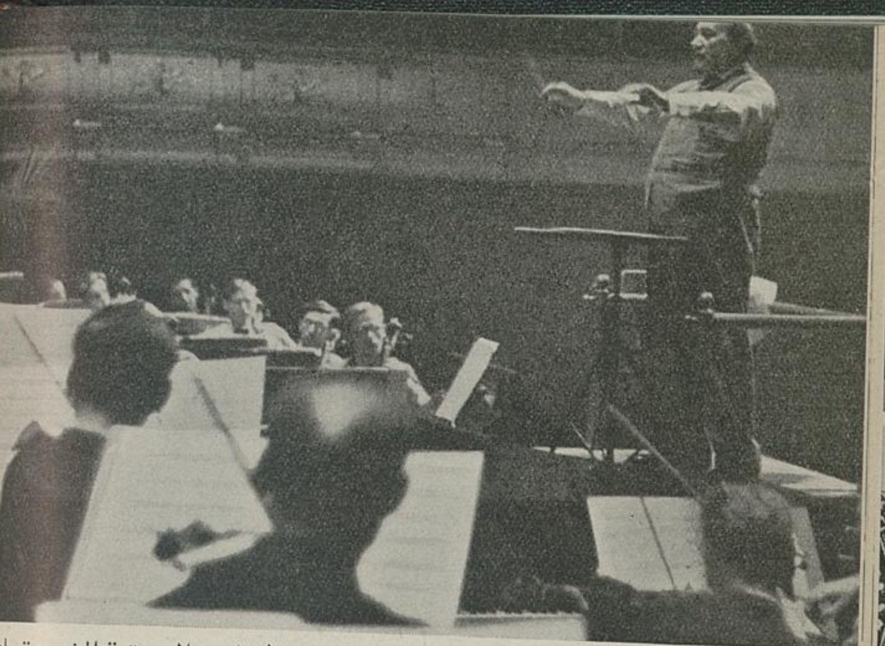
ذلك ان الجمهور كان يعشق الموسيقى بكل معنى الكلمة ولم يكن
الناس يعتبرون الحفلات الموسيقية كمواعيد استثنائية ولم يكن الافراد
يقصدون اجتماعاتها الفخرية ليزهوا بمزاياهم الاجتماعية او الثقافية وانم
حلت الانغام والموسيقى قلوب النساء والرجال وملأت شرايينهم . ا
محبى الموسيقى الحقيقيين ليسوا ممن يعنون بايجاد جو مصطنع حتى يمكنه
الاستمتاع بالموسيقى بل يعتبرونها كجزء من انفسهم لا يحيون الا
بيئتها، وكذلك كان يفعل الانجليز تحت حكم ملكتهم العذراء العظي
الذكاء .

فقد انتشرت الموسيقى فى عهدها فى جميع البلاد وكانت بعض الادوات الموسيقية وعلى الاخص «الباص» تعلق فى غرف الاستقبال لتسلية الزائرين اثناء انتظارهم . وكان كل حلاق يقدم فى محله العود وغيره مثل ما يقدم اليوم المجلات المصورة لتسلية الزبائن المنتظرين . واصبح لكل حرفة اغانيها وموسيقاها التقليدية فكان السمكريون يرددون المواويل وبائعات اللبن تنشدن الاغانى وسائقو العربات يصفرون . بل واكثر من ذلك اصبحت الموسيقى شرطا اساسيا لكل حرفة تقريبا .

وقد طبع فى اواخر القرن السادس عشر كتاب ظريف الفه توماس دلونى عنوانه «السيد بيتشى ورجاله» وفى احد مواضع هذه القصة يحاول البطل واسمه هارى ان يتنكر فى شخصية صانع احذية ولكنه لا يجد الامر هينا . ولم تكن الصعوبة ترجع الى عدم قدرته على صناعة الاحذية وانما نشأت عندما سأله احد زملائه عما اذا كان يستطيع الغناء او دق الطبول او اللعب بالمزمار فاضطر هارى الى الاعتراف بانه لا يستطيع شيئا من ذلك فكاد ان يكشف بذلك امره الا ان احد اصدقائه تدخل فى هذه اللحظة الحرجة واعلن ان سبب عجز هارى فى الموسيقى يرجع الى انه لم يمض عليه وقت طويل فى صناعة الاحذية .

اما فى الطبقات العليا فقد كانت الموسيقى ضرورة لا بد منها . وقد كتب هنرى بيتشام فى كتابه «الجنتلمان الكامل» الذى كان يعد اساس الاخلاق والرسوم الاجتماعية فى الطبقات العليا فى ذلك الوقت يقول انه «لا يستقيم رجل القصر اذا لم يكن موسيقيا» وكل شخص لم يكن موسيقيا كان يتعرض دائما لمواقف يؤسف لها . ومن الأمثلة الطريفة على ذلك ما كتبه توماس مورلى احد كبار الموسيقيين فى عصر الملكة اليزابيث .

فقد كتب مورلى فى عام ١٥٩٧ كتابه المشهور «مقدمة واضحة وسهلة للموسيقى العملية» وهو عبارة عن محادثات بين استاذ وتلميذه ذكر فيها الاستاذ فيما يزيد عن ٢٠٠ صحيفة اساس الموسيقى، وكان التلميذ مع جهله بها حريصا على ان يتعلمها . وقد كان هذا الحرص نتيجة تجربة



سير هنرى وود مع الاوركسترا اثناء التمرن قبل احدى الحفلات الموسيقية الشهيرة بلن

قاسية حدثت للتلميذ فى الليلة السابقة على الدرس الاول اذ كان طبقا
للرواية يتناول العشاء عند احد اصدقائه وهنا يقول عن نفسه انه «اعدت
الكتب الموسيقية بعد العشاء طبقا للعادات والتقاليد المرعية وقدمت الى ربة
المنزل قطعة موسيقية وطلبت الى بكل اخلاص وبساطة ان اغنى . وعندما
اضطررت بعد جملة محاولات للاعتذار الى الاعتراف بانى لا استطيع الغنا
ظهرت امارات التعجب على الجميع وتهامس البعض متسائلين كيف
كانت نشأتى » .

ولا شك ان ذلك كان يعد، طبقا لمقاييس الحياة فى عصر الملكة اليزابيث
نقصا فى التربية اذ انه كان من النادر فى اى بيت انجليزى الا يعقب
الغناء تناول الطعام . وكان من العادة اذا اراد رب الدار ان يقيم وليمة
عشاء فى منزله عمد الى اناشيده المفضلة ثم ارسل تذاكر الدعوة ملاحظا
الا يقع تنافر فى اصوات مجموع ضيوفه عند الغناء . وقد يكون من المحتمل
يقول رب الدار لزوجته انه يستحيل دعوة الجار لانه سيحضر زوجته س

بينما لا يوجد دور «سوبرانو» زائد فى اى من الاغانى التى سيغنيها المدعوون .

ومع ذلك فهؤلاء الاشخاص كانوا لا يجدون متعة ولذة فى اصواتهم وفى اغانيهم البسيطة فقط كما كانت الحال بالنسبة للايطاليين مثلا بل كانوا يشتركون ايضا باهتمام فى كل ما يتعلق باحدث واعقد الدراسات الموسيقية وتطوراتها فى عهدهم . وكان اهتمامهم عمليا وجديا لحرصهم الدائم على التغنى بموسيقى جديدة .

وكان من نتائج هذه الرغبة الشاملة انها اوجدت انتاجا جديدا، فلما كانت الجماعة تتطلع الى موسيقى حديثة عالية ظهر جيل من الفنانين انتجوا موسيقى جديدة جميلة جدا وبذلك كانت انجلترا فى عصر الملكة اليزابيث مهد مجموعة من اعظم الموسيقيين الذين يعد زعيمهم وليم بيرد الذى عاش بين سنة ١٥٣٨ وسنة ١٦٢٦ وهو مع باليسترينا الايطالى اعظم موسيقار انجبته اوربا قبل باخ .

فقد وهب وليم بيرد وجون دولاند العواد الشهير، الموسيقى الاوربية اتجاها جديدا صرفا بالنسبة للشعر والاصوات .

فهما اول من نظم الاغانى ووضعها فى شكل وحدة فنية منظمة .

ومع ان الاغانى قد وجدت قبلهما ولا شك، اذ كان الموسيقيون المتجولون وشعراء الريف خلال القرون الوسطى ينشدون الاغانى، ولكنها لم تكن ذات طريقة منظمة معتمدة للترتيب والتدوين الموسيقى اذ كانت تعتمد على رواية قصة مثيرة او مداعبة سيدة فكانت الالفاظ والكلمات دائما اهم كثيرا من النغمات وكانت تجهز قبل العرض الموسيقى . اما النغمات والالحان فكانت ترتجل فى الحال بشكل يتجاوب ويتفق مع الكلمات وعلى طريقة اقرب الى اغانى الاطفال . وكانت النغمة المنفردة قليلة الاهمية بلا شك .

وكانت هناك كذلك الاغانى الشعبية وبعضها عظيم الشأن . ولكنها كانت تغنى ايضا بطريقة خالية من الفن ولم تكن منظمة كوحدات فنية

كاملة التفاصيل تعد كلا لا يقبل التجزئة . واخيرا فقد كان هناك اغانى
الاساتذة المعقدة وكانت عبارة عن مشكلات حسابية موسيقية واوضاع
صوتية ليس لها اى اتصال بالكلمات التى توضع لها .

اما فن الغناء كما نعرفه اليوم فهو مختلف جدا اذ يعمد الموسيقار فيه
الى قطعة شعرية فيلحنها وازنا لكل نغمة ومراعيا ان تكون لازمة فى محلها
وتطابق النغمات الاخرى . واهم من ذلك كله ان الموسيقى والكلمات
يجب ان توضع فى حدود علاقاتها بعضها ببعض فيعبر الصوت عن روح
النص ومعناه .

وفن الغناء هذا يتصل بالشعر اتصاله بالموسيقى وقد نشأ من الآداب
ومن الثروة الشعرية التى اذخرت فى عصر الملكة اليزابيث . ومثل هذا
الفن لا ينبت الا فى جماعة لهم ذوق فى الشعر وغرام بالموسيقى وفى بلاد
يتعاصر فيها رجلان مثل بيرد وشكسبير ويشعر فيها افراد الجمهور بتقدير
للشعر والموسيقى معا .

وقد عبر بيرد بوضوح تام عن تقدير الموسيقار للالفاظ وموقفه منها
تلك الالفاظ التى صاحبت الموسيقى الاوربية منذ نشأتها الاولى فقال
«توجد قوة خفية كامنة فى الفكر وراء الكلمات نفسها، وبذلك فكلما ازداد
تفكير الانسان فى هذه الالفاظ وتأمله لها بشكل جدى مستمر كلما خطرت
له نغماتها المناسبة بصورة ايحائية من تلقاء نفسها » .

وهذه النظرة الانجليزية الحديثة قد شكلت اعمال كل موسيقار اشتغل
بتلحين الاصوات على مدى القرون المتعاقبة وقد احدثت هذه النظرية
تغييرا عميقا سيظل اثره باقيا ما دامت الموسيقى الاوربية .

———— * ————

الدراسات الشرقية فى لندن

بقلم رئيس التحرير

فى الخامس عشر من شهر مارس عام ١٨٢٣ عقد اجتماع فى منزل يقع فى احد احياء لندن الحديثة بقصد النظر فى خطط ترمى الى تأليف هيئة يكون من شأنها تشجيع الدراسات فى اللغات والثقافات الشرقية واحتل رئاسة الاجتماع هنرى توماس كولبروك . وكان هذا الاجتماع العام نتيجة طبيعية لاجتماع خاص عقد قبل ذلك بشهرين وفيه قام كولبروك والسير جون مالكلم والسير جورج ستونتن



ختم الجمعية الملكية الاسيوية .

وغيرهم من الرجال البارزين الذين وهبوا حياتهم للدراسات الشرقية، قاموا بوضع خطط تجريبية تقدموا بها الى هذا الاجتماع العام لمناقشتها وابداء ما يتراءى لهم فى شأنها .

وكان للفكرة ذاتها على اى حال مصدر او اصل فى جمعية البنغال الآسيوية التى انشأها السير وليام جونز فى كلكتا عام ١٧٨٤ وكان كولبروك عضوا عاملا فيها اثناء اقامته بالهند؛ وقد اوقف حياته بكل حماس وتوفيق لدراسة اللغة السنسكريتية ولما وفق اخيرا الى جمع مجموعة كبيرة وقيمة من المخطوطات السنسكريتية صرف فى سبيلها كثيرا من التكاليف من جيبه الخاص لم يضن بها بل اهداها الى شركة الهند الشرقية (مكتبة وزارة الهند الآن) التى رأسها فى ذلك الحين السير تشارلز ولكنز . وكان ولكنز نفسه وهو عالم مشهود له بالكفاءة فى اللغات العربية والفارسية والسنسكريتية احد المتحمسين فى تعضيد مشروع تكوين جمعية اسيوية فى لندن .

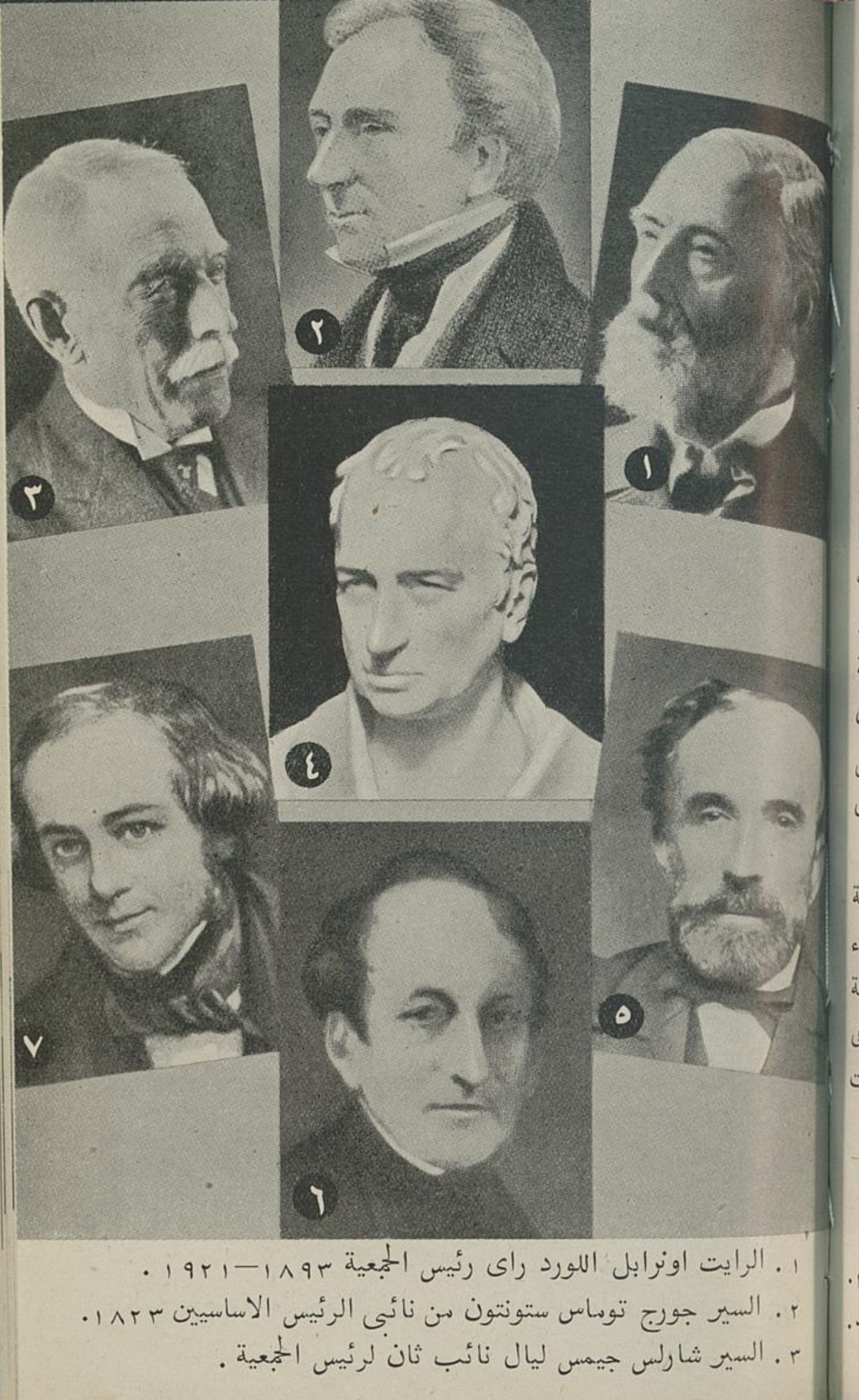
وعرض كولبروك فى خطابه الافتتاحى اهداف تلك الهيئة الجديدة

كما عبر عن اوجه نشاطها فستؤسس الهيئة للبحث والاستقصاء فى العلوم
والفنون الآسيوسية ويرجى منها ان تهون وسائل الاصلاح والتحسين هناك
كما يرجى العمل على تقدم العلوم والفنون فى بريطانيا نفسها .
فآسيا هى اقدم مناطق المعمورة واكثرها ازدحاما بالسكان وسوف يشمل
نطاق البحث كل اجزائها وسوف يكون متنوعا كتنوع شعوبها وستتضمن
اعمال البحث العهدين القديم والحديث فى التاريخ ونظام الحكومات
المدنية والدساتير والعادات والاخلاق واللغات والآداب والعلوم وفى
اختصار تقدم العلوم فى آسيا ووسائل اتساعها ونموها . ولا يقتصر
اختصاص الهيئة على حدود آسيا الجغرافية بل يمتد فيشمل علاقة آسيا
الغربية بالممالك الاجنبية كما حدث عند انتشار الاسلام؛ ولا يصبح اى
شئ دار بتفكير الرجال فى تلك المناطق غريبا على استقصاء الهيئة فى
تلك الحدود . وصادق الجمع المحتشد على الآراء التى عبرت عنها تلك
الافتتاحية المشهودة النبيلة بكل حرارة وحماس وتم نشر الافتتاحية فيما بعد .

وحصلت الجمعية التى اسست على تلك الصورة الرسمية على مصادقة
اهم الدوائر السياسية والعلمية فى الحال وقبل ملك بريطانيا نفسه ان
يكون ولى امر الجمعية بينما اصبح المركيز ولزلى والماركيز هيستنجز وكيلى
ولى الامر وانتخب صاحب الشرف الرفيع تشارلز واتكن وليامز ون اول
رئيس لها كما كان كولبروك مديرها الاول .

ولما كان من بين اهداف الجمعية الاساسية هو نشر الابحاث العلمية
فقد ظهر اول مجلد من «تقارير البحث» فى عام ١٨٢٧ ولكن بعد انقضاء
سبع سنوات تغير اسم تلك النشرة وصورتها وحلت محلها «صحيفة الجمعية
الآسيوية الملكية» وما زالت تظهر فى فترات منظمة حتى اليوم ويقع فى
عهدة الهيئة بالاضافة الى ما تقدم اعانات مالية لطبع مجلدات فى دراسات
منفصلة .

٤ . هنرى توماس كولبروك مؤسس ومدير الجمعية ١٨٢٣—١٨٣٧ .
٥ . البروفيسور السير مونيار مونيار ويليامز نائب رئيس الجمعية .
٦ . البروفيسور هوراس هيمان ولسون مدير ورئيس الجمعية ١٨٥٥—١٨٥٩
٧ . الماجور جنرال السير هنرى رولينسون المدير والذى عين رئيسا فيما بعد



١ . الرايت اونرابل اللورد راى رئيس الجمعية ١٨٩٣—١٩٢١ .
٢ . السير جورج توماس ستونتون من نائبى الرئيس الاساسيين ١٨٢٣ .
٣ . السير شارلس جيمس ليال نائب ثان لرئيس الجمعية .

ومن بين اوجـه نشاطها الاخرى هى مهمة تنظيم محاضرات يلقيه
اشهر المختصين فى المواضيع التى يشملها اختصاص الجمعية الواسع وه
تملك مكتبة كبيرة حيث يسرح للاعضاء استعارة ما شاءوا من الكت
وبالاضافة الى العدد الوفير من الكتب المطبوعة فى كل اللغات الآسيو
وآدابها وتاريخها وفنونها الجميلة تملك المكتبة مجموعة عظيمة من المخطوطا
الشرقية التى وهبها للمكتبة عدد من الجوادين المحسنين .

ومنذ تأسيس الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وايرلن
فقد جمعت بين اعضائها لا كل مستشرق بريطاني معروف وعددا كبيرا م
مستشرقى البلدان الاخرى فحسب بل شملت ايضا كثيرا من السياسي
البارزين ورجال الادارات المختلفة . ويرأس الجمعية الآن السير ريتشار
ونستد الذى كان فيما مضى مديرا للتعليم فى الملايو وهو اكبر علامة
لغة الملايو قد انجبته بريطانيا واما مدير الجمعية فهو البروفوسور ر. ل
ترنر وهو عالم المعى فى اللغة السنسكريتية ويحتل ايضا منصب مد
مدرسة اللغات الشرقية والافريقية بجامعة لندن .

ومن البديهى ان الدراسات العربيـة تكون فرعا واحـدا من الفرو
العديدة فى نواحى نشاط الجمعية مع انه فرع قد تمتع بتعضيد كبير فم
بين هؤلاء البارزين فى الدراسات العربية الذين كانوا اعضاء فى الجمعي
فى السنوات الاخيرة نذكر د . س . مارجوليث وكان مديرا للجمعي
لعدة سنوات و ا . ج . براون والسير دنسن روس و ا . ا . بفن والس
شارلس ليال . ومن بين اعضائها الحاليين ر . ا . نكلسون و ه . ا . ر
جب و ا . س . تريتون و ه . ج . فارمر وعدد كبير من البريطاني
المشهورين فى الدراسات العربية . هؤلاء الرجال قد عملوا بسداد على صيا
الدراسات العربية فى تاريخ الجمعية الطويل كما نشرت لهم مقالات علم
عديدة فى مجلة الجمعية .

ونذكر من بين مطبوعات الجمعية المنفصلة نسخة مترجمة لمقاما
الحريرى وترجمة «لترجمان الاشواق» لابن العربى قام بوضعها ر . ا
نيكلسن وترجمة «لمشكاة الانوار» للغزالى قام بها و . ه . ت . جيرد



نسخة من «تاريخ العالم» لرشيد الدين ترجع الى عام ١٣٠٦—١٣١٢ وتحتفظ الجمعية الملكية الاسيوية بستين من صحائفها .

وجانب من كتاب «نشوار المحاضرة» لابى على التنوخى قام بتصحيحه وترجمته د . س . مارجوليوث .

و«الادب والفن» بمناسبة بلوغ الجمعية عامها العشرين بعد المائة يسهب فى تقديم تهانيه واحترامه وينتهز هذه المناسبة ليوجه نظر القارئ الى الاعمال الجليلة التى قامت بها ولا تزال تلك الجمعية العتيقة فى معاونة الدراسات الشرقية . واننا بينما نتمنى للجمعية مجدا لا يزال اكثر ازدهارا وعلوا وانتاجا اكثر ثمرا فاننا نود ان نذكر ان نجاح هذه الجمعية ككل الجمعيات التى تعتمد على تعضيد الافراد لا يمكن ان يحقق الا اذا تدفق اليها سيل من الاعضاء المحسنين الجوادين واولياء لها على استعداد لان يعبروا عن عطفهم وغيرتهم على الدراسات الشرقية بطريقة عملية . واننا لنأمل ان يظل عدد اعضاء الجمعية فى نمو متزايد وعلى الاخص فى الممالك الشرقية وانه عن طريق العضوية المشتركة والتعاون قد يتسنى للمستشرقين فى كل البلدان ان يجعلوا اثرهم ونفوذهم محسوسا فى ضمان التفاهم العالمى والسلام الدائم .

آلتي الكاتبة

بقلم ت . ه . ماينارد

كنت فى يوم من الايام جالسا بين يدى آلتى الكاتبة اتحدث الى محر
«الادب والفن» فطلب الى ان اكتب مقالا اقدم به الى قرائه لمحة عن
تاريخ الآلة الكاتبة الحديثة واتعقب تطوراتها على ان اشير اشارة خاص
الى ما له من علاقات باللغات الشرقية .

ومع انى استعمل الآلة الكاتبة من نحو ٢٠ عاما واشعر بنقص كبير
فى حالة غياب آلتى الكاتبة التى احملها معى فى تنقلاتى فانى لم اشعر بقيمت
الحقيقية الا عند كتابة هذا المقال . وانى اشعر تماما ان قراء «الادب
والفن» سيسرهم كثيرا ان يلموا بتاريخها .

والكتابة على الآلة الكاتبة هى خطوة وسطى بين الكتابة باليد وفن
صف الحروف والطبع . وقد قصد بالكثير من الآلات الكاتبة التى اخترعت
فى البداية مساعدة الذين اصيبوا بفقد البصر على الكتابة والقراءة ومن
هنا كانت السرعة بطبيعة الحال عاملا لا اهمية له . ولم تبدأ اهمية الآل
الكاتبة وتقدير الناس لقيمتها الا بعد ان اصبحت اسرع فى الكتابة من
القلم .

وقد بدأ تاريخ الآلة الكاتبة باختراع بريطانى سجل تحت رقم ٣٩٥
فى عام ١٧١٤ وهو باسم مهندس انجليزى كان اسمه هنرى ميل وقد
وصفت بانها «آلة صناعية او طريقة لطبع الحروف او كتابتها اما مفردة ا
بتعاقب الحروف الواحد تلو الآخر كما يحدث فى الكتابة وبذلك يمكن تدوين
اية كتابة على الورق او الجلد بطريقة انيقة ودقيقة لا يمكن التفريق بينه
وبين الطباعة» . ولسوء الحظ لم يبق الآن ما يدل على تفاصيل هذ
الاختراع او على ان ميل قد ثابر على تحسين فكرته والتقدم بها .

على انه منذ ذلك الوقت استمر التقدم بطيئا اذ اننا نجد ان بعض الآلات الكاتبة قد اخترعت ولكن اكثرها قد قصد به مساعدة العميان على الكتابة . وكان اهم اختراع يصح ان يطلق عليه وصف الماكينة هو اختراع بليجرينو تورى من اهالى كاستيل نوفو الذى اخترع فى عام ١٨٠٨ ماكينة لاستعمال سيدة عمياء الكونتيس كارولينا فانتونى دافيفيزونو.

واستمر الانسان فى اجهاد عبقريته حتى اخترع وليم اوستين بيرت من اهالى ديترويت فى عام ١٨٢٩ ماكينة عرفت باسم «تيبوجرافر» وكان تسجيل هذا الاختراع اول تسجيل فى الولايات المتحدة للآلة الكاتبة . واعقب بيرت مباشرة طباع فرنسى اسمه كزافير بروجين من مرسيليا فاخترع آلة وسجلها فى عام ١٨٣٨ وكانت خطوة هامة، اذ كانت اول ماكينة من النوع الذى تتم الطباعة فيه بالضغط الى الاسفل . وقد ادعى انها تكتب «بمثل سرعة القلم تقريبا» . وحدث فى اثناء ذلك ان محاميا ايطاليا اسمه جوزيبى رافيتسا اتى باختراع جديد هام فى طرق التحبير . وقد حاول رافيتسا عدة طرق فى التحبير مثل الشريط الحريرى والاسطوانات المحبرة التى تحتك بها احرف الطباعة ولكنه عاد فى النهاية الى طريقة الشريط المحبر ويمكن ان يعتبر بذلك مخترع هذه الطريقة . وهناك اصل هام وهو ان رافيتسا اعد لوحة الحروف لاعلى حسب ترتيب الحروف الهجائية ولكن بترتيب غالبية تكرار استعمالها . وسنتعرض لهذا بالتفصيل فيما بعد.

وفى عام ١٨٤٥ نجد ان تشارلس ثيربر

آلة نسخ بيرت عام ١٨٢٩ .



آلة كتابة شولز وجليدين عام ١٨٧٥ .

من اهالى امريكا قد سجل
اختراع آلة كاتبة من
مزاياها مراعاة الفواصل
بين حروف الكلمات . و
تكن هذه الماكينة معدة
للاستعمال التجارى بل
قصد بها مساعدة العميان
ولكن ذلك لم يضعف من
اهميتها اذ ان مراعاة
الفواصل عامل عظي
الاهمية ونفعه فى الماكينات
الحديثة كبير وعلى الاخص بالنسبة للغات الشرقية كما سيتبين بوضوح
كلما تقدمنا فى دراسة تاريخ الآلة الكاتبة .

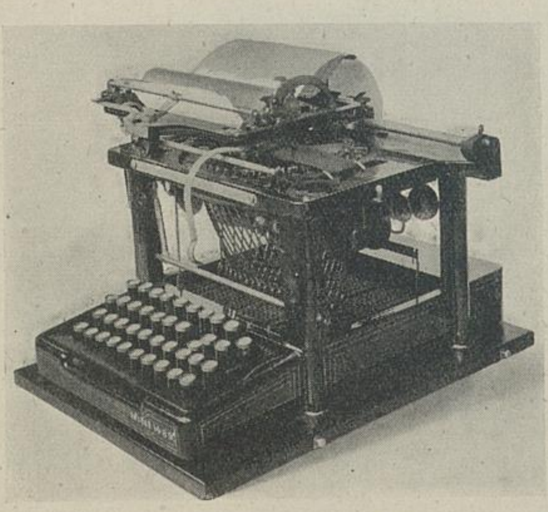
وكان جون برات هو اول من اخترع الآلات الكاتبة ذات العجل
وذلك فى عام ١٨٦٦ وقد سميت «بتيروتايب» (الطباعة المجنحة) . و
يلبث بعد ظهور هذه الماكينة ان ظهر اثر المجهود المشترك الذى قام به
كريستوفر لاثام شولز وكارلوس جليدين وصمويل صولى وجيمس دينسمو
وكثير من الميكانيكيين البارعين الذين عملوا معهم فى ميلووكى . وهذ
النتائج قد تقدمت كثيرا عما سبقها وهى تعد اول خطة هامة فى سبيل
تطور ماكينة الكتابة العصرية لان هؤلاء الرجال قد اشتغلوا بجد ومثابرة
وحاولوا تجارب متعددة وفحصوا ودققوا ووافقوا ورفضوا حتى كان عا
١٨٧٢ فاخترعوا نوعا من هذه الماكينات يصلح للعرض فى الاسواق
التجارية .

واذا تركنا شولز وجليدين ودينسمور فى تجاربهم فاننا نجد من جه
اخرى ان احد القساوسة وهو ر . ج . مالينج هانسن من اهالى
كوبنهافن اخترع آلة فى عام ١٨٧٠ تعد اول ماكينة من نوعها عرضت

للبيع للجمهور. كما ان المخترع العظيم توماس اديسون اخترع بعد عامين من ذلك التاريخ ما يكون اساس ماكينة الكتابة المعروفة باسم "Stock-ticker".

فاذا عدنا الآن الى شولز وجليدين ودينسمور فاننا نجد انهم فى شهر فبراير سنة ١٨٧٣ تقدموا بماكينتهم الى ا. ريمينجتون واولاده اصحاب مصانع الاسلحة الصغيرة المعروفين. ولولا — لحسن حظهم — ان اثنين من رجال ريمينجتون قابلاهم بالموافقة والحماسة لكان مصير هذه الماكينة فى اكوام المهملات. ولم يلبث بعد ذلك ان بدأ انتاج هذه الماكينة واخرجت مصانع ريمينجتون اول نموذج لها فى عام ١٨٧٤ عرف باسم ريمينجتون رقم ١.

ويجب ان نذكر ان كلا من شولز وجليدين كانا من المشتغلين بصف الحروف فى الطباعة وبذلك لم يهتموا كثيرا بترتيب الحروف على اللوحة على حسب ترتيب الحروف الهجائية. وحدث فى اثناء التجارب التى قاما بها ان لاحظا تصادم اعمدة الحروف واشتباكها فى اوقات متقاربة فخطر لهما ترتيب لوحة الحروف على طريقة اساسها وضع الحروف التى يتكرر استعمالها متعاقبة، فى امكنة متباعدة من اللوحة. وطلب دينسمور الى صهره، وكان ملاحظا لاحدى المدارس، ان يضع له قائمة للحروف التى يغلب استعمالها متعاقبة فى الكتابة باللغة الانجليزية

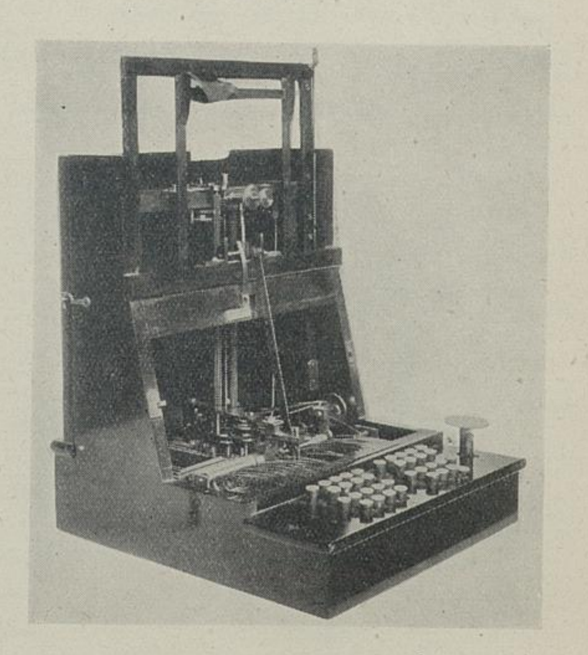


آلة كتابة رمينجتون نموذج رقم ٢ عام ١٨٧٨.

واتخذوا هذه القائمة اساسا لترتيب الحروف على لوحتهم النهائية وهي
اللوحة التى تستعمل الآن فى جميع الماكينات تقريبا .

والواقع انه ليس هناك من ابتكار كثير فى الماكينة التى اخترع
شولز وجليدين ولكن اهم الظواهر والتقدمات فيها انهما قد استمرا
تجاربهما حتى تم اختراع لوحة الحروف المعروفة الآن فى العالم كله الت
كان من نتائجها تحقيق السرعة فى الكتابة دون ان تتصادم اعمدة الحرو
او تتشابك وهذا هو سر نجاحها والاساس الذى ساعد فعلا على انتا
ماكينات الكتابة العملية وصناعتها .

وبعد ان تم اختراع آلة ريمينجتون رقم ١ بدأت المنافسات الشدي
التى ترتبت عليها تقدمات سريعة . وظهرت جملة مبادىء فى صناعة ه
الماكينات انتصر لكل منها منتصرون . وكان الكثير من الآلات الجزئ
فى الماكينة محل جدل ودراسة حادين . وقد حدث ذلك مثلا بالنس
لنظرية الشريط المحبر ومقارنتها بالتحبير المباشر. فبينما الاولى ق
اصبحت عالمية ف
من المعترف به
الثانية تعد اك
وضوحا فى الطباع
ثم اشتد الجد
بالنسبة لمفتاح التع
الذى يغير الحرو
العادية الى الحرو
الكبرى التى تستعم



آلة كاتبة
«بتيروتايب»
عام ١٨٨٦ .



آلة كاتبة «اندروود» نموذج رقم ١ عام ١٨٩٧.

فى بداية الجملة او فى اول الكلمة، ثم بالنسبة للاسطوانة اى فى افضلية ان تكون الاسطوانة هى التى تتحرك ام مفاتيح الحروف، وفيما يختص باستعمال لوحة المفاتيح الواحدة او المزدوجة. وبانتشار لوحة المفاتيح العالمية وطريقة الكتابة باللمس التى ترتب عليها ان يستمر الكاتب على الآلة الكاتبة فى عمله دون ان ينظر الى لوحة الحروف اصبحت اللوحة المزدوجة عديمة النفع . ثم كان من المسائل التى لم يفصل فيها هى اهمية تفاوت المسافة بين الحروف . وتفاوت المسافة له اهمية خاصة اذ انه يعطى لما يكتب على الآلة الكاتبة نفس الشكل كما لو كانت الكلمات قد طبعت بآلة الطباعة فلا يكون نفس المسافة للحروف الرومانية التى تتفاوت فى الحجم، فمثلا حرف (i) وحرف (l) لا يحتاجان الى نفس المسافة التى يحتاج اليها حرف (W) . على ان عامل المسافة هذا قد اغفل فى اغلب الماكينات الحديثة اذ اعطيت نفس المسافة لجميع الحروف صغيرها وكبيرها . وقد انتصر كثير من المخترعين البريطانيين بحماس لاهمية تفاوت المسافة ولكن زملاءهم فى الولايات المتحدة قد اسقطوها من اعتبارهم كمسألة لا اهمية



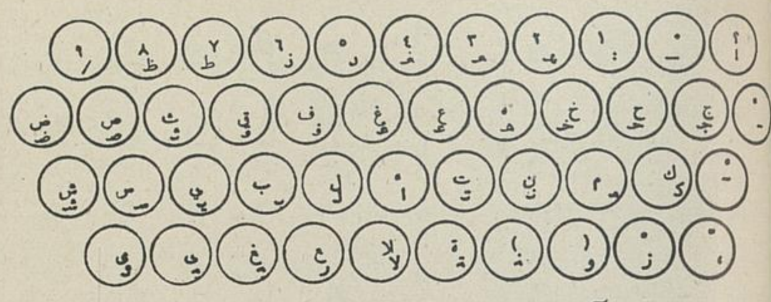
آلة كاتبة «رمينجتون» رقم ١٠ الشهيرة عام ١٩٠٧ .

لها اصلا . وسيتبين لنا عند الكلام على اللغات الشرقية انه كان من المصلحة ان ينتصر الانجليز لأفضلية تفاوت المسافة لان ذلك يعد من العوامل الرئيسية الهامة بالنسبة للغات الشرقية .

وقد تمت بعد ذلك صناعة كثير من انواع الآلات الكاتبة بعد ان ادخلت عليها بعض تحسينات ثم جاءت سنة ١٨٩٣ فظهرت ماكينة صغيرة تعد بحق اول الماكينات الكاتبة التى يمكن حملها بسهولة وقد عرفت باسم مخترعها «بليكينسديرفر» . وفى سنة ١٨٩٦ اخترع و. ب. كيدير بالاشتراك مع الاونروابل س. س. كولبى اول ماكينة لا تحدث صوتا وتولدت من اساسها الماكينة الحالية التى لا تحدث صوتا . وفى عام ١٨٩٦ انتجت مصانع ريمينجتون اول شريط حريرى للآلة الكاتبة يقدم ويعقب اوتوماتيكيا .

وفى العام التالى ظهرت ماكينة الكتابة «اندروود رقم ١ » وهى تعد طليعة ماكينات الكتابة التى يمكن رؤية ما تطبعه كاملا اثناء عملية الكتابة

ويجب ان نشير الى ان طريقة دق اعمدة الحروف على الاسطوانة قد مرت بتجارب عديدة وتعرضت لاخطاء كثيرة وهى فى سبيل تطورها الى شكلها



المفاتيح العربية لآلة كاتبة حديثة ماركة «امبيريال» .

المفاتيح العبرية لآلة كاتبة حديثة ماركة «امبيريال» .

حروف آلة كاتبة ماركة «امبيريال» بالسنهالية .

| − ภ ถ ุ ึ ค ต จ ข ช
ไ ำ พ ะ ั ี ร น ย บ ล
ฟ ห ก ด เ ้ ่ า ส ว ง
ฝ ป แ อ ิ ื ท ม ใ ฝ
๑ ๒ ๓ ๔ ู ๕ ๕ ๖ ๗ ๘ ๙
๐ ฎ ฑ ธ ุ ๋ ณ ๆ ญ ฐ ,
ฤ ฆ ฏ โ ฌ ็ ๊ ษ ศ ซ .
( ) ฉ ฮ . ์ ๆ ฒ ฬ ฦ

حروف آلة كاتبة ماركة «امبيريال» باللغة السيامية .

الحاضر . وقد اطلق على تصميم نوع منها اسم «القطاع المتارجح» وف
ركبت الحروف على شكل قطاع دائرى وتتم الطباعة بان يدور القط
حتى يواجه الحرف المراد طبعه مكانه فى الورقة . واتى بعد ذلك تصميم آ
عرف باسم «العجلة الطابعة» التى تولد منها التصميم الذى اطلق عا
«الكم الطابع» . وتبع ذلك التصميان اللذان عرفا باسمى «الخاف
الداق على نصف القطر» و«العمود الداق على نصف القطر» وقد استعم
التصميان فى كثير من الآلات الحديثة من النوع الذى لا يحدث صوت
وقد تعددت كذلك تصميات من طريقة «الفهرست» .

وقد مرت الماكينات التى تستعمل الاعمدة الداقة بجملة ادوار مختلفة كان من اشهرها النوع المعروف بتصميم « الدقات العليا » وفيها يدق العامود على الورقة تحت الاسطوانة ولا يمكن رؤية الكتابة حتى ترفع هذه الاسطوانة . كما انه كان هناك تصميم يعرف باسم «الدقات السفلى من الامام » وآخر يعرف باسم «الدقات السفلى من الخلف » او «الجنب »، واخيرا تصميم «ضربات الجراد » وتصميم «الضربات النصف امامية » الذى استعمل منذ سنة ١٨٨٣ وكان له نجاح كبير فى الماكينات المحمولة .

وسع مرور الزمن دخلت جملة تحسينات على ماكينة الكتابة وهذه التحسينات ادرجت فى الآلة الحديثة كلما ثبتت صبغتها العملية . وفى عام ١٩١٦ ظهرت «ماكينة الكتابة الوطنية» التى يمكن حملها بسهولة وهى من



آلة كاتبة ماركة «رمينجتون » التى لا يسمع لها صوت . وقد رفع الغطاء الاعلى لأظهار داخلها .



آلة كاتبة يمكن حملهـ
ماركة امبيريال «جو
كومبانيون » .

اولى الماكينات المحمولة الحديثة . ولكن ريمينجتون عرض على السوق
فى عام ١٩٢٠ ماكينة محمولة ذات اللوحة العادية بالصفوف الاربعـ
يرفعها مفتاح واحد . ومع الزمن اثمر التطور تدريجيا ثمرته الكاملة حي
عمم نوع واحد من التصميم . وبذلك يمكننا اليوم ان نشترى بما قـ
يعتبر مبلغا ضئيلا من النقود قطعة فنية اقتضى عملها تجارب وخبرة وبحـ
لمدة ٧٠ عاما . وبلغ تطور الماكينة الكاتبة حدا من الدقة صيرت الماكين
التى لا تحدث صوتا شيئا معتادا بل ان هناك فوق ذلك ماكينات اخرى
تدار بالكهرباء فتوفر بذلك على كاتبها العناء والتعب وهى فى الوقت نفسـ
تحقق مستوى عاليا جدا من السرعة .

وكان من الطبيعى مع تقدم حركة الاعمال والتجارة ان يدرك العـ
الشرقى مزايا الآلة الكاتبة بالنسبة للقلم ولذلك استنفد كثير من الوقـ
والبحث فى سبيل اختراع آلة كاتبة تستطيع ان تجمع جمال ووقار واصو
الخطوط الشرقية القديمة . وقد مرت هذه التجارب التى استغرقت السنـ
الطوال بسقطات حتى امكن تحقيق النجاح وادراكه . ومن ذلك انه كا
لا بد ان تعكس حركة الماكينة كما ان عامل المسافة وضبط الحروف المختلـ
للكلمة فى مواضعها الاولى والوسطى والنهائية لم يكن بمشكلة بسيطة الحل

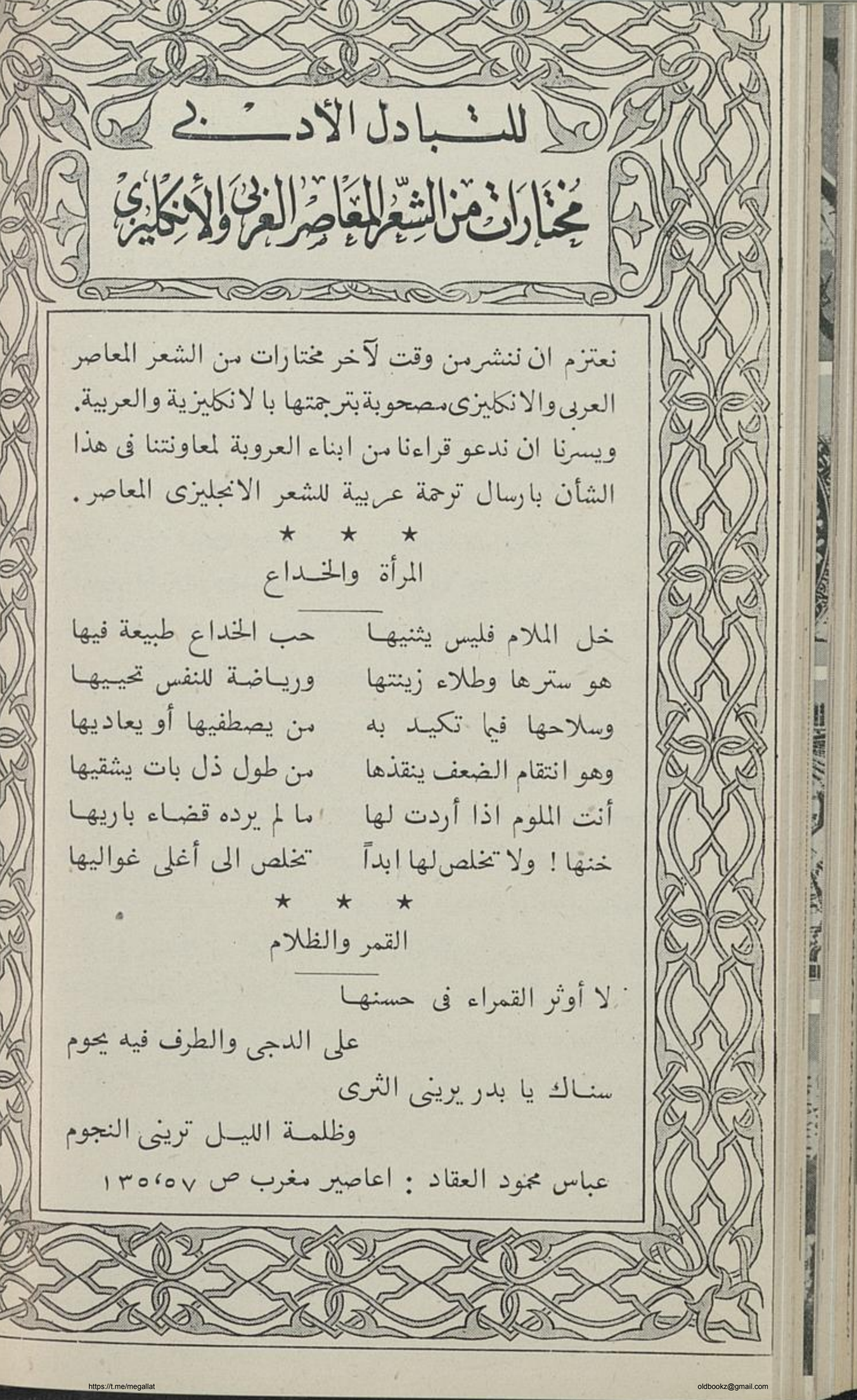
وقد سبق ان تعرضنا فيما قبل فى هذا المقال لعامل المسافة بالنسبة للحروف اللاتينية . اما بالنسبة للغة العربية واللغات الشرقية فان عامل المسافة له اهمية اولى ولا يمكن اغفاله . ذلك لان حرف (ا) او (ه) لا يمكن بطبيعة الحال ان يشغل نفس المسافة التى يشغلها حرف (ص) او (ط) من غير ان تبدو الكتابة غير منسقة وينقصها الجمال التقليدى لخط اليد .

وعندما تدرس الامثلة المتنوعة المعروضة هنا فسوف يتضح للقارئ ان هذه الماكينات هى الامثلة العليا للمهارة والعبقرية وان الثناء مهما عظم يجب ان يكون من نصيب اولئك الصناع الذين وضعوا تصميمات هذه الماكينات وصنعوها . ففى النماذج الاولى كانت النقط المميزة بين الحروف المتشاكلة لا بد من كتابتها منفصلة مما كان يعطل سير الكاتب على الآلة وينقص سرعته ويعرضه للكثير من الصعوبات . ولكن هذه النقط قد ادمجت الآن مع الحروف وبسطت جميع الحروف الابجدية ولوحتها .

وان الشركة الامبراطورية للماكينات الكاتبة وهى التى تفضلت فسمحت لنا بان ننشر نماذج من اللغات السيامية والسنهالية والعربية والعبرية مطبوعة بآلاتها قد درست جميع اللغات الشرقية بعناية بل ودعت الخبراء من مختلف البلاد لزيارة مصانعها والاقامة بانجلترا مدة طويلة من الزمن لمساعدة خبرائهم والعمل على التقدم الدقيق بالحروف .

فعلينا اذن كلما جلسنا امام الآلة الكاتبة ان نذكر الى اى حد كبير تمثل هذه الماكينة عبقرية معقدة مع بساطة واضحة فى الوقت نفسه . وعلينا اذا امكن ان نذكر الادوار المختلفة المتعاقبة التى مرت بها صناعة هذه الماكينة قبل ان تبلغ شكلها الحاضر . ويجب علينا ان نذكر بالثناء قدرة وعبقرية وذكاء وصبر وعظم عمل الكثير من المئات من اصحاب العقول التى ساهمت خلال ٧٠ عاما فى تطور آلة الكتابة الحاضرة والتى تجمعت كلها لتقدم للعالم وسيلة للتعبير لا تقدر قيمتها ولا يمكن ان تعوض .

*



للتبادل الأدبى

مختارات من الشعر المعاصر العربى والانكليزى

نعتزم ان ننشر من وقت لآخر مختارات من الشعر المعاصر العربى والانكليزى مصحوبة بترجمتها بالانكليزية والعربية. ويسرنا ان ندعو قراءنا من ابناء العروبة لمعاونتنا فى هذا الشأن بارسال ترجمة عربية للشعر الانجليزى المعاصر.

* * *

المرأة والخداع

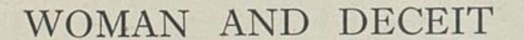
خل الملام فليس يثنيها ... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها وطلاء زينتها ... ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به ... من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها ... من طول ذل بات يشقيها
أنت الملوم اذا أردت لها ... ما لم يرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها ابداً ... تخلص الى أغلى غواليها

* * *

القمر والظلام

لا أوثر القمراء فى حسنها
على الدجى والطرف فيه يحوم
سناك يا بدر يرينى الثرى
وظلمة الليل ترينى النجوم

عباس محمود العقاد : اعاصير مغرب ص ١٣٥،٥٧



WOMAN AND DECEIT

Spare thy breath ; do not reprove her ;
Never will reproaches move her.
If she cheats thee, do not grieve :
'Tis her nature to deceive—
Cheating is her beauty's cover,
So she disciplines her lover ;
'Tis her guileful armoury
'Gainst both friend and enemy ;
'Tis the vengeance of the frail,
When no other means avail
To deliver from her long
Mean subjection to the strong.
Rather is't reproach for thee,
Who hast willed that she should be
Other than the will divine
Fashioned her to Fate's design.
Then betray her, nor endeavour
To be faithful to her ever :
So thou'lt win, for being wise,
All she doth most dearly prize !

ABBAS MAHMUD AL-AQQAD.

A.J.A.

MOON AND SHADOW

Fair moonlight to my heart is not more dear
Than when mine eyes into the darkness peer:
Thy glow, bright orb, lights up the earth
for me,
But in night's shadows all the stars I see.

ABBAS MAHMUD AL-AQQAD.

A.J.A.

أوراق الحرية

لم يسبق لبريطانيا قبل اليوم ان ضمت بين ربوعها مثل هذا العد
من الاجانب الذين يعيشون فوق ارضها فبينما كان الاجانب فيها قبل
الحرب يبلغون الآلاف عدا فاذا بهم اليوم يعدون بعشرات ومئات الالوف

فالفرنسيون والبولنديون والتشيك والهولنديون والترويجيو
والبلجيكيون واليوغوسلافيون واليونانيون وكثير منهم فى ازياء قوا
بلادهم العسكرية الحرة يذرعون الشوارع وكثير منهم يعرف قليلا م
اللغة الانجليزية او لا يعرفها على الاطلاق وهم يتحرقون رغبة فى معر
اخبار الحرب والتعليقات عليها ومطالعتها فى لغاتهم الاصلية ومشاهد
صحف مألوفة لهم فى المظهر وطريقة الكتابة تتخصص لاخبار وآر
واتجاهات بلادهم .

ولم يكن ذلك بالامر الهين . ومع ذلك فلم يمض الا قليل حتى ع
الصحف المحررة بلغات اجنبية وكان ظهور تلك الصحف فى محلات ب
الجرائد من ابدع مظاهر وجود الاجانب ببريطانيا فكان ظهورها ترح
لهؤلاء الزائرين الذين اعدت لهم الاندية والمراكز الاجتماعية والن
والمطاعم وغيرها من انواع التسهيلات التى اعدت لهم حتى يشعر
كما لو كانوا فى بلادهم ولو انهم فوق ارض اجنبية .

فلم يمض بضعة اشهر على هزيمة فرنسا فى عام ١٩٤٠ حتى ظهر
الصحف والمجلات المعدة لسبع جنسيات هى الفرنسية والهولندية والتشيك
والبولندية والنرويجية والبلجيكية والالمانية من بينها ثلاث صحف يو
فرنسية والمانية وبولندية والباقية مجلات اسبوعية . ويقوم على ادا
وتحرير بعضها افراد ويستولى بعضها الآخر على اعانات مالية م
حكوماتها الحرة ولكنها جميعا تجمعها فكرة واحدة وهدف واحد وسيا



صورة لمجموعة بعض الجرائد الحرة التى تطبع اليوم ببريطانيا .

كل منها التعاون الكامل مع بريطانيا وكراهية النازية وحكم عصابات
والعزم على القتال حتى يقضى على خطرها .

ولعل من اهمها الجريدة اليومية فرنسا " France " وهى محررة فى ار
صفحات ومظهرها ومحتوياتها صحفية بكل معنى الكلمة ويحررها صحفيو
فرنسيون وبعض من سبق لهم العمل فى صحف باريس وهى تصدر
مطبعة عصرية وانتشارها واسع ويمكن شراؤها من جميع باعة الجرائد
جميع انحاء بريطانيا . وقد زاد مع الزمن عدد الصحف الفرنسية الح
فاصبح منها اليوم ما يصدر كل شهر وعددها اربع مجلات وما يصدر
اسبوعين كما ان منها ما يصدر فى مواعيد محددة .

ومن اهم الصحف الاجنبية الحديثة الصحيفة الالمانية د
زايتونج " Die Zeitung " التى يطالعها الآلاف من لاجئى الالمان والنمساو
الذين التجأوا الى بريطانيا فرارا من بربرية النازى . ومحررها صحفى ا
معروف يساعده جماعة من خصوم النازى من الصحفيين والكتاب الالم
وجريدة " Die Zeitung " هذه مستقلة عن الاحزاب وهى تحاول ان ت
عن آراء الجميع فيما عدا النازى بطبيعة الحال وسياستها مبنية على التع
الكامل مع بريطانيا ضد مستعبدى المانيا . ويمكن تلخيص سياستها فى
لها نشرتها فى اول مقالة افتتاحية لها : «فلنذكر دائما ان الم
كانت اول بلد غزاه هتلر» .

وقد كسبت الصحيفة الهولندية " Vrij Nederland " ومعناه هو
الحرة سمعة طيبة كجريدة اخبارية تحتوى على احدث الوقائع والاخبار . و
تختص فى اخبار هولندا المختلفة التى تصلها بطرق سرية يتعرض القائ
بها لخطر الموت، وهى اخبار تنبىء عن سلوك النازيين والمقاومة البا
التى يقوم بها شعب هولندا المحتلة .

والهولنديون على خلاف جيرانهم الالمان معروفون بروح الم
والدعابة وهم يعرفون ان باستطاعتهم مضايقة المحتل وازعاجه باغ
فى سيل من الفكاهات والنوادر . وقد جاء فى احد اعداد هذه الجريدة

حاول الالمان ان يمنعوا الهولنديين من الخروج من المقاهى العامة عند دخول الجنود الالمان . فاصدر القومندان الالمانى بغباوة امره بان لا يغادر احد مقهى عاما الا بعد استقرار الجنود الالمان فى اماكنهم بخمس عشرة دقيقة . فكانت النتيجة انه كلما دخل احد من الالمان مقهى عاما بادر الجالسون الى اخراج ساعاتهم ووضعها على الموائد حتى تمر خمس عشرة دقيقة فيخلوا المقهى بعدها تماما .

وجريدة "Vrij Nederland" جريدة مبتكرة وهى تشمل الاخبار العامة والآراء المختلفة ودراسات وتقارير خاصة من الهند الهولندية وجنوب افريقيا وامريكا كما تحتوى على فكاهات واقاصيص للاطفال والجنود . وقد طبعت فى اول ظهورها ٢٠٠٠٠ نسخة وهى منتشرة فى جميع انحاء العالم وتقوم بموافاة الرأى العالم الهولندى بمختلف الانباء والحوادث كما انها اولى الصحف الهولندية واهمها . وهناك غيرها صحيفتان هولنديتان هما الصحيفة الاسبوعية «صوت هولندا» واخرى خاصة بالجنود اسمها "De Bromtol" .

اما البولنديون وهم يكونون فرقة من اقوى الفرق الاجنبية فى بريطانيا فقد اسسوا بعد وصولهم ببضعة شهور عدة صحف احداها يومية اسمها "Dziennik Polski" وقد انتشر اعدادها بين البولنديين المتجمعين فى مختلف الانحاء وكانت اولى جرائدهم فى الواقع ، وهى من صحيفتين كتبتا على آلة كاتبة وطبعتا على الرونيو ، تم اعدادها بمعسكر من اكبر المعسكرات فى بريطانيا . اما الآن فقد اصدر البولنديون وهم معروفون بالنشاط والابتكار عددا كبيرا جدا من الصحف والنشرات التى تعبر عن جميع الآراء . ولا شك ان جميع انصار الحرية يتملكهم الرعب عند مطالعة انباء الفظائع التى يرتكبها النازى فى بولندا بينما يستطيع البولنديون من اخوانهم المقاتلين ان يرفعوا صوت الحرية فى ارض اجنبية فتحت لهم بابها على مصراعيه ومدتهم بالراحة والهدوء فى ساعة المحنة .

وللتشيك صحيفة اسمها "Nase Noviny" معدة على الآلة الكاتبة وتصدرها

قواتهم المحاربة ومحررها الآن هو برتبة جاويش . ولهم كذلك مجلة
"Czechoslovak" الاسبوعية المنتشرة فى الخارج انتشارها فى بريطانيا. ولا شك
انه مما يسر البريطانيين مضيفى التشيك ان يطالعوا قائمة الصحف التى
تصدر باللغة التشيكوسلوفاكية فى بريطانيا فيجدوا ان آراء ضيوفهم
وآدابهم وسياستهم يعبر عنها فى هذه البلاد الآن كما كان يعبر عنها
فى بلادهم انفسهم .

ويصدر البلجيكيون الذين يبلغ عددهم فى هذه البلاد نحو العشرين
الفا صحيفتين اسبوعيتين احداهما لمن يتكلمون لغة الفلمنك اسمها
"Onafhankelijk Belgie" والاخرى لمن يتكلمون الفرنسية اسمها
"La Belgique Indépendente" وكلتاهما تحتوى على معلومات مفيدة ودقيقة
عما يقع الآن من الحوادث فى بلجيكا كما ان كلتاهما تتضمن مقالا
رئيسيا باللغة الانجليزية ويقوم على تحرير هاتين الصحيفتين صحفيان
بلجيكيان كبيران . ويصدر البلجيكيون كذلك ثلاث صحف اخرى
باللغة الفلمنكية وكذلك مجلة "Marine" الشهرية التى تصدر باللغة
الفلمنكية والفرنسية معا .

ويصدر اللاجئون من اهالى النمسا صحفهم الخاصة بالانجليزية
والالمانية معا وهم على خلاف ما يحدث الآن فى بلادهم يتمتعون بحرية
الاعراب عن آرائهم المختلفة وهى حرية كاملة لا يشوبها خوف الاضطهاد
او الموت الذى ربما احاق بهم .

وللدانيماركيين الاحرار صحيفتان رسميتان احداهما باللغة الانجليزية
والاخرى بلغتهم الدانيماركية . كما يصدر اليونانيون البواسل صحيفتهم
"Hellas" الاسبوعية. واليوغوسلافيون ممثلون اتم تمثيل فى جالية حرة تقيم
الآن فى بريطانيا وهم يصدرون جريدتهم التى تتحدث عنهم واسمها
"Sluzhene Nowine" واعد النرويجيون الذين نطالع باستمرار اخبار
مقاومتهم الرائعة للمغتصبين فى بلادهم هيئة صحفية منظمة تصدر
صحيفتهم اليومية الحرة "Norsk Tidend" كما تصدر مجلة اخرى كذلك

واليوم يعد من المناظر المألوفة والمقبولة رؤية سيل من هذه الصحف الحرة المختلفة الجنسية معروضة فى المكاتب وعند الباعة او مشاهدة ثلاث او اربع جنسيات مختلفة ممثلة فى جنسيات القارئين الذين يطالعون صحفهم اثناء رحلة فى الاومنيبوس او المترو او قطار السكة الحديد .

وهذه الصحف التى يمكن ان يطلق عليها بحق «اوراق الحرية » هى شىء من الكثير الذى اعدته بريطانيا لضيوفها اثناء الحرب. وقد تنازل الكثيرون من الملاك عن منازلهم وممتلكاتهم ووضعوها تحت امر قوات الحلفاء الحرة فحولتها الى مراكز وطنية واندية ومطاعم واماكن للمقابلات والاجتماعات العامة يلتقى فيها المحاربون والدبلوماسيون والموظفون واللاجئون من المدنيين للمناقشة واستطلاع الاخبار ومطالعة الكتب وتناول مختلف اصناف طعامهم وسماع موسيقاهم القومية .

وقد اتخذ محبو الحرية بريطانيا ملجأ مؤقتا وتحصنوا فى مركزها الرئيسى ولن يصيبهم الفشل لان حرية الرأى والتفكير والصحف التى تقوم بالتعبير عنها هى شرايين الديموقراطية وبواسطتها تستطيع كل بلد ان تذيع ثقافتها وان تحفظ حرية الرأى والتفكير التى يضيق عن فهمها تفكير النازى الضيق الصارم .

★

الزراعة البريطانية

بقلم الاستاذ ج . ا . واطسون

بدأت الزراعة فى بريطانيا من نحو ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد
بوصول بعض العناصر النيوليثية ممن كان لهم المام سابق بزراعة بعض
المحاصيل كالقمح والشعير والقنب وتربية المواشى والاغنام . ولا شك ان
هذه الصناعة قد مرت عليها تقلبات عديدة اذ كان غرض الفلاح لقرون
خلت يقتصر على انتاج ما يكفيه وأسرته من قمح والبان ولحوم لاطعامهم
وصوف وقنب وجلود لكسائهم، اما من افدنته القليلة المحروثة وا
من المراعى والغابات العامة التى تحيط بقريته . وكان نمو السكان حتى
القرن السابع عشر بطيئا جدا ولذلك بقيت اراض واسعة صالحة للزراعة
دون ان تستغل وبدأت الايدى تقتسم الغابات والمراعى والمستنقعات
كلما زادت الحاجة الى الخبز .

ولم يحل القرن الخامس عشر حتى كان فن الزراعة قد تقدم بدرجة
ان انجلترا او على الاقل المناطق الجنوبية منها استطاعت ان تنتج
يزيد عن حاجة سكانها وان تصدر بعض الحاصلات الزراعية . وكانت
الاراضى والايدى العاملة الزائدة قد اوقفت على تربية الاغنام فاضحى الصوف
اهم ما تصدره انجلترا . واصبح مركز انجلترا بالنسبة لصناعات الصوف
بالفلاندر ايام الملكة اليزابيث كمركز استراليا لصناعات الصوف بيوركشير
فى ايامنا هذه .

وفى خلال القرن السابع عشر زاد عدد السكان مصحوبا بارتفاع
مستوى المعيشة الامر الذى استدعى استعمال وسائل اكثر اجداء
فلاحة الارض .

وكان اكبر الاعمال التى تمت حينئذ هو تجفيف جزء كبير من المستنقعات



احدى فتيات الجيش الزراعى اثناء العمل باحد حقول القمح .

وتم ذلك بمساعدة المهندسين والعمال الهولنديين. وبذلك امكن الفلاحون البريطانيون ان يزرعوا جانبا مما يعرف الآن بانه اخصب اراضى انجلترا . ويمكن ان نتابع من هذا الوقت آثار بداية ثورة عظيمة فى فن الزراعة وهى انماء نبات البرسيم واللفت والبحث عن طرق جديدة لحصاد دورى كان من شأنها بعد ذلك ان ساعدت كثيرا على زيادة انتاج البلاد فى الحبوب واللحوم . وكان الفضل فى هذا التحسين، كما فى استيراد النباتات الجديدة، لاهالى بلاد الفلاندر التى كانت فى ذلك الوقت اكثر بلاد اوروبا تقدما فى الزراعة .

وبقيت انجلترا حتى سنة ١٧٦٠ بلادا للزراعة والمراعى يبلغ عدد سكانها نحو سبعة او ثمانية ملايين نسمة فقط . وكان تقدم الزراعة لا يزال بطيئا، وكان كل تغيير للاساليب الزراعية اذا صح ان يقال ان الفلاح البريطانى غير اساليبه البتة ان يكتفى بتقليد بعض اساليب نظرائه على الجانب الآخر من القنال الانجليزى .

وكانت المائة سنة التالية، اذا قيست بما سبقها، فترة انقلاب وتقدم لا مثال له . ذلك لان بريطانيا العظمى اصبحت بلادا صناعية وزاد عدد سكانها ثلاث مرات . وصارت الزراعة، بعد ما كانت حرفة تعتمد على اطعام الفلاح نفسه، حرفة منظمة غرضها تموين المدن واسواقها . ولكن لم يكن فى الامكان استيراد كميات كبيرة من المواد الغذائية . وكان القمح اكثر الحاجيات استيرادا . على انه حتى عام ١٨٥٠ كان نحو سبعة اثمان حاجة البلاد من الخبز مصنوعا من القمح الذى ينتج فى بريطانيا .

وقد تطلب اطعام العدد المتزايد من سكان البلاد مجهودا متزايدا من فلاحيها وحمل ذلك عددا كبيرا من اقدر رجال ذلك العصر على الاشتغال بالزراعة . على ان الكميات الوافرة للتموين بقيت مع ذلك محدودة . وكانت هذه القلة ظاهرة ايام حروب نابليون . واحدث انتشار الآفات فى زراعة البطاطس المجاعة فى عام ١٨٤٥ فى ايرلندا وغرب اسكتلندا حيث حل البطاطس منذ عام ١٧٦٠ محل الشوفان كما

التغذية الاساسية . وقد حصل العمل فى سبيل زيادة الانتاج الزراعى من وجهين . فمن جهة جففت بعض المستنقعات وازيلت الغابات وسمدت مساحات واسعة من البرارى وحفرت استعدادا لزراعتها . وكانت الاراضى التى اعتادت الاغنام الرعى فيها قد جردت من عنصر الفوسفات على تعاقب الاجيال فسمدت بسماد العظام الذى اكتشف الفلاح البريطانى مزاياه من نحو ٥٠ عاما قبل ان يثبت ليبيج اهمية الفوسفات فى تسميد النباتات . ومن جهة اخرى فقد حصل انقلاب فى اساليب الزراعة فى الاراضى المنزرعة ترتب عليه زيادة فى المحصول . وكان اساس هذه الطريقة الجديدة زراعة الحبوب وزراعة مواد غذاء الماشية بالدور مع زيادة عدد الماشية وبذلك تزيد خصوبة الارض وتصل الى مستوى جديد .

وجاء بعد الذين اشتغلوا باصلاح الاراضى هؤلاء الذين اشتغلوا بتحسين تربية المواشى مثل باكويل وكولينجز وجون ايلمان وغيرهم الذين ابتدعوا طرقا جديدة اكثر نفعا فى تحويل اللفت والبرسيم الى لحوم والبان . وقد كانت الفصائل الجديدة التى تطورت فى انجلترا فى تلك الايام وهى فصائل المواشى من نوع شورتهورن وهيرفورد وانجاس وفصائل الاغنام من نوع ليستر وساوثداون وروسنى وغيرها من الانواع هى التى قامت عليها صناعات اللحوم فى العالم .

وبين عامى ١٧٦٠ و ١٨٧٠ استعادت بريطانيا قيادة العالم فى الزراعة . وتمكن رجل اسكتلندى اسمه جيمس سمول ان يثبت ان رجلا واحدا ومعه حصانان اذا اعطى محراثا وضع تصميم صنعه على اصول سليمة يستطيع ان يحرث من الارض حراثة جيدة مثل ما كان يحرثه رجلان معهما اربعة خيول بالاساليب القديمة . وكان جون فاولر الانجليزى هو الذى صقل استعمال القوى الميكانيكية فى معدات الحرث . واخترع رجل اسكتلندى اسمه اندرو ميكل آلة الدراس كما كان جون ريد الانجليزى هو اول من استعمل الانابيب المستديرة لتصريف مياه الاراضى وامكن بذلك تجفيف الملايين من الافدنة والاستفادة بزرعها . وكان لوز وجيلبرت فى



آلات لحصاد القمح تديرها الفتيات البريطانيات اللائى احترفن الزراعة .

روثامستيد اللذان وضعا اساس علم الزراعة . كما امكن للوز بواسطة
اختراع السوبرفوسفات ان يكفل لمعهد روثامستيد مبلغا من المال كافيا
لاكمال ابحاثه . ولم يكن هناك حتى عام ١٨٥١ منافس للزارع البريطانى فى
عمله . وفى ذلك العام بينما كان فاولر مشتغلا بابحاثه عن المحراث البخارى
وصلت آلة الحصاد «ماك كورميك» من الولايات المتحدة الامريكية
فعد وجودها اكبر حادث فى تاريخ الزراعة البريطانية .

ولم يحل عام ١٨٦٠ حتى كانت مهارة الزارع البريطانى وانتاج
الذى يكاد لا يصدق ومجموع المواشى التى يتعهدها فى مزرعته مثلا
يبارى فى العالم اجمع . وفى لوثيان باسكتلندا حيث كان المستوى الف
يعتبر اعلى من غيره كان كل فلاح تقريبا يتعهد بتدريس فن الزراع
اما لبارون المانى شاب او كونت دانمركى او ابن عين من اعيان الانجليز
وفى الوقت نفسه كان المهاجرون من مناطق بريطانيا الزراعية ينقلو
اساليبهم ومهارتهم الى القارات الجديدة .

ونحن لا نزال نتكلم عن عام ١٨٦٠ كالعصر الذهبى للزراعة البريطانية . ولكن العشر سنوات التى تلتها شاهدت بدء تدفق قمح البرارى الى الموانى البريطانية بكميات متزايدة وردت اثناءها اول شحنات اللحوم المثلجة تصل من امريكا ونيوزيلندا . فقد كان القمح واللحوم هما عمادا الزراعة البريطانية بلا شك . ولذلك كان تدهور اولها ثم ثانيهما يعد كارثة عظمى على الزراعة ترتب عليها خراب كثير من الفلاحين الذين كانوا يعيشون على تربية المواشى وزراعة القمح قبل ان يدركوا ان الامل فى نجاتهم انما هو طريق الاهتمام بانتاج الالبان والطيور والفواكه والخضروات . وحل الخراب بكثير من المزارعين فى الاراضى الضعيفة التى تم اصلاحها حديثا ولم يكن هناك وسيلة لانقاذهم . وكان الواقع المؤلم ان الارض التى كانت تنتج ارباحا عظيمة حوالى عام ١٨٦٠ لم تعد تفى بنفقاتها على معدل الاثمان الشائعة بعد ذلك بثلاثين عاما . وكان الفلاح يفضل دائما ان يحل به الخراب على ان يعلن عجزه عن مواصلة كفاحه .

وفى خلال العشرين عاما الاولى من هذا القرن كان ينتظر ان الفلاح فى طريقه الى اعداد نفسه لهذه الحالة الجديدة وللنظام الجديد فى اسواق الاطعمة فى العالم وقد وجد مجالا لمهارته وعمله فى الاهتمام بتحسين المراعى وانتاج الالبان . وامكن ان يحس بتزايد الطلب على الالبان والطيور والبيض والخضروات وانواع منتجات البيوت الزجاجية وحتى احسن انواع اللحوم المحلية . وكانت لا تزال هناك حركة تصدير للسلالات الممتازة من الخيل والمواشى والاغنام وفصائل الخنازير . ولكن حركة التجارة العالمية تعطلت للاسف كما هو معروف بعد سنة ١٩٢١ ووجد الفلاحون فى العالم اجمع انفسهم مضطرين الى المنافسة الشديدة للبيع فى اسواق كان عدد المشترين فيها دائما قليلا . وكانت النتيجة فى بريطانيا وغيرها ان غمرت الديون الفلاحين وتدهور الانتاج الزراعى وتأثرت خصوبة الارض وقلت قدرتها على الانتاج .



محراث بريطانى يديره محرك قوته ٤٥ حصانا و يمكنه حراثة الارض بمع
ستة افدنة فى اليوم .



محراث زراعى مزدوج اثناء العمل بمزرعة بريطانية .

والتربة البريطانية فى الواقع غير قابلة للانهيار وتأثير الرياح . ومشكلة التفتت ليست فى الواقع الا مسألة محلية ولكن كمية الجير التى تكونت على ممر الاجيال فى التربة بدأت تنفذ، وبدأت المزارع التى كانت قد استخلصت من البرارى وانتزعت منها تعود برارى ثانية . كما ان المصارف التى انشأتها الاجيال السابقة تلفت وما كان بالامس مستنقعات اصبح مستنقعات ثانية . وبدأت تنفذ كميات الفوسفات التى اودعت الارض . وربما رأى الانسان حقولا كانت قد انتزعت من اراضى الغابات وكانت تنبت القمح الجيد حوالى عام ١٨٦٠ وقد كانت مراعى جيدة فى عام ١٨٩٠، تتحول الى برارى تتخللها شجيرات صغيرة .

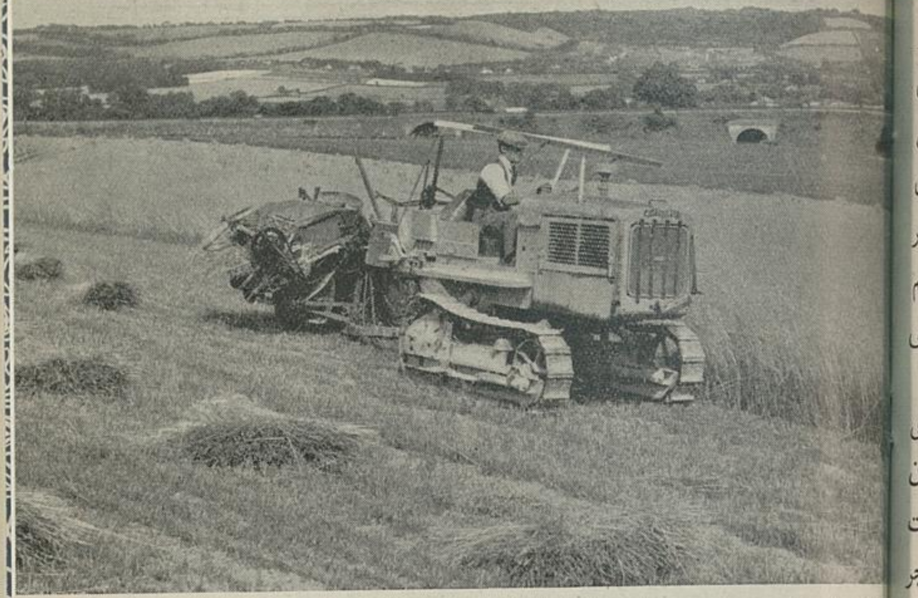
وكانت هذه هى المشكلة التى واجهت الفلاح فى سنة ١٩٣٩ عند ما طولب بان يزيد من انتاج ارضه كل ما امكن وان يسترد فى اقل وقت

ممكن كل ما فقد من الاراضى الزراعية فى جيلين وان يعيد الانتاج الى مستوى عام ١٨٧٠ . وكان معدل نجاحه فى هذا السبيل متأثرا بعوامل لا علاقة له بها مثل السرعة التى يمكن بها اعداد الجير ونقله الى المزارع ثم عدد الرجال والماكينات التى يمكن تشغيلها فى تطهير الانهر والمجارى ثم عدد السفن الناقلة للفوسفات من امريكا الشمالية ، واهم من ذلك كله تقديم ما يلزم من ماكينات النقل والايدى العاملة التى قلت بطبيعة الحال .

ومع ذلك ماذا امكن ان يتم حتى الآن؟ كانت الاراضى المزروعة فى انجلترا واسكتلندا وشمال ايرلندا حتى عام ١٩٣٩ اثنى عشر مليون فدان ويمكن القول بثقة انها ستصل فى سنة ١٩٤٣ الى ١٩ مليون . وزادت مساحة الاراضى المزروعة قمحا بمقدار النصف كما ان انتاج مزارع البنجر فى هذا الفصل سيصل الى اقصى ما يمكن ان تستهلكه المصانع الموجودة وستتضاعف مساحة الارض المنزرعة بطاطس . وليس هناك رغم كل ذلك ما يدل على بدء تأثر المحاصيل بضغط ظروف العمل . اما فيما يتعلق

آلة زراعية ذات عجلات دودية لتطهير الاراضى وجعلها صالحة للزراعة .





آلة زراعية حديثة للحصاد باحد المزارع البريطانية .

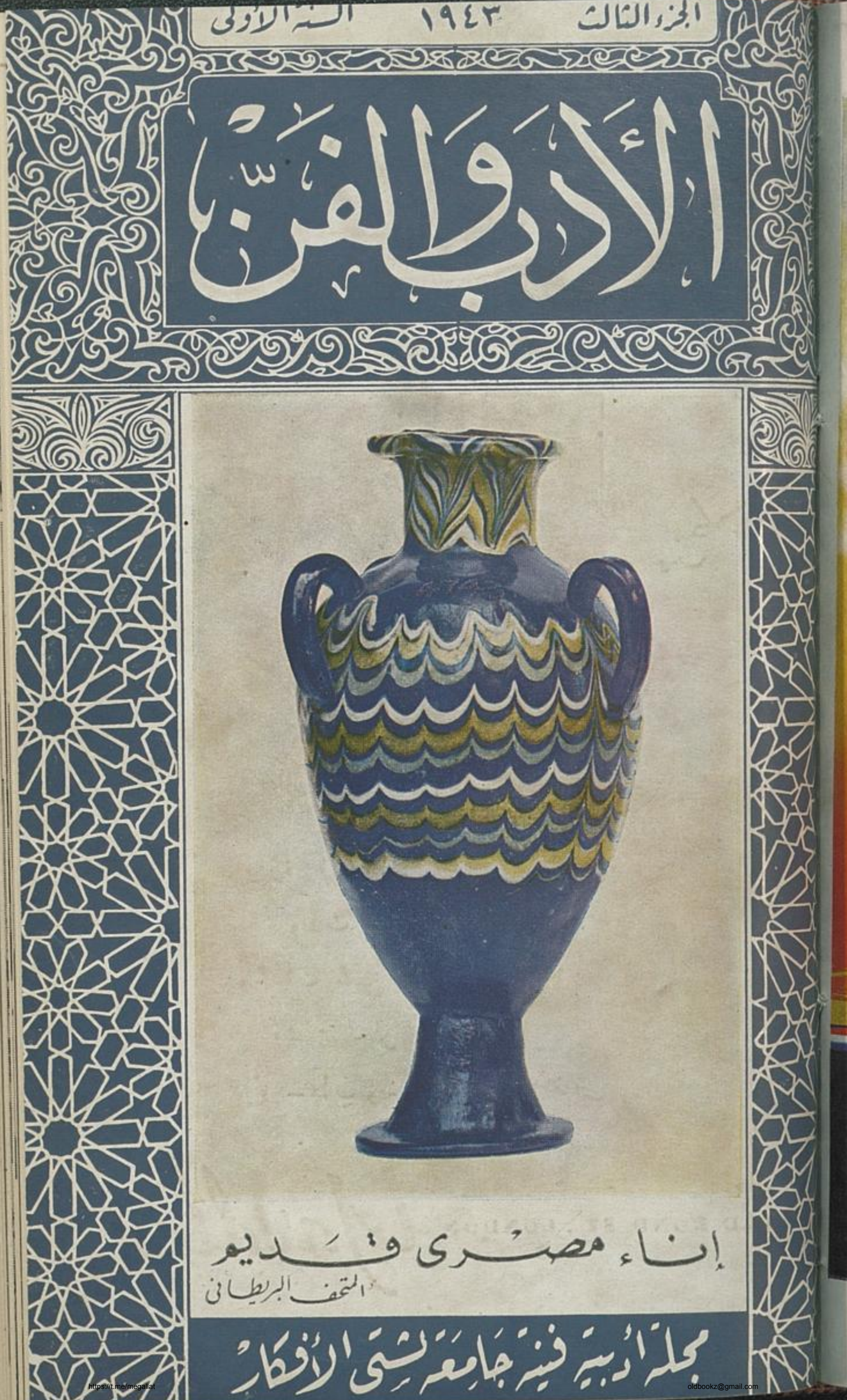
بالمواشى فقد فقد ما يقرب من خمسة ملايين طن من الذرة والشعير والكسب وغيرها من المواد التى كان يعتمد عليها فى اطعامها . ومع ذلك فان عدد اكثر المواشى اهمية وهى ابقار الالبان لم ينقص . ولو ان كمية اللبن قد تأثرت الى حد ما الا انه لا يزال كافيا لجميع المستهلكين . كما ان انتاج اللحوم قد امكن ان يحتفظ به على مستوى لم يكن ليحلم به حتى اشد المتفائلين رغم خسارة مساحات واسعة من اراضى المراعى ورغم تناقص مواد تغذية المواشى .

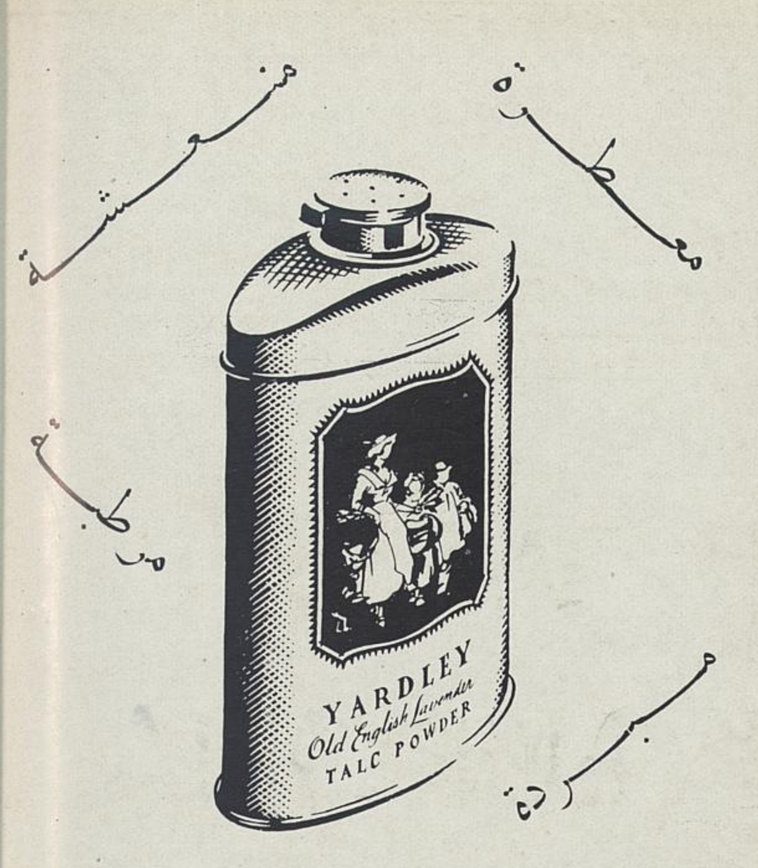
والسبب الرئيسى فى هذا النجاح بسيط . فبريطانيا اليوم تنتج من الاطعمة اكثر مما كانت تنتجه ايام السلم وهى تنتجها بمجهود رجال اقل فى العدد ، لانها لجأت الى استخدام القوى الميكانيكية بشكل أعم فى اساليب الزراعة وبذلك انتشر استخدام الآلات الميكانيكية بسرعة وهو امر لم يكن ليتم الا ببطء لولا وقوع الحرب . وبريطانيا اليوم صاحبة اكبر مزرعة ميكانيكية واكثرها تقدما فى اوروبا كلها .


MATHER & PLATT LTD
MANCHESTER
تستعمل صناعة النسيج الايرانيـة آلات طباعة
ماثر اند بلات
يبين هذا آلة طباعة ماثر اند بلات ذات الستة الوان
وهى جزء من هيئة الآلات الكاملة بمصنع هام لطباعة
الحرير بايران استوردت قبل نشوب الحرب الاوروبية
بزمان قليل .
وقد تخصصت شركة ماثر اند بلات لاكثر من مائة
سنة فى تصميمات وصناعة وتركيب آلات تبييض وصباغة
وطباعة جميع انواع المنسوجات .
MATHER & PLATT, LIMITED,
PARK WORKS
MANCHESTER 10.


PHILLIPS




الجزء الثالث ١٩٤٣ السنة الأولى
الأدب والفن
إناء مصرى قديم
المتحف البريطانى
مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



عندما كان دارا ، وهو من عظماء الملوك فى التاريخ ، يخرج للصيد كان يستعمل عربات ذات عجلات شبيهة بالعجلات المستعملة اليوم الى حد كبير. ومع ذلك فقد احتاج الامر الى مرور الفى عام قبل ان تغدو العربات ذات العجلات وسيلة للنقل سريعة آمنة ومريحة وذلك عن طريق الانقلاب الحاصل باضافة اطارات دانلوب المنفوخة بالهواء.
اطارات دانلوب
ذات الانياب التى تنشب فى الارض
DUNLOP RUBBER Co. Ltd., FORT DUNLOP, BIRMINGHAM.

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها. وقرار هيئة التحرير فما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى. وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد. وعنوان رئيس التحرير :—

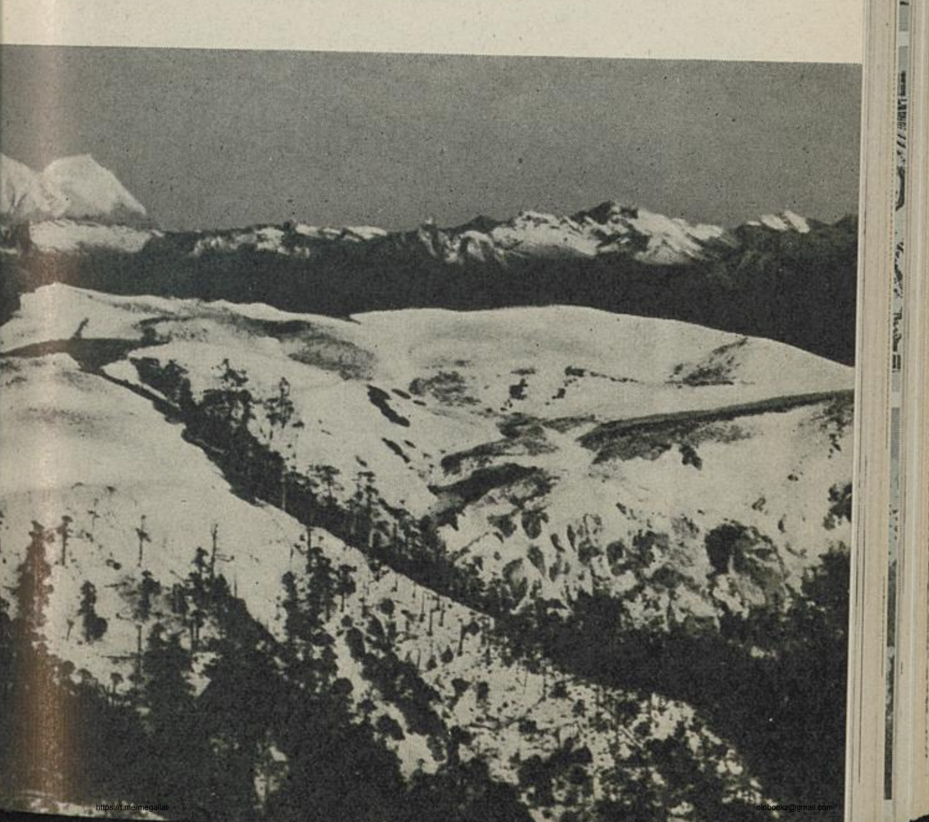
The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

رحلة لم تتم

بقلم ستابلتون ترويل

كانت منطقة اواسط اسيا الواسعة الممتدة من التبت الغامضة الى سهول بامير ومن حدود الهند الى اراضى سيبيريا الشاسعة القارصة البرد قبل مائة عام تقريبا عبارة عن مساحة قد حددت على جميع الخرط بخطوط غامضة غير واضحة استنتجت من معلومات قليلة مبعثرة . وفى عام ١٨٥٢ بدأت ادارة المساحة بالهند تمسح سلسلة جبال الهملايا مبتدئة من السهول الهندية . وقد حدث فى اثناء هذه الاعمال المساحية حادثة كان من نتائجها فتح باب جديد من علم الجغرافيا .

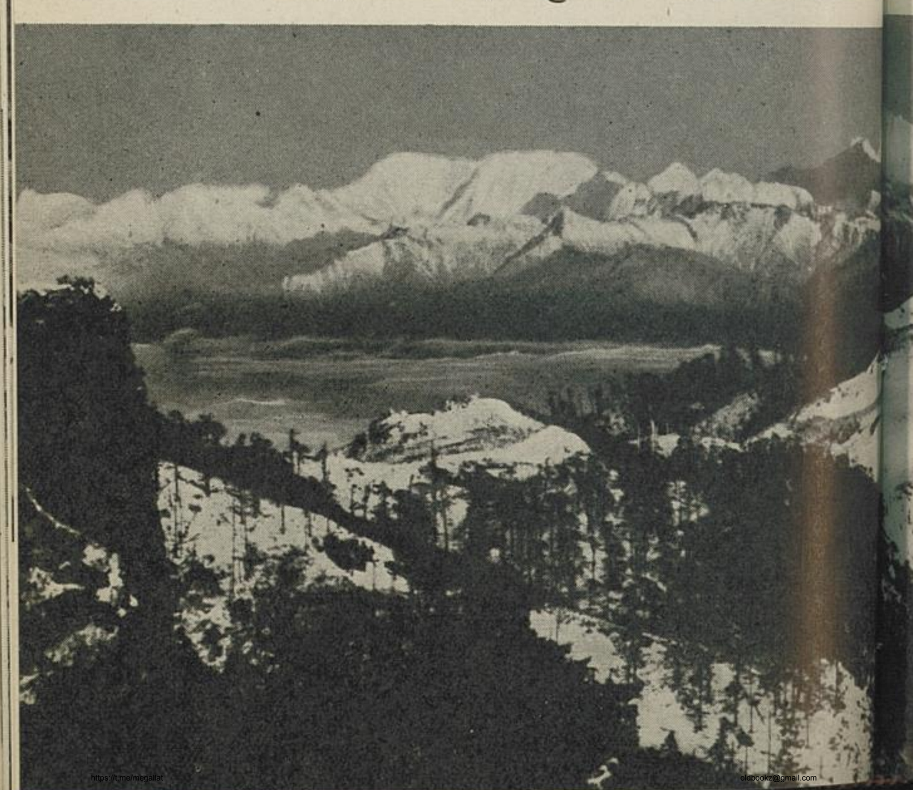
ذلك ان احد المساعدين الهنود الذى كان يقوم بفحص دقيق لبعض



نتائج المساحة دخل مكتب احد المشرفين على تقدير العمل وصاح قائلا «سيدى، لقد اكتشفت اعلى جبل فى العالم» وقد كان الجبل مشارا اليه ب(قمة ١٥) واعطى اسم افريست تكريما لاسم السير جورج افريست احد رؤساء المساحة السابقين. اكتشف جبل افريست وحدد وقدر ارتفاعه حينئذ تقديرا خاطئا بنحو ٢٩١٤٥ قدم ولكنه عدل فيما بعد الى ٢٩٠٠٢ قدم اى نحو ستة اميال تقريبا.

ولم يلبث بعد ذلك ان تساءل الجميع عما اذا كان من الممكن تسلقه. ولم يكن هناك عجز فى عدد المتسلقين الذين قد يرغبون الاجابة على هذا السؤال ويحاولون تحقيق هذه المحاولة. كما انه كان هناك الى جانب الرغبة فى النصر الحقيقة التى كانت معروفة عن حرمة تلك البلاد والحواجز السياسية والتقليدية التى احاط بها تلك المنطقة رجال السلطة فى نبال

سلسلة جبال همالايا كما ترى من دارجيلنج. ويرى جبل افرست بوضوح على بعد مائة ميل بما يكلل رأسه من الثلج تكليلا خاصا متميزا.





بعثة جبل افرست سنة ١٩٢٤ . الواقفون من اليمين إلى اليسار: المستر مكدونلد
المستر أوديل، الكولونيل نورتون، المستر مالورى، المستر ارفين. الجالسون
اليمين إلى ليسار : المستر بيتهام، الدكتور سمرفيل، الكابتن بروس، المستر شلبير

والتبت . ولما كان الانسان بطبيعة الحال يكره الفشل الذى يكفى وحده
لان يدفع به الى اعلى درجات الرغبة فقد بدأ هذا الجبل يؤثر اثرا غريبا
لا يمحى فى عقول وخيال جميع المغامرين .

والهملايا التى تمتد على طول حدود الهند الشمالية فى شكل قوس
طوله ١٦٠٠ ميل وعلى عرض يبلغ نحو ٢٠٠ ميل هى عبارة عن سلسلة
لا تنتهى من الجبال تعمم قممها الثلوج . ومنظر هذه السلسلة بما فيها من
كتل ثلجية وممرات عميقة وريح عاصفة وكل ذلك متجمع متقارب لمنظر متعرج
يثير دهشة وروعة لا تنسى . فليس هناك جبال فى مثل هذا العبوس وهى
مع ذلك جميلة وفتنة مثل جمال الهملايا . لقد حفظت اسرارها بحواجز من
الصخر والجليد وزودت بأسلحة من الريح العاصفة والثلاجات المنهمرة المدمرة
مما يجعلها اشبه بأحد حصون الطبيعة القوية ويجعل من قوتها القاهرة
حافزا للرجال يدعوهم الى محاولة الجهود النبيلة فى الغزو والاستكشاف

وكان الاذن لتسلق هذه الجبال صعب الحصول عليه ولكن فى عام ١٩٢١ وافقت سلطات التبت وقامت اول بعثة استكشافية لقمة افريست وعلى رأسها الليفتينانت كولونيل هوارد بيورى بأمل تسلق هذا الجبل . وقد خرجت البعثة من دارجيلينج متجهة بدورة الى الشرق بين جبال كانجشينجونجا وشومولهارى الى التبت ثم اتجهت محاولة ان تصل افريست من الشمال . وكان من المستحيل عليهم ان يسلكوا طريقا مباشرا اذ ان ذلك يقتضى دخول اراضى نبال المحرمة . وبعد رحلة استغرقت بضعة اسابيع وصلت البعثة الى دير خامبا دزونج من اديرة التبت . وكان هذا الدير بمثابة ملجأ لجميع البعثات الاستكشافية لقمة افريست ولكن حلت فيه الكارثة بأول بعثة اذ ان الدكتور كيلاس المستكشف المعروف الذى كان درس سلسلة جبال الهملايا لعدة سنين توفى . ولا شك ان الدكتور كيلاس لولا ان الحرب الماضية الكبرى منعته لحاول قبل ذلك ان يكتشف افريست، كما ان فى وسعه ان يقدم اعظم المساعدات التى لا تقدر لزملائه من المستكشفين المخاطرين بمعلوماته الدقيقة ومجموعة الصور العجيبة التى اخذها بنفسه لافريست حينما كان يقضى اجازاته متنقلا بين جبال الهملايا .

وقد حدث بعد ذلك ان اثنين من المتسلقين الباقين اصيبا بمرض ولم يبق بعد ذلك الا اثنان آخران هما مالورى وبولوك وكلاهما حديث الخبرة على جبال الهملايا . وقد استنفذ وقت طويل فى ارتياد قاعدة الجبل لايجاد احسن الطرق الموصلة الى القمة . وكانت اول محاولة لهما عن طريق ثلاجة رونجبوك . وقد تزايدت صعوبات التسلق كلما تقدما وتعطل تقدمهما بسبب طبيعة الهواء الغريبة التى تدعو الى حالة خمود جسمى وعقلى ومن تلك الثلاجة ارتادا جوانب الجبل ولكنهما لم يجدا طريقا حتى لاحت لهما بارقة امل اذ شاهدا من قمة ثانوية «رقبة» من الثلج (وهى قطعة من الصخر على شكل رقبة مغطاة بالجليد اصبحت الآن تعرف باسم الرقبة الشمالية) وكانت تربط الكتف الشمالى الشرقى لافريست

مع القمة الشمالية وبذلك اصبح الطريق الى القمة مكشوفا امامهما .
وقد استغرقت هذه الاستكشافات خمسة اسابيع وعند عودة الجماعة الى قاعدتها فى «خارطا» كان كلهم فى اشد الحاجة الى الراحة التى استحقوها عن جدارة لاسترداد قواهم المفقودة وصحتهم المضمحلة .
ولم يلبثوا ان عادوا وتابعوا استكشافهم . وعلى ارتفاع ٢٢٠٠٠ قدم اقاموا خيمتهم وقضوا الليلة كأحسن ما يمكن ان تقضى فى ريح عاصفة قارصة . ومن هذه النقطة بدأ تسلقهم الى الرقبة يتسلقون باحتياط وحذر ويتلمسون موقع اقدامهم فى الثلوج قبل ان يتقدموا خطوة اخرى . ولما ادركوا الرقبة وجدوا ان سطح حافة الجبل ليس بالخطر ولا بالعمودى الانحدار . ولكنهم ذاقوا نصيبهم من الرياح الداوية والزوابع الثلجية العاصفة التى قاساها كل من مر بهذا المكان . ثم اضطرتهم رياح الموسم الى العودة . ومع ذلك فلهم الفضل بان كانوا اول جماعة حاولت ارتياد الجبل . وبذلك تم استكشاف احسن الطرق للوصول الى الجبل واختبرت النقطة الضعيفة الواحدة لذلك الحصن الطبيعى وفوق ذلك مسحت آلاف الاميال ورسمت على خرائط .
وبعد عام قامت بعثة استكشافية اخرى قد تزود بعض اعضائها بأنابيب الاوكسجين وذلك لمقاومة قلة الهواء التى تشاهد فى الارتفاعات العليا . وكانت البعثة فى هذه المرة مكونة من مالورى ونورتون وسومرفيل وموورزهيد وفينش وكانوا جميعا من المشهورين بتسلق الجبال وكانت الخطة التى رسمتها هذه البعثة لنفسها ان تقيم سلسلة من المستودعات على جانب الجبل لغاية ارتفاع ٢٧٠٠٠ قدم ومنها يتقدموا ويقوموا بجولة سريعة الى القمة لانهم ادركوا انهم لن يستطيعوا ان يقضوا مدة طويلة هناك وقد تم عملهم بنجاح فأقاموا المستودع الاول على ارتفاع ١٧٨٠٠ قدم ثم الثانى على ارتفاع ١٩٨٠٠ قدم على التعاقب ثم اقاموا المستودع الثالث وهو آخر المستودعات الاولى بالقرب من الطرف المنحدر للرقبة الشمالية . ومن الغريب ان هولاء المتسلقين الشجعان بينما يتلمسون

ن : منظر جبل افرست كما يرى من ثلاجة خارتا . ويرى اكليل الثلج ذو
شكل الخاص بكل وضوح . أسفل : المنظر الشرقى من على ارتفاع ٢٧٠٠٠
م تقريبا فوق مستوى سطح البحر . والقمة الأسطوانية فى الوسط هى خارتزا
سلسلة التى تلوح عن بعد هى سلسلة نيونا رى فى التبت .



الحمالون فى المستودع الخامس يشرفون على ثلاجة رونجبوك الشرقية .

طريقهم وجدوا آثار الحياة اذ عثروا على العنكبوت وا كوام الهوام و
متجمعة فى حالة غيبوبة ونوم طوال فصل الشتاء الطويل وذلك
ارتفاع ٢٢٠٠٠ قدم . وفوق المستودع الثالث عثروا على غرا
عششا وافرخا الى جانب قطعة من الثلج . ومثل هذه الحا
من عجائب المخلوقات مما يجعل الانسان يتساءل عما الجأ هذه الحش
والطيور الى الابتعاد لمثل ذلك الحد عن الاماكن السهلة، وعن رزق
ومأكلها التافه الذى تحتفظ به حياتها .

وبعد ان تركوا المستودع الثالث بدأ التسلق الحقيقى ولما اخ
الجماعة فى رحلتها بدأت السحب المنذرة بالسوء تتلبد وأصبح من المؤ
ان الجو سيسوء فى القريب العاجل واصبحت المسألة صراعا مع الزم
فأقيم المستودع الرابع وعندما خرج مالورى وسومرفيل ونورتون مع تس
من الحمالين لاقامة المستودع الخامس كانت الشمس مضيئة والهواء ع
ولكن عندما تسلقوا الى الاعلى بدأ البرد يشتد واصبح لاذعا واضط
الى ان يرتدوا ملابس اكثر . وقد اقيم المستودع الخامس على

٢٥٠٠٠ قدم، وفى اليوم التالى استيقظ الجميع فوجدوا ان الجبل قد احاطت به غيوم متكاثفة واصبح التنفس صعبا وبطؤ تقدمهم للغاية الى حد لا يساعدهم الى ادراك القمة . وعندما كانوا على ارتفاع ٢٦٩٨٥ قدم تحت الكتف الشمالى الشرقى بقليل اضطروا الى الوقوف واتفقوا على انهم لا يستطيعون التقدم بعد ذلك وقفلوا راجعين .

وبعد اربعة ايام من عودة الجماعة الاولى خرج فينش وبروس وهما مزودان بامدادات الاوكسجين . وكانت التجارب التى مرت بهما اشد قسوة مما مر بزملائهما لان الريح والثلوج كانت من القسوة بحيث انهما لم يستطيعا ان يبقيا خارج الخيمة اكثر من بضع دقائق . وكانا يميلان الى العودة ولكنهما ترددا فى ذلك ثم قررا الانتظار حتى تهدأ العاصفة فهدأت بعد يومين الى حد مكنهما من مواصلة الرحلة . وقد استمرا فى التسلق ببطء رغم ما اصابهما من تعب وجوع غير ان خادمهما تجبير الذى كان يحمل انابيب الاوكسجين خارت قواه واضطر الى العودة الى المستودع الخامس . واستمر المتسلقان حتى لاحظ بروس فجأة ان جهاز الاوكسجين الخاص به قد تعطل وكان على وشك الهلاك . ولكن فينش قاسمه اوكسجينه الى ان امكن اصلاح الجهاز . وكذلك وصلا الى ارتفاع ٢٧٣٠٠ قدم ولكنهما اضطرا بعد ذلك الى العودة .

وقصدت البعثة محاولة اخرى بامدادات الاوكسجين ولكنها لاقت الفشل بسبب كارثة مريعة ذلك ان مالورى وسومرفيل ومتسلقا آخر اسمه كروفورد كانوا يعدون طريقا لحماليهم الأربعة عشر عندما انهار الجليد والثلوج المتجمعة بدون انذار سابق وجرف تسعة حمالين فقد سبعة منهم ارواحهم .

وبعد عام حاول كل من نورتون وسومرفيل الوصول الى القمة محاولة اخرى ووصلا الى ارتفاع ٢٧٠٠٠ قدم واستمرا مع ذلك يحاولان التقدم الى الامام بكل شجاعة . وعلى مثل ذلك الارتفاع اخذا يستريحان من وقت لآخر واشتد خفقان قلبيهما وصعب تنفسهما وطالت فترة الاستراحة

بعد مدة واخيرا عدل سومرفيل واستمر نورتون برجاء من سومر
فظل يكافح ويدفع طريقه وهو يرتعش كأن عنده حمى وتصلبت شف
ولصقت الثلوج بملابسه وغاص فيها بأحذيته واصبحت كل خطوة
تستلزم عناء شديدا واحس كما لو كانت رئتاه على وشك الانفجار. فو
منحنيا على الفأس التى كان يحطم بها الجليد وقد خفض رأسه امام الزو
ولكنه مع ذلك استطاع ان يستمر فى تقدمه بعد عناء شديد ولم يلبث
اضطربت حواسه واختلت مداركه وكثيرا ما كانت تبدو له القمة قر
كالسراب الخادع . وأخيرا اشتدت به الاخيلة وتوترت إعصابه ثم
الى ساعته وادرك بحزن انه لن يستطيع الصعود والعودة من القمة
يومه وبذلك اضطر الى العدول عن رحلته . وكان هذا الفشل المجيد
محاولات عام ١٩٢٤ الاستكشافية لهذا الجبل . وكان من بين اعضاء
البعثة اثنان كانا سيلعبان دورا هاما فى المحاولات التى تلتها هما اوديل واير

وتكونت بعثة اخرى قابلها جبل افريست بنفس طريقته الخ
بالترحيب اذ انها عندما ادركت القاعدة لم يكد رجالها يقيمون المعس
حتى هبت زوبعة ثلجية عاصفة واستغرقت اقامة المستودعات لغاية اس
الرقبة الشمالية اسبوعين فى ظروف شديدة القسوة وازدادت حالة ا
سوءا وضعفت قوى رجال البعثة الى حد كاد يلحق الفشل بعملها ك
واستحال النوم فى الزوابع الثلجية والعواصف الثائرة واضطرت ال
رغم اردتها الى الانسحاب الى دير رونجبوك حيث تحسن الجو
ليلة واحدة كما لو كان قد ارتاح الى تراجع البعثة وانسحابها . ومع
البعثة فقدت بذلك وقتا ثمينا قرر رجالها الاستمرار فى محاو
بأسرع ما يمكن فعادوا بحماس جديد الى المستودع الرابع ول
عادت الاقدار الى معاكستهم ثانية فساءت حالة الجو ولم يسبق ل
استكشافية من قبل ان صادفت مثل هذه العقبات والنكبا
ولكن حدث فى اثناء هذه الرحلة انهم اقتصوا الى حد ما من الحا
المحزنة التى قتل فيها سبعة من الحمالين فى سنة ١٩٢٢ وذلك حينما خ

كل من سومرفيل ومالورى بحياتهما لانقاذ اربعة من الحمالين حاصرتهم كتل الثلوج وكانوا على آخر رمق .

وبعد ذلك قام كل من نورتون وسومرفيل بمحاولة اخرى لادراك القمة ولكنهما عادا خاسرين ثم جاء دور كل من ارفين ومالورى فاخذا يتسلقان الجبل فى ٤ يونيو ومعهما بعض الحمالين قاصدين الرقبة الشمالية بينما عاد كل من نورتون وسومرفيل . وعندما ادركا المستودع الخامس كان الثلج يتساقط ولما كانت الرياح خفيفة ظن مالورى ان احتمال النجاح ليس بالقليل وفى صباح اليوم التالى قاما مبكرين وقصدا المستودع التالى وبقى اوديل الذى كان قد صحبهما فى المستودع الخامس على ان ينتقل فى اليوم التالى الى المستودع السادس ويبقى فيه ينتظر عودتهما .

وفى اليوم التالى استيقظ اوديل وقد امتلأ ضميره بالتكهنات وكان فى حالة تأثر شديد اذ كان مالورى وايرفن فى ذهنه على الدوام فلجأ على مهل الى حزم ملابسه والانتقال الى المستودع السادس . وكانت قمة افريست محاطة بضباب كثيف لان طبقة من السحب هبطت على رأس الجبل . ثم شاهد منظرا لا ينسى ذلك ان السحب تفرقت فجأة كأنها ستارة فكشفت عن منظر شير اذ بدت الشمس ساطعة على القمة فى السماء الزرقاء فبهره المنظر فتأمله مبهوتا وكانت دهشته عظيمة عندما ميز شبحين اسودين يتحركان ببطء عبر الثلوج ولم يكد يلمح هاتين النقطتين حتى هبطت السحب واختفت



قمة ثلجية بديعة لا اسم لها اكتشفت على رأس ثلاجة رونجبوك الرئيسية .

النقطتان المتحركتان . وكان ذلك
قبل الظهر بكثير وكان مالوري
وايرفن على بعد يقل عن الف قدم
من غايتهما النهائية فسر اوديل
وتأثر غاية التأثر وعاد الى خيمته
الرقيقة يصغى الى دوى الرياح وهو
يتساءل عما اذا كان قد قدر لهما
النجاح واخذ يتصورهما يكافحان
بشجاعة ويدفعان طريقهما الى
الامام تحدوهما الارادة القوية
وتلاطمهما الرياح الباردة والثلوج
العاصفة كما لو كانت شظايا الزجاج



أعضاء الرحلة يتسلقون جسرا ثلجيا على
الجانب الشرقى للرقبة الشمالية .

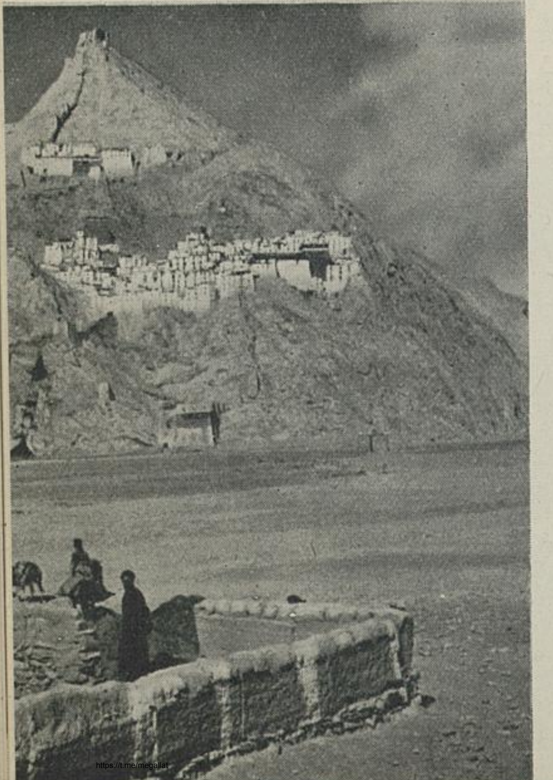
— تحدوهما تلك الارادة الانسانية التى تتضاءل كشعاع خفيف من نار —
ولا يتكلمان لانهما فى حاجة الى كل ما فيهما من قدرة على التنفس لحفظ
مناعة اجسامهما الجائعة المتهدمة، والصلة بينهما عميقة مبنية على التفاهم
والتساند، يتسلقان القمة صعودا وغايتهما النهائية تبدو قريبة ولكنها بعيدة.

وقد قضى اوديل على صبره لاجل تفكراته وتصوراته ولم يستطع
الانتظار فاندفع خارجا للترحيب بهما عند عودتهما واخذ يتعثر على
جوانب الجبل يناديهما ولكن اصواته ذابت بين شفتيه بفعل الرياح
العاصفة فعاد الى الخيمة . وعندما ادركها هدأت العاصفة كما لو كانت قد
اطاعت امرا مجهولا وتفرقت السحب وبدت القمة واضحة بيضاء ناصعة
ولم تكن هناك أية علامة او اثر للشبحين الاسودين فأثقل ذلك على اوديل
وبدأ الرجوع الى المستودع الخامس ثم اسرع الى الرقبة حيث لحق بزميله
هازار وبقيا فى انتظار عودة الرجلين المنتصرين فى آخر الامر على القلعة
الطبيعية المتكبرة التى لا تقهر . ولكن اوديل احس ان الامر ليس على
ما يرام فعاد بصحبة اثنين من الحمالين مسرعا الى المستودع السادس

وهناك وجد ان الخيمة ومحتوياتها فى نفس الحالة التى تركها عليها منذ يومين فأخذ يصعد الجبل نحو ساعتين يحاول ان يقف على اثر لمصير مالورى وايرفن وغلب عليه اليأس وبدأ امله الذى لم يفقده بعد يتضاءل ثم ادرك اخيرا ان هذين الرجلين الشجاعين قد اختفيا وان افريست قد احتضنتهما كمأواهما الاخير ومقر راحتهما الأبدية .

ولا يعرف احد الى اى ارتفاع وصل ايرفن ومالورى فى تسلقهما او ما اذا كانا قد ادركا القمة فعلا . ولكن ذكرى هذين الرجلين اللذان دفعا بكل قواهما الضعيفة لمواجهة اهوال جبل افريست ستبقى خالدة فى سجلات الشجاعة والعزم والصبر . وروحهما اليوم لا تزال باقية دليلا على قوة وكرامة الروح الانسانية .

بعد هذه الكارثة المريعة لم تبذل محاولات اخرى لغزو افريست حتى سنة ١٩٣٣ اى بعد تسع سنوات وكانت البعثة مكونة من سمايث وشيبتون وبرنى ولكنهم ايضا مع انهم استفادوا من جميع تجارب البعثة المنكودة الحظ التى سبقتهم قد اصيبوا بالفشل . وفى نفس هذا العام غزيت قمة افريست ولكنها غزيت من الجو . فقد قامت طائرتان من طراز «وستلاند» جهزتا خصيصا للطيران فى الارتفاع العالى واستطاع رجال هاتين الطائرتين بعد



منظر لشكاردزونج حيث استراح أعضاء البعثة .

مخاطرات شديدة بحياتهما ان يحصلوا على صور فوتوغرافية عظيمة الاهمية
فى اعمال المساحة . وكانت الرحلة الجوية الاولى من الناحية العلمية فاشلة
ولكن الرحلة الثانية التى تلتها بعد اسبوعين صادفها نجاح لا يوصف وعادوا
بصور فوتوغرافية مدهشة فى وسعها وتفاصيلها ودقتها وهى تكشف عن
تفاصيل جغرافية جديدة لم تخيل بعد . ولا شك ان هذه الصور الفوتوغرافية
ستكون اساسا عظيم النفع لاعمال البعثة الاستكشافية المقبلة .

ويقف جبل افريست لم تطأ قمته قدم انسان الى يومنا هذا ولم يغزه
بعد المغرسون يرفع رأسه المعمم بالثلوج باعتزاز فى اطباق الجو تزينه ريشة
من ثلج تستطيل ستة اميال فى طبقات الهواء تنعكس عليها اشعة الشمس
الساطعة فتستهوى قلوب الرجال وتتحداهم وكأنها تجد لذة ومتعة
شيطانية فى اخفاق جهودهم جميعا لانتزاع سطوة الانتصار منها .

وطالما وقفت كذلك شامخة ظافرة غير مغزوة سيقبل الرجال ويتقدمون
بشجاعة حتى يتموا رحلتهم .

معسكر بعثة سنة ١٩٣٨ . وهذا المنظر من رونجبوك يعطى لمحة بعيدة لجبل افرست



المخطوطات العربية فى المكتبة البودلية

بقلم الدكتور ب . كاله

أسست المكتبة البودلية فى سنة ١٦٠٣ أى قبل إنشاء مكتبة المتحف البريطانى بنحو مائة وخمسين عاما، وهى تحتوى على مجموعة من أكبر مجموعات المخطوطات العربية فى أوربا فهى زهاء ثلاثة آلاف مخطوطة . ومن أسباب هذا أن قسما عظيما من هذه المخطوطات قد جمع فى الشرق الأدنى فى وقت كانت العناية فيه بهذه الدراسات ضئيلة فى بقية أوربا .

ذلك أن إدوارد بوكوك (١٦٠٤—١٦٩١ م) المستشرق من اكسفورد قد قضى اكثر من عشر سنوات فى الشرق (من سنة ١٦٢٩ إلى سنة ١٦٣٦ كان فى حلب ومن ١٦٣٧ إلى ١٦٤٠ كان فى القسطنطينية) حيث قام بجمع المخطوطات العربية لنفسه ولآخرين، فمن بين المخطوطات الألف والثلاثمائة القيمة التى أهداها رئيس الأساقفة لود بين سنتى ١٦٣٥ و ١٦٤٠ إلى المكتبة البودلية كان عدد قد جلبه بوكوك . وأما مجموعته الخصوصية المحتوية على ٤٢٠ مخطوطة عربية قد حصلت عليها المكتبة بعد وفاته .

ثم إن روبرت هنتنجتون (١٦٣٧—١٧٠١ م) الذى أقام بحلب عشر سنوات من ١٦٧١ إلى ١٦٨١ قد جمع ٦٨٠ مخطوطة أغلبها عربى استلكتها المكتبة بعد وفاته، كما أنه ابتاع مخطوطات كثيرة لاجل علماء آخرين كانوا مهتمين بهذه الدراسات وخاصة لتوماس مارشال (١٦٢١—١٦٨٥م) رئيس كلية لنكولن الذى اوصى بمجموعته من ١٥٩ مخطوطة عربية إلى المكتبة، كما اوصى بمجموعة نارسيوس مارش (١٦٣٨—١٧١٣) المحتوية على ٧١٤ مخطوطة عربية . إلا أن أثمن المخطوطات كانت فى حيازة الأستاذ جوليوس (١٥٩٦—١٦٦٧) المستشرق الكبير الشأن فى ليدن . وهو نفسه قد قضى أربع سنوات (١٦٢٥—١٦٢٩) فى الشرق

الأدنى . وإن المخطوطات التى حصل عليها لتدل على مهارته وعلم
وحين بيعت مكتبته فى ليدن سنة ١٦٩٦ تحصل الأسقف مارش ع
عدد عظيم من مخطوطاته الثمينة . ووصلت إلى المكتبة مجموعات أخ
من المخطوطات، ففى سنة ١٨٠٥ بعض مخطوطات عربية جمع
جيمس فيليب دورفيل، وفى ١٨٠٩ مجموعة من المخطوطات ابتاع
فى الشرق الأدنى ا . د . كلارك ومن بينها عدد من المخطوطات العربي
وفى سنة ١٨٤٣ ابتيعت المجموعة القيمة من المخطوطات الشرقية ا
جمعها الرحالة الاسكتلندى الشهير جيمس بروس المولود فى كن
(١٧٣٠—١٧٩٤) وكانت تحتوى على سبعين مخطوطة عربية . وفى
١٨٥٩ أهدى ج . ب . إليوت من كلكتا إلى المكتبة مجموعة ث
محتوية على ٤٢٢ مجلدا من المخطوطات العربية والفارسية، وهى يتك
أغلبها من المخطوطات التى حصل عليها السير جور أوزلى من رجال الس
الدبلوماسى (١٧٧٠—١٨٤٤) بينما كان فى عمله فى الشرق ثم اشتر
بعد ذلك المستر إليوت .

وحين اعتقدت جامعة اكسفورد فى سنة ١٧٦٦ ان الوقت قد ح
لتصنيف فهرست للمخطوطات الشرقية وقع الاختيار على جون يو
(١٧٢٦—١٧٩٦) لهذا العمل . وكان يهوديا مجريا درس الآد
الشرقية على الأستاذ شولتنس فى ليدن . وبعد أكثر من عشرين ع
قضاها منكبا على هذا العمل نشر فهرسته فى سنة ١٧٨٧ وفيه وص
ما يقرب من ١٤٠٠ مخطوطة عربية . ولم يكن من السهل فى ذ
الوقت تدوين المخطوطات العربية فى فهرست فان أغلب كتب الس
والمراجع لحياة المؤلفين التى هى الآن فى حوزتنا لم تكن موجودة إذ ذا
وهكذا لم يكن الفهرست ذا نتيجة مرضية تماما ولا هو يقدم وصفا ك
للمخطوطات، أضف إلى ذلك أنه لم يتناول كل المخطوطات بالوصف
مخطوطات أخرى كثيرة قد أهديت إلى المكتبة بعد ذلك . وكان ن
نتيجة ذلك أنه لما صار اسكندر نقول (١٧٩٣—١٨٢٨) وكيل المك



المكتبة البودلية فى اكسفورد .

البودلية فى سنة ١٨١٤ وسنه إذ ذاك لا تتعدى الحادية والعشرين ابتدأ فى تحضير المجلد الثانى من الفهرست . واستمر فى هذا العمل بعد أن صار أستاذا ملكيا فى العبرانية وقسيسا بكنيسة المسيح فى سنة ١٨٢٢، ولما قضى نحبه فى سنة ١٨٢٨ ولما يزل فى عنفوان شبابه خلفه الأستاذ إدوارد بوفرى بوسى (١٨٠٠—١٨٨٢) وواصل العمل الذى بدأه نقول . وقد نشر المجلد الثانى من الفهرست فى سنة ١٨٣٥ وفيه تنوول نحو ٣٠٠ مخطوطة عربية أخرى بالوصف وعملت تصحيحات وإضافات كثيرة إلى فهرست يورى . وكان هذا الفهرست على قدر أعظم من الدقة مما كان عليه الاول .

ولكن أعظم مخطوطات المكتبة القيمة موصوفة فى مجلد يورى الاول، وإن كان نقص وصفه كثيرا ما يجعل من الصعب تقدير الأهمية الحقة للمخطوطات الموصوفة هناك، فمن هو الذى يقرأ الملحوظات الموجزة عن

مخطوطة مارش ٤٥٨ (يورى ٣٠٣) ويدرك أن هذه مخطوطة من أنـ
المخطوطات المصورة لمقامات الحريرى، أو من هو الذى اذ يقرأ الملحوظة
مخطوطة بوكوك . . ٤ (يورى ٣٠٦) يدرك أنها من أهم المخطوطات المصـ
للترجمة العربية لكليلة ودمنة التى ترجمها عبد الله بن المقفع ! وكذ
إذا قرأنا الأوصاف المختزلة التى كتبها يورى تحت رقم ٨٨٤ ورقم ٨٧
لا نكاد نحصل على فكرة صميمة عن أهمية مخطوطتين لكتاب الشر
الادريسى وما فيهما من خرائط قيمة . إلا أن فهرست يورى يحتوى
الأقل على قائمة بما هو محفوظ فى المكتبة .

ولعلنا نستطيع الآن أن نعطى بضع ملحوظات عن قليل
المخطوطات الهامة فى المكتبة البودلية .

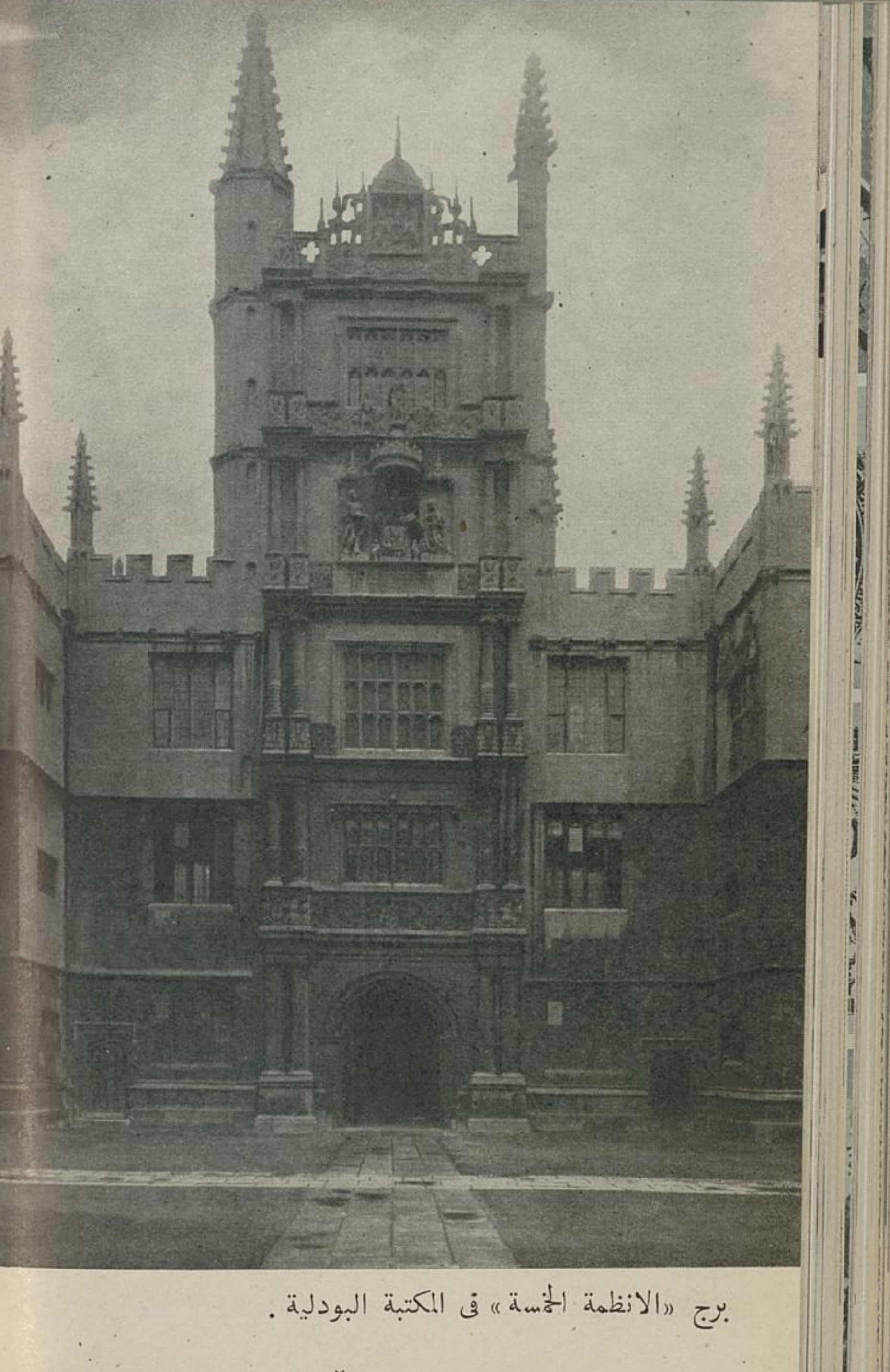
كتب المراجع والمصادر . فى حوزة المكتبة نسخة ثمينة كاملة
(كشف الظنون) ذلك المعجم الهام للمراجع الذى ألفه حاجى خـ
وقد كتبت هذه النسخة فى سنة ١١٦٤ هجرية . وقد حصل على هذه النسـ
الأستاذ نقول فى سنة ١٨٢٢ من مكتبة المفتى فى القسطنطينية ولـ
النسخة قيمة خاصة إذ أنها تتضمن تواريخ وأسماء لا توجد فى النصو
المطبوعة للكتاب وإلى جانب ذلك كثيرا ما يختلف النص عن النـ
المعروفة . ولا بد أن هذه المخطوطة نسخة من الكتاب قام المؤلف نـ
بعمل تصحيحات وتكميلات كثيرة فيها . وهى موصوفة تحت رقم ٢
من المجلد الثانى للفهرست .

التاريخ . فى كتاب (الفتح القسى فى الفتح القدسى) يتناول
الدين الكاتب الاصبهانى وقائع فتح فلسطين حتى وفاة السلطان صـ
الدين الايوبى (٥٨١—٥٨٩ هجرية)، وقد كان الكاتب على علاقة شخـ
وثيقة بالسلطان . ثم إنه أضاف إلى كتابه هذا ملحقين يتناول فيهما ما حـ
من الأحداث حتى عام وفاته سنة ٥٩٧ هجرية . وقد ضاع هذان الملحـ
ولكن أبا شامة (المتوفى سنة ٦٦٥ هجرية) قد اعتمد عليهما إلى حد كبيـ
تأليف كتابه (كتاب الروضتين) إلا أن تاريخ صلاح الدين فيما سبق

من الزمن أعظم أهمية، وعلى هذا التاريخ أوقف عماد الدين كتابه (البرق الشامى) وهو مذكرات فى سبعة مجلدات جمع فيها المؤلف كل الرسائل الرسمية والوثائق التى كتبها السلطان أو كتبت باسمه والمجلد الخامس من هذا الكتاب يتناول بالوصف حوادث سنتى ٥٧٨ و ٥٧٩ وهو متضمن فى مخطوطة مارش ٤٢٥ (يورى ٧٦١) والمجلد الثالث يشمل السنوات من ٥٧٣ إلى ٥٧٥ وهو متضمن فى مخطوطة بروس ١١ . وهذان المجلدان مختلفا الحجم ولكن كلا منهما قديم ومعاصر تقريباً للمؤلف. ثم إنهما وحيدان . والملحوظة القائلة بأن نسخة من هذا الكتاب محفوظة فى لننجراد خاطئة (تذكرة النوادر صفحة ٨١ وكررها بروكلمان فى الملحق جزء ١ صفحة ٣١٥) فالأستاذ كراتشكوفسكى قد كتب إلى قائلا إن مخطوطة لننجراد هى فى الحقيقة نسخة من فتح فلسطين.

وقد طبع (صبح الأعشى فى صناعة الانشاء) ذلك الكتاب الهام للقلقشندى فى القاهرة سنة ١٣٣١—١٣٣٨ هـ ١٩١٣—١٩١٩ م من نسخة قيمة أكملت فى سنة ٨٨٩ هـ وهى تكاد تكون المخطوطة الوحيدة المعروفة للكتاب . والمجلدات الثالث والرابع والخامس والسادس من هذه المخطوطة موجودة فى القاهرة، وأما المجلدات الأول والثانى والسابع ففى حوزة المكتبة البودلية فى اكسفورد (الأول فى نسخة سلدن ٣١٥٠، يورى ٣٦٥، والثانى فى نسخة سلدن ٣١٥١، يورى ٣٦٦، والسابع فى نسخة مارش ٣١٧، يورى ٣٩٠) .

علم الفلك . إن المخطوطات التى تتضمن الملاحظات الفلكية التى عملت فى الشرق قد تحصلت عليها المكتبة ودرست دراسة دقيقة فى اكسفورد . والجداول الفلكية الجديدة التى نشرها فى سنة ١٤٣٧ ألغ بك أكبر أبناء شاهرخ الذى خلف أباه فى السلطنة موجودة فى المكتبة البودلية بالنص الفارسى (مخطوطة جريفز ٣٧٧٧، يورى فارسية رقم ٦٥) وبالنص العربى (مخطوطة ا . د . كلارك ١٨، نقول ٢٧٣) . وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن التواريخ المختلفة بما منها التأريخ الصينى، ومسالك



برج «الانظمة الخمسة» فى المكتبة البودلية .

الكواكب السيارة ومواضع الكواكب الثابتة كما لاحظها هو ورجاله الفلكيون فى مرصد سمرقند . وهذا الكتاب يعود الفضل فى تعريفه فى أوربا إلى الأستاذ جون جريفز وفى سنة ١٦٦٥ قام توماس هايد بنشر النص الفارسى لأقسام من الكتاب مصحوبا بترجمة لاتينية .

الطب . يخبرنا ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥١) أن أبا بكر حامد بن سمجون كان طبيبا عظيم القدر ذا براعة ممتازة فى فعل العقاقير المفردة وأوصافها وأن كتابه عن هذا الموضوع اشتهر بمزاياه وأنه قد بذل أقصى مجهوده فى تأليفه، والكتاب الذى ألفه اسمه (مجموعات أقوال المؤلفين والفلاسفة من سلف منهم ومن خلف عن المفردات) وقد ألف هذا الكتاب فى القرن الرابع الهجرى ويعتقد عامة الباحثين أنه قد ضاع . ولكن المتحف البريطانى قد تحصل حديثا على قسم منه (شرقية ١١٦١٤) وفى مخطوطة بروس ٤٧—٤٨ قد حفظ المجلدان الثانى والثالث من الكتاب فى نسخة جيدة قوبلت على المخطوطة الأصلية للمؤلف . وابن سمجون يروى فى كتابه عددا عظيما من أقوال المؤلفين من اليونان والرومان الذين كتبوا فى العقاقير المفردة . ولكتابه قيمة خاصة إذ أنه يقتبس بدقة أقوال كل المؤلفين من العرب فى القرنين الثالث والرابع الذين كتبوا فى العقاقير المفردة، والذين ضاعت معظم مؤلفاتهم . وإن ابن البيطار (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) فى كتابه المشهور (جامع مفردات الأدوية والأغذية) يذكر ابن سمجون فى مواضع كثيرة كمرجعه ولكنه يذكر فى مواضع اكثر عدداً الغافقى (المتوفى ٥٦٠ هـ) والكتاب الذى ألفه هذا عن المفردات قد نشر حديثا مختصره ضمن مطبوعات كلية الطب بالجامعة المصرية وناشراه الدكتور مايرهوف والدكتور صبحى (القاهرة ١٩٣٢) . ونحن الآن نجد أن الغافقى قد استمد جزءا كبيراً من تأليفه من ابن سمجون . كما أن ابن سمجون أحد المراجع الخمسة التى اعتمد عليها موسى بن ميمون فى تأليف كتابه (شرح أسماء العقار) الذى نشره أخيرا الدكتور مايرهوف (القاهرة ١٩٤٠) .

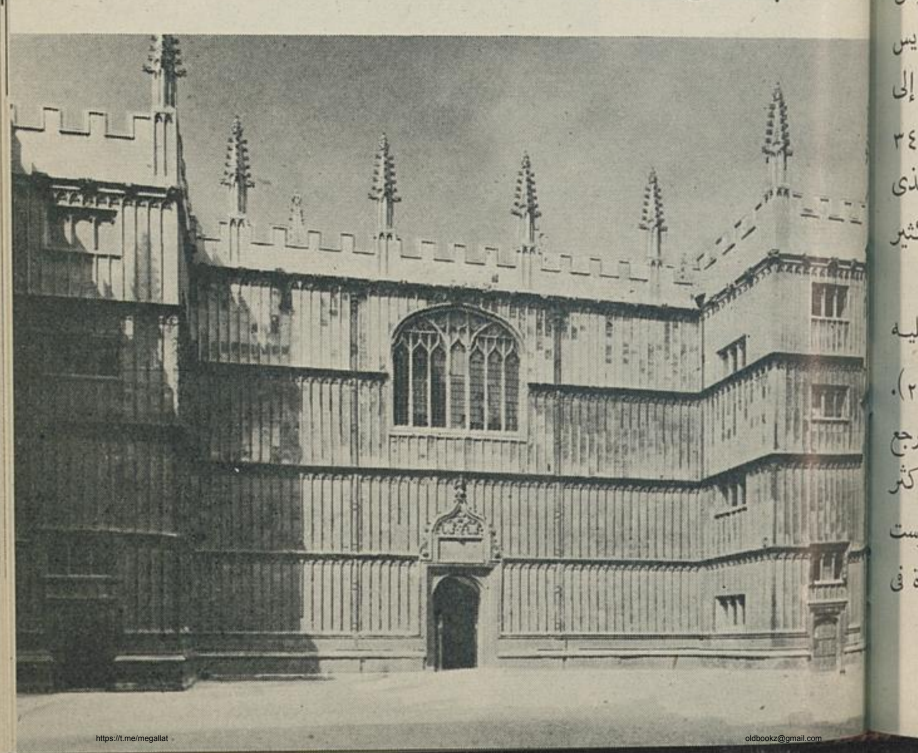
هذا وقد كان ديوسقوريديس عمدة هامة للكتب العربية فى العقا
المفردة فكتابه (فى هيولى علاج الطب) أو (الحشائش) قد ترج
إلى العربية فى عهد مبكر اسطفان ابن باسيل تحت إشراف المترجم الذا
الصيت حنين بن اسحق (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) . وقد أهديت إلى المك
البودلية فى سنة ١٩١٢ نسخة ثمينة من المجلد الثانى من هذه الترج
محلاة بتصاوير جميلة للنباتات (نسخة عربية د. ١٣٨) وتصاوير المخطو
ترجع إلى تصاوير قديمة جدا فى المخطوطات اليونانية وهى تشبه التصا
التى فى المخطوطة اليونانية رقم ٢١٧٩ فى باريس التى كتبت فى الق
التاسع . ومن العجيب أن النباتات فى هذه المخطوطة اليونانية كثيرا ما
اسماؤها بالحروف العربية . وتوجد اختلافات كثيرة بين المخطوطات المخت
لهذه الترجمة فنحن نجد أن النساخين لم يقصروا عملهم على نسخ الن
بل حاولوا تحسينه أيضا . وفى المخطوطة السابقة الذكر قد أضيفت
التصاوير الأسماء اليونانية للنباتات مكتوبة بحروف عربية . وقد كان
العمل دائما مشكلة حار فيها العرب . ونحن نعرف أن ابن جلجل (
رجال القرن الرابع) حاول تحقيق أسماء النباتات التى ذكرها ديوسقوريد
بالرجوع إلى مخطوطة يونانية مصورة أرسلها الامبراطور البيزنطى
قرطبة وعاونه راهب يونانى اسمه نقولا أرسل إلى أسبانيا فى سنة .
هجرية . والنص العربى لديوسقوريديس ليس بالنص اليونانى ال
نقرؤه فى الطبعة الحالية التى نشرها ولمان، وفيه اختصارات وحذف ك
فهو يتطلب فحصا دقيقا .

الشعر . أغلب معرفتنا بديوان الأعشى الذى عاصر النبى عل
السلام راجعة إلى رواية ثعلب النحوى الكوفى المشهور (توفى سنة ٩١
ومخطوطة اسكوريال القديمة النفيسة تتضمن رواية ثعلب هذه وهى الم
الأساسى لعلمنا بالديوان، ونحن نعرف سوى هذه المخطوطة ديوانا أ
اختصارا تتضمنه مخطوطات القاهرة وليدن وباريس، ونعرف من فهر
ابن النديم أنه كانت روايات متعددة مختلفة للديوان موجودة

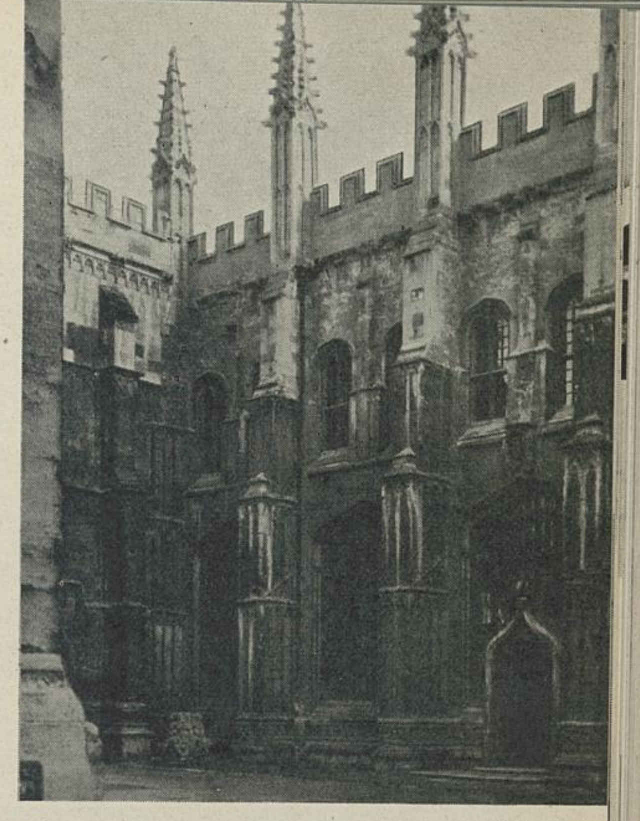
زمانه وهى الآن قد ضاعت جميعها . ولكن المخطوطة البودلية العربية
د. ١٥٤ قد حفظت جزءا عظيما من ديوان الأعشى يختلف اختلافا شديدا
عن الديوان كما عرف قبل ذلك فى كلتا صورتيه، وهذه المخطوطة تاريخها
سنة ٧١٦ هجرية وهى مكونة من إحدى وستين ورقة تتضمن اثنتان
وأربعون منها قصائد الأعشى وثمانى عشرة تتضمن قصائد امرىء القيس
وكلا القسمين كتبه نفس النساخ . وهذه المخطوطة تحتوى على عدة قصائد
غير موجودة بالكلية فى أى كتاب آخر . وكثير من مواضع النقص فى
مخطوطة اسكوريال يمكن ملؤها من هذه المخطوطة . والمخطوطة إذا قورنت
بالنصوص المعروفة من قبل تعطينا قراءات متعددة . ونص هذه المخطوطة
يجب أن يدرس دراسة دقيقة إذا أريد إصدار طبعة جديدة صحيحة للديوان .

معاجم اللغة . كان كتاب العين للخليل أول محاولة لجمع الكلمات

جانب الغربى للمربع البودلى .



منظر للمكتبة البودلي
ومدرسة اللاهوت .



العربية كلها وشرحها
فقد وضع المؤلف (وقد
توفى فى سنة ١٧٥ هـ
أبجدية عربية رتبت فيه
الحروف بحسب مخارجه
الصوتية مبتدئا بالعين
وحروف الحلق ومنتهي
بحروف الشفه (الفا
والباء والميم) ثم بالواو
والألف والياء . وقد
حفظ قسم صغير من
هذا الكتاب في
المخطوطة البودلي
العربية أو . ٢٩ وهو يتناول الكلمات العربية التى يصحب فيها حرف الكاف
حرف أو حرفان من الحروف التالية له فى أبجدية الخليل . وهذا القسم ذ
قيمة عظيمة جداً اذ يذكر فيه اللغويون من العرب فى القرنين الثاني
والثالث كلهم جميعا بلا استثناء واحد . والكتاب فى هذا الوضع لا بد أن
يكون نتيجة دراسة دقيقة جداً لمؤلفات هؤلاء اللغويين العرب قام بها
المصنف فى آخر القرن الثالث . ونحن نعرف أنه سرعان ما حل محل كتاب
العين معاجم لغوية مرتبة على مبادىء أخرى وكان أولها جمهرة ابن دريد
(المتوفى سنة ٣٢١ هجرية) وقد رمى نفطويه ابن دريد بأنه لم يفعل إلا أن
أخذ ما فى كتاب العين ورتبه ترتيبا آخر . ويندر جداً أن توجد قطع من
هذا الكتاب . والقطعة السابق ذكرها نموذج جيد للوضع الذى أتخذ
الكتاب حوالى سنة ثلاثمائة هجرية .

أسس العظمة القومية

جورج واشنجطون، كما يعلم قراؤنا، كان بحق والد الولايات المتحدة وقوبل انتخابه كاول رئيس للاتحاد فى سنة ١٧٨٩ بالترحيب من كل الاحزاب ومن كافة الناس على انه احسن اختيار ممكن . وفى سنة ١٧٩٣ اعيد انتخابه لمدة ثانية . وما كان احب للامريكيين من انتخابه لمرة ثالثة لولا ان واشنجطون عقد فى سنة ١٧٩٦ العزم على اعتزال السياسة فالقى فى ١٩ سبتمبر من ذلك العام خطبة وداعية ننشر فى ادنى هذا مقتطفات منها . كان هذا الخطاب بما حواه من ثمرات عمر صرف فى السياسة وتجربة اكتسبت خلال السنوات الاولى من تكوين جمهورية ناشئة، كان مليئا بالحكمة العملية . ولعل دراسته لا تزال على فائدة كبيرة لكل من يهتمون بتوفير الرفاهية لاوطانهم وللبحث عن خير السبل لتحقيق ذلك مهما اختلفت جنسياتهم واوطانهم .

. . . .

اصدقائى ومواطنى . ان ميعاد انتخاب مواطن يتولى شئون الحكومة التنفيذية للولايات المتحدة قد اوشك ولم يعد بعيدا، بل فى الواقع لقد حان الوقت الذى يجب ان تتجه فيه افكاركم لاختيار الشخص الذى تعهدون اليه بهذه الوديعة الغالية . ويبدو لى انه من الصواب — خصوصا لما فى ذلك من مساعدة لبعض اتجاهات الرأى العام — ان احيطكم علما بما عقدت عليه العزم من الا تعتبرونى من بين الاشخاص الذين ستختارون الرئيس منهم . . .

ان تعلقى بما فيه صالحكم، ذلك التعلق الذى لن ينتهى الا بانتهاء حياتى، وادراكى للخطر الذى هو لازمة طبيعية لمثل هذا الاهتمام يدفعاننى

الى انتهاز مثل هذه الفرصة لان اعرض عليكم بغرض التمعن الجا
والتمحيص المستمر بعض خواطر هى نتيجة ترو عميق وملاحظة غير قاص
هى لاستمرار حياتكم ورفاهيتكم كشعب، خواطر تبدو لى على الغاية
الاهمية . وساعرضها عليكم من غير تحفظ وفى كثير من الحرية اذ لن ت
فيها سوى تحذيرات صديق راحل غير مغرض ليست له فى الامر مصل
ذاتية تشوب مشورته . . . .

ان تشرب حب الحرية بشعاب قلوبكم لينفى الضرورة لاية نصي
اتقدم بها لتقوية هذا التعلق وتمكينه .

ان وحدة الحكومة التى تكون منكم شعبا واحدا هى ايضا عز
عليكم اليوم، عزيزة بحق اذ هى العماد الرئيسى فى صرح استقلا
الصحيح، عليه تستند طمأنينتكم فى الداخل وسلمكم فى الخارج وع
تعتمد سلامتكم ورفاهيتكم بل وذات الحرية التى انتم شديدو التعلق به
لكن — كما هو من السهل التنبؤ — لن يدخر وسع ولا خديعة لمخت
الاسباب ومن مختلف الجهات، يقصد منها زعزعة تمكن هذه الحقيقة
عقولكم . سيكون هذا المعقل فى حصنكم السياسى هدفا دائما لاعدائ
فى الداخل والخارج يصوبون عليه سهامهم باستمرار وبنشاط، وان ك
فى تستر ودهاء . وانه لمن الضرورى على الدوام وواجب عليكم اب
ان تقدروا احسن التقدير مبلغ الفائدة الكبرى التى يوفرها اتحاد
القومى لسعادتكم افرادا وجماعة، وان تتعهدوا من كل قلوبكم وتتطب
على التعلق به تعلقا ثابتا، معودين انفسكم على التفكير فيه والتحد
عنه على انه صرح سلامتكم ورفاهيتكم، يقظى المحافظة عليه بكل غير
معرضين عما قد يلمح بل حتى عن شبهة التلميح بان فى الامكان الاستغ
عن هذا الاتحاد، وان تقضوا فى المهد على اية محاولة ترمى لابعاد
جزء من اجزاء وطننا عن بقيته او لاضعاف الروابط المقدسة التى تر
مختلف الاجزاء بعضها ببعض .

ولكم فى هذا باعث من العطف والمصلحة . فيا مواطنى هذا الق



مجموعة من الطوابع الأمريكية عليها صورة واشنجتن. وتاريخها ما بين سنة ١٨٤٥ و سنة ١٨٦١ (سمح لنا بنشرها محل فرانك جودن لمتد).

المشترك، سواء اكنتم ابناء له بالميلاد ام عن الاختيار، ان لهذا القطر حقا فى محبتكم جميعا. ان اسم «امريكى» الذى هو ملك لكم بصفتكم القومية يجب ان يثير فيكم دائما القدر الحق من الشعور الوطنى اكثر مما يثيره اى عامل آخر مرجعه الاختلافات المحلية. فانتم بالرغم من اختلافات بسيطة بينكم قوم على دين واحد وتصرفات وعادات ومبادىء سياسية واحدة. لقد حاربتم معا من اجل قضية مشتركة وانتصرتم معا، فالاستقلال والحرية اللذان تتمتعون بهما اليوم هما نتيجة تفكير

مشترك ومجهود مشترك، هما نتيجة اخطار مشتركة وآلام مشترك
وانتصارات مشتركة . . . .

وللاحتفاظ بشكل حكومتكم والابقاء على الدوام على هذه الحال
المرضية يجب عليكم ليس فقط ان تعرضوا باستمرار عن كل معارضة شاذ
لسلطة الحكومة المعترف بها بل يجب ايضا ان تقاوموا روح التجديد ف
مبادىء الحكم مقاومة حذرة مستنيرة مهما حسنت ظواهر الاسباب
التى تدعم بها رغبة التغيير . لقد تكون احدى وسائل اضعافكم هـ
ادخال تغييرات على شكل الدستور تعوق نشاط النظام الحكومى وسير
الطبيعى وبذلك توهن من اساس ما تعذر القضاء عليه مباشرة . فعن
كل تغيير يعرض عليكم تذكروا ان الزمن والعادات امران لا تقل
اهميتهما للأصول السليمة للحكم عن الاهمية التى لهما فى اية مؤسس

مجموعة أخرى من الطوابع عليها رأس واشنجتن تاريخها من سنة ٦٩
إلى سنة ١٨٩٥ (سمح لنا بنشرها محل فرانك جودن لمتد) .



بشرية اخرى . فتلك الخبرة هى اضمن فيصل لاختبار الاتجاهات الصحيحة لاى الدساتير الموجودة لاى البلدان . وقبول التغيير بسهولة استنادا الى مجرد نظريات وآراء يعرض الدساتير لعدم استقرار مستمر اذ سيل النظريات والآراء دائم التغيير لا ينقطع . وتذكروا بنوع خاص انه لادارة الحكم بحنكة فى صالح المجموع فى بلد متسع كوطننا يكون وجود حكومة على الدرجة من النشاط التى تتوافق مع الحماية الكاملة للحرية امرا لازما ضروريا . وسيكون للحرية ذاتها فى مثل تلك الحكومة المتمتعة بسلطات موزعة توزيعا صائبا وعادلا خير حافظ وضامن . والواقع ان الحرية لن تعدو ان تكون مجرد اسم اذا ما كانت الحكومة على الدرجة من الضعف الذى لا تقوى معه على مواجهة حيل اهل الفتنة ولا على ان تلزم كل عضو من اعضاء المجتمع مكانه فى الحدود التى ترسمها القوانين الموضوعة، ولا من رعاية كل الافراد فى ظل الطمأنينة والهدوء اللذان يترتبان على التقنع بالحقوق الشخصية والمادية . . .

والدين والاخلاق هما، من بين الحالات والعادات التى تؤدى الى الرخاء السياسى، اهمها والزمها . فعبثا يدعى الوطنية امرؤ يسعى لتقويض هذين العمادين الراسخين من عمد السعادة البشرية، هذين السندين القويين لواجبات الانسان والمواطنين. فمن واجب السياسى العادى كما هو الحال مع الرجل المتدين ان يحترمهما ويتعهدهما . وان مجلدا ضخما ليس يكفى لبيان صلاتهما المتعددة بهناء الحياة الخاصة والعامة . وقد يسأل المرء سؤالا بسيطا : ماذا يكون ضمان حق الملك والسمعة والحياة اذا ما اختفت روح الالتزام الدينى من الايمان التى هى وسيلة التحقق فى محاكم العدالة؟ فلا نفرض الا بكل تحفظ ان الدين غير لازم لاثبات القواعد الاخلاقية . مهما كان من تأثير التعليم المتقدم على اصحاب العقول الشاذة فان الادراك والتجربة يقضيان باستحالة امكان الاحتفاظ بقواعد الاخلاق القومية اذا ما فصلت المبادىء الدينية عنها .

انها لحقيقة لا شك فيها ان الفضيلة و الاخلاق هى نبع ضرورى

للحكومة الشعبية . وهذه القاعدة تنطبق على كل اشكال الحكوما
الحرة بدرجات تتفاوت . فاى نصير مخلص اذا لمثل تلك الحكومة يمك
التغاضى عن اية محاولة تبذل لتقويض اركانها ؟

ثم تعملوا على تشجيع انشاء مؤسسات لنشر المعرفة مع اعتبار ذ
امرا ذا اهمية اولى . فبنسبة القوة التى يعطيها شكل الحكم للرأى الع
يجب ان تكون نسبة تنوير الرأى العام متزائدة .

ومن اهم منابع القوة والطمأنينة فى الدولة رعاية الدين العام
ومن وسائل الاحتفاظ بالثقة العامة الاقلال من الالتجاء اليه بق
الامكان كتفادى اثارة الظروف التى تستدعى كثرة الانفاق بمحاول
الابقاء على السلم، مع التنبه الى ان انفاق المال فى الوقت المناسب اعدا
لدرء خطر يلوح غالبا ما ادى الى توفير نفقات طائلة كانت تصرف ع
مواجهته عند حلوله . ومن ذلك ايضا تفادى تراكم الديون ليس ف
بملافاة الظروف التى تستدعى الانفاق بل بالنشاط فى وقت السلم
سداد الديون التى ترتبت عن حروب لم يكن منها مفر دون التراخى
تسديدها وابقاء عبئها على كاهل الاجيال المستقبلة عبئا من واجب
نحن تحمله . ان تنفيذ تلك المبادىء امر راجع الى ممثليكم، لكن تعا
الرأى العام معهم امر ضرورى . فلتسهيل سبيل الحاكمين فى اد
واجبهم يتحتم عليكم ان تدركوا ان سداد الديون يحتاج الى دخل و
الدخل يقتضى سن الضرائب، وانه ليست هناك ضرائب الا وامر
مزعج غير سار . وان الحيرة التى تقترن بأمر اختيار موضوع الضري
واختيارها امر صعب دائما، يجب ان تكون دائما باعثا حاسما لحس
تصرف الحكومة عند سن الضريبة وباعثا على اثارة روح الاقتناع ع
الشعب وقبول الاجراءات التى تتخذ لايجاد الدخل الذى تقتض
حاجيات المصلحة العامة .

وليكن رائدكم فى تصرفاتكم مع الامم الاخرى هو حسن النـ
والعدالة فتمكنوا روابط السلم والوفاق مع الجميع . ان الدين والاخلا



وعة من طوابع واشنجتن التذكارية اصدرت سنة ١٩٣٢ (سمح لنا بنشرها محل رانك جودن لمتد) .

ليوصيان بذلك، وهلا كانت السياسة القويمة الا لتوصى به ايضا؟ وانه لاجدر بأمة حرة متنورة ستغدو فى غير زمن طويل امة عظيمة ان تضرب للجنس البشرى فى السخاء مثلا جديدا، مثل شعب كانت العدالة الحقة والعطف دائما رائده . ومن يشك فى انه على مر الزمن والحوادث ان ثمرة مثل تلك الخطة ستكون فى النهاية جزاء طيبا يعوض اى نفع موقت قد يفوته التعلق بها؟ او يعقل امرؤ ان العدالة السماوية لم تجعل بين الرخاء المستمر لاية امة وبين فضائلها روابط؟ ان تجربة تلك الخطة، على الاقل، تجربة تشير بها كل عواطف النبل فى الطبيعة البشرية لكن هيهات ! هل تجعلها رذائل البشر فى حكم المستحيل؟

عظماء المستشرقين من البريطانيي

٢ - ادوارد يوكوك

بعد وفاة ميكائيل سكوت بزمن وجيز انتهى عهد ترجمة فلاسفة العرب
إلى اللغة اللاتينية ذلك العهد الذى ازدانت قبة العلم فيه بنجوم باهر
كثيرة يسطع بينها سكوت نفسه بقدر ممتاز من البهاء . ونحن نرى ضيا
ينعكس مصغرا فى مؤلفات علماء انجليز مثل أديلارد من مدينة با
ودانيال من مورلى وروبرت من تشستر . وإن الاهمال الذى منيت
الدراسات العربية فى اوربا بعد عهد ميكائيل سكوت يرجع إلى أسبا
متعددة نذكر منها أولا أهمها ألا وهو تدهور الثقافة العربية والحضا
العربية اثر غزوات هولاكو خان وجيوشه الجرارة من المغول وما تبع ذل
من خراب أجمل أصقاع العالم الاسلامى . وثانيا فقدان الأندلس وانحلا
قوة العرب وعلمهم فى المغرب . وثالثا ما كانت عليه حالة أوربا وأقط
البحر الأبيض المتوسط من اضطراب وعدم استقرار، الأمر الذى حال دو
أى اتصال ثقافى أو تجارى مستمر بين الغرب المسيحى والشرق الاسلامى
ورابعا فتح الأتراك العثمانيين للقسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ وما أدى ال
هذا الفتح من ذهاب كثير من علماء تلك المدينة إلى أوربا الغربي
وإحياء دراسة اليونانية القديمة .

ولكن ما أشرف القرن السادس عشر على الانتهاء حتى تبدلت الأحوا
وصارت من جديد مشجعة للقيام بالدراسات العربية فى أوربا . فان التجا
كانت قد استؤنفت بين الغرب والشرق على منوال أعظم بكثير مما كان
عليه فى أى عصر سابق . وأينما مخر التجار الأوربيون عباب البحار وجد
أنهم مضطرون إلى التعامل مع التجار العرب . ولقد صدق وليم بدو
حين قال فى سنة ١٦١٢ إن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة للدين والت

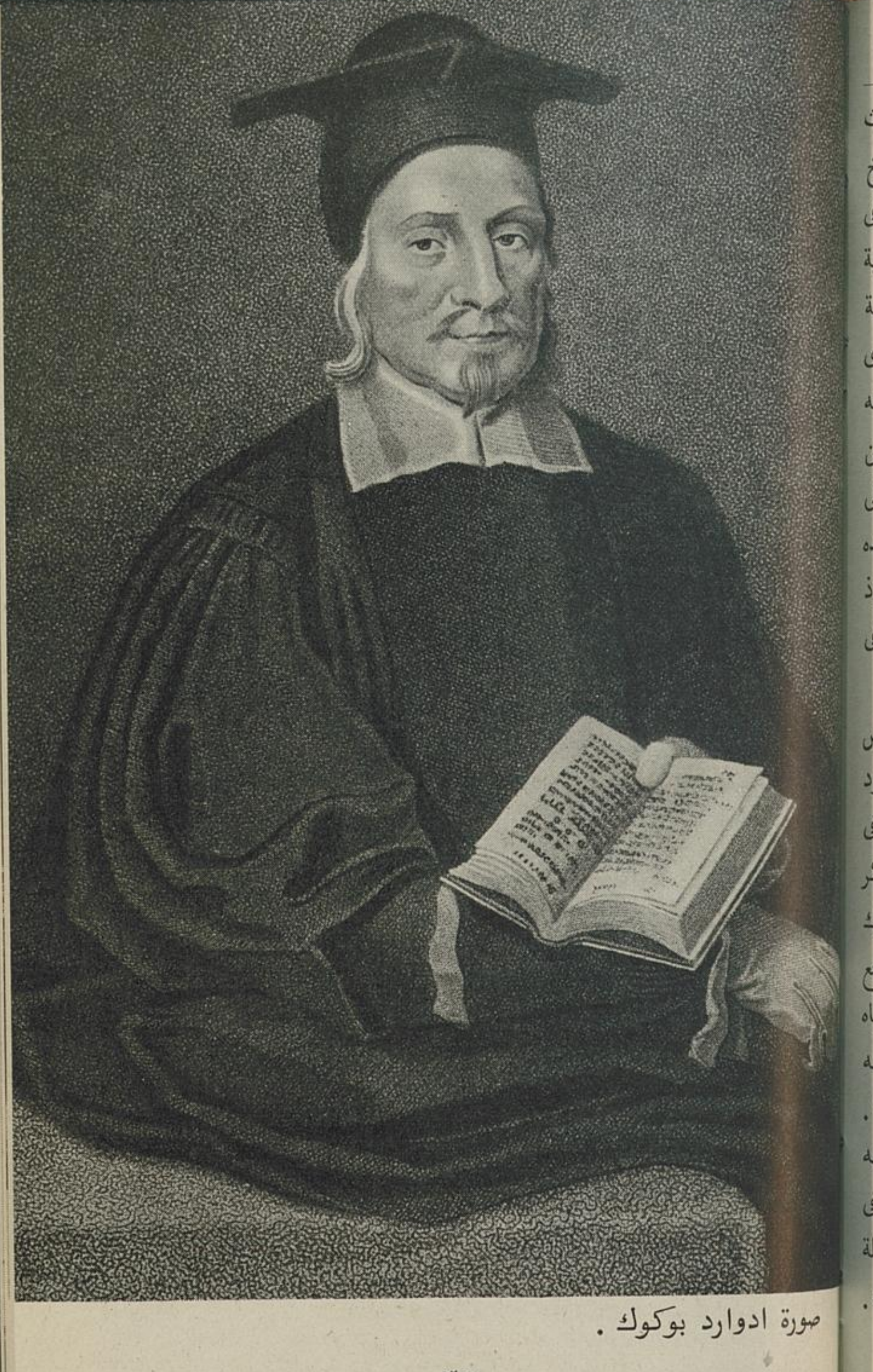
الأساسية لشئون السياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بحار الصين، وإنه لذلك يحرض معاصريه على دراستها. وبنوع خاص نجد أن إنشاء شركة السواحل الشرقية للبحر الأبيض فى سنة ١٦٠٥ (واسمها الكامل مدير التجار الانجليز وشركتهم فى المتاجرة مع السواحل الشرقية للبحر الأبيض) إنشاء هذه الشركة جلب التجار البريطانيين إلى سواحل سورية ومدنها حيث استكشفوا حضارة عربية لا تزال مزدهرة.

فى هذا العصر الجديد المفعم بالآمال ولد فى اكسفورد فى اليوم الثامن من نوفمبر سنة ١٦٠٤ إدوارد بوكوك ذلك الذى قدر له أن يصير أعظم بحاثة فى العربية فى القرن السابع عشر، وكان والده المسمى أيضا إدوارد بوكوك قسيسا كان قد صار زميلا لكلية مجدلين من سنة ١٥٩١ إلى سنة ١٦٠٤ ثم صار قسيس تشيفلى وهى قرية صغيرة فى مقاطعة بركشير، وفى هذه البيئة الريفية الجميلة شب طفله الصغير، وتلقى هذا الذى سيصير مستشرق المستقبل أول تعليم له فى المدرسة المجانية فى ثيم فى مقاطقة اكسفوردشير ثم تقدم إلى قاعة مجدلين فى ٤ يونيه ١٦١٩ وفى السنة التالية غادرها إلى كلية كوربس كرستى التى قررت إعطاءه معونة مالية لدراسته. وأصبح طالبا جامعيا فى سنة ١٦٢٢ ثم حصل على الماجستير فى الآداب فى سنة ١٦٢٦ وانتخب زميلا لكلية كوربس فى ١٦٢٨ وفى ٢٠ ديسمبر ١٦٢٩ صار قسيسا.

اتبع بوكوك النظام المعهود الجامعى الذى تحتل فيه دراسة اللاتينية واليونانية أهم مكان ولكنه الى جانب ذلك بدأ يتعلم العربية على ماثياس باسور وهو ألمانى هرب من مسقط رأسه وجاء ليسكن إذذاك فى اكسفورد. ولما تعلم بوكوك كل ما استطاع باسور أن يعلمه يمم وجهه شطر وليم بدول أكبر عالم بالعربية فى انجلترا وكان قسيسا فى حى توتنهام قرب لندن. وهكذا كان بوكوك قد رسخت قدمه فى علم العربية حين عين فى سنة ١٦٢٩ فى منصب خال فى (جماعة تجار تركيا) فى حلب ووصل إلى المدينة المذكورة فى اكتوبر ١٦٣٠ وقد عاش فى حلب خمس

سنوات ووصل بمعرفته للعربية الفصحى إلى درجة الكمال كما تعلم التحد
باللغة الدارجة بطلاقة تامة . وكان أهم معلميه رجلا يسمى الشي
فتح الله ونمت بين الاثنين صداقة عميقة . وقد استغل بوكوك اقامته
هذه الأصقاع فتعلم إلى جانب ذلك العبرانية والسريانية والحبش
والسامرية على خير المعلمين هناك . وفى سنة ١٦٣٤ اكتسح سور
وباء عظيم وفر أغلب تجار حلب إلى الجبال من ذلك النكال الشنيع الذ
هدد المدينة المزدحمة ولكن بوكوك بقى فى مكانه بعزم وكوفىء على شجاع
إذ لم يصبه الوباء . وفى اثناء إقامته بحلب اشترى عددا عظيما
المخطوطات فى مختلف اللغات الشرقية ثم إنه ترجم مجمع الأمثال للميد
(المتوفى ٥١٨ هـ — ١١٢٤ م) والمخطوطة المحتوية على ترجمته بخط
هى الآن محفوظة بالمكتبة البودلية فانه رفض أن يسمح بنشرها
لم يعتقد أنها صالحة للنشر ولكن المستشرق الهولندى شولتنز قام
سنة ١٧٧٣ و ١٧٧٥ بطبع أجزاء من الترجمة .

حوالى هذا الوقت دار بخلد الأسقف الانجليزى العظيم لود رئي
أساقفة كانتربرى فكرة إنشاء منصب لتدريس العربية فى اكسفورد . ول
نفسه لم يكن على علم بالعربية فى أغلب الظن ولكن الأوساط الدينية
انجلترا كانت مهتمة أشد الاهتمام باحياء الدراسات الشرقية ولعل لنا أن نذ
هنا بنوع خاص اسم لانسلوت اندروز الذى كان رئيساً لكلية بمبرو
بكمبردج ثم أسقفا لونتشستر ولا شك أنه كان يعرف العربية وقد ش
وليم بدول فى دراساته . وكان بوكوك قد سبق له أن اجتذب اليه انت
لود باشتهاره بالعلم الشرقى وحسن أدائه لواجبه فلم يكن غريبا أ
دعى للرجوع إلى اكسفورد لغرض إحياء التعليم العربى فى تلك الجامع
وكان مرتبه كاول أستاذ (لودى) اربعين جنيها فى السنة . وكان منتظرا
أن يلقى محاضرة عن أدب اللغة العربية ونحوها تستمر ساعة وتبدأ
الثامنة صباحا كل أربعاء طول فترة الصيام المسيحى وأيضا خلال العط
الجامعية وكان على كل الحاصلين على ليسانس الآداب أن يحضروا دروس



صورة ادوارد بوكوك .

وألقى بوكوك محاضرة الافتتاح فى ١٠ أغسطس ١٦٣٦ وكانت محاضرة عن
طبيعة اللغة العربية والأدب العربى وأهميتهما وقد طبع هذا الحديث بعد
ذلك فى سنة ١٦٦١ وكان موضوع الدروس الأولى أقوال على رضى الله
عنه .

وفى سنة ١٦٣٧ رحل بوكوك مرة ثانية إلى الشرق مصحوبا هذ
المرة بوليم جريفز أستاذ الفلك فى اكسفورد وكان هو نفسه علامة فى
العربيـة والفارسية وقد أقام بوكوك فى القسطنطينية من ديسمبر ١٦٣٧
إلى أغسطس ١٦٤٠ وتلقى العلم على خير المعلمين الذين كانوا إذذاك
فى تلك المدينـة . ولمـا عـاد إلى انجلترا فى اوائل سنـة ١٦٤١ وجد
وطنـه قد تقسمته الحروب الأهلية ووجد ناصره ومعضده لود سجينا فى
برج لندن وامتازت السنوات التالية بأشد الخلافات السياسيـة والديني
التى انتهت فى سنـة ١٦٤٩ بـاعدام الملك شـارلس الأول وبتـأسيس
الجمهورية تحت رئاسة اوليفر كرومويـل . وإذ كان بوكوك صنيعة للو
فقد ظل سنوات كثيرة ضحيـة الاضطهـاد السياسى وفى سنـة ١٦٤٢ عين
قسيسـا لتشيلدرى فى مقاطعـة بركشير وفى سنـة ١٦٤٦ تزوج مـارى
بيردت فولدت له ستة أبناء وثلاث بنات .

ولما كان الأسقف لود حريصا على ألا يؤدى سقوطه من سلطته إلى
زوال كرسى الأستـاذيـة الـذى أنـشـأه فـانـه لذلك نجح فى جعل
المرتب المربوط بهذا الـكرسى وديعة مضمونة تمدها الضيـاع التى
أوقفهـا على هذا الغرض . ولكن أعداءه برغم ذلك نجحوا فى الاستيلا
على مربوط الكرسى فى سنة ١٦٤٤ ومرت سنوات ثلاث قبل أن يستعي
بوكوك حقوقـه . ثم فى سنـة ١٦٤٨ خلا كرسى أستاذيـة الملك فى اللغ
العبرية وكان تابعا لهذا الكرسى منصب دينى فى كنيسة المسيح فى
اكسفورد، فـقـام الملك شارلس الأول الذى كان إذذاك سجينا فى قلع
كاريز بروك باختيار بوكوك لملأ هذا الكرسى الذى كان مربوطه فى
تفاهة المرتب المربوط بأستاذية اللغة العربية وإن كان المنصب الدينى يجلب

على شاغله حق السكنى فى بضع حجرات فى كلية كنيسة المسيح . ولكن بوكوك لم يتح له أن يبقى طويلا متمتعا بهذه الميزة الجديدة فانه طرد فى سنة ١٦٤٩ من المنصب الدينى واضطر إلى إخلاء مكانه ليحتله بطرس فرنش صهر اوليفر كرومويل .

كانت الجمهورية إذذاك قد أسست ووجد كثير من علماء اكسفورد وكمبردج أنفسهم وقد حرموا فجأة من الوسائل التى تمكنهم من الاستمرار فى عملهم الذى كرسوا له حياتهم إذ أستولى على مناصبهم آخرون من الذين كانت آراؤهم السياسية مقبولة لدى النظام الجديد . وكان بوكوك قد قاسى كثيرا وما كان له رجاء فى المستقبل وفى هذا الوقت العصيب من محنته كتب إلى صديق له فى ٣٠ نوفمبر ١٦٥٠ «لقد علمتنى التجربة شيئا جعلته المبدأ الذى لا يتبدل لروحى وهو أن أسالم كل الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلا وأن أقوم بفروض التبجيل والطاعة للسلطات العليا وأن أتجنب كل ما هو أجنبى عن مهنتى ودراساتى ولكن قيامى بأى شىء فيه أقل تعكير لراحة ضميرى هو عمل يكون أسوأ على نفسى وقعاً ليس فقط من خسارتى ثروتى بل من فقدانى حياتى» . ولم يمر وقت قليل حتى رزىء بكارثة جديدة إذ بعد عدة أيام صدر أمر بحرمانه من كرسيه ولكن هذا العمل المنطوى على الظلم الفاضح دفع كل علماء العصر إلى التألب على نصره وإنصافه فكتبوا التماسا لاعادته إلى منصبيه وصفوه فى هذا الملتمس بأنه «رجل ذكى المحادثة حسن العشرة متفقه فى اللغات الشرقية إلى درجة فائقة وأنه فخار عظيم لهذه الجامعة» وقد صادف التماسهم نجاحا كبيرا إذ سمح لبوكوك بالعودة إلى استاذية العربية والعبرانية ولكن المنصب الدينى ظل محرما عليه .

ولكن هذا لم يكن نهاية متاعبه فانه إذ لم يسمح له بالسكنى فى كلية كنيسة المسيح عاش فى تشلدرى وحين جاء إلى اكسفورد لالقاء محاضراته أعطى حجرة فى كلية باليول . وكان ساكنو حيه فى تشلدرى فى أغلبهم ريفيين قليلى الحظ من العلم فلم يكن من المحتمل أنهم



صورة لشجرة التين التى غرسها إدوارد بوكوك .

يقدرون ميزات هذا العالم الكبير الذى يقوم بالاشراف على حوائجه
الروحية . وفى سنة ١٦٥٥ عينت حكومة كرومويل لجنة لغرض البحث
عن «كل رجال الدين الجهلاء ذوى السلوك المخجل العاجزين عن أد
واجبهم أو المهملين له » وطردهم من مساكنهم الكنسية . وليس هناك شـ
أن الدافع إلى هذا القرار كان من أسمى الدوافع فانه كان سلوك رجا
الكنيسة فى ذلك العهد محلا لقدر كبير من النقد . ولكن المرسوم البرلما
الذى ألف هذه اللجنة انتهزه بطبيعة الحال الدساسون السياسيون كفرص

للتخلص من أعدائهم . أما بوكوك فقد اشتكى منه عدة من أفراد دائرة كنيسته . ولم تبرأ ساحة بوكوك من هذه الاتهامات الشنيعة إلا بعد محاكمة استمرت شهورا عدة دافع فيها عنه جون أوين وغيره من كبار العلماء من اكسفورد وحذروا القضاة مما سيحل بهم من العار لو قرروا بادانة رجل ذاع صيته فى كل أنحاء أوربا كاكبر مستشرق فى عصره وألصقوا به تهمة « الجهل وعدم الكفاية والاهمال » .

كل هذه المتاعب والكوارث الشخصية لم تؤثر فى حمية بوكوك وشغفه بالتعلم والبحث بل إنها على العكس زادت من نشاطه وحماسته حتى نشر فى سنة ١٦٤٩ الثمرة الأولى لأبحاثه الطويلة المضنية فى الحضارة العربية وكان هذا طبعه لمختارات من كتاب المختصر فى الدول لأبى الفرج (المتوفى ٦٨٩ هـ — ١٢٨٩ م) مع ترجمة لاتينية يتبعها أبحاث فى الدين الاسلامى والتاريخ الاسلامى وفى علوم العرب وآدابهم . وكان هذا الكتاب خطوة واسعة تقدمت على كل ما كان قد كتب قبله فى أوربا عن هذه الموضوعات وظل لسنين طويلة أفضل مرجع وقد أعيد طبعه فى اكسفورد سنة ١٨٠٦ . وبهذه المناسبة لعل من الشائق أن نلاحظ أن كتاب بوكوك الذى طبع بعنوان (المختار من تاريخ العرب) لا يكاد يكون شك فى أنه أول نص عربى طبع فى اكسفورد . وقد بدأ بوكوك من سنة ١٦٥٠ يخصص أغلب وقته لدراساته العبرانية وفى سنة ١٦٥٥ نشر أول كتاب عبرانى من طبعة اكسفورد . ثم إنه قام بأثمن المعاونة فى تحضير طبعة لندن المتعددة اللغات للكتاب المقدس للمسيحيين وقد طبعت بين سنتى ١٦٥٥ و١٦٥٧ واحتوت على نص الكتب الدينية المسيحية فى اللغات العبرانية واليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والكلدية والحبشية والسريانية والسامرية . وفى سنة ١٦٥٩ نشر بوكوك مقالة عن (طبيعة مشروب القهوة) بناها على كتاب عربى فى الطب . وبهذه المناسبة نذكر أنه كان شديد الشغف بالقهوة إذ استحسنها ذوقه فى طول إقامته بالشرق . وقد نسب أصدقاؤه ما أصاب يديه من الشلل فى سنيه الأخيرة إلى إكثاره

الزائد من تناول هذا المشروب الذى لم يكن مألوفا لديهم

فى سنة ١٦٦٠ سقطت الجمهورية وأعيد بيت ستيوارت الملكى فأدى ذلك إلى عودة بوكوك إلى اكسفورد حيث أقام إلى انتهاء حياته، وأعيد إليه منصبه الدينى فى كنيسة المسيح حيث عاش إلى آخر أيامه مع أسرته فى الحجرات الفسيحة التى لا تزال موقوفة على من يخلفه فى هذا المنصب وكان بوكوك قد غرس فى حديقة سكنه الكنسى فى تشلدرى شجرة ار جلبها معه من سورية. ولا تزال هذه الشجرة قائمة اذ نمت نماء بديعا. وقد سجل إقامته فى كلية كنيسة المسيح بأن غرس فى حديقته الخاصة شجرة تين سورية وأغصان هذه الشجرة تتفرع الآن كاملة النماء على الحائط الشمالى المرتفع وتمتاز بأنها شجرة التين القديمة الوحيدة التى لا تزال نامية فى انجلترا، ثم إنها لا تزال تؤتى أجود ثمر ويلفت نظر الزائرين إليها فى فخار

فى سنة ١٦٦١ نشر بوكوك نص لامية العجم للطغرائى (المتوفى سنة ٥١٥ هـ — ١١٢١ م) مصحوبا بترجمة لاتينية وشروح، وبعد ذلك بعامين أصدر النص الكامل للمختصر فى الدول مع ترجمة لاتينية كاملة وفى سنة ١٦٦٣ أصيب بمرض وبيل ومع أنه عاش سنوات كثيرة بعد ذلك فانه أقعده المرض وما برح يقاسى الآلام ولكنه برغم ذلك واصل دراساته وتأليفه باجتهاد لا تفتر حماسته باذلا معظم مجهوده على النص العبرى لأسفار العهد القديم وإلى جانب ذلك كان يحسن معرفته للعربية بترجمة المؤلفات الدينية للكنيسة الانجليزية إلى هذه اللغة.

أسلم إدوارد بوكوك الروح فى اليوم العاشر من سبتمبر سنة ١٦٩١ وقد بلغ السادسة والثمانين من عمره ودفن فى كنيسة المسيح حيث نصب لذكراه تمثال نصفى. ويوجد لهذا العلامة الكبير صورتان فى المكتبة البودلية إحداهما له وهو شاب والأخرى وقد تقدم به العمر والمكتبة البودلية تحتوى أيضا على المخطوطات التى جمعها لنفسه فى سورية وتركيا ومجموعها اربعمائة وعشرون مخطوطة ابتيعت من ورثته فى سنة ١٦٩٣ مقابل ستمائة جنيه، وبالاضافة إلى هذه المجموعة القيمة قد أغنى بوكوك

تلك المكتبة بما اشترى من مخطوطات للاسقف لود إذ أوصى هذا بتركها للجامعة . ومخطوطات بوكوك هى أثمن الكنوز العربية فى المكتبة البودلية إذ أنه كان فى شرائه واسع العلم فطن التمييز وما ابتاع أبدا ما هو غث أو ضئيل القيمة .

تمتع بوكوك فى حياته بشهرة معدومة النظير كاعظم مستشرق فى عصره وقد كان يستشيره العلماء من كل أنحاء أوربا فى مسائل البحث العويصة كما كان يزورونه فى اكسفورد، وقد عدد هو كثيرا من مشاهير رجال الأدب والعلم ممن كانوا أصدقاءه وهم كانوا كما رأينا على أهبة مستمرة للشهادة بما له من كفاية وشخصية . وإن أعمق تقريظ لعظمته قد كتبه الفيلسوف الانجليزى الذائع الصيت جون لوك (المولود سنة ١٦٣٢ م والمتوفى سنة ١٧٠٤ م) وهو مؤلف «مقالة عن الفهم الانسانى» فقد كتب إلى أحد أصدقائه فى ٢٣ يوليه ١٧٠٣ م العبارات التالية التى نقتبسها كافضل خاتمة لمقالنا المختصر هذا عن حياة بوكوك . قال جون لوك :

« كثيرا ما كان يصمت صمت المتعلم وإن كانت له معرفة الأستاذ . . . وما كان رجلا شاذ الشهوات فان كانت له شهوة أشبعها كل الاشباع فما تلك الا شهوته للدراسة وكثيرا ما اشتكت منها زوجته شكوى لا أظنها بغير مبرر، وما أخمد من هذا الميل شيخوخته وضعف صحته . ومع أنه كان رجلا تام الاعتدال فيما يتعلق بنفسه بعيدا عن التصنع والغرور فى حياته فانه كان ذا أريحية ميالا إلى السخاء والجود إلى درجة ربما فاقت اولئك الذين ما كان جودهم إلا حبا فى الظهور والشهرة الطنانة وخاصة إذا اعتبرنا ضآلة ثروته واتساع أسرته من الأطفال الذين كان عليه أن يعولهم . وشهرته التى تجاوزت البحار باستحقاق وجدارة قد جلبت إليه زائرين من بين جميع رجال العلم من الأجانب جاءوا إلى اكسفورد ليروا تلك الجامعة وكانوا دائما يعودون وقد أعجبوا أعظم الاعجاب بعلمه الغزير وبأدبه الجم الذى كثيرا ما كلفه مالا وكان أبداً بشوش الوجه بشاشة

لا تكلف فيها وما حدث قط أن عبر عما ناء به فؤاده من الذى عاناه من الاهمال والجحود . . . وما كان قليل العلم بالدنيا وإن كان لم يتخذ ذلك وسيلة للتظاهر . . . والحق أقول انى لم أعرف شخصا فى تلك الجامعة أحببت استشارته فى أى شأن يتطلب إنعام النظر مثل ما أحببت استشارته هو ولا عرفت امرأ رأيه أجدر باستماع من رأيه إذا أمكن دفعه إلى الاهتمام بالمسألة وإبداء النصح فيها . وما أتذكر فى كل أحاديثى معه أننى رأيته مرة واحدة وقد تملكه الغضب أو استثير إلى حد تغير معه لونه أو تبدلت سحنته أو رنة صوته . ولقد يحدث أحيانا من الحوادث والأعمال ما يستدعى الامتعاض فذلك شىء ما منه بد ولكنى لم أر شيئا من هذا النوع يدفعه إلى كلمات منفعلة دعك من التعنيف والصياح فحياته بدت لى وكأنها حياة دائمة الهدوء . ولا بد أنك قد سمعت من آخرين كيف كان صبره عظيما فى عرجه الطويل الخطر الذى استلزم عمليات شديدة الهول بالغة الألم . وقد تصادف أنى كنت غائبا عن اكسفورد فى ذلك الحين ولكنى سمعت ما أنا منه واثق بأن تلك الفترة من حياته كانت فى سمو الفترات الأخرى وروعتها . وختاما أستطيع أن أقول عنه ما لا يستطيع الكثيرون أن يقولوا عن أى صديق لهم وما لا أستطيع أنا أن أقول عن أى صديق آخر لى : إننى ما رأيته مرة واحدة يعمل عملا يستدعى منى اللوم او يأتى بما ظننته غير لائق به . »

أ . ج . آ .

★

اللغة الصينية

بقلم الدكتور جايلز

لو أن رجلا على نصيب من العلم أخبرنا أنه يتعلم اللغة الفرنسية لما فكرنا فى أن نسأله هل هو يتعلم الفرنسية الدارجة أو الفرنسية الفصحى، فان كلتا هاتين تكاد لا تختلف عن الأخرى، ولكن كثيرا من الناس يدرسون كيف يتحدثون باللغة الصينية بطلاقة دون أن يكون عندهم أقل فكرة عن كيفية كتابة الحروف التى تؤدى هذا النطق، والعكس صحيح، أى أنه من الممكن أن نقرأ صفحة من اللغة الصينية دون أن نستطيع النطق بكلمة واحدة من الكلمات فى هذه الصفحة، فالحق أن اللغة الصينية التى يتحدث بها تكاد تكون لغة مستقلة متميزة عن اللغة الصينية التى يكتب بها. وبينما لغة الحديث من أسهل اللغات فى الدنيا إذا بلغة الكتابة أشد لغات الدنيا صعوبة بدون أدنى شك، فاذا أردنا أن نفهم كيف كان هذا وجب علينا أولا أن نتبين خصائص كل من اللغتين.

أما اللغة الصينية الدارجة فالكلمات فيها ذات مقطع واحد، وهذه ظاهرة نجدها فى كل لهجات هذه اللغة الدارجة وإن اختلفت هذه اللهجات عن إحداها الأخرى فى النطق أشد اختلاف. ونطق هذه المقاطع يمكن أن يعبر عنه على وجه التقريب بالحروف اللاتينية. وتوجد طرق متعددة لكتابة تلك الأصوات الصينية بالحروف اللاتينية. وأكثر هذه الطرق انتشارا فى انجلترا طريقة «ويد» (Wade) التى تكتب بها اللهجة البكينية أو المندرينية الشمالية، ولذلك سنستعمل هذه الطريقة فى مقالتنا هذه. وفى هذه الطريقة ينطق بحروف الصوت

كما فى الانجليزية بينما ينطق بحروف الحركة كما فى الايطالية . وهكذا
(li) تنطق لى (lee) وكذلك (chu) تنطق تشو (choo) . ويلعب حرف
النفس دورا هاما فى لغة الحديث ، وهو الحرف المقترن باخراج التنفس
بين الصوت والحركة ، ومثال ذلك فى كلمة (t'ien) تيين ومعناها
السماء . وظاهرة أخرى هى أن الكلمات الصينية خالية من الاعراب
ومن التركيب وإن كان يوجد دلائل على وجود أحوال الاعراب
فى الضمائر منذ ألفى سنة . ولكى يفهم الانسان جملة صينية يلزمه أن
يستعين بالترتيب المنطقى للكلمات وبالاصطلاح وبالأرجحية وبالذكاء
الطبيعى . فمثلا (ابن للسماء) أو (ابن السماء) و (ابن سماوى) كلها
يعبر عنها (t'ien tzu) تيين تسو . ولكن إذا ما لزم أمكن اضافة
كلمة (ti) تى للدلالة على حالة الجر . واللغة الانجليزية كذلك قد فقدت
معظم أحوال الاعراب ولكن اللغة الصينية قد خطت فى هذا الطريق
خطوات أوسع حتى يمكن أن يقال إنها تكاد لا تحتوى على قواعد
الصرف والنحو من أى نوع .

وثم ظاهرة أخرى كان لها تأثير شديد الأهمية هى أن عدد مقاطع
الصوت فى هذه اللغة صغير جدا بل هو أقل بكثير من عدد الكلمات
ذات المقطع الواحد فى اللغة الانجليزية . ففى اللهجة الكانتونية التى
تحتوى على عدد أكبر مما فى أى لهجة أخرى يوجد ٨٠٠ مقطع مختلف
بينما اللهجة البكينية وهى أقل اللهجات مقاطع لا تحتوى إلا على ٤٢٠
مقطعا . ولما كانت مهمة هذه المقاطع أن تعبر عن آلاف الكلمات فانه
من الواضح أنها لا تكفى بنفسها وأن كثيرا من الكلمات ذات المعانى
المختلفة لا بد أن يكون لها نطق واحد . ونحن نجد أمثلة لهذه الظاهرة
فى الكلمات الانجليزية pear و pare و pair ولكن هذا فى اللغة الانجليزية
استثنائى بينما هو فى الصينية هو القاعدة واستعماله اكثر بكثير .
فالمقطع (fu) فو له عشرات من المعانى المختلفة فمثلا من معانيه زوج
وأب ، وزوجة ، وولى ، وقصر ، وملابس ، وجلد ، وفأس ، ومرجل



المحراب فى مسجد كانتون الكبير.

وسعادة، وغنى، والمساعدة، والربط، والنفض، والالتصاق، وأيضا
وصريع، وإلى جانب ذلك معان أخرى كثيرة . وبديهى أن هذا يؤدى
إلى ارتباك مطبق إلا أن هنالك عوامل تخفف من خطر هذا الخل
والتشويش . وأول هذه العوامل أن فى طبيعة كل كلمة صينية نبر
موسيقية أو نغمة ينطق بها الصينى نطقا طبيعيا لا يشعر هو به، ولكنه
كافية للتمييز بين كلمات متشابهة نطقا من الوجوه الأخرى، وفى اللهج
الكانتونية يوجد تسع من هذه النغمات بينما أنزلتها اللهجة البكينية
مراحل تطورها إلى أربع نغمات فقط . وهكذا إذا غدنا إلى الكلما
التى تنطق (fu) فو وجدنا أن اثنتين منها تنطق بالنغمة الأولى وخمس
بالنغمة الثانية وثلاثا بالنغمة الثالثة وسبعا بالنغمة الرابعة .

ومع أن وجود هذه النغمات يقلل بعض الشىء من عدد الكلما
التى تنطق نطقا واحدا بالضبط فانه من الواضح أن المتكلم لا يزال
حاجة إلى اكثر من ذلك إذا اراد أن يفهمه السامع فهما جليا
وتوجد حيل كثيرة لهذا الغرض اهمها الكلمة المزدوجة وكيفية هذا أ
كلمتين بسيطتين لهما نفس المعنى تقريبا تقرن إحداها بالأخرى فمث
kan—chien (كان—تشيين) معناها الحرفى (انظر—أبصر) .
أن الكلمة تكرر فمثلا (man—man) (مان—مان) معناها (ببط
أو أن يضاف مفعول يفسر الفعل فمثلا (التحدث) يعبر عنه بكلم
(shuo hua) أى (يتكلم حديثا) وأيضا (يأكل) يعبر عنه بكلم
(ch'ih fan) (تشيه فان) ومعنى هذا (يأكل طعاماً) وكذلك (يقرأ) تص
(tu shu) (تو شو) أى (يقرأ كتابا) . ثم هناك أيضا اللواح
(tzu) تسو، و (t'ou) تو، و (erh) اره وهذه اللواحق قد فقد
معناها الأصلى وأصبحت تدل على الأشياء المادية بكل أنواعها . فم
(tao tzu) تاو تسو معناها سكين و (shih—t'ou) شيه—تو معناها
و (hua erh) هوا إره معناها زهرة . أضف الى ذلك أن اللغة الصين
غنية فى أسماء العدد وهذه تسبق الأسماء وكثيرا ما تساعد على ف

طبيعتها ، فمثلا نسمع الناس يتحدثون عن (بئر) فيقولون (i k'on ching) إى كون تشينج ومعنى هذا الحرف (واحد فم بئر) ومثال آخر (ذلك الجبل) يعبر عنه هكذا (na tso shan) نا تسو شان ومعنى هذا الحرف (ذلك المكان الجبل) .

بهذه الوسائل وبغيرها تغلب على خطر الالتباس فى الصينية الدارجة وإذا استثنينا النغمة تلك التى قد يجدها المتعلم الأجنبى عقبة كأداء فانها لغة سهلة التعلم . أما الصعوبة التى توجد فى قراءة اللغة الصينية أو كتابتها فسببها الأساسى أن شيئا فى طبيعة حروف الأبجد لم ينشأ فى هذه اللغة أبدا وأن الخط رمزى وليس تصويرا للنطق ، وهذا يمكن اعتباره من احدى وجهات النظر نعمة لا نقمة فان قلة الأصوات التى سبق لنا الكلام عنها كان من مؤداها أن يصعب التمييز بين كلمات كثيرة ، ولكننا نجد كل حرف صينى وحدة مستقلة بذاتها تعبر عن كلمة ذات مقطع واحد منطوق ولكن ليس لها قيمة صوتية فى حد ذاتها . ويمكننا أن نضرب مثلا لذلك الأرقام العربية كما تكتب فى اللغات الأوربية ,3 ,2 ,1 الخ . وتؤدى نفس المعنى فى مختلف اللغات ولكن ينطق بها one, two, three, كما فى الانجليزية أو un, deux, trois, كما فى الفرنسية .

وقد كانت الكتابة الصينية فى الطور الأول من وجودها عبارة عن صور بسيطة وقد بقى بضع مئات من هذه الصور إلى الآن وإن كانت فى شكلها الحالى لا يستطاع إدراك طبيعتها التصويرية ، والحروف التى من هذا النوع والتى نستطيع أن نصطلح على تسميتها pictograms أى الكتابة التصويرية يعبر أغلبها عن كائنات طبيعية مثل الشمس التى تكتب (日) والقمر الذى يكتب (月) والجبل (山) والشجرة (木) والثور (牛) والغنم (羊) والحصان (馬) والطائر (鳥) والسمكة (魚) وكذلك الرجل (人) والمرأة (女) والطفل (子) وأصل الكلمة الأخيرة (♀) وهى وليد رجلاه ملفوفتان . وكذلك أجزاء الجسم كالعين (目) والأذن (耳) والفم (口) واليد (手) أضف إلى ذلك أشياء



امرأة ريفية صينية تملى على كاتب خطابات عمومى رسالة إلى أقاربها .

كثيرة متنوعة مثل الباب (門) والعربة (車) والحقول (田) وغير
ذلك . وهناك كتابة تصويرية ليست فى بساطة السابقة ومثل ذلك
الفاكهة 果 (على شجرة) والقلم أو الريشة 聿 (مع يد ممسكة به
والمطر 雨 (قطرات ساقطة من سحب فى السماء) والموسيقى 樂 (طبل
وأجراس على مقعد) بينما نجد كلمات أخرى مثل الأب 父 (يد ممسكة
بعصا) أوحلو 甘 (فم فيه شيء ما) تمهد الطريق لتطور جديد يستطاع
به التعبير ليس فقط عن الأشياء المادية بل عن الأفكار المعنوية أيضا
وإذا جمع بين صورتين عبر بهما معاً عن كلمة مركبة معنوية فالشمس
والقمر جنبا إلى جنب يشيران إلى فكرة الضياء (明) والأم والطفل
معاً يعبران عن الحب (好) ورجل على حافة هوة يعبر عن الخطر
(危) ويد تظلل العين معناها ينظر (看) ومن الغريب أن شاة فخمة
كانت تعبر عن فكرة الجمال كما يظهر (美) .

ولكن تكوين الخط من مجرد الكتابة التصويرية والمعنوية شيء
يتطلب قدرا عظيما من الذكاء الانسانى كما أن استعمال هذا الخط
حين تكون يتطلب قدرا عظيما من الذاكرة الجيدة . وبرغم أن الصينيين

لم يكن لديهم أية فكرة عن حروف أبجدية فانهم أحسوا بالحاجة إلى نوع ما من العلاقة ترتبط بها الحروف المكتوبة مع أصواتها . وإليك كيف حلوا هذه المشكلة . قد رأينا أن لكل مقطع عددا من المعانى المختلفة، فمقطع fang فانج لم يكن معناه (مربع) فحسب بل أيضا بيت ومكان وغلاية وفجر والغزل والاطلاق والسؤال وزكى وأشياء أخرى كثيرة فللتعبير عن مربع اتخذ هذا الرمز (方) ولكن من الواضح أن هذا الرمز لا يكفى وحده للتعبير عن كل المعانى الأخرى أيضا ، ولذلك أضيفت إليه صور متعددة تدل على وجه التقريب على نوع الأشياء التى ينتمى إليها كل فانج . وهكذا صار البيت (房) أو فانج الباب ، والمكان صار (坊) أى فانج الأرض ، والغلاية (鈁) أى فانج المعدن ، والفجر (昉) أى فانج الشمس والغزل (紡) أى فانج الحرير وهلم جرا . وهذه الحروف تسمى phonograms اى صور نطقية لأنها تقوم على عنصرين أحدهما النطقى الذى يعمل كدليل على الصوت بينما العنصر الآخر يدل على المعنى . وهذا العنصر الآخر يسمى (radical) أى الجذر أو الأصل ولكن كان من الأفضل أن يسمى المحدد أو المميز . وأقدم قاموس للغة الصينية مرتب إلى ٥٤٠ جذرا ولكن هذا العدد أنقص تدريجا إلى ٢١٤ .

أما العناصر النطقية فعددها يبلغ زهاء الألف وبعضها يختص بالحروف المنتمية إلى مجوعة صوتية واحدة . ولكنها تختلف فى كتابتها مثلا فى (扶) فو معناه المساعدة و (拂) فو معناه النفض و (傅) فو معناه الولى و (府) فو معناه القصر و (福) فو معناه السعادة و (斧) فو معناه الفأس . ويمكننا أن نلاحظ أن الحرف الآخير مكون من عنصرين .أحدهما (父) والآخر (斤) كل منهما يستطاع استعماله إما كجذر وإما كعنصر نطقى باختلاف الأحوال وهكذا يتبدى لنا ان هذه العناصر ليست مانعة أحدها للآخر . والعناصر النطقية الحالية ترجع إلى عهد قديم فى تاريخ اللغة حين كان كثير من الأصوات التى

يعبر بها عنها مختلفة عما هى الآن . فمثلا (弗) فو مع جذر الرجل صارت (佛) فو fo (بوذا) ومع جذر الماء صارت (沸) فى (يغلى أو يبقبق). وفى بعض الأحوال تختلف المشتقات أحدها من الآخر فى صوتها إلى حد أن العنصر النطقى لم يعد له أى قيمة عملية فمثلا (聿) يو هو العنصر النطقى لحروف تقرأ بى وشو وتشاو وبوا وتشينج . ولكن هذه المتناقضات ترجع فى أغلبها إلى أخطاء ارتكبها مصنفو القواميس فى تصنيفهم إذ اعتبروا جذرا ما هو فى حقيقته عنصر نطقى والعكس بالعكس . وبرغم هذه العيوب الصغيرة كان لادخال العنصر النطقى أعظم الأهمية فى خلق حروف جديدة وبالتالى فى توسيع اللغة المكتوبة إلى مدى لا يكاد يحد . والواقع أن زهاء تسعة أعشار المجموع الكلى للحروف الصينية من نوع ال phonogram أى الصور النطقية . ونتج من هذا عرضاً أنه أصبح من الممكن تأليف القواميس . فبرغم أن الكتابة التصويرية والكتابة المعنوية ليس لهما جذور بالمعنى الصحيح فانهما إما أن يستعملا كجذور فى حد ذاتهما أو أن يضاف إليهما جذور صناعية . وهكذا اختيرت (亠) كجذر لصورة (井) ومعناها بئر . كما أن (日) هى جذر لمعنى (明) مضىء . ثم إن محاولة العثور على حرف ما فى القاموس تبسط بواسطة ترتيب كل من الجذور والحروف المنطوية تحتها بحسب عدد الشرطات التى تكونها .

لعل ما سبق كاف لاعطاء فكرة عن القواعد التى تبنى عليها الحروف الصينية فلنعط الآن شرحا موجزا لتطور فن الكتابة من حيث مواده . فاما الخط فى أقدم عهوده حين كان تصويريا ومعنويا محضا فلسنا نعرف له نماذج باقية اليوم ، وأقدم النقوش البرنزية التى ترجع إلى الألف الثانى قبل الميلاد وكذلك النقوش المحفورة على قطع العظم وهياكل السلاحف لأغراض الكهانة ، هذه وتلك وإن كانت لم تفك رموزها فكا كاملا بعد فما يبدو فيها إن العنصر النطقى كان قد تقدم تقدما مطردا . ويظهر أن النقوش على العظام قد استخدم فى حفرها سكين أو آلة حادة وقد بقيت

عادة الكتابة على ألواح الخشب وغاب الخيزران بقلم معدنى مئات من السنين . ولكن لا بد أنه ما جاء زمن كنفوشيوس (حوالى ٥٠٠ ق . م) حتى كان يستعمل نوع ما من اقلام الرصاص فاننا نسمع أنه فى مرة من المرات كتب تلميذ له كلمات أستاذه كنفوشيوس على وشاحه . وكان الخط القديم قد حل محله خط ردىء نوعاً عرف فيها بعد بالختم العظيم وهذا قد أفسد إفسادا شديدا إلى درجة أنه فى حكم الامبراطور الأول فرض على كل الامبراطورية خط رسمى مبسط سمى بالختم الصغير، فنجد غاب الخيزران المشقوق والمغمور فى الدهان يبطل استعماله ويحل محله فرشاة الكتابة المصنوعة من شعر الحيوان ، وحوالى نفس الوقت بدأ يصنع نوع أجود من الحبر من مزيج من سناج القنديل والصمغ . وقد أدت هذه المخترعات الى تبدل عظيم فى شكل الحروف إذ صار الآن ممكنا كتابتها بشرطات جميلة سهلة ولكن على الجانب الآخر نسى مدلول كثير من الأشكال القديمة ، واخترع الورق حوالى سنة مائة قبل الميلاد وفى القرن الرابع الميلادى بلغ الفن الخطى درجة الكمال ومن هذا الوقت بقيت الكتابة الصينية كما هى لم يطرأ عليها إلا تبدل ضئيل جداً .

اعة فى شارع فى كيو كيانج . وكاتب الخطابات العمومى هو شخصية بارزة فى كل وقت .



وثمت نفع عظيم يتمتع به الصينيون من كون كتابتهم غير أبجدية وهو أن هذا الخط الذى يعجب العين أكثر مما يعجب الأذن مفهوم فى كل أنحاء قطرهم سهما كانت اللهجات المحلية . فالبكينى الذى يسمى النهر (تشيانج) قد لا يستطيع فهم الرجل من كانتون الذى يسميه (كنج) وقد لا يفهمه الرجل من ونتشو الذى يسميه (كوا) ولكن الثلاثة يعرفون فى التو واللحظة معنى حرف 江 بمجرد أن يروه . وبهذه الكيفية تكون اللغة الصينية المكتوبة وشيجة متينة بالغة القيمة تربط كل سكان هذه البلاد الشاسعة ، أضف إلى ذلك أنه وإن تبدل صوت الكلمات فى خلال القرون فان هذه التغيرات لا تمس الحرف المكتوب وهكذا يستطيع الصينى أن يقرأ الأدب الصينى العظيم الجم ويستمتع به وإن كان منه مؤلفات ترجع إلى ألفين أو ثلاثة آلاف من السنين بينما يجد الانجليزى لغة تشوسر أو لانجلاند عقبة كأداء على حداثتها النسبية . وقلة الأصوات لاتؤثر أى تأثير فى لغة الكتاب فان كل كلمة ذات مقطع واحد يعبر عنها بحرف مستقل وليس هناك خوف من الخلط بين كلمتين لهما نطق واحد ونتج من هذا أن الكتاب لم يجدوا أنفسهم مضطرين إلى استعمال الكلمات المزدوجة وما إلى ذلك من الوسائل وهكذا نشأت لغة كتابية ذات جزالة عظيمة ومتانة رائعة إذا قورنت بها لغة الحديث الدارجة وجدت ثرثرة كثيرة الحشو مفككة الأوصال .

إلا أن تلك الطبيعة الخاصة للخط الصينى تتضمن مساوىء بليغة وخاصة فى عالمنا هذا وهذه المساوىء ليست مقصورة على العناء الذى يجب أن يتحمله البادىء بتعلم هذا الخط حين يحاول خفظ آلاف الحروف عن ظهر قلب ، وبرغم أن صعوبة طبع الجرائد اليومية قد ذللت إلى حد كبير فان اختراع آلة كاتبة صينية لا يزال شيئا يعجز عنه العقل الانسانى . أضف إلى ذلك أن قليلا من الأوربيين يدركون أنه برغم ما يقدمه التنغيم من العون والمساعدة فان أى كتاب صينى عادى أذا قرىء جهارا لم يفهم منه السامع أى شىء وليس من وسيلة إلا أن



لوحات الترحيب ترسم وتباع لمهرجان تيت فى شوارع هانوى .

يترجم القارئ الأسلوب الكتابى إلى اللغة الدارجة، لهذه الأسباب وأمثالها قام البعض فى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة بمحاولة قوية لطرح الأسلوب الكتابى القديم والاستغناء عنه بما يسمى (باى هوا) أى الكلام البسيط أو ما يقاربه . وقد لاقى هذا الاصلاح قدرا ما من النجاح وإن كان بالطبع لا يحل المشكلة بالنسبة إلى الأدب الموجود الهائل الحجم . ويوجد اقتراح آخر وهو أن تلغى الحروف الصينية إلغاء تاما فى شئون الحياة اليومية ويستعمل مكانها خط نطقى على منوال خط بتمان المختزل أو نظام للكتابة بالحروف اللاتينية من تلك النظم الرائعة التى اقترحت حديثا، ولكن حتى لو فرضنا أن هذا ممكن عمليا فان هذا الانقلاب من المستبعد أن يصادف قبولا لدى طبقة العلماء الأحبار بين الأمة الصينية .

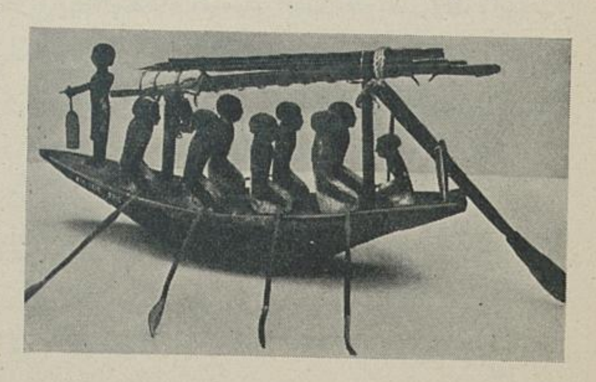
ذو النون المصرى

بقلم الدكتورة مارجريت سميث

من بين اشهر رجال الصوفية فى الاسلام ابو الفائض ثوبان بن ابراهيم ذو النون المصرى . ولد باخميم من اعمال صعيد مصر حوالى سنة ١٨٠ بعد الهجرة (٧٤٦ ميلادية) . ويبدو ان اباه كان نوبيا وان ذا النون كان عبدا ثم عتق . وقد قيل ان ذا النون اعتاد ان يطوف بين خرائب الآثار المصرية القديمة يدرس رموزها ويحاول حلها . وقد درس ايضا بعض علوم الطب والكيمياء والسحر . ويقال ان سعدون الصوفى المصرى كان معلمه ورائده الروحى .

وقد سافر ذو النون الى مكة ودمشق وزار بعض النساك المقيمين الى الجنوب من انطاكيا . وفى اثناء هذه الاسفار توصل ذو النون الى التضلع فى التنسك وكبح جماح النفس . ومن بين ما يروى عن ذى النون انه كان ذات مرة مبحرا مع تلامذته فى قارب بالنيل فاقترب منهم قارب آخر به رهط من المعيدين احنقت تصرفاتهم اتباع ذى النون فطلبوا اليه ان يدعو الله ضارعا اليه اغراق اهل القارب الآخر، لكنه اتجه الى ربه قائلا «يا رب لتنعم على هولاء القوم السعداء فى هذه الحياة الدنيا بعيشة مثلها هنيئة فى الحياة الاخرى »، الامر الذى اثار دهشة اتباعه .

ثم اقترب القارب الآخر منهم وابصر من فيه ذا النون فخروا بكيا فى توبة

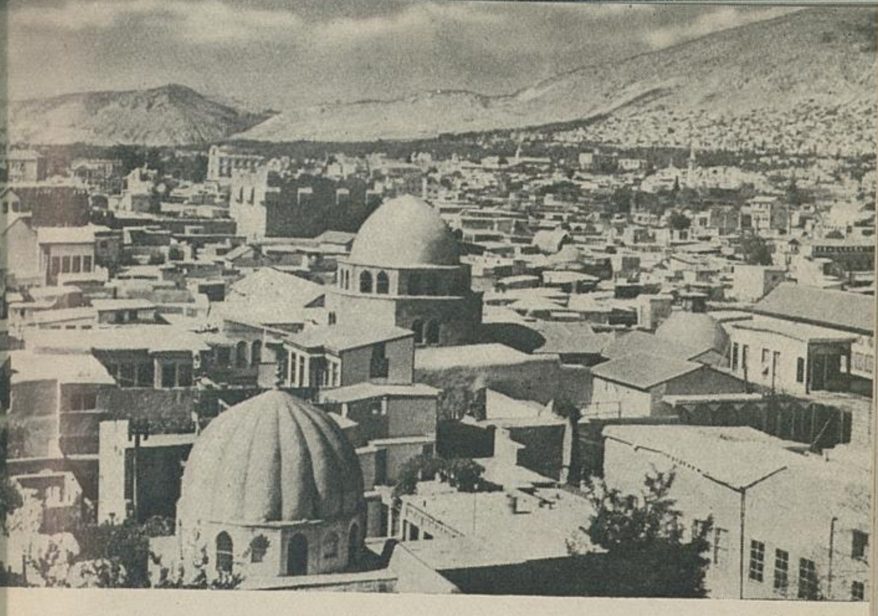


قارب مصرى نيلى يرجع إلى زهاء ٢١٠٠ ق . م .

لله . وعند ذلك قال ذو النون لصحبه «ان المعيشة الرغدة فى الحياة الاخرى هى ثمرة التوبة فى هذه الحياة، وها أنتم وهم الآن راضون دون حاجة الى انزال ضرر بأحد » . وروى ايضا ان ذا النون كان مسافرا ذات يوم من القدس الى مصر فالتقى بامراة عجوز تحمل عكازة وترتدى جبة صوفية فسألها من اين جاءت فاجابته «من عند الله » فقال «واين انت ذاهبة » فاجابت «الى الله » فأخرج عند ذلك عملة ذهبية وقدمها اليها فنادت عليه قائلة «اى ذا النون انما الرأى الذى كونته عنى الا ثمرة لتفكير ذكائك القاصر، فأنا اعمل لوجه الله ولا اقبل شيئا من احد سواه . انا اعبده وحده ولا آخذ شيئا الا منه وحده » . وولت على اثر قولها فى طريقها تاركة ذا النون يتمعن فى كلماتها .

وتحدث ذو النون عن اسفاره للبحث عن سبل الخلاص قال «لقد حصلت فى اول اسفارى علما يرضى الخاصة والعامة، وحصلت فى ثانيها علما يرضى الخاصة دون العامة، وفى ثالث اسفارى حصلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة فغدوت شريدا طريدا . لقد حصلت من العلم فى المرة الاولى التوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء. وفى المرة الثانية وصلت الى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تتفهمها العامة، وفى المرة الثالثة وصلت الى الحقيقة التى تسمو على العلم والعقل فاعرضا عنها لم يتفهماها » .

وقد كان ذو النون مطهدا من اجل تدريسه الصوفية علانية حتى انه قبض عليه فى اواخر ايامه وارسل به الى بغداد حيث سجن مع السماح لاصدقائه الصوفيين بزيارته الى ان عفى عنه بأمر من الخليفة فعاد الى مصر حيث وافاه الاجل المحتوم بمدينة الجيزة فى سنة ٢٤٥ بعد الهجرة (٨٥٩ ميلادية) . وهناك من يروى عن جنازته انه رأى الطير تتجمع فى السماء فوق نعشه وتظلله . ويروى كذلك ان بعد وفاته ظهرت على قبره الكلمات الآتيه « ذو النون حبيب الله من الشوق قتيل الله » .



منظر لدمشق .

ولقد كان لذى النون اثناء حياته تلامذة عديدون علمهم التوبة
ولقنهم كبح جماح النفس والاقلاع عن الغواية . وقد كان يفرق بين توبة
الانابة التى ترجع الى خشية العقاب السماوى والخوف منه ، وبين توبة
الاستحياء التى تستند الى الاستحياء من رحمة الله العلى . كما كان يقول
بأن التوبة ثلاث : توبة العوام وهى التوبة عن المعاصى، وتوبة الخواص
وهى التوبة عن الاهمال ، وتوبة المعرفة وهى التوبة التى تعنى الاعراض
عن كل شئ عدا الله .

وفى تعاليمه عن الله تكلم ذو النون عن الاله بصفة كونه الخالق
والفاعل الوحيد والسبب لكل شئ . وذكر انه يعلو على خلقه فى كل
شئ علوا مطلقا وان كان متصلا بهم اذ هو فى الوقت نفسه الرحمن
يتجلى لخلقه عن طريق رحمته، ويتجلى لاوليائه عن طريق موهبة المعرفة
التى عن طريقها يصلون الى الانس به . وفى هذا المعنى قال ذو النون
فى احدى دعواته «اللهم انت آنس المؤنسين لاوليائك واقربهم بالكفاية
من المتوكلين عليك لمشاهدهم فضمائرهم تطلع على اسرارهم . الهى سرى

اليك مكشوف وانا اليك ملهوف اذا اوحشنى الذنب انسنى ذكرك عالما بان ازمة الامور بيدك وان مصدرها عن قضائك، الهى من اولى بالذل والتقصير منى وقد خلقتنى ضعيفا ومن اولى بالعفو منك وعلمك بى سابق وامرك بى محيط اطعتك باذنك والمنة لك على وعصيتك بعلمك والحجة لك على، اسألك بوجوب رحمتك وانقطاع حجتى وتفقرى اليك وغناك عنى ان تغفر لى خطيئتى الظاهرة والباطنة » .

وقال فى دعوة اخرى «اللهم الحول حولك والطول طولك ولك فى كل خلقك مدد قوة وحول وانت الفعال لما تشاء لا العجز ولا الجهل يعارضانك ولا النقصان والزيادة يحيلانك وانى يعارضانك وهما ما احدثت او يرومان احالتك وهما ما خلقت وكيف لا يكونان مما احدثت وما خلقت وانت الموجود بالدلائل عليك فلن يخلق خلقك غيرك انت فتباركت يا من كل مدروك فمن خلقه وكل محدود المدروكات فمن صنعه ولا يستغنى عنك مكان ولا يعرفك غيرك الا باقراره لك بالوحدانية ولا يجهلك من خلقك الا ناقص المعرفة ولا يسهيك شىء عن شىء ولا يحد قدرتك احد ولا يخلو منك مكان ولا يشغلك شأن عن شأن » .

ومن تعاليم ذى النون عن الروح ان النفس هى العقبة الرئيسية فى سبيل الكمال الروحى لانها خاضعة لرغبات النفع الذاتى ، ولذلك وجب على المتطلع الى الله ان يحارب نزواتها ويتغلب عليها . وعندما سئل ذو النون عن اى الحجب الموجودة بين الله والروح هو اعظم الحجب اثرا فى اخفاء رؤية الحقيقة قال «اخفى الحجاب واشده رؤية النفس وتدبيرها » .

وكان يقول بقدسية الروح فى منشئها وانه يمكن عن طريق كبح جماح النفس تخليص الروح من العقبات النفسية واعادتها الى اصلها الاول من الطهارة فتعود لاتصالها بالله .

فالعودة الى الله اذا تعنى للمتطلع القيام بتطهير نفسه من شرور الرغبات ومن اية صلة اخرى عدا الصلة بالله ذاته . ولقد قال ذو النون

في احدى المناسبات «لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة».

وكان ذو النون يشعر بأن الروح في بحثها عن الله تفيدها النكبات اكثر مما تفيدها النعم ولذلك فعندما كتب اليه امرؤ قائلا «آنسك الله تعالى بقربه» كتب اليه ذو النون مجيبا «اوحشك الله من قربه فانه اذا آنسك بقربه فهو قدرك واذا اوحشك من قربه فهو قدره ولا نهاية لقدره حتى يتركك ملهوفا اليه».



منظر في المسجد الأموى بدمشق.

وذل النفس ضرورى للروح التي تأمل في انس الله، وفي ذلك يقول ذو النون ان العارف يزداد كل يوم تواضعا اذ هو يزداد في كل لحظة قربا من ربه، «وما عز الله عبدا بعز اعز له من ان يدله على ذل نفسه». فالعبد عندما يبصر القوة السماوية وتتملك عظمة الله منه يدرك كم هو بعيد عن الله فيمتلىء تواضعا وفي هذا المعنى يقول ذو النون «من اراد التواضع فليتوجه نفسه الى عظمة الله تعالى وانها تذوب وتصفو ومن نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته».

وقد اورد ذو النون تحذيرا آخر للمريد يؤكد به الحاجة الى ذل النفس ويقول «من اراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة واهل المعرفة بالصمت».

ويعتقد ذو النون ان مخافة الله هي القوة التي تدفع الرجال الى

النكوص عن الشرور قال ان «الخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن» .

وكان ذو النون يشعر بأن لمخافة الله دورا تؤديه فى تقدم الروح شطر الله ولكنه خشية الابتعاد عنه اكثر من اى نوع آخر من انواع الخوف وفى هذا المعنى قال ذو النون «خوف النار عند خوف الفراق بمنزلة قطرة فى بحر لجى، وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن خوفه على قدر قربه» .

لكن لا الخوف ولا الرجاء بعامل مهم لدى العارف المتضلع الذى وصل الى معرفة الله .

ويعتقد ذو النون ان الدعاء بدوره يجب ان يكون خالصا من الخوف والرجاء اذ لا الخوف ولا الرجاء هما السبب الصحيح فى دعاء المتعبد الصادق، وبالرغم من ان الدعاء – كما رأينا – قد يتخذ من الكلمات فى بعض مراحل الحياة الروحية وسيلة فان الدعاء يغدو فى المراحل العليا صامتا اذ الاتصال بالله والانس بحضرته لا يحتاجان الى كلام .

منظر فى أحد شوارع مدينة دمشق .



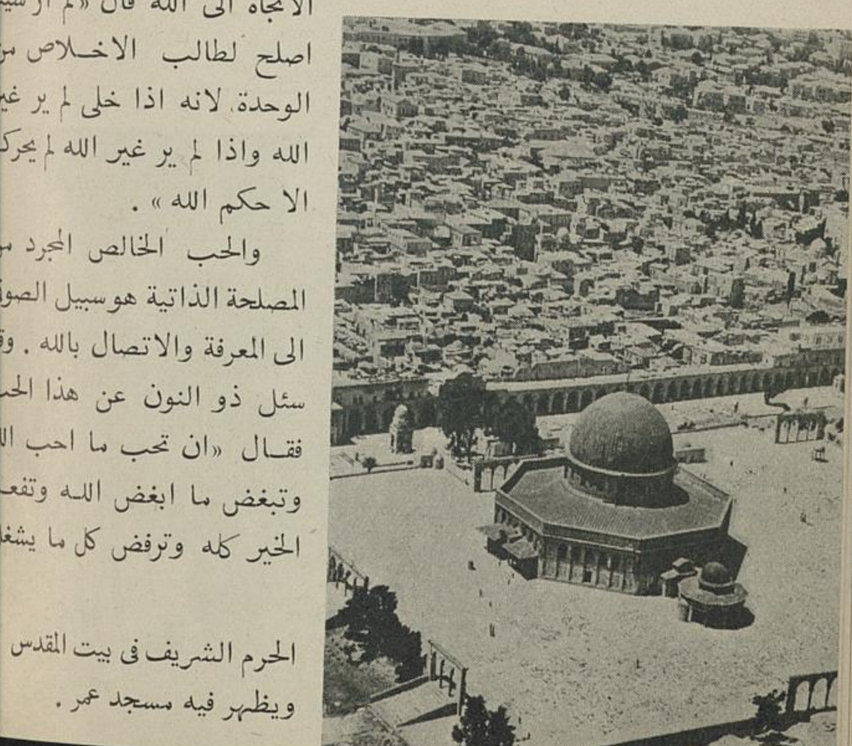
وقد تكلم فى هذا المعنى فقال «كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق لان الحق شاهد لاهل الحق لان الله تعالى هو الحق وقوله الحق ولا يحتاج ان يدعى اذا كان الحق شاهدا له فاما اذا كان غائبا فحينئذ يدعى» .

وعلم ذو النون ايضا ان خدمة الله يجب ان تكون خالصة من النفع الذاتى مجردة من كل الصلات الارضية التى قد تعوقها، وان الخدمة الصادقة التى هى من هذا القبيل تعنى فناء شخصية الفرد البشرى فى ارادة الله، اذ كما قال «الصدق سيف الله فى ارضه ما وضع على شئ الا قطعه» .

والصوفى لا بد يحتاج الى وقت للتفكير اذ ان «مفتاح العبادة الفكرة» هى التى تفتح الباب للمريد وتعطيه الفرصة للمثول فى حضرة الله .

وقد اكد ذو النون كغيره من الصوفيين الحاجة الى العزلة لمن رام الاتجاه الى الله قال «لم ار شيئا اصلح لطالب الاخلاص من الوحدة لانه اذا خلى لم ير غير الله واذا لم ير غير الله لم يحركه الا حكم الله» .

والحب الخالص المجرد من المصلحة الذاتية هو سبيل الصوفى الى المعرفة والاتصال بالله . وقد سئل ذو النون عن هذا الحب فقال «ان تحب ما احب الله وتبغض ما ابغض الله وتفعل الخير كله وترفض كل ما يشغل



الحرم الشريف فى بيت المقدس ويظهر فيه مسجد عمر .



منظر من خلال أحد أطلال الأعمدة الرومانية مقابل المئذنة . وقد أخذت هذه الصورة من الزاوية الشمالية الغربية للحرم الشريف فى بيت المقدس .

عن الله » . والحب الخالص هو على حد قول ذى النون «حب الله الصافى الذى لا كدرة فيه سقوط المحبة عن القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة وتكون الاشياء بالله ولله فذلك المحب لله » .

لكن ذا النون يرى ان محبة الله بالرغم من استغراقها وادماجها للشخصية الا انه يجب الا تستبعد محبة الناس اذ ان محبة الانسان لاخيه الانسان هى اساس الصلاح ومن احب اخاه وخدمه انما يظهر نفسه خادما لله صادقا مخلصا لله .

والانس هو نتيجة المحبة . هو سرور المحب لمن احب قال عنه ذو النون انه « العلم والقرابة » .

وقال ايضا ان «ادنى منازل الانس ان يلقى فى النار لا يغيب ذلك عمن انس به » .

وقد سئل ذو النون عن علامة الانس بالله فقال «اذا رأيت انه يوحشك من خلقه فانه يؤنسك بنفسه واذا رأيت انه يؤنسك بخلقه فاعلم انه يوحشك من نفسه » .

وقال ايضا ان «الانس بالله نور ساطع والانس بالناس غم واقع » .

هذا وقد كانت المعرفة هى اهم موضوع فى تعاليم ذو النون، كما انه كان من اوائل الصوفيين الذين تعرضوا للكلام عنها . فقد قال بأن المعرفة بالله ثلاث، اولاها هى معرفة التوحيد التى هى ملك لكل المؤمنين وثانيتها معرفة الحجة والبيان وهى معرفة علماء الدين والفلاسفة، وثالثتها معرفة صفات الوحدانية وهى معرفة اولياء الله الذين يتأملون الله بقلوبهم فيكشف لهم عما لا يكشفه لآخر .

ويقول ذو النون فى العارف ان «علامة العارف ثلاثة لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ما ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك استار محارم الله تعالى » .

والمعرفة تقود الى الحيرة وفى ذلك المعنى قال ذو النون «التفكر فى

ذات الله تعالى جهل والاشارة اليه شرك وحقيقة المعرفة حيرة » . لكنها حيرة قسمها الى نوعين، حيرة العامة ومآلها الزندقة والضلال، وحيرة الخاصة وهى حيرة تتسبب عن الاكتشاف وهى الحيرة التى تدوم وتصمد .

والمعرفة تؤدى الى الاتحاد بالله وفى ذلك قال ذو النون «ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب اعينهم وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عى ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله وبرسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وحالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحب النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم فى العلى حتى اناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا فى سفينة العطية واقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة » .

وهكذا فقد كان ذو النون فى اول الامر متنسكا متقشفا زهد العالم وابتغى الوحدة والعزلة حيث تدرب على كبح رغبات نفسه الى ان تغلب عليها ثم سار عن طريق التوبة والتطهر الى ان حظى ببهبة المعرفة فأصبح فى آخر الامر صوفيا عارفا بالله . وهو يكاد ان يكون اول صوفى تكلم عن المعرفة ووصف المراحل المختلفة التى تجتازها الروح فى سبيلها الى الوصول الى الله والعثور عليه .

★

تأثير الأدب العربى على الأدب الانجليزى

بقلم ا . ج . آربرى

إذا نحن اعتبرنا ما بين انجلترا والعالم العربى من علاقات طويلة متصلة ودية فى ناحيتى التجارة والثقافة لم يعد مستغربا أن نجد الأدب الانجليزى مرآة ينعكس عليها ما كان عليه الانجليز دائما من اهتمام بالشئون العربية وإعجاب بحضارة العرب ومدنيتهم . ولكننا إذا بدأنا ننعم النظر فى مدى تأثر الأدباء الانجليز المشهورين بهذه الروابط بين الشرق والغرب فيما ألفوه وإذا أخذنا ندرس بعناية أشد ما يمكن أن يسمى العناصر العربية فى الأدب الانجليزى — إذ ذاك نبدأ ندرك بحق مبلغ تأثير هذه العناصر ومقدار ما كان لها من إلهام مثمر وفهم عميق واتساع فى الأفق . ومن الواضح أننا فى هذه المقالة الموجزة لا نستطيع اكثر من أن نلقى نظرة خاطفة على جنبات هذا الميدان الشاسع، ولكن الكاتب إذا نجح فى إثارة اهتمام قارئيه إلى حد يدفعهم إلى التوسع فى دراسة الموضوع بأنفسهم فانه إذ ذاك قد يحق له أن يعتقد أنه قد أفلح إلى حد ما فى بلوغ هدفه .

أما العلاقات بين الأمة الانجليزية والأمم العربية فتقع فى ثلاثة أطوار حددتها الظروف التاريخية والجغرافية . فالطور الأول بدأ بالحروب الصليبية واستمر حتى نهاية القرن الرابع عشر، والثانى بدأ بانتهاء القرن السادس عشر حين أسست لأول مرة الشركات التجارية الانجليزية التى تاجرت مع البلاد العربية واستمر حتى أواسط القرن الثامن عشر . وأما الطور الثالث فاقترن بنهضة حركة الاستشراق فى انجلترا والهند واستمر حتى يومنا هذا .

والفترة الأولى من هذه الفترات الثلاث يمكن أن توصف وصفا

سريعا، فان الادب الانجليزى كما نفهمه الآن عموماً لم يكن قد بدأ إنشاؤه بعد. ولم يبق إلا القليل مما كتب الأدباء الانجليز فى ذلك العصر باللغة اللاتينية، وذلك لأن فن الطباعة لم يكن قد اكتشف بعد، ولم تحصل الكتب التى



شكسبير يقرأ مسرحية (ماكبث) أمام بلاط الملكة اليصابات.

ألفت فى زمن الحروب الصليبية إلا على شهرة قصيرة العمر وانتشار ضئيل. فعلينا أن نترقب مجيء الفترة الثانية قبل أن نعثر على أقدم الأمثلة للتأثيرات العربية فى الأدب الانجليزى. وفى بدء هذه الفترة كانت اللغة العربية غير معروفة فى انجلترا ولم تكن دراسة الأدب العربى قد بدأت بعد فى الغرب اللهم إلا كوسيلة للحصول على معرفة بالعلوم والفلسفة والرياضيات. ولكن اولئك الرحالين الذين اجتذبتهم التجارة إلى الشرق عادوا يتغنون بمجد الحضارة العربية وروعتها، كما أن قدرا ما من العلم بتأريخ العرب وثقافتهم كان موجودا فى أوربا وإن كان غير بالغ الدقة. وكان هذا العلم يعتمد على الأقاويل ولذلك لم يكن تام الصحة بل خلط بين الواقع والخرافة خلطا شديداً. ومنع الناس تحاملهم من أن يقدروا المزايا الدينية والأخلاقية للتعليم الاسلامى حق قدرها. وعلى الرغم من ذلك نجد تشوسر يدخل (الزباء ملكة تدمر) فى كتابه (قصص كانتربرى) وإن كان تناوله للموضوع لا يظهر أى أثر للمصادر العربية. وقد خصص كرستوفر مارلو رواية تمثيلية لقصة تيمور لنك، كما أن عنوان (الكيماوى) الذى جعله بن جونسون لاحدى رواياته التمثيلية يستعيد ذكرى ما كان للعلم العربى من شأن سابق فى أوربا. أما الذى شخص العرب تشخيصا حيا على المسرح الانجليزى فكان شكسبير، ففى مأساته المشهورة (عطيل) يقدم وصفا بديعا

مستثيراً للعاطفة لمغربى نبيل الطبع، بينما تشخيصه لأمير مراكش فى (تاجر البندقية) يطلعنا على نفس الفهم ولطف التناول.

ولقد كان كتاب (حى بن يقظان) لابن طفيل من أول ما درس وترجم من الكتب العربية لميزتها الأدبية بصرف النظر عن قيمتها العلمية. فلقد قام إدوارد بوكوك الصغير بنشر هذا المؤلف مصحوبا بترجمة لاتينية فى اكسفورد سنة ١٦٧١. ثم ترجم النص إلى اللغة الانجلزية فى سنة ١٧٠٨ وكان مترجمه سيمون أوكلى الباحث فى كمبردج، ولقد أثارت ترجمة أوكلى اهتماما كبيرا من مواطنيه الذين لم يشاركوه علمه بالعربية. وتأثيرها جلى فى كتاب (راسيلاس Rasselas) لصمويل جونسون وكتاب (ايوثن Eothen) لكنجليك وأمثالهما من الكتب ثم إنه فى نفس الوقت كشفت الأبحاث المستنيرة التى قام بها إدوارد بوكوك الكبير وسيمون أوكلى عن صورة أكثر صدقا لتأريخ العرب وحضارتهم من الأفكار المشوشة التى كانت ذائعة قبل ذاك. ولقد قام المؤرخ العظيم إدوارد جبون بدرس مؤلفات بوكوك وأوكلى واستطاع بذلك أن يعطى وصفا لنشأة الاسلام أكثر عدلا ونزاهة من أى وصف آخر ظهر قبل عصره فى أى صقع من أصقاع أوربا :

وفى أوائل القرن الثامن عشر عرف الجمهور الانجليزى كتاب (الف ليلة وليلة) لأول مرة. ولقد كان تأثير هذه القصص عظيما بالغاً فاق ما تستحقه ميزتها الأدبية. فلقد صادف أن انسجمت محتوياتها الخيالية أشد انسجام مع تلك الأقاصيص المغالية التى أذاعها الرحالون عن الشرق والتى بذل بوكوك وغيره أقصى جهدهم فى تكذيبها، فبنى أغلب القراء الانجليز تصورهم للحضارة العربية على هذه الأساطير إن خيراً وإن شراً اكثر مما بنوه على الحقائق الصحيحة التى بذل العلماء فى عرضها جهدا طويلا شاقا. فأصبحت (القصة الشرقية) نموذجا أدبيا محببا ولم يقتصر ذلك على انجلترا بل تعداها إلى فرنسا حيث لم يتحرج فولتير العظيم من المساهمة بنفسه فى تلك الأكذوبة. فألفت روايات تدور

حوادثها فى الشرق الاسلامى ولكن حرف كل شىء حتى اتخذ هيئة (ألف ليلة وليلة) . ولا شك أن هذه المؤلفات كانت شائقة جدا ولم تخل من ميزات أدبية ولكنها هدمت التقدير الصحيح للثقافة العربية .

ولكن تقديرا أصح لحضارة العرب ومثلهم الأخلاقية لم يتح له أن ينشأ إلا بعد أن بذل اهتمام جدى لدراسة الأدب العربى الحق فى لغته التى فيها خلق . ونتيجة لهذا كان لا بد أولا من أن تنهض حركة الاستشراق قبل أن يصبح فى استطاعة الكتاب الانجليز أن يستمدوا من مصادر الالهام الحقة فى تناولهم للموضوعات العربية . وكان أعظم رائدى الاستشراق السير وليم جونز (١٧٤٦—١٧٩٤) وهو عالم كبير حقا واسع العلم بالعربية والفارسية والتركية وكذلك بالسنسكريتية ولغات شرقية أخرى كثيرة، وقد استغل هذه الذخيرة اللغوية لا بطريقة مدرسية جافة بل ليفتح كنوز الأدب الشرقى للعالم الغربى . ولقد كان أعظم نجاح حصل عليه جونز كعالم بالعربية ترجمته للمعلقات إلى اللغة الانجليزية لأول مرة (سنة ١٧٨٣) . ولقد لزمه لكى يقوم بهذا العمل أن يراجع كثيرا من الشروح التى تضمنتها المخطوطات لأن القصائد لم تكن قد طبعت ولم تكن قد درست فى أوربا إلا قليلا . وإن النجاح الذى أحرزه على الرغم من ذلك لدليل كاف فى حد ذاته على مواهبه الفائقة . ولكن أيادى جونز على دراسة الأدب العربى لم تقتصر على هذه الترجمة للمعلقات، فانه فى كتابه الغزير العلم (شروح على الشعر الأسيوى) (سنة ١٧٧٤) أسهب فى الكتابة عن الشعر العربى ونشر نماذج كثيرة مصحوبة دائما بترجمات لاتينية صحيحة . وفى مجلده (القصائد) (سنة ١٧٧٣) أضاف إلى الترجمات اللاتينية للأصول العربية قصيدة طويلة من تأليفه هو اسمها (سليمة) وصفها بأنها (ليست ترجمة عادية من اللغة العربية بل أخذت أكثر صورها وعواطفها وأوصافها من شعراء بلاد العرب أنفسهم) .

ولقد بلغ وليم جونز فى عصره شهرة عظيمة وبقى تأثيره بعد وفاته بمدة طويلة لأن تآليفه الغزيرة درسها الكثيرون من مشاهير شعراء

الانجليز فى القرن التاسع عشر دراسة عميقة . وفى نفس الوقت تتبع آخرون
من الباحثين الانجليز خطوات جونز فتعلموا العربية وفاضت قلوبهم
باعجاب لا يحد بالأدب العربى . وليس من الضرورى هنا إحصاؤهم عددا
ولا الاطالة فى وصف ما طبعوه فان هذا يعرفه كل قارئ عربى . فلنكتف
بما يحضرنا من أمثلة قليلة فنذكر ا . و . لين وترجمته الجديدة لألف ليلة
وليلة ومعجمه اللغوى العظيم الذى يعرف قدره كل من درس لغة العرب .
ونذكر ا . ه . بالمر الذى طبع وترجم ديوان بهاء الدين زهير، ونذكر
و . س . بلنت وترجمته البديعة للمعلقات، والسير شارلز ليال وترجماته من
كتاب الحماسة والأشعار العربية الأخرى . ونذكر ر . ا . نيكلسون الذى
كتب أجود تأريخ للأدب العربى فى أية لغة غربية والذى نشر عددا
كبيرا من الترجمات الشعرية لشعراء العرب .

جاهد هؤلاء المستشرقون وزملاؤهم العديدون لكى يعرفوا أبناء

صورة للدكتور جونسون و بزويل وجولدسميث .



وطنهم بالروعة الحقيقية التى تمتاز بها حضارة العرب وثقافتهم . ونحن إذا درسنا الأدب الانجليزى فى السنين المائة والخمسين الأخيرة أدركنا المدى الشاسع الذى بلغه نجاحهم . فيندر أن نجد شاعرا عظيما أو كاتبا للمقالات أو ناقدا أو روائيا إلا وقد اعترف بأنه مدينَ للتفكير العربى بالالهام ، ليس فقط فى الفاظ بل أيضا فى صورة أبدع وأجلى ألا وهى تناوله للموضوعات العربية فى إنشاءاته الأدبية . وليس بامكاننا هنا إلا أن نقتبس قليلا من الأمثلة .

فروبرت سوذى الذى كان شاعر الملك فى انجلترا من سنة ١٨١٣ إلى سنة ١٨٤٣ قد درس كل ما كتبه السير وليم جونز دراسة عميقة وأكثر شعره الممتاز تتخلله الأفكار الشرقية وبخاصة الأفكار العربية . وقد كان إلى جانب ذلك واقعا تحت تأثير ألف ليلة وليلة إلى حد شديد وهذا يشرح الطبيعة الخيالية الجامحة لأساطيره وأوصافه . وأشهر هذه (القصائد الشرقية) قصيدته المسماة (ثعلبة الفتاك) التى طبعت سنة ١٨٠١ . وموضوعها عربى بلا شك ولكن من أسلوب ألف ليلة وليلة، فهى قطعة أدبية ذات خيال شديد التحليق ولكنها مملوءة بأوصاف بديعة ذات نكهة عربية صادقة . وهنا لا نستطيع إلا إعطاء مثال واحد :

Then Thalaba drew off Abdaldar's ring,
And cast it in the sea, and cried aloud,
" Thou art my shield, my trust, my hope, O God !
Behold and guard me now,
Thou who alone canst save.

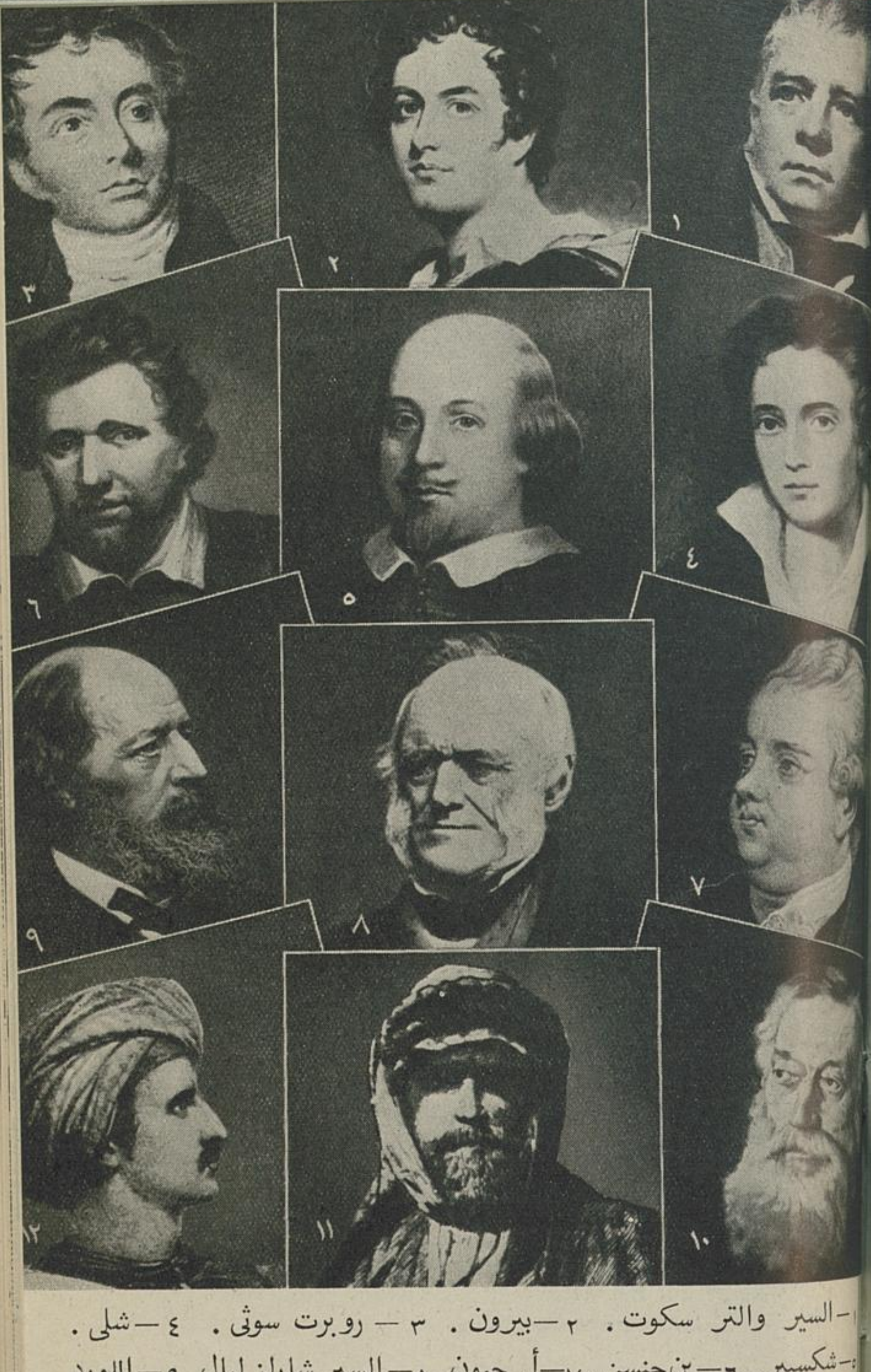
If from my childhood up I have look'd on
With exultation to my destiny ;
If in the hour of anguish I have own'd
The justice of the hand that chasten'd me ;
If of all selfish passions purified
I go to work thy will, and from the world
Root up the ill-doing race,
Lord ! let not thou the weakness of my arm
Make vain the enterprise ! "

The Sun was rising all magnificent,
Ocean and Heaven rejoicing in his beams,
And now had Thalaba
Perform'd his last ablutions, and he stood
And gazed upon the little boat
Riding the billows near,
Where, like a sea-bird breasting the broad waves,
It rose and fell upon the surge,
Till from the glitterance of the sunny main
He turn'd his aching eyes.

وإليك تعريب هذه الأبيات :

حينذاك نزع ثعلبة خاتم عبد الدار
وألقى به فى البحر وصاح فى صوت عال
«يا إلهى أنت درعى وعليك اتكالى وفيك أملى
فانظرنى الآن واحمنى
يا من لا يستطيع غيره أن ينجى
ان كنت من عهد طفولتى قد نظرت
إلى نصيبى بجذل واعتزاز
وان كنت فى ساعة العذاب قد اعترفت
بعدالة اليد التى عاقبتنى
وإذا كنت قد تطهرت من كل الرغبات الأنانية
حين سعيت فى تحقيق إرادتك وفى استئصال
الخلق الشريرين من الدنيا
فيا رب لا يسببن ضعف ساعدى
ضياع مجهودى سدى ! »

كانت الشمس تشرق فى أكمل بهائها
وكان البحر والسماء مبتهجين بأشعتها
حين أتم ثعلبة
وضوءه الأخير ووقف



١ – السير والتر سكوت . ٢ – بيرون . ٣ – روبرت سوثي . ٤ – شلي .
٥ – شكسبير . ٦ – بن جنسن . ٧ – أ . جبون . ٨ – السير شارلز ليال . ٩ – اللورد
تنيسون . ١٠ – شارلز مونتاجو دوتي . ١١ – ولفريد بلنت . ١٢ – إدوارد وليم لين .

ونظر إلى القارب الصغير
ممتطيا ظهر الأمواج القريبة المائجة
مثل طائر الماء يشق بصدره الأمواج العريضة
تارة يعلو اللجة وتارة يهبط
حتى أرغمه البحر المتألق بضياء الشمس الباهر
على أن يتحوّل بعينيه المتعبتين .

ولقد كان تأريخ الأندلس وقصة رودريك أو لذريق آخر ملوك القو
الذى هزمه طارق فاتح أسبانيا فى سنة ٧١١، مصدراً ألهم ثلاثة من
الشعراء الانجليز، فكل من السير والتر سكوت وسوذى ولاندور نظم
قصيدة طويلة على هذا الموضوع . وقد تناول السير والتر سكوت موضوعات
عربية فى مؤلفات أخرى له كروايته (ايفانهو) المحتوية على تصوير بدي
ملىء بالفهم والعطف لصلاح الدين .

وكان بيرون شديد الاهتمام بتأريخ الشرق وثقافته وقد درس كتب
كثيرة عن هذه الموضوعات، واكثر قصائده الطويلة تستمد إلهامه
أو الوسط الذى تحدث فيه من موضوعات شرقية وإن كان الشرق الذى
اختلب لبه ليس شرق العرب بل شرق الأتراك العثمانيين . ومن الراجح
أن شلى كان على معرفة بمؤلفات السير وليم جونز وكثير من قصائد
تدور حوادثها فى الشرق، وبخاصة قصيدته (تقليد من العربية) التى
نشرت فى سنة ١٨٢١ وهى تتخذ موضوعها من سيرة عنتر التى قرأه
شلى فى ترجمة تريك هاملتون .

My faint spirit was sitting in the light
Of thy looks, my love ;
It panted for these like the hind at noon
For the brooks, my love.
The barb whose hoofs outspeed the tempest's flight
Bore thee far from me ;
My heart, for my weak feet were weary soon,
Did companion thee.

Ah ! fleeter far than fleetest storm or steed,
Or the death they bear,
The heart which tender thought clothes like a dove
With the wings of care ;
In the battle, in the darkness, in the need,
Shall mine cling to thee,
Nor claim one smile for all the comfort, love,
It may bring to thee.

وإليك تعريب هذه الأبيات :

كانت روحى المضناة جالسة فى ضياء
نظراتك يا حبيبتى
فاشتاقت إليك كما يشتاق الظبى فى الهاجرة
إلى جداول الماء يا حبيبتى
إن الجواد الذى تبارى حوافره وفد الريح
قد حملك بعيدا عنى
ولكن قلبى إذ سرعان ما كلت قدماى الضعيفتان
صحبك فى رحيلك .

آه أسرع من أسبق الريح وأمضى الخيل
أو من الموت الذى يمتطيها
القلب الذى يسربله الشوق كحمامة
بأجنحة الهم
فى الوغى وفى الظلام وفى الحدث الملم
سيتعلق قلبى بك
ولن يطالب بابتسامة واحدة جزاء يا حبيبتى على كل الراحة
التى قد يجلبها إليك .

وقد قام ألفريد تنيسون شاعر الملك فى انجلترا من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٩٢ بدراسة مؤلفات السير وليم جونز دراسة دقيقة وتناول فى

كثير من قصائده موضوعات شرقية . وأبرز مثال على دينونته للأد
العربى قصيدته الغنائية المشهورة (إيوان لكسلى) الذى كتب عنها ا
الشاعر قائلا «إنى أتذكر أن والدى قال إن ترجمة السير وليم ج
النثرية للمعلقات ألهمته بفكرة القصيدة . » وليست القصيدة نفسها ذ
وسط عربى خالص فحسب، بل إن وزنها أيضا محاولة لتقليد بحر الطو
الذى استعمله امرؤ القيس . ولكن لما كان تنيسون قد أخطأ فى ف
مثال جونز فانه وضع المقاطع الطويلة فى غير مواضعها وبذلك أخفق
التقليد المضبوط .

والأبيات الافتتاحية توضح كلا وسط القصيدة ووزنها :

mrades, leave me here a little, while as yet 'tis early morn :
ave me here, and when you want me, sound upon the bugle-horn.

s the place, and all around it, as of old, the curlews call,
eary gleams about the moorland flying over Locksley Hall ;

cksley Hall, that in the distance overlooks the sandy tracts,
d the hollow ocean-ridges roaring into cataracts.

ny a night from yonder ivied casement, ere I went to rest,
d I look on great Orion sloping slowly to the West.

ny a night I saw the Pleiads, rising thro' the mellow shade,
tter like a swarm of fire-flies tangled in a silver braid.

واليك تعريب هذه الأبيات :

خليلى دعانى هنا برهة قصيرة والصبح لما يزل باكراً
دعانى هنا وإذا ما أردتمانى فانفخا فى البوق .

هذا هو الموضع ومن حوله لا تزال الكراوين تهتف كعهدى
قديما،
والومضات الموحشة تتطاير على الفيافى الجدباء فوق ا
لكسلى .

إيوان لكسلى الذى يشرف من بعيد على المنعرجات الرملية،
وأخاديد المحيط المجوفة تصخب وقد صارت جنادل .

كم ليلة من ذلك الافريز الذى يكسوه العشب المتسلق، قبل أن آوى،
راعيت كوكبة الجبار تنحدر فى بطء إلى الغرب .

كم ليلة رأيت الثريا تطلع من خلال الظلة النضرة،
وتبرق كخشرم من الحباحب يتخبط فى جديلة فضية .

فى هذه القصيدة وفى قصائد غيرها كثيرة تتجلى دينونة تنيسون للفكر العربى، وبخاصة ألف ليلة وليلة، كما يتضح من قصيدته المشهورة (ذكريات ألف ليلة وليلة) التى تتردد فيها هذه العبارة (لهرون الرشيد صاحب الفضل) .

أما فى أزمنة أكثر حداثة فان الموضوعات العربية ما زالت تطبع الأدب الانجليزى بطابعها العريض . ولا يقتصر ذلك على تلك الترجمات من الشعر العربى التى تحتل الآن مكانها بين مختار الأدب الانجليزى — وبنوع خاص ترجمة بلنت للمعلقات — بل إن كثيرا من المؤلفات الانجليزية أيضا قد صدرت خلال الخمسين سنة الاخيرة وفيها قد نمت وأخصبت تلك البذرة من الالهام الأدبى . ومع ذلك جنباً إلى جنب نشأ نوع آخر من الأدب نتج عن العلاقة الشخصية المباشرة بين عباقرة الرجال الانجليز والعالم العربى . وأسبق هذه الثمرات فى الايناع وربما أيضا أسبقها فى القدر والميزة ذلك الكتاب العظيم (بلاد العرب الصحراوية) الذى ألفه تشارلز دوتى، والذى ينطق كل سطر فيه بروح الصحراء العربية وشعرائها . ويكاد يبلغ نفس هذه المنزلة كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) الذى ألفه ت . ا . لورنس، والذى يحتل الآن مكانا أكيدا بين مختار الأدب الانجليزى . ونفس تلك الروح العربية الصادقة تتجلى مرارا وتكراراً فى كتب جرترود بل وفريا ستارك ورحالين آخرين أقل منهما شهرة جابوا أصقاع الأقطار

العربية . ثم أخيرا قد ظهر شيء لعله من نواح كثيرة أعظم إمتاعاً وه
ذلك الأدب الذى صدر منذ فترة قصيرة جدا والذى وإن كان لا يزا
غير معروف إلا قليلا فانه بلا شك سيحرز صيتا ذائعا فى عالم الكتب
ونعنى الأدب الذى كتبه رجال انجليز قضوا ثلاث سنوات فى الصحرا
الغربية واقفين حراسا على المدخل المؤدى إلى العالم العربى وهناك استمدو
من الينابيع الحقة للالهام التى أروت أعظم شعراء الأدب العربى . ونح
فى هذه المؤلفات نرى من جديد كثيرا من الخصائص المميزة التى يزدان ب
شعر الجاهلية وبخاصة الوصف الدقيق لمناظر الصحراء والحياة فيها . ولعل
لنا أن ننتظر فى وثوق وشوق طبع هذه الأمثلة الأخيرة التى يتجلى في
تأثير العناصر العربية على الأدب الانجليزى .

*

شيوخ فى واحة صحراوية . كانت الواحات الصحراوية المكان الذى أنشد
كثيرون من شعراء الشرق قصائدهم وقصوا قصصهم .



القفطان ذو اللؤلؤ الوردي

بقلم عمر سيف الدين

كان الجو تحت قبة قاعة المجلس الضخمة رطبا عليلا وكانت القاعة هادئة تملؤها الظلال فى ذلك اليوم . وكانت اشعة شمس الربيع تنساب خلال زجاج النوافذ الملون وتشع خيوطا من النور زرقاء وغبراء وبنفسجية يزداد لونها دكنة كلما امتدت على ميناء الآجر ذى اللون الاخضر الداكن .

جلس الوزراء القرفصاء على وسائد حريرية عالية ونظراتهم مسلطة على رسوم السجاد المفروش امامهم بينما كان الوزير الاكبر جالسا يحمل فى يده النحيلة لحيته البيضاء الطويلة وهو شاخص فى الفضاء بعينيه الغائرتين فبدا وكأنه مستغرق فى التفكير فى شىء بعيد جدا وكثير الغموض .

وفى النهاية قطع الوزير الاكبر الصمت قائلا «نحن فى حاجة الى رجل شجاع » . واكمل قوله «اننا لم نسمح لمبعوثه بالرغم من ردائه المحلى بالماس والذهب والفضة ان يقبل يدى السلطان، ولم نسمح له الا بتقبيل ركبتيه . ولست اشك انه سينتقم لما نال مبعوثه » .

«بكل تأكيد . »

«اوافق على ذلك . »

«ليس هناك اى شك فى ذلك . »

ولما رأى الوزير الاكبر الوزراء يتفقون معه كل الاتفاق استطرد فى شرح ما يشغل تفكيره فقال :

«يجب اذا ان يكون مبعوثنا رجلا على غاية الشجاعة، ان يكون رجلا لا يهاب الموت ولا يحنى رأسه خنوعا ازاء اى عمل قد ينال من شرف بلدنا . »

«نعم ! »

«هذا صحيح ! »

«من غير شك ! »

عند ذلك ترك الوزير الاكبر لحيته ووضع يده على ركبته ثم عد
قامته ورفع رأسه والقى نظرة على وزرائه واحدا فواحدا ثم قال :

«حسنا . فاعثروا لى اذا على مثل هذا الرجل اذ لا اظن بين رجا
القصر او المستشارين من هو بهذا الحزم او على هذه الشجاعة . ترى ه
يمكنكم العثور على احد؟ »

وعلى اثر ذلك ساد السكون على المجلس، تلك الهيئة الصغيرة ال
هى بمثابة الرأس المفكر فى دولة اكثر عواهل الارض تدينا وحبا للس
واتزانا فى التفكير واستغرق الكل فى تفكير عميق .

كانت مهمة الرجل المطلوب ان يذهب مبعوثا لدى اسماعيل الصفو
شاه ايران الذى كلفته كبرياؤه بعد ذلك الوقت بسبعة اعوام ثمنا غا
على يد ياوز ذلك الجبار العاتى . كان مما لا شك فيه ان اسماعيل هـ
المغامر الذى بنى فى النهاية امبراطورية شاسعة فى الشرق سيسىء معام
مبعوثنا ولن يتردد اذا ما لقى منه اعتراضا او مقاومة ان يأمر بصلب
حيا او يأمر بتعذيبه حتى الموت تعذيبا لا تتصور وحشيته .

وهنا تحرك الشخص الذى كان واقفا الى يمين الوزير الاكبر مرتد
قلنسوة علاها ريش احمر بعد ان كان ساكتا لمدة طويلة سكوت القبو
تحركت عيناه ثم التفت فى بطء الى اليسار وقال :

«انا اعرف الرجل الذى يصلح لهذه المهمة . لقد كان والده
اصدقائى . لكنه لن يقبل اية وظيفة تعرضها الدولة عليه . »

«من هو؟ »

«محسن شلبى . »

ولم يكن الوزير الاكبر قد سمع عن هذا الرجل من قبل .

«هل يقيم فى هذه النواحى؟ »

«نعم .»

«وماذا يصنع ؟ »

«هو على بسطة من العيش يمضى وقته فى القراءة ولا اظنك تعرفه يا سيدى اذ هو لا يختلط ابدا بالعظماء ولا يسعى وراء المجد . »

«لماذا ؟ »

«لست ادرى لكن ربما خشى السقوط من عل . »

«غريب ! »

«لكنه شجاع جدا لم يحد قط عن الطريق القويم ولا هاب الموت يوما بل كثيرا ما خاض الحروب وبوجهه ندوب من جراح السيوف . »

«الا يقبل ان يغدو مبعوثا لنا؟ »

«لا يمكننى الاجابة على ذلك . »

«حسنا، الا يمكن رؤيته . . . ؟ »

«لست على ثقة من قبوله الحضور الى هنا . »

«لكن لاى سبب بالله ؟ »

«لأنه لرجل من هذا الطراز، لا يسأل احدا معروفا ولا تربطه باحد رابطة، عنده الملك والسائل على حد سواء . »

«الا يحب بلاده؟ »

«اظنه يحبها . »

«اذا سنستدعيه لخدمة الدولة . »

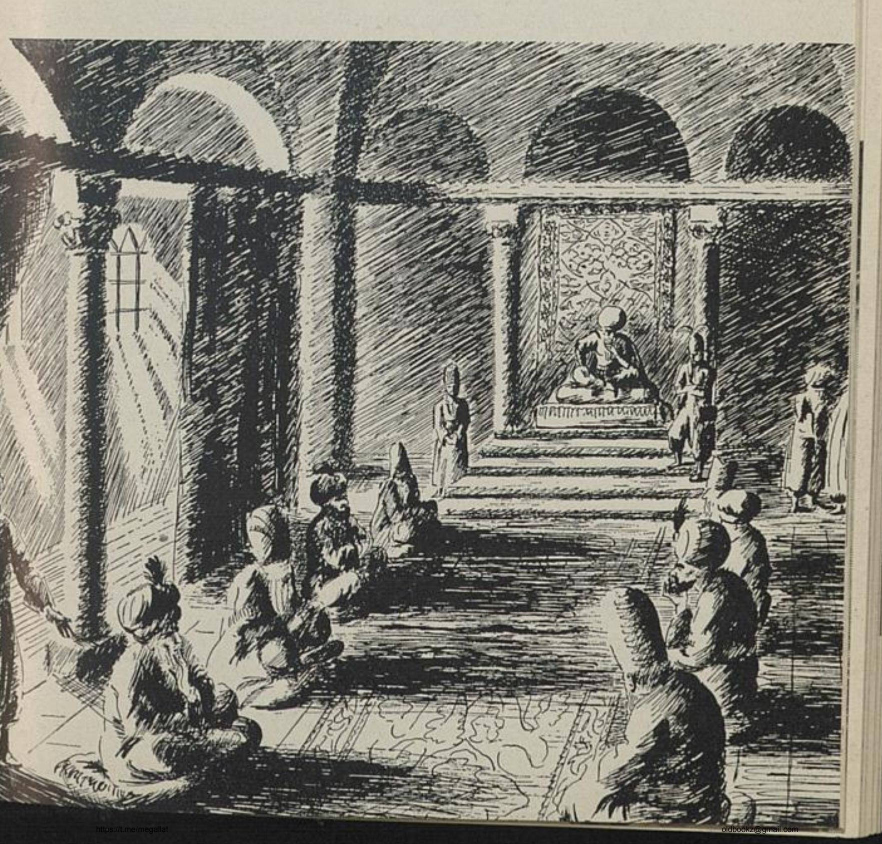
«فى ميسور سعادتكم دائما ان تجربوا . »

وفى ذات المساء ارسل الوزير الاكبر مستشاره الى بيت محسن شلبى باسكدار وطلب منه الحضور من غير تردد او تأخر اذ يريد الوزير التحدث معه فى امر اهميته للدولة عظيم .

وبعد الصلاة من صباح اليوم التالى بينما كان الوزير الاكبر جالسا فى غرفته الصغيرة الواقعة فى سلاملك القصر وقد اظلمتها ستائر سميكة يقرأ الاوراق التى تركها له سكرتيره اخبر بحضور محسن شلبى فقال :

«احضروه هنا .»

ولم تمض دقيقتان حتى اجتاز الباب البلوطى المطعم باللؤلؤ رجل
طويل القامة بشوش الوجه حسن البناء ذو شارب طويل وعينين واسعتين
تحت حاجبين اسودين جميلين لا يحمل فى منطقه سلاحا . انتظر الوزير
الاكبر، الذى كان معتادا دائما على انحناء وخشوع كل رعاياه، لحظة تمكن
زائره من الركوع على ركبتيه وتقبيل اطراف ثياب الوزير . لكن طرف
الاريكة المكسى بكساء ازرق مصنوع من خيوط من الذهب والفضة
الذى اعتاد ان يقبله الجميع ظل فى مكانه دهشا وكأنه جمجمة ذهبية
فارغة . اما الوزير فقد خانه تفكيره فلم يجد ما يقوله اذ كانت هذه اول
مرة فى حياته يقع فيها بصره على رجل كهذا الرجل يقف امامه مرفوع
الصدر شامخ الرأس . بل ان وزراءه انفسهم يظلون منحنين بين يديه فى
القاعة ذات القبة .



«لقد طلبت حضورى» سأل محسن شلبي فى صوت طبيعى النبرات .
«اجل، الآن . . . . . .»
«انا تحت امرك .»
«تعال واجلس هنا يابنى .»

ومن غير اى حياء او تردد او ارتباك جلس محسن شلبى على الاريكة المعينة له . اما الوزير الاكبر فقد تساءل فى نفسه وهو ينظر فى الاوراق التى ما زالت فى يده وقال «انه لرجل غريب الاطوار وما اعجب ان يكون مجنونا ؟» لكن على العكس فهذا السيد رجل قادر عنده من المال ما يغنيه عن سؤال الشجاع او الجبان، وهو يسوس دائرة ويشرف على مزرعة كبيرة خلف غابة جامليجه ويحيا حياة شريفة لا التزام فى ذمته لانسان، وهو يعنى بالفقير والضعيف ومن نزل به مصاب ولم تخل مائدته يوما من الضيوف، كان متدينا لكن لم يكن متعصبا ، كان من اولئك الرجال الذين امتلأت قلوبهم بحب خالص لدينهم ولأمتهم ولمليكهم، كان مدركا لمركز دولته ولعظمتها . وكان غرضه الامثل الوحيد «الا يحنى قامته لاحد غير الله والا يكون عبدا لاى عبد آخر» . كان علمه وكانت فضائله معروفة للجميع، وعندما تحدث معه ابن كمال قال : «هو يزيد معارفى» . لقد كان شاعرا لكنه لم يقرض قصيدة مديح قط ولا قرأ قصيدة مديح قط . كان عمره يزيد على الاربعين عاما لكنه لم يسلك طريقا من طرق الثروة التى تفتحت امامه . كان يعلم ان فى نهاية كل هذه الطرق المرصوفة بالذهب والحلى والشبيهة بطرق الفردوس، كان يعلم ان فى نهايتها دائما اطراف ثياب قبيحة تنتظر التقبيل . ولما كان الانسان خليفة الرب فى ارضه، شاء الله ان يخلقه على صورته، فقد كان الرجل يسمو على بقية الخلق واصبح الملق الحقير اولى بالكلب الذى يهز ذيله وهو يلعق حذاء سيده . اما بين الرجال فقد كان محسن شلبى يكره الرجل الذى يدفعه طموحه الى ابتلاع كل انواع التحقير فيصعد الطريق المغرى محنى الظهر الى اعلى قمم الحظوة، اولئك العبيد الذين لم يعرفوا قيمة انفسهم، اولئك

الوضيعين الذين يسيرون على الارض كالزواحف . بل ان محسن قبض
عن الاحسان عليهم حتى يتفادى رؤية مثل تلك الزعانف، ولم يك ي
الا فى ايام الحروب ليقود فرق الفقراء . ولذلك فان جلوسه فى بس
طبيعية فى حضرة الوزير الاكبر ادهش الوزير كثيرا لكنه لم يغضبه .

«نريد ان نرسل مبعوثا الى تبريز فهل انت، ايها الشاب،
استعداد لتولى هذه المهمة من قبلنا ؟ »

«انا، يا سيدى ؟ »

«اجل، انت . »

«باية صفة ؟ »

«لم نتمكن من العثور على الرجل الذى نريد . . . »

«لكننى حتى اليوم لم اشغل اى منصب هام من مناصب الدولة

«ولم ذلك ؟ »

لم يجب محسن شلبى على الفور ثم ابتسم وقال :

«لاننى لا اخفض رأسى ولا اقبل الايدى ولا اطراف الثياب . ولما
رجال الدولة فى الوقت الحاضر يرتفعون الى مناصبهم العالية فى الغا
بفضل كثرة الملق والنفاق والمداهنة. خافضين الرؤوس يقبلون الاي
واطراف الثياب بل وحتى الارجل فانهم يجمعون دائما حولهم بصفة خ
اولئك الذين يظهرون الاحترام لتلك الاعمال المهينة التى يمتلئ بها م
الكبراء البغيض فيصبحون اصحاب الحظوة لديهم وكتمة سرهم والمتم
بحمايتهم وتغدو حاشيتهم جمعا من احط المنافقين المتملقين الذين لا خ
لهم المهرجين المنحطين الذين لا مبادئ عندهم . »

«ثم اذا ما رأوا رجلا شجاعا مستقيما مستقل الرأى يصغى لص
ضميره حقدوا عليه فى التو واللحظة وحاولوا القضاء عليه . والا ف
اخبرنى الباشا لماذا طعن كديك باشا ؟ »

« . . . . »

ضغط الوزير فى رفق على اسنانه ونظر الى زائره من بين جفنين ن

مغمضين ثم شدد من قبضته على الاوراق التى فى يده . لم يقو على ان يثور غاضبا ولكن منذ صار وزيرا بل حتى عندما كان مجرد بكلربك لم يحدث قط ان تفوه احد من معيته بمثل هذا الكلام الصريح فى حضرته . «هل الرجل مجنون؟» تساءل الوزير الاكبر للمرة الثانية . وان لم يكن مجنونا فلم هذا الكلام الطائش؟ الا تعد مثل هذه الدرجة من الصفاقة متعارضة مع «ذوق العصر»؟ اغمض الوزير عينيه اكثر من الاول ثم تساءل فى فكره «ماذا لو امرت بقطع رأسه؟» لكن قبل ان ينادى على الحراس تعالى الى سمعه صوت خافت من مصدر غامض فى ضميره يصيح : «تمهل فانت الآخر كبقية من ارتفعوا الى مناصبهم عن طريق الملق البغيض والنفاق والضعة، لا تطيق مواجهة الكلمات الصريحة . انت ايضا لا تريد رؤية رجل شجاع امامك بل تريد كلبا يلعق اقدامك، تريد مهرجا، تريد شخصا وضيعا يبالغ فى الانحناء فى حضرتك .» عند ذاك ترك الوزير الاوراق التى كان قابضا عليها والقى نظرة ثانية على محسن شلبى فرآه بجبهته العالية التى يضىء فى وسطها اثر جرح سيف وبوجناته المتوردة ورقبته القوية البيضاء المحلوقة حديثا وبأنفه الكبير وعمامته الضيقة، رآه اشبه ما يكون بالابطال القدماء الذين ترى صورهم على صفحات الشاهنامه . اجل فذلك الرجل الذى يعلو ندب حاجبه انما هو بطل مطبوع قصر السيف عن القضاء عليه . ولما كان الوزير الاكبر رجلا حصيفا فانه لم يحاول كبت صوت ضميره الذى دوى فى ارجاء نفسه بل قال :

«هذا هو بالضبط الرجل الذى نبحث عنه، رجل لا يعرف الخوف ولا يرضى باهانة توجه الى وطنه او شعبه ، لا يقبل الاعراض خشية الموت او خوفا منه .»

هز الوزير عمامته فى رفق ثم قال :

«سنبعثك الى تبريز سفيرا .»

«حولك كثير من الكتاب والمسجلين فلم لا تختار من بينهم؟»

«اتعرف من هو الشاه اسماعيل؟»

«اجل اعرف.»

«اتحب وطنك؟»

«احبه.»

عند ذلك اعتدل الوزير الاكبر صاحب السلطة وجلس مستقيما
نظر حوله وقال: «اذا كان الامر كذلك فكل شيء على ما يرام فذ
الرجل لا يدين بالمثل القائل بان «السفير غير مسئول عن سفارت
وهو ينافسنا ويريد ان ينزل بمبعوثنا ما ليس في وسعه ان ينزله بنا
حلبة القتال فمن المحتمل ان يحاول تعذيبه حتى الموت فهو لا يخشى الل
ولما كانت كل اهانة يوجهها الى سفيرنا اهانة موجهة الى وطننا فنـ
نريد رجلا من الطراز الذى لا يخشى الشنق اذا ما اهين بل يرد الاها
باهانة مثلها فاذا كنت تحب وطنك ستقبل هذه التضحية».

فاجاب محسن شلبي من غير تردد «انا اقبل يا سيدى لكن على ش
واحد».

«وما هو الشرط؟»

«بما ان الامر امر تضحية، وتضحية النفس امر لا يثاب عليه ا
بمرتب، فيجب ان يكون اداؤها من غير مرتب. فتضحية نفس ا
من اجل وطنه — مهما كانت طبيعة التضحية — اذا ما جوزيت بالمال
تعد سوى امر كسب شخصى. وانا لا اريد دخلا ولا منصبا عاليا
مرتبا ولا شيئا آخر، فانا اعتبر هذه المهمة خدمة شرف وهذا هو شرطى

«لكن ايها الشاب كيف يمكن ذلك؟ لقد كان سفيره يرتدى اف
الثياب وكانت جياده وحاشيته الكمال فى ذاته. فيجب ان تكون ج
وحاشية وملابس سفيرنا اكثر فخامة واغلى ثمنا. ولذلك وجب ان نعط
من الخزانة بضعة آلاف من القطع الذهبية.»

لم يجب محسن شلبي على الفور بل خفض رأسه لحظة ثم رفعه قائلا
«كلا لن اقبل حتى ولا قطعة واحدة من الخزانة، وسأعد انا الج



بأطقمها الفاخرة والخدم بكساهم وسأفعل ذلك من مالى الخاص حتى .
وهنا فتح الوزير الاكبر عينيه «بل وسأرتدى رداء لم يره الشاه اسما
فى حياته » .

«ما الذى سترتديه ؟ »

«سأبتاع القفطان المطرز باللؤلؤ الوردى الذى جىء بنسيجه
الهند وبملحقاته من البندقية وهو اليوم لسرمكش طورغلو . »

«ماذا ! ومن اين ستجد كل هذا المال يا ولدى . »

كان الوزير الاكبر على حق فى دهشته اذ لم يكن فى استانبول
من لم يبلغه نبأ هذا القفطان المطرز باللؤلؤ الوردى الذى تم صنعه
شهر مضى والذى كان طورغلو يزيد فى ثمنه كلما حاول احد من الو
او السفراء شراءه . لكن محسن شلبى اوضح الطريقة التى سيشترى بها
القفطان الشهير فقال :

«سأرهن بيتى ومزرعتى وأقترض من التجار عشرة آلاف قطعة
الذهب أنفق الفين منها على جيادى وحاشية الخدم وأبتاع القفط
بالثمانية آلاف الباقية . »

لكن الوزير الاكبر لم ير هذا التصرف مصيبا فقال :

«لكن هذا القفطان لن يكون ذا فائدة لك بعد عودتك فما هو
رداء للعرض فقط، وستفقد فى شرائه ممتلكاتك وتغدو فقيرا . »

«كلا فانه من المحتمل ان يبتاعه طورغلو منى بعد ستة شهور بـ
آلاف قطعة ذهبية مقابل الثمانية آلاف التى اشتريته بها، وبهذا
يمكننى تخليص الرهن عن مزرعتى . اما اذا عجزت عن دفع بقية د
فليكن الامر كذلك ولتذهب الدائرة التى خلفها لى والدى فداء للو
فلا يجب ان يؤخذ كل شئ من الدولة كل الوقت بل طبعى ان ت
بعض الشىء . »

« . . . . . »

زادت دهشة الوزير الاكبر باستمراره فى الحديث مع محسن شلبى

جزعه اختفى وتأكد له ان هذا الرجل هو الذى يصلح لالزام عاهل محدث مكانه . فضحك ونقل قلتسوته .

ان وزراء المجلس الحريصين المدبرين الجبناء الذين يتعلقون بأرواحهم وبما ملكوا اشد التعلق لو ان احدا منهم اختير ليكون سفيرا لانصرف تفكيره الى الهدايا التى ستقدم اليه اكثر مما ينصرف الى حفظ شرف بلاده ولما وجد غضاضة فى اية اهانة توجه اليه . بعد ذلك اراد الوزير الاكبر ان يستبقى محسن شلبى للطعام لكنه لم ينجح فرافقه عند انصرافه حتى القاعة .

وفى خلال ستة شهور تمكن محسن شلبى من رهن مزرعته الكبيرة وبعمل البانه ومنزله ومخازنه وحديقته وحديقة الخضروات وجمع المال من التجار واعد الخيول والحاشية، وكان كل منهم على ابهة لم ير لها مثيل . وابتاع كذلك القفطان اللؤلؤى الشهير من طرغلو على شرط ان يشتريه هذا ثانية مقابل سبعة آلاف قطعة ذهبية عند عودة محسن . فترك زوجته الشابة وطفليه لدى احد اقربائه تاركا من المال ما يكفى للانفاق عليهم لستة شهور ثم وضع الرسائل فى صدريته وبدأ رحلته . وعلى كل مراحل تقدمه كانت انباء ابهة هذه السفارة وعلى الاخص شهرة القفطان اللؤلؤى تنتشر حتى عمت كل الاناضول وتعدتها الى مملكة الشاه اسماعيل .

وذات يوم دخل محسن شلبى حصن تبريز فى ابهة وفخامة . وعندما شاهد اهل هذه العاصمة الصغيرة المغرمون بالزينة والفخامة والالوان والحلى القفطان اللؤلؤى عمهم الاعجاب وغلبت عليهم الدهشة فسرى نبأ القفطان فى كل المدينة وغدا موضع حديث الاجتماعات فى القصر . لم يكن الشاه اسماعيل قد سمع عن اللؤلؤ الوردى الا فى القصص الخرافية ولم يكن قد رأى قفطانا حقيقيا مزينا بها ولذلك امتلأت نفسه بغضاء دفينة لهذا السفير الغنى الذى يملك ما لم يره هو بعد فعقد العزم على ان يرهقه بالاهانات بغية ارغام انفه . فقبل ان يسمح له بمقابلته اوقف الجلادين خلف العرش على استعداد، كما امر باخلاء المكان المقابل للعرش من



الارائك المطرزة والابسطة الحريرية ثم اوقف الوزراء عن يمينه والجنو
عن يساره .

ومن الباب الواسع ذى الاقواس المصنوعة من المرمر الملون دخل
محسن شلبي بخطى طليقة لا ارتباك فيها يسير على عادته شامخ الرأس ثم
اخرج الرسالة من جيب صدريته فقبلها ثم ضغطها على جبهته وقدمه
الى الشاه الذى كان يتأمل بهدوء هو اشبه بهدوء طائر صيد غريب
خصوصا وهو مرتد ثوبا اختلطت خيوطه الحريرية الحمراء والخضرا
بالزرقاء والبنفسجية بدت محاطة بجدائل من الذهب وريش من ذيو
الخيل واعلام مختلفة . وعندما لم يقبل محسن اقدام الشاه التفت هذا
ثورة غضب اختفى منها البياض من عينيه واخذ الوثيقة وعندما انسحب
محسن شلبي من امام العرش نظر حوله فلم يجد شيئا يجلس عليه فابتس
وناجى نفسه قائلا «لعلهم ارادوا اجبارى على البقاء واقفا اظهارا
للاحترام لهم» ثم أعمل فكره لحظة يحاول اتيان تصرف يرد به الاهانة عل
متعمديها فهب لتوه والقى قفطانه بما حمل من لؤلؤ وردى وفرده على
الارض امام العرش الامر الذى اطار لب الشاه اسماعيل ووزرائه
وقواده وبعث نظرات الدهشة فى اعينهم، ثم جلس محسن القرفصاء على
هذا القفطان الثمين وصاح بصوت جهورى رددت دويه صور التنين
التى تزين الحيطان وقبة القاعة المدببة واقواسها المحلاة بالذهب :

«ان السلطان الذى قدمت اليك رسالته هو سليل اوغوز خاقان
وهم قوم لم يكن احد منهم عبدا منذ بدء الخليقة، بل كانوا كلهم ملو

وكلهم غواهـل . ومبعـوث شعبنا الذى دنت له السيـادة منـذ نشأة العالم لا يخفض رأسه فى حضرة اى حاكم اجنبى لانه ليس بين شعوب الارض من يدانى شعبه نبلا ولانه . . . . »

وبينما كان محسن شلبى الذى لا يتكلم الفارسية يصيح بكلماته فى اقسى العبارات التركية كان حلم الشاه قد بدا يزاوله وعلت الصفرة والزرقة وجهه على التناوب كما اهتزت الوثيقة التى كان لا يزال محتفظا بها مع اهتزاز يده . لكن محسن شلبى استمر فى صياحه الامر الذى جعل الدهشة تسود وزراء الشاه وجلاديه وقواده عجبا من امر صبر مليكهم على ذلك واصطباره عليه الى درجة ان بعضا منهم بدأوا يتذمرون . اما محسن شلبى فما انتهى من حديثه حتى نهض لم يطلب اذنا بالانصراف ولا شيئا من هذا القبيل بل سار مباشرة الى الباب تاركا الشاه اسماعيل ملجم اللسان دهشا وقد خلفتـه فى هذا اليوم كبرياؤه بعد لقائه مع هذا التركى المنفرد، تلك الكبرياء التى ارغمت بعد ذلك فى تراب موقعـة شالديران . وعند انصراف محسن شلبى قال الشاه اسماعيل للذين كانوا مثله فى حالة دهشة وتزعزع :

«اعطوه قفطانه . »

فجرى احد الجنود والتقط القفطان الملقى على الارض امام العرش وحمله الى المبعوث التركى قائلا :

«عفوا ياسيدى، لقد نسيت قفطانك . »

فوقف محسن شلبى والتفت الى الباب الذى ترك القاعة منه قائـلا بصوت جهورى وصل الى مسامع الشاه :

«كلا فأنا لم انسه، بل تركتـه لكم فليس فى قصركم ابسطة ولا مراتب تجلسون عليها سفير دولة عظيمة . »

وقفل محسن بتوه عائدا مسافرا الليل والنهار بأقصى سرعة وسع جواده السير بها عبر طرق سبق له قطعها، وما وصل اسكدار حتى كان جرابه خلوا من النقود .

وهناك التفت الى حاشيته الفخمة وقال :

«ابنائى اقدم لكم هديـة الجياد التى تمطون صهواتها بسروجها واطق
وكذلك الثياب التى ترتدونها والخناجر المطعمـة بالحلى التى تتمنطقون ب
«هل تعرفون بأى حق طلبت اليكم القيام بكل التضحيات التى ق
بها من اجلى؟»

«اجل نعلم، وانه لنفس الحق الذى يخول لنا رضاعة البان امهاتنا

وبمجرد ان سمع محسن اجابتهم طلب اليهم الرحيل ثم استنش
الهواء عميقا وسارع الى شاطىء البحر دون المرور الى منزله ومن هن
قفز فى قارب حمله الى قصر الوزير فأخبره كيف سلم الوثيقة الى الشاه و
لم يواجه باهانة بل انه عاد الى استانبول من غير التنازل بطلب ا
الشاه بذلك . وقد كان الوزير الاكبر حتى قبل سماع هذا التقرير ع
يقين من ان محسن ادى رسالته بكل تفاصيلها وبكل امانة . وبعد ذ
سأله الوزير عن اشياء اخرى عن رحلته وعن اعوانه وعن مختلف الا
وعندما نهض شلبي بالانصراف سأله الوزير :

«اين القفطان يا ولدى؟ انى اود شراءه.»

«لم اجلبه معى .»

«هل بعته فى بلاد الفرس؟»

«كلا لم ابعه .»

«هل سرق؟»

«كلا .»

«فماذا فعلت به .»

«لا شئ .»

«. . . .»

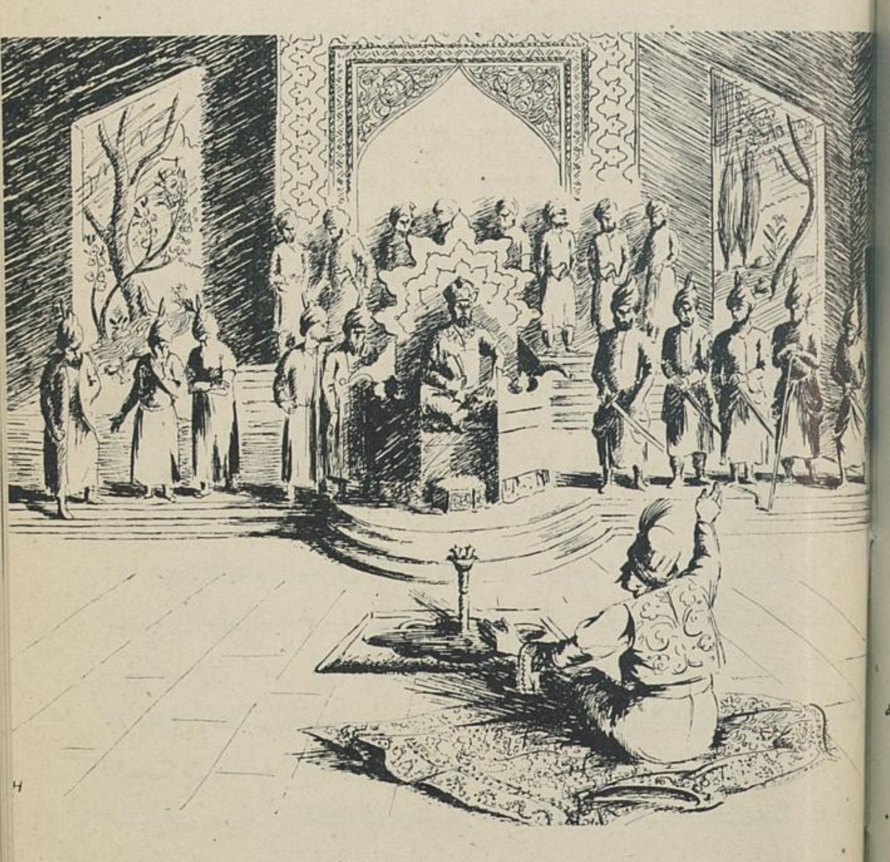
اصر الوزير الاكبر على غايته وكرر سؤاله المرة بعد الاخرى لك
لم يصل الى معرفة ما آل اليه امر القفطان .

لم يكن محسن شلبي شخصا خائرا ضعيف الروح فيتفاخر بما ا

وهكذا عاد فى المساء الى اسكدار وعندما اقبل الصباح حضر طورغلو لاستعادة القفطان مقابل سبعة آلاف قطعة ذهبية فلم يخبره ماذا صنع به .

ولم يتمكن احد من اهالى استانبول الذين كانوا متشوقين الى معرفة حقيقة ما حدث من الوصول اليها ولا الى معرفة المكان الذى ترك فيه القفطان او السبب الذى ترك من اجله . وهكذا اختفت الحادثة التى وقعت فى قصر تبريز بين طيات ظلام التاريخ .

(مترجم من الاصل التركى .)



لورنس بنيو

الشاعر المستشرق

«لورنس بنيون» اسم يعرفه كل محبى الفن الشرقى ولا سيما فن الر
الدقيق المصغر الذى برع فيه الفرس . ذلك ان بنيون حجة فى الر
الشرقى وقد كتب عدة كتب قيمة فى هذا الموضوع ، وما كتبه عن ا
الفارسى بنوع خاص كان له أثر فى ازدياد محبى هذا الفن بين الشعو
المتكلمة بالانجليزية . ولقد خط قلمه كثيرا من المقالات والفصول الطر
حول هذا الموضوع ولعل أجلها شأنا وأكثرها جمالا كتابه الرائع «اش
النظامى» الذى نشر فى سنة ١٩٢٨ وهذا الكتاب الضخم يصف مخطو
نفيسة لخمسة النظامى تاريخها من سنة ١٥٣٩ إلى سنة ١٥٤٣ وهو م
بصور ملونة كاملة الحجم لأبدع الرسوم الدقيقة لهذا العصر الذى
العصر الذهبى للرسم الفارسى .

ثم إن بنيون حجة لا نظير لها فى الرسم الصينى وقد كتب كثيرا
هذا الموضوع أيضا . وذلك أنه قد ألقيت عليه لسنوات كثيرة مسئو
الاشراف على المجموعة البارعة الممتازة من الرسوم الشرقية المحفوظة
المتحف البريطانى فأتاح له ذلك فرصة طيبة لدراسة الفن الشرقى من
نواحيه واستغل هو هذه الفرصة أحسن استغلال فى تفسير هذا الفن
العالم الغربى .

ولعل أبناء الشرق لا يعرفون أن بنيون إلى جانب براعته وح
الممتاز فى ميدان الخبرة بالفن الشرقى هو يعتبر من أعاظم الشعرا
بريطانيا وفى الحق أن الشعوب المتكلمة بالإنجليزية تعرفه كشاعر أ
مما تعرفه كخبير بالفن . ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أشهر قص
نظمت فى اللغة الانجليزية خلال حرب ١٩١٤—١٩١٨ هى قص
أنشأها بنيون . فما أن نشرت هذه القصيدة التى حملت هذا العن

البسيط «إلى الصرعى» حتى ذاعت فى العالم قاطبة وإن أبياتها لمنقوشة على كثير من نصب الحرب التذكارية فى أرجاء الامبراطورية البريطانية ولقد ازدادت شهرة وذيوعا حين لحنت تلحينا موسيقيا وكان ملحنها السير إدوارد إلجر المشرف على موسيقى البلاط الملكى. ولكن قصيدة «إلى الصرعى» تمتاز على اكثر القصائد التى حظيت بالشهرة والذيوع بأنها حائزة لسمو التفكير إلى جانب سلامة التعبير. وقل أن اظهرت قصيدة فى الأدب الانجليزى بأجمعه عاطفة الشعب التى استثارتها المحنة الشديدة استثارة بالغة كما فعلت قصيدة بنيون، وقل أن عبرت قصيدة مثل تعبيرها فى ألفاظ جمعت بين الانفعال والرزانة عن آلام الشعب الذى يبكى شبابه المهراق بدموع ممزوجة بالفخار والكبرياء. فاستمع إلى قوله :

تبكى انجلترا موتاها عبر البحار بكاء يمازجه الامتنان والفخار كالأم على أولادها. فلقد كانوا فلذة كبدها وقبس روحها سقطوا صرعى فى سبيل الحرية.

الطبول تدق فى أسى جليل سام. والموت فى روعته الملوكية يرسل ألحان اللوعة فى أجواء الخلود. إن بين الخراب والدمار لموسيقى تصدح. وإن فى دموعنا للمعة المجد.

يالها من كلمات باسلة جدير بها هذا الشعب الباسل. وحتى فى ساعة الحزن البالغ يعلن بنيون فى طرب وجذل ثقته بأن الأبطال المجندلين قد ظفروا بالخلود وأن ذكراهم ستبقى حية فى قلوب أمتهم فهو يقول :

ولكن بين جوانحنا أملا وثقة بالغة عميقة كعين الماء المستترة عن الأبصار، أنهم محفوظون فى سويداء القلب من وطنهم كما يحفظ الليل النجوم فى أحشائه.

تلك النجوم التى ستظل تسطع وتدور فى أفلاكها السماوية بينا نحن قد حرنا ترابا. نعم سيبقون إلى الأبد، إلى الأبد كتلك النجوم التى تتألق نوراً بينا نحن قد عدنا إلى ظلامنا الدامس.

كم تفيض هذه لأبيات الرائعة بنفس الروح السامية التى ينبض بـ
بيتا المتنبى حين يقول :

إذا غامرت فى شرف مروم　　فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير　　كطعم الموت فى أمر عظيم

إن شعر لورنس بنيون يمتاز ببراعة غنائيـة وحساسية بالغة تذكرا
بما نالـه شلى ووردزورث فى هذا المضمار. وهو كان دائما من أ
الناس إعجابا بشعر وليـم بليك الذى يعده جمهور الناقدين أبدع شا
متصوف فى الأدب الانجليزى فليس من الغريب اذن أن نجد فى قص
بنيون لمحات من الفكر الصوفى مصوغة فى عبارة دقيقة بارعة وإليك م
لهذه الميزة بضعة أبيات من قصيدته «فى المستشفى» وهى أول قصيدة
آخر كتاب نشره بنيون وهو كتاب «نجم الشمال» المطبوع فى سنة ١٩٤١
فالشاعر مستلق على فراش المرض فى أحد المستشفيات وما أن تنب
أولى انوار الفجر حتى يرى شبح نبال سماوى قد مثل بين يديه م
بقوسه ومتأهبا للرمى . يقول بنيون :

ذلك الرامى العظيم الماثل أمامى مفتول العضل مجدول البنيان
لو أنه حنى قوسه لشد السهم ببطء إلى محاذاة أذنه،
إذن أبصر انحناء جسده المشدود يتبدل فجأة، وما أن ين
السهم المسدد حتى يهبط ساعداه ويتراخى كتفه وعجزه .
ولكن لماذا يظل وجهه مستترا؟ ولماذا يدق قلبى خوفا أن ي
ويبدو هائلا فى سكون وهدوء هائلا فى جمال وقوة؟
أيها الرامى المجيد : لماذا تخفى وجهك؟ لو أننى استطيع أن أ
لكان مجدا لى أن يصرعنى السهم النافذ وأنا أتملى صورتك .

ليس بغريب أن الشاعر الذى برع فى تفهم الفن الاسلامى وتف
يرينا فى شعره قدرا غير قليل من تأثير فكر الشرق وخياله . وعلى س
المثل نذكر هنا قصيدته الطويلة المسماة (انجكور) التى يقص فيها



آخر صورة أخذت للورنس بنيون .

سليمان وبلقيس، تلك القصة التى طالما اتخذها الأدب الاسلامى موضوعا فنيا . ولا يسمح لنا ضيق الفراغ هنا بأكثر من اقتباس بضعة أبيات تصور لنا جلال شعره وإبداع نظمه :

جلس سليمان وبلقيس جنبا إلى جنب على عروس شامخة، واجتشدت حولهما طيور الهواء الوضاحة بريشها المتعدد الألوان . وكان الملك يعرف أصواتها، وكان أيضا يسمع صوت الأسد فى الصحراء النائية .

لم يتحدث سليمان عن ما اجتمع له من البهاء والروعة ولا عن الأشياء التى أراها إياها مما يفوق حد التصديق أو الأقاويل، حتى انخلع قلبها دهشة . أراها كل هذه الغرائب المبدعة وما ترك سؤالا وجهته اليه إلا أجابه .

ولكنه تحدث عن الهيكل الذى شيده حديثا لعظمة الله الذى لا يرى، الله خالق البشر طرا، خالق سليمان وحكمته، ذلك الهيكل الذى بنى ليخلد على كر الزمان .

إذ ذاك خيم عليهما الصمت وأدركهما المساء . وأرسلت الشمس المائلة للغروب سهامها إلى ذلك المكان الشامخ فى بيت المقدس فزادت الهيكل روعة إلى روعة فبدا كأنه شمس الخلود تتأجج أمام أعينهما .

ونحن نجد بنيون إلى جانب ذلك مغرما بالريف الانجليزى . فالقصيدة التالية له تردد صدى تلك الكلمات المشهورة التى هتف بها روبرت براوننج :

«آه ياليتنى كنت فى انجلترا الآن وقد أقبل إليها شهر ابريل . » يقول بنيو

أيتها التربة الانجليزية الراقدة فى خضرة لانهائية بين البح

الزاخرة المائجة،

حين تقبل الطيور من الجنوب الخاوى إلى الأشجار القديمة، أش

الصفصاف والدردار والحسك والبلوط، تلك الأغصان التى تعرفه

ما انعم الاقامة فى أيك شهر مايو، إذ ينمو العشب ويرتفع سا

حول الأزهار الانجليزية .

ولقد شاء القدر أن هذا الشاعر الذى رثى صرعى الحرب الكبر

الأولى ذلك الرثاء الممزوج بالفخار والكبرياء، يعيش حتى يرى وط

المحبوب بل الحضارة جمعاء تهددها مرة أخرى جموع الوحشية والظلا

فنجده فى الحرب الحالية قد فاض يراعه بأبيات تملكت أعماق القراء

الشعوب المتكلمة بالانجليزية إذ صورت فى نبل وسمو تلك العاط

الجياشة التى تفيض قلوب الرجال — نعم وقلوب النساء والأطفال

الذين يقاتلون ليصونوا كل ما يعدونه شريفا نبيلا . فهو يقول :

أيها الضياء الذى به نحيا ونبض بالحركة، شع فينا الآن من نو

ونحن أجمعون كائن حى واحد مع تربتنا المحببة . املأ شغاف صدو

بقوة تشد أزرنا فى هذه الموقعة الأخيرة من مواقع الروح !

ومن يراع بنيون فاض أسمى تقدير خالد حازه الطيارون المحاربون

سلاح الطيران الملكى، اولئك الذين كانوا بين «البسلاء القلائل» الذ

تقدموا لينقذوا انجلترا وقضية الحرية فى صيف سنة ١٩٤٠ . جاءوا إ

من أطراف الامبراطورية البريطانية ليلقوا تحدى العدوان النازى ويه

فى سماء انجلترا . فاستمع اليه وهو يتغنى :

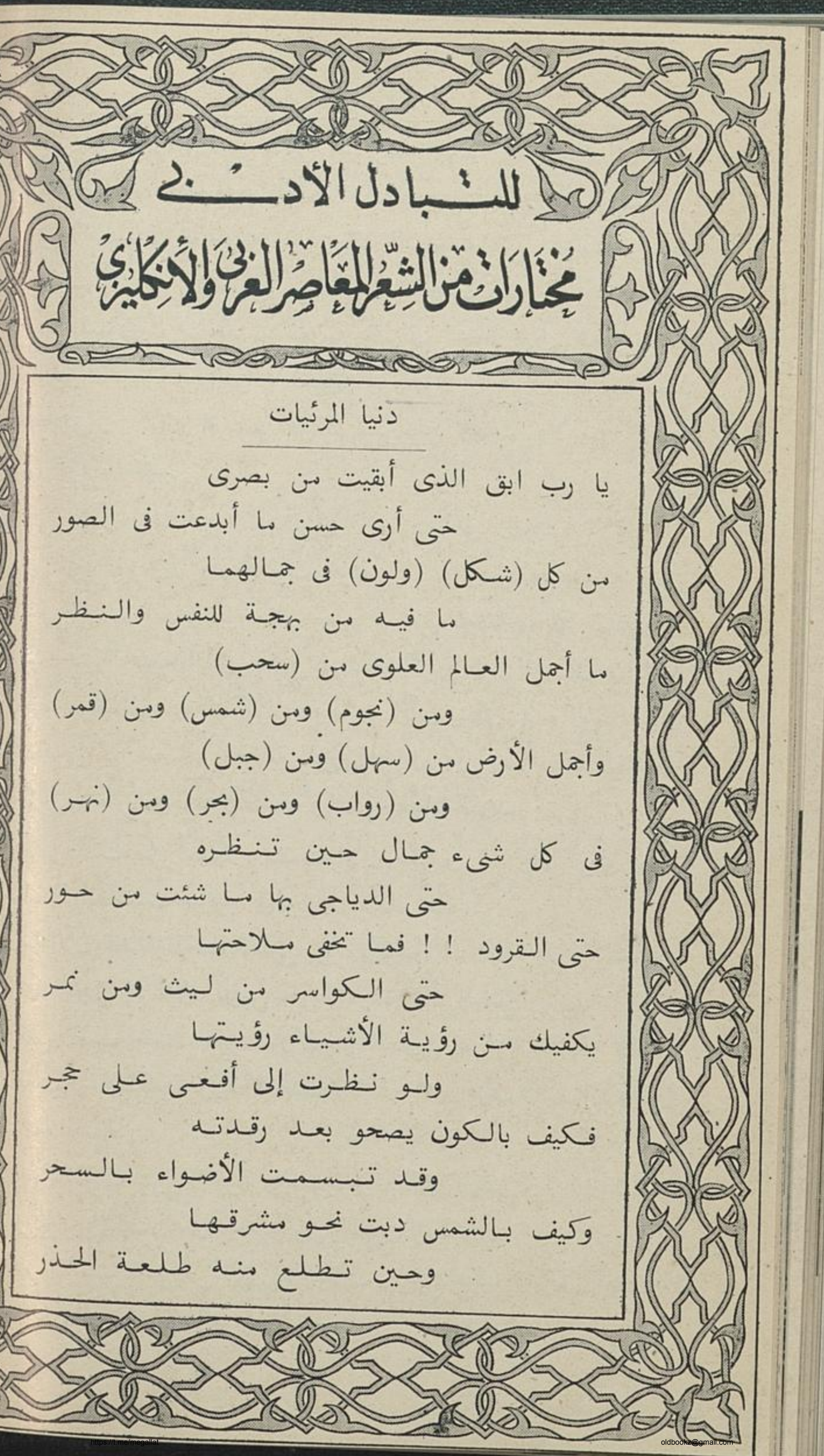
لسرعان ما انضموا الى زملاء أفذاذ ما لهم من نظير . هم زه

بريطانيا وفخارها، يهزأون بالهول الزاهى بنفسه ويسخر

من كل المخاطر، يركبون فى غبطة أجنحة الهواء فى سبل الأجواء

من بعيد يكافحون فى سبيل جزيرتنا التالدة، صاعدين إلى أعلى مقاليد الهواء، وهابطين للوثب والهجوم، متملكين أعنة السماء.
يصغى اليهم فى ظلمات الليل تلك الشعوب التى اغتيلت وقهرت فتضطرب أفئدتها بالأمل إذ تستمع إلى السحب تضطرب برعدهم.
هم يقبلون سربا بعد سرب من أطراف المحيط فوق البحار حيث تتربص المخاطر ليجازفوا بأنفسهم فى بطون الأهوال الفائقة حد التصديق. كيف نحييهم حقا؟ ليس من كلمات ولا من أناشيد توفى هؤلاء حقهم.

لورنس بنيون، الشاعر المستشرق، آخر درة فى القلادة الانجليزية المزدحمة بالدرر الغوالى، كان يشرف، وهو فى مساء حياته، بوجه طلق بشوش على الدنيا الغنية بالجمال، روحا زاخرة بالجمال، قد تبينت فى جلاء ذلك الحق المحتوم الذى يكمن فى لباب كل كائن. لقد كان فى صحبة الحق والجمال خلال سنوات طوال، وهاهو الآن ينطق بهذه الرسالة إلى عالم طالما تعامى عن شعاع الحقيقة المبين إذ زان على بصره تلك الغشاوة الباهرة التى يتنكر الوجود الكاذب وراء وجهها الخلاب:
كم حلمت من أحلام مضت الآن هباء. ما كان ازرى منظر الحياة إذ انعكست صورتها فى جدول مظلم عكر!
أما الآن فقد ارتاحت نفسى من الأشياء الكائنة، وما أتراجع فى خزى وخجل إذ أرى النفس عارية مجردة أمام النفس.
اننى لأحب الجسد المجرد للأشجار العارية قد ارتفعت بلا حجاب، ارتفعت فى السكون وفى العاصفة، اكثر مما أحب سحب الأوراق الناعمة الملساء.
قد انكشفت هزالة الحبة والسداة والعقدة، لا شىء يزيف عاهة الطبيعة أو التلف الذى أحدثه من السنين البطاء.
قد ارتاحت نفسى من الشىء الكائن. الريح تجرف الطريق العارية، هذه هى السبيل إلى المثوى الأخير.

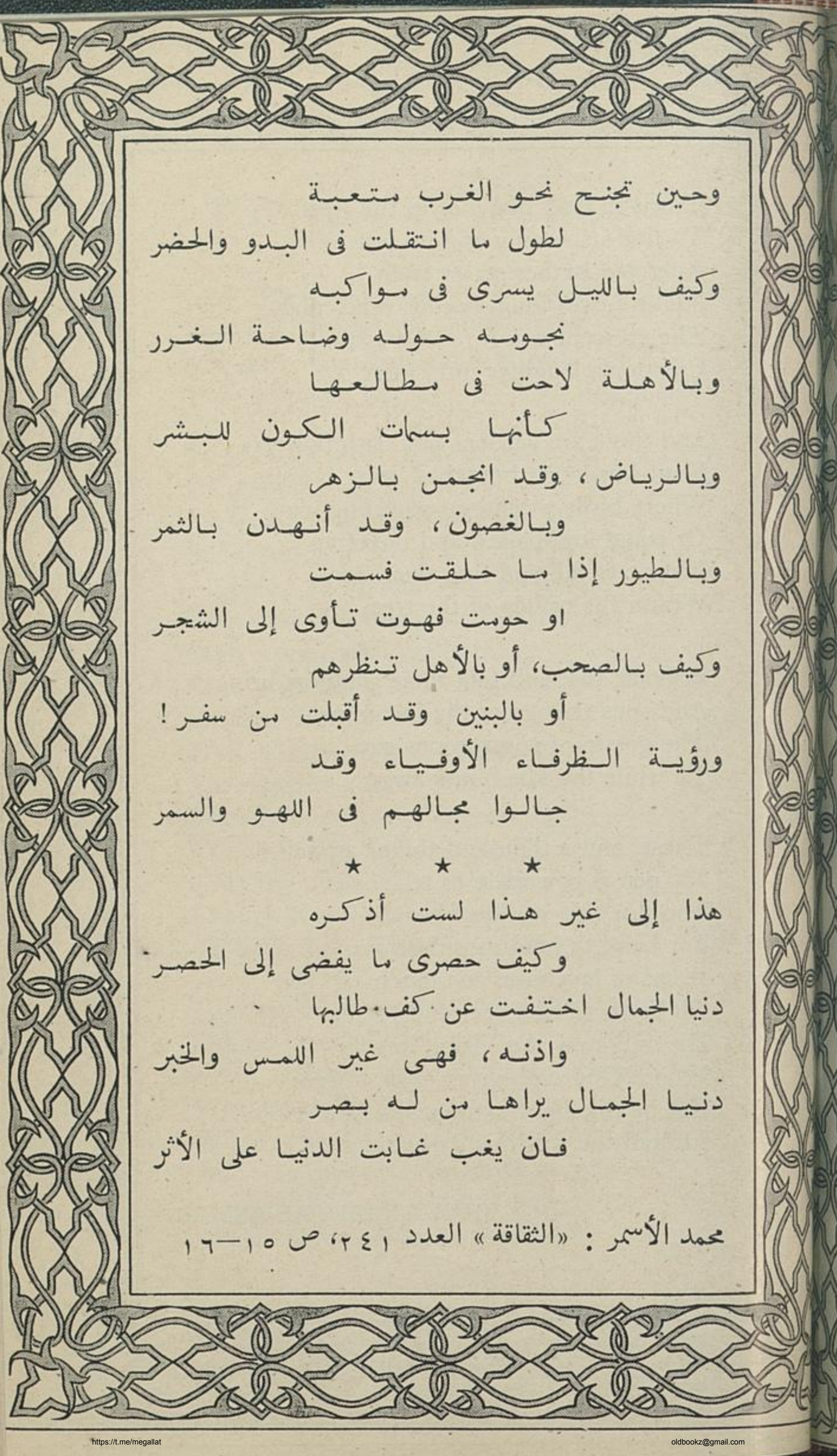


للتبادل الأدبي

مختارات من الشعر المعاصر العربي والانكليزي

دنيا المرئيات

يا رب ابق الذى أبقيت من بصرى
حتى أرى حسن ما أبدعت فى الصور
من كل (شكل) (ولون) فى جمالهما
ما فيه من بهجة للنفس والنظر
ما أجمل العالم العلوى من (سحب)
ومن (نجوم) ومن (شمس) ومن (قمر)
وأجمل الأرض من (سهل) ومن (جبل)
ومن (رواب) ومن (بحر) ومن (نهر)
فى كل شىء جمال حين تنظره
حتى الدياجى بها ما شئت من حور
حتى القرود ! ! فما تخفى ملاحتها
حتى الكواسر من ليث ومن نمر
يكفيك من رؤية الأشياء رؤيتها
ولو نظرت إلى أفعى على حجر
فكيف بالكون يصحو بعد رقدته
وقد تبسمت الأضواء بالسحر
وكيف بالشمس دبت نحو مشرقها
وحين تطلع منه طلعة الحذر



وحين تجنح نحو الغرب متعبة
لطول ما انتقلت فى البدو والحضر
وكيف بالليل يسرى فى مواكبه
نجومه حوله وضاحة الغرر
وبالأهلة لاحت فى مطالعها
كأنها بسمات الكون للبشر
وبالرياض، وقد انجمن بالزهر
وبالغصون، وقد أنهدن بالثمر
وبالطيور إذا ما حلقت فسمت
او حومت فهوت تأوى إلى الشجر
وكيف بالصحب، أو بالأهل تنظرهم
أو بالبنين وقد أقبلت من سفر!
ورؤية الظرفاء الأوفياء وقد
جالوا مجالهم فى اللهو والسمر

★ ★ ★

هذا إلى غير هذا لست أذكره
وكيف حصرى ما يفضى إلى الحصر
دنيا الجمال اختفت عن كف طالبها
واذنه، فهى غير اللمس والخبر
دنيا الجمال يراها من له بصر
فان يغب غابت الدنيا على الأثر

محمد الأسمر: «الثقافة» العدد ٢٤١، ص ١٥–١٦

Turns in long marches to the west
To find its setting and its rest.
Attended by her starry train
Night moves upon the heavenly plain;
The crescent moon reveals again
Creation's laughter unto men.

And there are gardens gay with flowers,
Fruit-burdened branches, leafy bowers
Where birds ascend on wheeling wing
Or stand low-poised and hovering
Instant to fall and find their ease
Within the refuge of the trees.

Friends, too, and folk their gladness bring,
And sons that greet thy incoming;
The gossip of companions gay
To while the idle hours away . . .

These, and a thousand things as well
My pen is powerless to tell;
Too fine this world of beauty is
For hand to hold its subtleties,
It has of loveliness too much
To be revealed to ear and touch.
His only may the Vision be
Whom God hath given eyes to see:
But be this light extinguished,
And all the world is dark and dead.

MUHAMMAD AL-ASMAR.

A.J.A.

THE WORLD OF SIGHT



Lord, Who hast given me to see,
Preserve, I pray, this sight in me;
Nor suffer from mine eyes to fade
The beauteous shapes that Thou hast made.

Each lovely thing of form and hue
Delighting heart and vision too;
Such clouds as ride the upper air,
Stars, sun, and moon that journey there;
All plains and mountains, every hill
That doth this earth with beauty fill;
Seas, rivers, whatsoever things
Beauty indwells, and vision brings
Displayed to the beholding eye;
E'en darknesses that deeply lie,
E'en apes and lions, that possess
Their proper sort of shapeliness;
The viper, nestled on a stone,
That has a beauty of its own;
Enough it is for thy delight
To have these things within thy sight.

How much the greater, when thine eyes
Behold creation's self arise
From slumber, and each radiant beam
With magic laughter newly gleam!
When from its couch the slow sun creeps
And o'er the sky's rim shyly peeps;
Or, wearied by its journey lone
Above the desert and the sown,

تعلم اللغة الانجليزية

انها لحقيقة لا شك فيها ان اللغة الانجليزية هى اكثر اللغات انتش
فى العالم. وليست اسباب انتشارها هى مجال البحث هنا بل دعنا نق
الحقيقة على علاتها وننتقل الى البحث فى النتائج التى تترب عليها.

بالنظر الى ان رغبة الناس فى تعلم اللغة الانجليزية هى فى كل البلا
فى زيادة مطردة فقد اصبح من الواضح ان اول الامور اهمية هو تب
احسن الاساليب التى يمكن بها تعلم هذه اللغة بسرعة واتقان. وقد ك
هذا الموضوع محل اهتمام كبير من الاخصائيين فى اللغة فى السني
الاخيرة. ويمكن اليوم بعد ان تعرضت كل الاساليب لمحك التطبي
العملى ان نقول ان هناك من الشواهد ما يكفى للحكم على صلاحي
مختلف النظريات.

يجمع الاخصائيون على ان اول مستلزمات تعلم اللغة الانجليزي
بسرعة هو التحكم من مجموعة كلمات. وهذا يعنى وجوب ارشاد المبتد
الى تركيز جهده فى اول الامر فى استيعاب مجموعة كلمات مختارة ت
للتعبير عن الحاجيات العادية وتمهد الطريق لمعرفة ادق باللغة فيما بعد
ومن المحقق ان اشق مراحل تعلم اللغات هى ولا شك مرحلة ح
الكلمات، فليس هناك شئ ادعى الى الملل من الاضطرار المستمر للرجو
الى القاموس كما انه ليس هناك لارهاق المبتدىء ولا ادعى لسأمه م
اصطدامه بكلمات غريبة غير مفهومة.

حقا ان لمعظم اللغات قواعد لغوية صعبة على الفهم معقدة يجب ع
الطالب دراستها قبل ان يحقق اى تقدم يذكر سواء اكان فى القراءة ام
الكتابة. لكن لحسن الحظ كانت قواعد اللغة الانجليزية سهلة، بل هناك م
يبالغ قائلا بانه ليس فيها قواعد على الاطلاق. اما مسألة الاصطلاحات ذا
المعنى الخاص فهى بطبيعة الحال مشكلة منفصلة. فكل لغة، وعلى الاخ

Specimen page of the PICTURE DICTIONARY

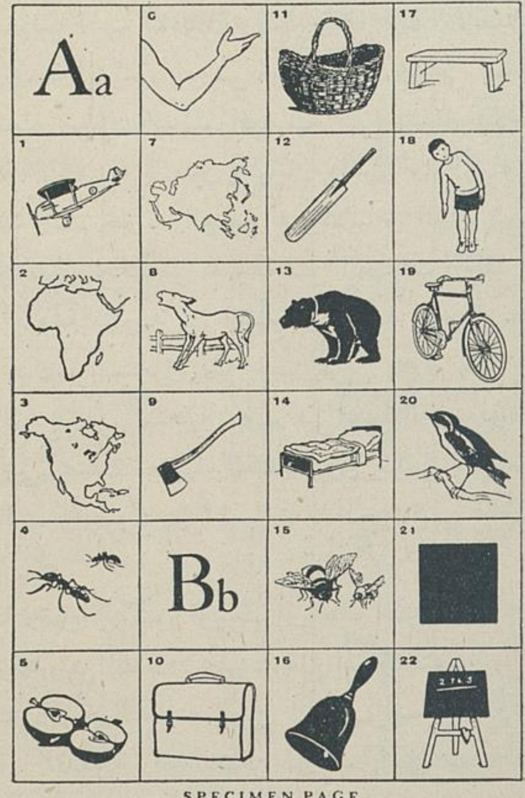
(i) The **Picture Dictionary** illustrates 200 words, alphabetically arranged. The ten pages of carefully selected pictures make **Direct Method** work attractive and helpful.

(ii) The 200 words are made up of 100 pairs: e.g. arm-leg, hand-foot, dog-cat, black-white, run-walk, stand-sit, &c.

(iii) There are fifty pairs of rhyming words: e.g. cat-sat, hen-pen, king-wing, box-fox, gun-sun, book-cook, gate-plate, &c.

(iv) There are four key-words for each vowel sound and three key-words for each consonant sound (initial, medial, and final whenever possible).

(v) These 200 words have been chosen from lists of words of especial interest and usefulness for older schoolchildren. They are used in many ways, both for teaching and testing.



SPECIMEN PAGE

[6]

صفحة نموذجية من القاموس المصوّر.

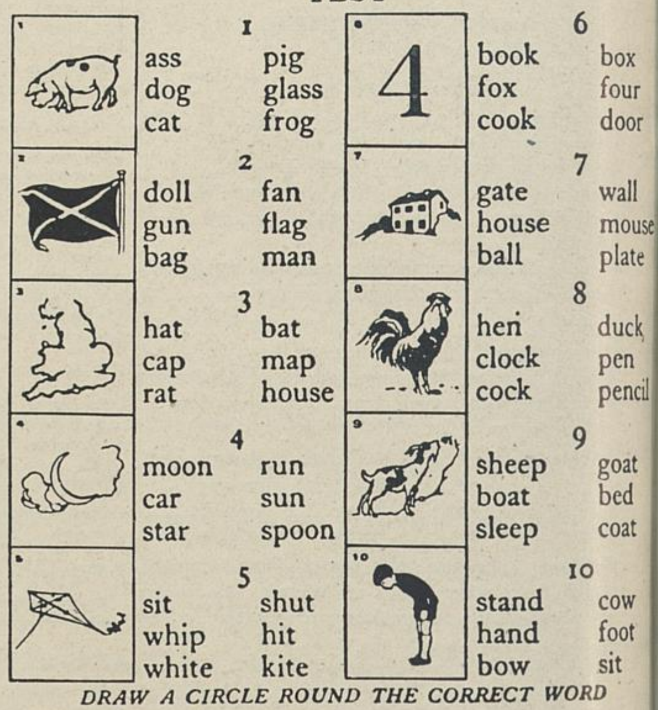
لغة قديمة العهد غنية بآدابها واساطيرها تحوى ثروة من هذه
اصطلاحات، واللغة الانجليزية مليئة بها . لكن المعرفة والفهم الدقيق
لك الاصطلاحات التى هى امر ضرورى للوصول الى اتقان اللغة لا
تأتى الا مع الصبر وبعد المران الدقيق .

ولنعد الى مشكلة حفظ الكلمات . رأينا ان الاخصائيين قد قامو
السنين الاخيرة بابحاث مستفيضة فى الكلمات الانجليزية المتداول
الاستعمال العادى بقصد جمع قائمة تشمل ادنى عدد من الكلمات
يلزم المرء معرفتها لفهم ما يقال والتعبير عما يريد . ولعلنا نشير بو
خاص الى ابحاث الدكتور لورنس فوسيت من خريجى جامعة اكس
فى هذا الموضوع . صرف الدكتور فوسيت اثنتى عشرة سنة من حيات
تدريس اللغة الانجليزية بالصين واليابان والهند والملايو وجزائر الف
وافريقيا، وقد كانت خبرته العملية هى الاساس الذى بنى عليه اب
النظرية فى طريقة التحكم من مجموعة من الكلمات . ولقد اثبت الدَ
بعد تحليله لمجموعة متنوعة من القطع الانجليزية النثرية غير الفني
مجرد ١٢٠٠ كلمة تستغرق ما يزيد عن ٨٠٪ من الكلمات
وردت فى النماذج التى امتحنها . وقد عنى هذا انه بتعلم هذه الك
الـ١٢٠٠ (على مختلف معانيها العادية وفى صلتها بالكلمات الاخ
يمكن للطالب الحصول على اساس صالح لتفهم اللغة الانجلي
والتكلم بها .

وعندما وصل الدكتور فوسيت الى هذه النتيجة بدأ العمل فى
نظام جديد لتدريس اللغة الانجليزية على اساس التمكن من حفظ مج
من الكلمات كان غرضه منه تموين الطالب بسلسلة من كتب الم
متصاعدة فى الصعوبة كيما يتمكن على مراحل بسيطة متدرجة
الوصول الى الفهم والتكلم بلغة انجليزية حسنة سليمة . وفى هذه الم
من بحثه قدم الدكتور فوسيت نظرياته وخطته لمطبعة جامعة اكسفو
وكانت هذه خطوة طبيعية بالنظر للكثير الذى قامت به مطبعة ج
اكسفورد من البحوث العلمية فى اللغة الانجليزية ومن نشرها
العالم، منها «قاموس اكسفورد للغة الانجليزية» . ومن المؤكد ان
العمل الضخم الذى يحوى عشرات المجلدات وعشرات الالوف
الصحائف يجعل من هذا القاموس خير قواميس العالم . وما ذال

ثل منفرد على الخدمات العديدة التى قدمتها مطبعة جامعة اكسفورد
دراسة اللغة الانجليزية .

Book I



WORD RECOGNITION TEST

No.	Words		No.	Words	
1	ass	pig	6	book	box
	dog	glass		fox	four
	cat	frog		cook	door
2	doll	fan	7	gate	wall
	gun	flag		house	mouse
	bag	man		ball	plate
3	hat	bat	8	hen	duck
	cap	map		clock	pen
	rat	house		cock	pencil
4	moon	run	9	sheep	goat
	car	sun		boat	bed
	star	spoon		sleep	coat
5	sit	shut	10	stand	cow
	whip	hit		hand	foot
	white	kite		bow	sit

DRAW A CIRCLE ROUND THE CORRECT WORD

WRITE YOUR NAME HERE ______

WRITE YOUR CLASS NUMBER HERE ______

WRITE THE DATE HERE ______

WRITE THE NAME OF YOUR SCHOOL HERE ______

For the Teacher: SCORE

CORRECT 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 TOTAL . . . .

96

نفحة نموذجية أخذت من نص كتاب تعرف الكلمات .

Specimen Lesson in LANGUAGE BOOK ONE

(A Reading Book Lesson and the corresponding Language Book Lesson form one unit)

e Lessons in **Language Books I and II** are not all of one form because at stage pronunciation must be stressed, at another stage penmanship, and similarly ther stages spelling, conversation, formal grammar, composition, translation, &c. e following Lesson is taken from **Language Book I (Part II).**

FORTIETH LANGUAGE DRILL
CAN AND CANNOT

cher. Can you write your name in English?
il. Yes, I can.
cher. Can you read an English newspaper?
il. No, I cannot. (No, I can't.)

Question Formula 40

40. Where is ——? It is ——.
. Where is my fountain-pen? It is on your table.
. Where is your note-book? It is in my desk.
. Where is the box of chalk? It is under your table.
. Where is there a —— in this book? There is a —— on page ——.
. Where can I find a picture of two people doing house work? You can find this picture on page ——.

nmands
. Point to your face (head, throat, tongue).
. Go out of the room. Then come into the room quickly.
. Go out of the room. Then come into the room slowly.
: Find the picture of Dr. Hill's daughter (son, wife).

Test: Write the numbers of the pictures of these words:

hip. . . .	A cook. . . .	Blue. . . .	Jumping. . . .
ain. . . .	A stove. . . .	Brown. . . .	Bowing. . . .
airplane. . .	A cage. . . .	Purple. . . .	Bending. . . .

tation: make cake face trace tracing jump jumping ead dish help stove wash can cannot into who hose whom theirs where there cages few news

ding Card: Draw a purple line.

64

SPECIMEN PAGE

NOTES

1. **Dialogues.**

The memorizing of short conversations, dialogues, and playlets ensures an understanding of idiomatic language, used naturally in customary contexts.

2. **Question Formulas.**

One new formula is provided for each lesson. By means of these formulas the teacher can make additional exercises for Direct Method teaching. The formulas introduce gradually the grammar particles of English. The pupils learn how to ask questions.

3. **Commands.**

For testing the pupil's comprehension of spoken or written English.

4. **Tests.**

Used with the *Picture Dictionary*.

5. **Dictation.**

Known words are systematically grouped.

6. **Reading Cards.**

For training in rapid reading.

[7]

صفحة نموذجية أخذت من كتاب اللغة الرقم الأول .

وبعد اختبار دقيق لطريقة الدكتور فوسيت حازت الطريقة الم
واخذت مطبعة جامعة اكسفورد على عاتقها طبع ونشر سلسلة من ال
اساسها نظرية فوسيت فى تدريس اللغة الانجليزية . وقد روعى فى

الكتب ان تكون منهجا لدراسة اللغة الانجليزية فى مدة خمس سنين دراسية، يلقن الطالب فى المرحلة الاولى منها ٥٠٠ كلمة بطريقة تدريجية سهلة، وفى المرحلة الثانية يزاد عدد الكلمات الى ١٠٠٠ كلمة، وفى المرحلة الثالثة يستوعب الطالب ١٥٠٠ كلمة . واعيدت كتابة عدد من الكتب الادبية الانجليزية الشهيرة على اساس الكلمات التى حصلها الطالب كما طبعت عدة كتب مطالعة متدرجة فى مواضيع متنوعة القصد منها زيادة تحصيل الطالب من الكلمات وابلاغه ٥٠٠٠ كلمة وهى مرحلة يمكنه عندها قراءة اى كتاب نثر حديث دون الالتجاء الى القاموس الا بالندرة .

ومن اظهر الميزات الهامة فى طريقة فوسيت انها تلقن الطالب اللغة الانجليزية سليمها مع اصطلاحاتها الخاصة منذ البداءة على حد سواء . وهى من هذه الوجهة تختلف اختلافا اساسيا مع بعض الطرق الاخرى وعلى الاخص طريقة «الانجليزى حسب قواعده» التى هى فى الواقع تلقن الطالب لغة تختلف بعض الشىء عن اللغة الانجليزية السليمة . فالطالب الذى يتبع طريقة فوسيت يمكنه فى نهاية دراسته ان يتكلم ويقرأ ويكتب اللغة الانجليزية بطلاقة وسلامة . ويثبت نجاح هذه الطريقة ونجاح المنهج الذى اعدته مطبعة جامعة اكسفورد لتدريسها بوضوح من ان نسخا من منهج اكسفورد قد اختيرت رسميا او اشير باختيارها لتدريس اللغة الانجليزية فى كل من تركيا والعراق ومالطة ومقاطعة الرأس والناتال ورود يسيا الجنوبية وكينيا واوغنده وبعض المستعمرات الانجليزية فى افريقيا وعدة مقاطعات فى الهند . والكتب معدة بشكل يمكن معه تكييفها وفق الحاجات المحلية فى مختلف البلاد . وبازدياد تطبيق تلك الطريقة العملى سيستمر التحسن والتقدم فى منهجها .

لقد خطا علم تدريس اللغات خطوات واسعة فى السنين الاخيرة لكن ليس هناك شك فى ان مجال العمل لا يزال متسعا قبل الوصول الى شئ يقرب من الكمال فى هذا الباب . و«الادب والفن» يسرها ان تتلقى من قرائها انباء اى تجارب فى تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بالضاد

تكون قد اجريت وفق النظريات الحديثة فى تدريس اللغات . كما ي
ان نقدم صفحاتها للمناقشة فى هذا الموضوع الهام الشائق .

صفحة نموذجية أخذت من كتاب المطالعة الرقم الأول .

Specimen Lesson in READING BOOK ONE

(Reading Book Lessons and Language Book Lessons are complementary)

he Lessons in **Reading Books I and II** are generally divided into four parts: (i) sentences to be ad aloud; (ii) commands for listening drill and training in silent reading; (iii) questions for direct ethod and composition work; (iv) written work gradually introducing common constructions.

Lesson Twenty-three

A SCHOOLBOY



I am a schoolboy.
My name is ——.
I have a book.
This is my book.
It belongs to me.
It is mine.

Questions

. Is this fountain pen yours? Yes, it is mine.
. Are these books yours? Yes, they are mine.
. Is that your desk? No, it is not mine.
. Are those your books? No, they are not mine.

Commands

. Point to your desk.
. Point to my table.
. Draw a brown square.
. Draw a purple circle.
. Bring me something purple.
6. Show me some paper.
7. Write your name slowly.
8. Write mine carefully.
9. Show me my pen.
10. Show me yours.

Writing

Yes, it is mine.

No, they are not mine.

26

SPECIMEN PAGE

PROCEDURE

The Ten Steps

1. Teach the commands orally, first with open books, then with closed books. Let the pupils perform the actions.
2. Give the number of a command; make the pupil read it silently and perform the command.
3. Teach the questions orally, first with open books, then with closed books. Train the pupils carefully to give the correct answers.
4. Give the number of a question; make the pupil read it silently, and answer orally.
5. Make the pupils read silently the sentences at the head of the lesson. Explain the meaning of all new words, in English if possible.
6. Read these sentences aloud several times, making clear the pronunciation of difficult sounds, the grouping of words, and the stressing of important syllables.
7. Each pupil reads aloud the sentences at the head of the lesson. When the lesson is quite well learned, chorus reading may be used.
8. Give the pupils a lesson in penmanship, using the *Writing* section as a model.
9. Ask questions to which the words in the *Writing* section are correct answers.
10. Give the number of a question; get the pupil to read it silently, and write his answer on the blackboard; or make all pupils write the answer on sheets of paper, to be given to the teacher for correction.

The teacher may emphasize listening and speaking or silent reading and writing as he chooses. The en steps provide a balanced and comprehensive Lesson plan for teaching systematically the most useful English words and constructions.

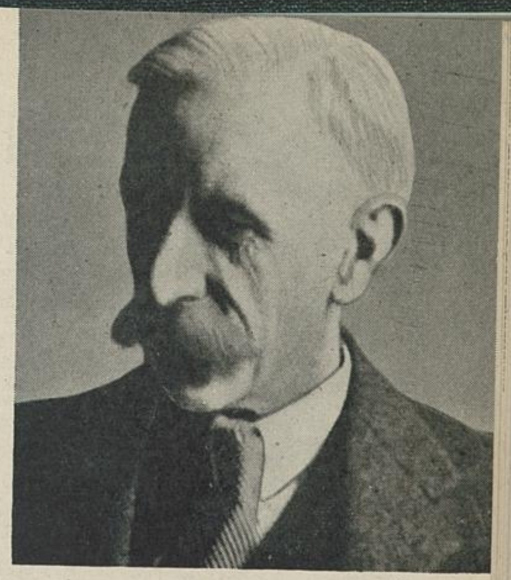
[5]

السير ف . جولاند هوبكنز

بقلم الدكتور ن . و . بيرى
بمحطة روذامستد الاختبارية

فى خلال الفترة بين سنتى ١٩١٤ و ١٩١٨ اشتغل السير فردريك جولاند هوبكنز لمدة وجيزة بالأبحاث المتعلقة بالغذاء فى وقت الحرب وكان له فى هذا البحث هدف مباشر وذو فائدة عملية أما فيما سوى هذا فانه فى خلال حياته الطويلة النشيطة كان يختار موضوعات البحث لما لها من أهمية فى حد ذاتها وليس لما لها من تطبيقات جلية الفائدة . وإن الشخص الذى يعرف مقدار اهتمام هوبكنز وشغفه وما له من نظر عميق فى الشئون البيولوجية لن يدهش إذا رأى كيف أن البحث ذا القيمة العملية فى الحرب الحاضرة يقوم إلى حد عظيم على أبحاثه العلمية السابقة . ولما كانت النتائج المفيدة قد تنجم فى خلال سنوات قليلة من عمل رجال العلم الذين هم فى عظمة هوبكنز وقدره فقد اتخذ البعض فى بريطانيا تلك الحقيقة حجة يفندون بها ضرورة تنظيم البحث فهم يعتقدون أن أعمال جمهرة العلماء الذين هم أقل قدرا سرعان ما تستغل أيضا وأنه لو نظمت أبحاثهم فى نظام عام فان ذلك يؤدى إلى إلغائها والقضاء عليها . ولكن احتجاجهم هذا غير منطقى ولعل من الأصح أن نقول إنه لو أن هوبكنز وأمثاله كانوا مسئولين عن تنظيم الأبحاث فى هذه البلاد لكان من الراجح أن ينتج قدر أكثر من العمل المفيد كذلك الذى أنتجه هو .

ومع أن هوبكنز حائز على شهادة طبية فان دراسته الأولى كانت فى الكيمياء التحليلية ولا تزال فائدة هذه الدراسة بادية فى حركاته السريعة المضبوطة فى المعمل وفى مهارته فى الحصول على نتائج مرضية بدون استخدام كمية ضخمة من المواد الأولية . فكل عمله يؤدى بدقة تحليلية كبيرة وبدون أن يصرف فى غير طائل . وكثيرا ما ينسى الناسى فى هذه الأيام أن الفضل راجع إليه فى ايجاد الطريقة المرضية الأولى لتقدير الحامض



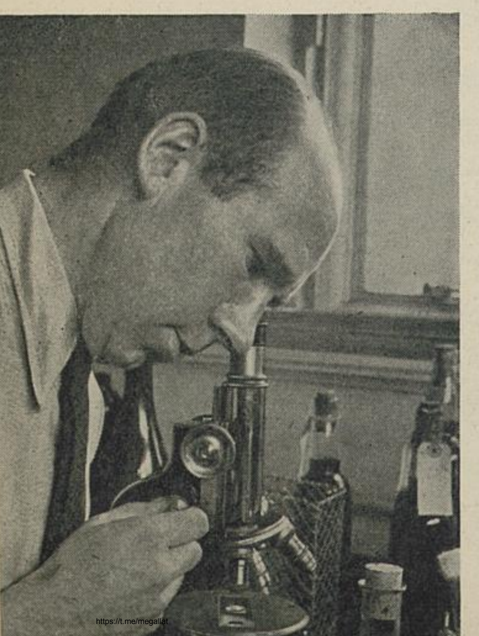
الأستاذ ف. ج. هوبكنز.

البولى. أضف إلى ذلك أنه كان له
كبرى فى تصحيح أفكارنا العامة
علم الكيمياء الحيوية ففى آخر الق
الماضى أخذ هذا العلم يحدد فى وض
بأنه دراسة العمليات والطرق ول
فقط دراسة النتائج الأخيرة له
العمليات. وقد قام هوبكنز بتشج
هذا الاتجاه الديناميكى وعبر بمه
عن وجهة نظره فى خطبة عنو
(الجانب الديناميكى من علم الكي
الحيوية) ألقاها حين ترأس الجم
البريطانية لنشر العلم وتقدمه فى سنة ١٩١٣. فاليه يرجع أغلب الفض
فى أن قليلا من العلماء فى بريطانيا فى الوقت الحاضر يؤمنون بما آمن
الكثيرون إذذاك أعنى أن علم الكيمياء الحيوية مقصور على الدراسة الكيم
لتلك المواد التى تنتج فى الحيوان أو النبات. فهذا المزج بين المهارة الع
الدقيقة وبعد النظر الفلسفى والفهم الثاقب هو شىء فذ وهو يشرح لنا
لهوبكنز من تأثير على زملائه وعلى تطور العلم. وهو فى رسا
ومحاضراته العلمية يطلعنا على مبلغ إدراكه لما للكيمياء الحيوية من
أساسية فى علوم تركيب الأجسام الحية والتناسل والتطور وقد ول
قريحته كثيرا من الآراء والأفكار يستطيع الآخرون أن يتتبعوها.

وفى وقتنا هذا قد أصبحت الفيتامينات معروفة بين جميع الناس
تحضيرها وتقديرها أمرا ذا أهمية عملية عظيمة إلى حد أنه صار الآن
الصعب أن نفهم لماذا عورضت الفكرة القائلة بان هناك مواد غذ
لا يحتاج منها إلا إلى مقادير بالغة الضآلة. وليست هذه الفكرة جد
أو مستحدثة، فان المستكشف الجغرافى كوك حلى بمدالية كوبلى للجم
الملكية فى لندن سنة ١٧٧٦ لما قام به من الوقاية ضد داء الأسقربوط بو

مستخرجات البقول كما أن ملاحين آخرين كثيرين قد اقتنعوا فى هذا الوقت أو قبله بما لليمون وما شابهه من الفاكهة من فعل ناجع . وما جاء عام ١٨٠٠ حتى صار عصير الليمون يعطى بانتظام إلى رجال البحرية البريطانية ثم استبدل به عصير الليمون الحامض ولكن ما أشرف القرن الماضى على الانتهاء حتى نسى السبب الذى من أجله أعطى هذا العصير . ولم يكن الجميع وقتذاك مقتنعين بأن مرض الأسقربوط يتسبب عن عدم وجود عناصر خاصة فى الغذاء وإن كان هذا محتويا على مركباته الرئيسية كاملة من بروتين ودهن وكربوهيدرات وأملاح وكلورات . وحوالى عام ١٩٠٠ قد انتشر بين رجال الكيمياء الحيوية اهتمام شديد متزايد بمسألة ما إذا كان ممكنا أن يعيش حيوان نام على غذاء منقى تنقية تامة . ونحن إذا قرأنا أبحاثهم تلك على ضوء علمنا الحالى اتضح لنا أن كثيرين من الباحثين فى ذلك الوقت كانوا قاب قوسين من اكتشاف الفيتامينات وأحقهم بالذكر الكيميائى الروسى لونين. ومن الواضح أيضا أن الفضل يرجع إلى هوبكنز وأبحاثه اكثر مما يرجع الى أبحاث أى شخص آخر فى التسليم الحالى بضرورة الفيتامينات ولهذا سببان جوهريان أولهما أنه كان يدرس نمو الحيوانات الصغيرة وقدم أسطع البراهين على أن الحيوان وإن ظل يعيش مدة من الزمن على غذاء غير كاف فانه لا يقدر أن ينمو فان المرتابين لأسباب ليست الآن واضحة جداً وجدوا البراهين المستمدة من النمو الطبيعى اكثر إقناعا من البراهين المستمدة من الوقاية من الأمراض . والسبب

س . فرنون يفحص فاكهة ليستخرج منها الفيتامينات .



الثانى أن هوبكنز كان قبل ذلك قد قام بعدد كبير من الأبحاث الك
الحيوية الممتازة والفكرة المستحدثة يسهل الايمان بها إذا قدمها
عرف قبل ذلك جدارة عمله وصدق حكمه .

وسرعان ما أثمرت الأبحاث عن الفيتامينات وأنتجت النتائج الم
وكان هوبكنز عضواً فى كثير من اللجان المختصة بالتغذية فى بر
خلال الحرب الماضية وعمل هذه اللجان حقيق أن يستدر منا الا
والرضى . ففى خلال المراحل الأخيرة من تلك الحرب كانت الأ
المتسببة عن نقص التغذية أقل انتشارا فى هذه البلاد منها فى أل
النمسا وهذا يرجع إلى حد كبير إلى تنظيمنا الأكثر مهارة . وب
توقف القتال فى غربى أوربا ساعدت المعرفة التى اكتسبت عن الفيت
مساعدة كبيرة فى تخفيف المجاعة فى وسط أوربا فانه فى ظروف المجا
الهام أن يحسن استعمال الكمية المحدودة التى يمكن نقلها . فالأ
التى ليست إلا مصدراً للمجهود الجسمانى ينبغى ألا تستورد إذا
الأغذيـة التى تحتوى على الفيتامينات أيضا . هذا وليس بنا حا
أن نطيل الـكلام على أهمية الفيتامينات فى الحرب الحالية فكل أم
اهتماما عظيما فى إنتاج الأغذية الغنية بفيتاميناتها وفى تركيب الفيت
وفى المحافظة عليها فى اثناء خزن الغذاء أو طبخه .

ومن المعروف أن الحيوان يحصل على المجهود الضرورى لعمله ب
أكسدة أغلب غذائه بالأكسجين الموجود فى الهواء . وقد ظ
وقت متأخر وليس لدينا إلا أبسط الأفكار عن الكيفية التى تتم ب
الأكسدة . وكان هناك تخمين كثير كما وضعت فروض كثيرة خلابة
ما كان لدينا إلا عدد ضئيل من الحقائق . وفى سنة ١٩٢١ قام
بوصف الجلوتاثيون لأول مرة فأدى ذلك فى الحال إلى جلاء أفكا
الكيفيـة الآلية التى تعمل بهـا الخليـة . وتلك مادة بسيطة للغا
أنتجت حديثاً بطرق صناعية، ولكنها تختلف عن المواد الأخرى ا
القابلة للتبلور والتى فصلت فى ذلك الوقت عن الأنسجة فى أنها ت

الأكسجين الهوائى بسرعة وتحت ظروف مماثلة للظروف فى الخلية وهذا الاكتشاف لتلك المادة البسيطة الميسور إدراكها لبساطتها والتى توجد فى كل أنواع الخلايا الحية تقريبا — هذا الاكتشاف شجع على تقدم أبحاث الكيمياء الحيوية تشجيعا عظيما. لأنه أصبح الآن لدى الباحث شىء معين يبحثه بدلا من التخيلات المبهمة التى كان يمارسها من قبل. وسرعان ما اكتشف هوبكنز أن أكسدة الجلوتاثيون تتوقف على وجود آثار لمعادن مثل النحاس والحديد وأن الجلوتاثيون المؤكسد يستطاع بواسطته أكسدة المواد التى لا يمكن أكسدتها بالأكسيجين وحده. وقد وسعت هذه الملاحظات وعلى هذا الأساس بنيت طرق معقدة من التفاعل تبين إلى حد عظيم فعل الخلية تجاه المواد السامة أو التغيرات فى حمضية الوسط أو قلويته. وإن لدينا الآن قدرا عظيما من العلم بما يستطيع الجلوتاثيون أن يفعل ونحن نعرف أنه موجود فى كل خلية نشيطة العمل ولكننا لا نزال وليس لدينا إلا معلومات ضئيلة جدا عما يقوم به فى الخلية من عمل. وقد يبدو هذا لأول نظرة نتيجة قليلة الفائدة، ولكن الأبحاث التى عملت عن الجلوتاثيون قد أمدتنا بأساس متينة يمكن أن يبنى عليها دراسة دقيقة للعمليات الآلية للخلية. وقد نجح الباحثون بعد ذلك فى استخدام هذه الأساس فى أبحاث أدت إلى فهم جزئى للعمليات الآلية التى تؤثر بها بعض الفيتامينات على الصحة العامة للجسم والتى تساعد بها بعض العقاقير على شفاء الجسم من العدوى البكتيرية. وهذا الفهم خطوة أساسية لا بد منها لتقدم علم الصيدلة تقدما صحيحا كما أنه يساعدنا على تجنب التجارب المسرفة العقيمة التى لا مندوحة عنها حين يكون بحثنا اختباريا محضا.

وإن ما لهوبكنز من منزلة ممتازة فى علم الكيمياء الحيوية فى العالم لا يتوقف على اكتشاف واحد معين كما أنه لا يتوقف على إنتاج واسع المدى من الرسائل العلمية فما أكثر العلماء الذين نشروا حين بلوغهم سن الخامسة والثلاثين أكثر مما نشر هوبكنز حين بلغ الحادية والثمانين. بل ان منزلته

الفذة تتوقف على جودة أبحاثه جودة لا تذبذب فيها وعلى عبقريت
اقتحام ميدان تندر فيه الحقائق وتكثر الثرثرة والفروض المزوقة ثم ع
من هـذا الميـدان بتفسير جلى لمادة بسيطة يمكن تشخيصها تش
كيميائيا . ولا يسمح الفراغ هنا باعطاء قائمة كاملة لكل الموضوعات
درسها ولكن ينبغى لنا بالاضافة إلى ما سبق ذكره من موضوعات
نشير إلى دراسته لتنقية البروتينات وتشخيصها ولفصل الوحدات
تبنى منها البروتينات وللعمليات الكيميائية التى يجرى عليها الانق
العضلى . وكل من هذه الدراسات قد ساعد على وضع الأسس لكثير
البحث الحديث وإن الفضل فى التحضير الصناعى للانسولين والأنتيتوك
المنقى وأمثالهما من المواد يرجع فى حد كبير إلى المبادئ
شيدها فى أبحاثه الأولى عن البروتينات . وأحدث رسالة له ن
تبحث فى العناصر الملونة فى أجنحة بعض أنواع الفراش، وهو فى
البحث يعود بنفسه إلى موضوع اهتم به قديما إذ أنه فى أول
علمية له وهو تلك التى نشرت فى سنة ١٨٨٩ قد بين أن هذه ال
الملونة شديدة الارتباط بالحامض البولى الذى هو النتاج الأخير لعملية ا
والتجدد الأزوتى فى الفراشة . وهذا الحكم ذو أهمية عظيمة وشأن
كمثال على الاستخدام الاقتصادى لمفضلات الانتاج فى لوازم ال
والوقاية، ولكن ربما يبدو أن اهميته علمية محضة وليست عملية، مع ا
تبين حديثا أن هذه العناصر أو عناصر شديدة الشبه بها موجودة أي
معظم خلايا الانسان والحيوانات اللبونة . ومن المرجح أن لها
هاما ليس فقط فى التكوين الطبيعى للمادة الملونة للدم فى الانسان والح
بل أيضا فى شفاء مرض فقر الدم .

وما حدث أبدا أن هوبكنز آمن بأية طريقة فلسفية وسلم بها
بذلك يحذو حذو قادة العلم البريطانيين فى تفضيلهم للتجربة والاخ
ولكنه قد كافح أشد مكافمة أى ميل إلى التفسير التصوفى أو اللا
فى علم الكيمياء الحيوية وما كان أمر انتقاده لأولئك الذين حاول

يفسروا الظواهر بعبارات مبهمة مثل (البروتوبلازما السريعة التهيج) أو (التحقيق الفعلى للقوة). إلا أن وجهة النظر التى يمثلها هوبكنز يمكن بسهولة تطبيقها على طريقة رجال المنطق المادى برغم أنه لم يستفد استفادة محسوسة من الذين بنوا هذا المذهب. وهذا فى الحق أمر طبيعى إذا تذكرنا أن هؤلاء بما لهم من عبقرية لا توجد عادة فى بناة المذاهب الفلسفية قد بنوا مذهبهم بطريقة تجعله يشمل التفكير العلمى والعمل العلمى لعظمام العلماء فى أى حقبة من الزمان.



لونين المهندس السوفيتى الكبير.

وإن هوبكنز يتمتع بتلك الفضيلة العلمية النادرة الوجود نعنى استطاعته أن يتجنب استثارة روح الخصومة فى صدور من يخالفهم، فهو لذلك قادر على أن يجادلهم بالتى هى أحسن حتى يقنعهم بوجهة نظره. وهذه القدرة كانت بالغة القيمة فى اللجنات الرسمية العلمية التى كثيرا ما انتمى إليها. وهو سيبلغ عامه الثالث والثمانين فى اليوم العشرين من يونيو ولكنه لا يزال مليئا بالنشاط والعنفوان ويقضى وقته عادة مشتغلا فى معمله فى كمبردج. وهو فى هذه الحرب لا يلجأ إلى مساعدته الشخصية إلا قليلا، ولكن قل بين رجال الكيمياء الحيوية فى هذه البلاد من ليس مدينا لتعاليمه ومثاله وقدوته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com


ICI



زهرية من طراز (العائلة الخضراء) عليها ثمانية من الأبطال الخالدين،
ترجع إلى عهد كانج هسى (١٦٦٢ – ١٧٢٢).

المتحف البريطاني.

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار

CADBURY

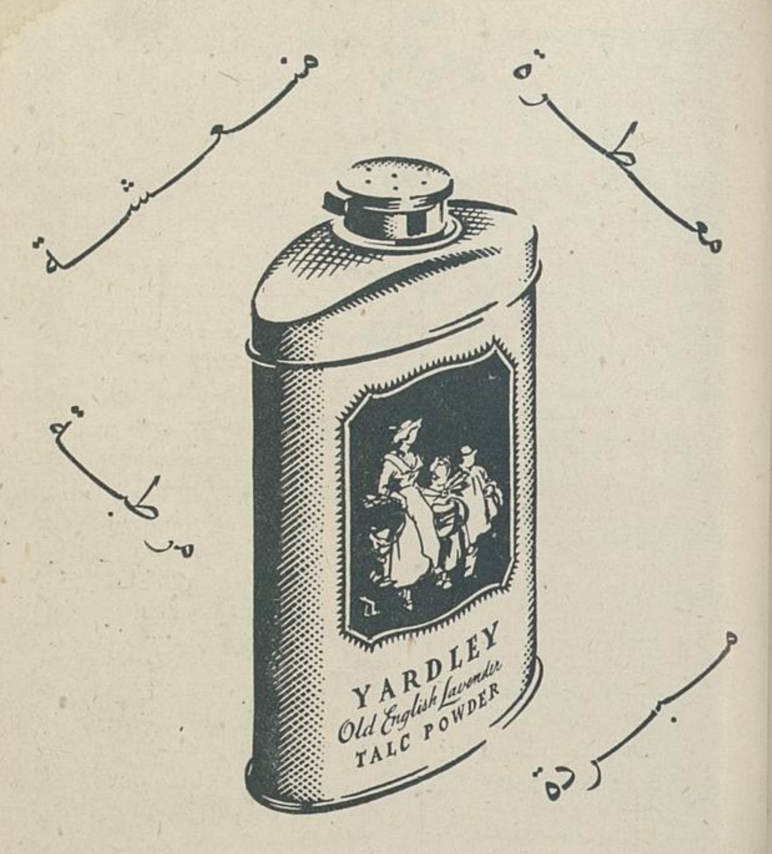


تصنع شيكولاتة **كادبورى** فى بورنفيل

المصنع المشيد فى البستان

الذى هو أكبر مصنع للكاكاو والشيكولاتة فى العالم

CADBURY, BOURNVILLE, ENGLAND



بودرة تالك ياردلى نـــاعمة مرطبة

تعطيك شعورا طيبا بالرفاهية

وتجعلك تحس بالراحة طوال النهار.

وشذى عطر اللافندر المحبوب

دائما مستطاب ومنعش مقبول اينما تذهب.

33 OLD BOND ST. LONDON *Yardley*



هذه الأسطوانات من الموسيقى الشعبية سجلها فنانون مشهورون وهى ستملؤك طربا واستمتاعا. اطلب من باعتك الذين تعاملهم أن يدعوك تستمع إليها.

الأغنية	المطرب	الرقم
تقسيم عجم عشيران	الاستاذ سامى الشو	19826
عنا ورد الجناين	ناجيه الشاميه	19814
ريم الشمال	على اللبان	19772
وسول الرضا	الاستاذ محمد على حسن	GTS 50
ماترد على محمود محاورة	زكية وعبدالغنى الشيخ	GTS 48
بنات حوا	السيدة زكية عبد الغنى	GTS 45
وطى صوتك محاورة	زكية وعبدالغنى الشيخ	GTS 41
ياريتنى خلقان برغوت	الاستاذ عمر الترك	GTS 39
اليوم صفا	الموسيقى السوارى	GA 94
سميحه	الموسيقى السوارى	GA 93
قضيت حياتى فى مناهده	سنيه حسنين	GA 75
سر بوجدى ولوعتى وهيامى	فضيله رشدى	GA 68
البخت والقسمه فين	صالح عبد الحى	GA 98
ان عاش فؤادك	صالح عبد الحى	GA 90
اسمع البلبل يغنى	الانسه اسمهان	GA 92
اين الليالى	الانسه اسمهان	GA 81
كل القلوب فى هنا	حسن سلامه	GA 3
بشرف حجاز همايون	شامى الشوا	D 13286
مارش الاهرام	موسيقى مدرسة البوليس	D 13314
ازاى فوادى	سكينه حسن	D 13499
نشيد حضرة صاحب السمو الملكى الامير فاروق	نظم وتلحين الاستاذ اسكندر شلفون	D 13506
مارش حضرة صاحب السمو الملكى الامير فاروق	نظم وتلحين الاستاذ اسكندر شلفون	D 13506
آلام الوالدين	الاستاذ سامى الشوا	19828
لونكا فرحفذا	سامى الشوا	19824
سماعى عجم عشيران	سامى ونورى والشيخ على	19832
سماعى عجم عشيران	سامى ونورى والشيخ على	19832

COLUMBIA

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها . وقرار هيئة التحرير فيما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى . وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

التعـليم فى انكلـتر

يرتكز نظام التعليم فى انكلترا على ما يعتقده الانكليز من ان اله
الاسمى للتعليم هو تهيئة الصغار لحياة طيبة . ومن ثم اعدوا فئة
المعلمين، يعهد اليها باعداد الصغار للمساهمة فى حياة الكبار. فضلا
ان المعلمين فى بلاد الانكليز اساتذة فى فن الحياة، يستطيع الاطفال
يتلقوا عنهم اصول هذا الفن . ولما كانت الامة الانكليزية ديموقراط
بفطرتها وطبيعتها، لذلك نجد ان معلميها كافة قد تشربوا بالمباد
الديموقراطية واعتنقوها، فاذا ما اقتدى بهم الاطفال — كالمعتاد
شبوا على هذه المبادئ السامية .

وللمدارس الانكليزية اهداف معينة، فهى تحرص على ان تك
هيئات اجتماعية صغيرة تسعى لتخريج او خلق هيئات اكثر انتظا
واسمى هدفا . وهذه الروح تسود كافة المدارس، العامة منها والخ
وسواء كانت من رياض الاطفال او من المدارس الثانوية . ومن ا
الظواهر فى رياض الاطفال عندهم، اعداد فصول فى الهواء الط
يعنى فيها بالغذاء ويمنح فيها الطفل حرية تامة فى حركاته وتصرفا
وحديثه . وتشرف على هذه الفصول مربيات قديرات . وهذا الن
من رياض الاطفال، يستخدم اثاثا ذا الوان زاهية، ولعبا كثيرة متب
منوعة . ولا يتلقى فيه الاطفال فيما بين سنى الخامسة والسابعة درو
بالمعنى الصحيح وانما يقتصر التعليم فيه على ما يزجى من نص
وارشادات وشرح اثناء ساعات الالعاب والرسم والاعمال اليدو
والتمثيل . ولذا فانها تعد بحق اساسا للنظام الصحيح الذى يعزى
سر النجاح .

وكذلك ترمى المدارس الانكليزية الى خلق هيئة اجتماعية روحية . كما



ر السنوى للاتحاد الوطنى للمعلمين فى قاعة سنترال، وستمنستر، لندن .
ضر هذا المؤتمر معلمون من جميع أنحاء بريطانيا .

نعد الشباب للاعتماد على النفس . فقد كانت هذه المدارس — ولا تزال — تساير رقى الامة، وتتمشى مع حاجاتها المطردة المتشعبة، فتعد الطلاب لخير حياة حرة، وتزودهم بالكمال الخلقى وتهيؤهم لخدمة البلاد فى اخلاص واستقامة وصدق، وتعودهم التضحية بالمصلحة الخاصة فى سبيل المصلحة العامة والعمل لتوفير الرفاهية للمجتمع والخير للانسانية .

وهذا كله نلمسه اليوم فى الشباب الانكليزى، الذى امتشق الحسام ليدافع عن الحرية والديموقرطية ولينصر الضعيف ويرد كيد المعتدى .

ن ينفق على التعليم؟

يعتمد التعليم الانكليزى على المساعدات والمنح الخاصة وعلى جهود الهيئات المدنية . فما قامت رياض الاطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات الا على تلك الهبات والمنح والا على جهود العلماء الروحانيين . اذ ساهم الانكليكان والكاثوليك والملوك والامراء والشركات والاغنياء

والتجار فى منح هذه المؤسسات المال الذى كان عونا على اقامة المدار
المختلفة فى ارجاء البلاد .

ولقد تولت الحكومة والهيئات المحلية منذ عهد قريب، مسؤولي
تنظيم التعليم الوطنى على الاسس الحديثة، فاصبحت وزارة المعارف ترأ
٣٢٠ هيئة محلية، اضطرتها الى اتباع النظام الذى وضع لتوحيد الطري
العامة للتعليم، دون تضحية بالحاجات المحلية . ولا تزال مدارس الاطفا
والمدارس الابتدائية تضم الى اليوم اطفالا تتراوح اعمارهم بين الخامس
والحادية عشرة . وتتبع منهاجا خاصا لاعداد الصغار فيما بعد هذه السن
واذ كان عدد التلاميذ فى ازدياد مطرد سريع — قبل الحرب — فق
عدلت سنى ترك الطالب للمدرسة، فاصبحت الآن محدودة بسن الخامسة عشر

ولقد كان اتساع التعليم الثانوى فى انكلترا عظيما خلال الثلاث
سنة الماضية، فبينما كانت المدارس الثانوية للبنين تضم ٨٦ الف طال
فى سنة ١٩٠٤، اصبح عدد طلابها اليوم نصف مليون تقريبا . وبي
كان عدد الطالبات فى المدارس الثانوية للبنات ٣٣‚١ الف طالبة فى سن
١٩٠٢، اصبح عددهن اليوم ربع مليون . وهذا الاتساع — الذى
يقتصر على التعليم الابتدائى والثانوى ، بل امتد الى المدارس التجار
والصناعية — ضاعف من الفائدة . وفضلا عن هذا الاتساع، فان الهيئا
المحلية وعشرات من الشركات الكبيرة، انشأت مدارس للاطفال الذي
تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة، تلقى فيها الدروس
طيلة اليوم .

ولعل اكبر دليل على مدى ما اصاب تعليم البنات من تقدم، هذ
الاثر البارز فى التطور الاجتماعى العام . فليس من قبيل الصدف أن نج
اليوم كثيرا من النساء قد اكتسبن شهرة واسعة، وبرزن فى الحياة العا
سواء فى النواحى الاجتماعية، او الادبية، او الفنية . وما كان ذلك ا
بفضل جماعة من النساء كرسن اوقاتهن للدرس وتحررن من قيود تقلي
مدارس البنين ومناهجها . وبذا امكن مدارس البنات الثانوية والعالي

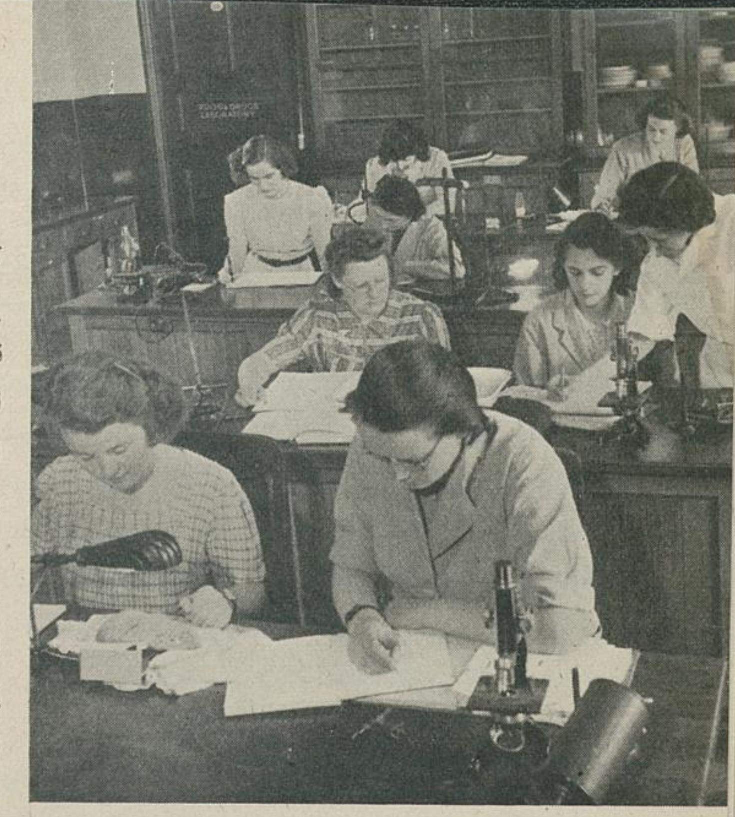
ن تصل الى مستوى عال جدا، وان تغدو مراكز تعليمية اكثر تنوعا
ثباتا منها فى اى بلد آخر .

علمون والمعلمات .

ويتجاوز عدد المعلمين والمعلمات فى انكلترا عشرات الالوف . وهم
نتظمون فى هيئات خاصة تتخذ شكل نقابات وجمعيات، ويتخرجون فى
ائة دار للمعلمين، وفى جامعات بعضها حكومية وبعضها كنائسية،
نتظم لهم دورات دراسية يتلقون فيها محاضرات فيما يجد من العلوم
الفنون، وفى مختلف الموضوعات، حتى تتاح لهم فرص التوسع فى الاطلاع،
تحسين طرق التدريس، وحتى تسد الحاجة الى المعلمين، اذا ما ازداد
دد الجامعات . ولقد توسعت جامعات برمنكهام ومنشستر ولفربول
شفيلد وبرستول وريدنك فى سنة ١٩٢٦، ومنحها اللورد هلدن مساعدة
خمة كى تزداد نموا . كذلك اتسعت الحركات التعليمية وطرق التعليم
مواد الدراسة فى المدارس المختلفة .

وليس فى انكلترا اميون، فكل فرد فيها يعرف القراءة والكتابة . ولم
ث من قبل ان اضطرت الامة الانكليزية الى ان تهتم باسرها بمشكلة
تعليم، رغم ان الديموقراطية الصحيحة تتطلب ذلك . فقد اخذت هذه
لامة تطالب اليوم بمد امد الحياة المدرسية للفرد، وباعداد البنايات
صحية للمدارس، وتأليف جمعيات من الآباء والمعلمين للتعاون فى العمل
ير التلاميذ، كما راحت تطالب بانشاء مراكز للالعاب وبتنظيم
اذاعات المدرسية والمشاهد التعليمية التى تروق للاطفال والشباب
بالغين بل الكبار . وكل هذه من العوامل التى تساعد على تثقيف
مجتمع عامة وتهذيبه .

وقد خطت البلاد خطوات واسعة فى سعيها لتعليم المجتمع وتعزيز
رغبة فى المساهمة فيه وهذا يدعو الى اعادة النظر فى تقدير الاهداف
ى ترمى اليها فلسفة التعليم، وفى تعديل اتجاهات التعليم فى سن



تلميذا
بريطانيات
فصل مدرس
لعلم وظائف
الأعضاء، حي
يتدربن ليصبح
ممرضات . وه
يقمن به
التدريب الأو
فى أثناء دراسته
العادية .

البلوغ، وتنظيم الصلات بين مراحل وانواع التعليم المختلفة، والعم
على ان تكون الجامعات والمدارس ومختلف الطبقات، بيئات تنبت في
الروح الوطنية، وروح الزعامة الديموقراطية، وقد اصبح الطلاب يميلو
الى توحيد الثقافة فى الجامعات، كما صار المدرسون ينزعون الى الاقلال م
الاعتماد على الامتحانات . وقد هيأت الحرب للناس المجتمعات والاماك
التى يستطيعون فيها ان يخدموا بعضهم بعضا، وان ينشدوا المثل الع
القديمة التى انشئت من اجلها المدارس والتى تدعو الى تعظيم الخال
ومساعدة بنى الانسان .

الحرية فى التعليم .

على الرغم من ان وزارة المعارف تقوم منذ اربعين سنة، الا انها
تفتتح سوى مدرسة واحدة . وهى لا تتولى تأليف الكتب المدرسية، و

توم باستخدام المعلمين او دفع مرتباتهم . ولكنها مع ذلك تتكفل
والى نصف نفقات التعليم، وتشاطر الهيئات المحلية اعباء الابنية الجديدة،
فى توجيه سياسة التعليم بصورة عامة . وهى تستخدم سيطرتها عن
طريق المقترحات التى تنشرها على الهيئات التعليمية . وقد عمدت منذ
سنوات الى اصدار كتاب سمته «مقترحات للمعلمين» تتوفر بين حين
وآخر على تنقيحه وتعديله واعادة طبعه . وهذا الكتاب يؤثر بصورة
غير مباشرة فى جميع المناهج المدرسية . كذلك تصدر وزارة المعارف كتابا
تحت عنوان «مقترحات لتخطيط بناء مدرسة ابتدائية عامة» تعمل به
جميع المدارس . فضلا عن انها تصدر كتيبات اخبارية عن وجهات مختلفة
للتعليم وعن التجارب التعليمية فى انكلترا أو فيما وراء البحار، وعن احدث
الطرق فى التربية والتعليم . والاهم من كل ذلك ان وزارة المعارف
تستخدم عددا من المفتشين يحمل كل منهم لقب «مفتش صاحب
الجلالة» ويعين من قبل جلالة الملك . وهؤلاء المفتشون يتنقلون بين
المدارس ويتعرفون الى المعلمين ويفتشون المدارس تفتيشا دقيقا، فتسترشد
الوزارة بتقاريرهم فى اعمالها وتصدر مقترحاتها على ضوئها . كذلك لدى
الوزارة لجنة استشارية تدرس وتضع الخطط التعليمية النافعة . وهذه اللجنة
هى التى اصدرت تقريرى «هدو» و «اسبنس» اللذين سبق ان اثرا
تأثيرا عظيما فى تنظيم التعليم .

وتتمتع الهيئات المحلية بحرية واسعة فى العمل وان كانت مقيدة فى
وضع خطة التعليم الخاصة بها وفى وضع نظمها .



المكتبة الفسيحة فى مدرسة
بيدستون الثانوية للبنات .
وكل المدارس البريطانية
تقريبا تحتوى على مكتبات
غنية بكتبها .

مديرو المدارس .

ولمديرى المدارس حرية فى وضع مناهج مدارسهم . وخير مدير ه
الذى يترك معلميه احرارا فى اختيار التفاصيل التى يسيرون عليها ف
تنفيذ المنهج المقرر. كذلك للمدارس الحرية فى اختيار الكتب من القوائم الت
تعدها الهيئات المحلية . ولا يشترط فى المعلم ان يكون على دين معين ا
مذهب خاص . كما ان له مطلق الحرية فى ابداء آرائه السياسية . غير انه ل
يجوز له نشر هذه الآراء فى المدرسة وان لم يكن هذا المنع مقيدا بقانون .

ويشترط فى هذه المناهج التى تتبع فى المدارس، ان تتمشى مع الرغب
العامة والديموقراطية ومحبة الحرية . ويدرك المدرسون تماما ان حرياته
تقف عند حد النظام، وان لاضعفهم نفوذا ان يعمل على تحسين عمله
اذا كانت الخطة مستمدة من خارج المدرسة . كما ان معظمهم يستخدمو
افكارهم فى تأدية واجباتهم . وهكذا يزدادون دائما شعورا بالمسؤولية
على العكس من زملائهم فى الاقطار الأخرى، التى يخضع التعليم فيه
للنظم المركزية الشديدة . فنظام التعليم فى الواقع يجب ان يكو
كالدستور الانكليزى ، اى ان ينشأ عن سلسلة من التجارب المفيدة –
والحرية والتجربة هما بمثابة الحياة والتنفس للتعليم فى انكلترا من روضات
الاطفال الى الجامعات .

هيئات المعارف المحلية .

واذ كانت الحرية هى اساس التعليم الانكليزى ، لذلك فان اية
سيطرة او روح مركزية تقاوم مقاومة عنيفة . فالمدارس تدار تحت اشراف
٣٢٠ هيئة معارف محلية للمدن الكبيرة والصغيرة . وعلى كل هيئة من
هذه الهيئات ان تواجه كثيرا من المشكلات المختلفة تبعا لعدد المدارس
الكنائسية الموجودة فى منطقتها، وتبعا للمؤسسات المحلية والعادات والبيئ
ونوع اللجان المحلية واتجاهاتها السياسية ، وكذلك تبعا لمؤهلات رئيسه
الاعلى الذى يسمى عادة «مدير المعارف» مع انه مأجور لخدمة الهيئ

لحلية . ويضطلع بكل هذه المسؤوليات المحلية على ايدى عدد من الرجال والنساء يستطيعون ان يقدموا وقتا ومجهودا للمجموع تطوعا واختيارا . وكما تنوعت المدارس اصبحت واجباتها اكثر تعقيدا . فتؤلف هيئات لشباب، واخرى للتعليم العالى، وهكذا . ففى السنين الحالية، قامت بعض لمصاعب فى سبيل العثور على الرجال والنساء الذين يكونون اكفاء للاضطلاع بهذه الوظائف . بيد ان هذه المصاعب تتلاشى بالحصول على الفائدة الاكيدة، وهى تحقيق الرغبات المحلية فى المدارس . وربما يمكن بعد الحرب الوصول الى طرق احدث وانفع، لتوسيع الاتصال بين الرغبات العامة، فنمو جمعيات الآباء والمعلمين واطالة فترات المعارض المدرسية، واسابيع التعليم، كل هذه عوامل تقوى عرى التفاهم بين الآباء والساهمين المحليين فى التعليم . وتحتفظ كل هيئة باحصاء كامل للمدارس والفصول التى يخضع بعضها لاشرافها مباشرة، ويحصل البعض الآخر على المساعدة والاشراف عن طريق غير مباشر .

، كلية إيتون المشهورة فى جميع أنحاء العالم .





كل مدرسة من المدارس البريطانية العامة تبدأ يومها الدراسى بتلاوة الصلا
وترى فى الصورة تلاميذ مدرسة وستمنستر مجتمعين فى قاعة المدرسة .

وزيادة فى الشرح، نفترض وجود احدى هذه الهيئات فى متناولنا
فنبحث فى حدود عملها من رياض الاطفال الى الجامعة . فلنفرض ان فى
المنطقة روضتين للاطفال، الذين بين سنى الثانية والخامسة، وان هاتين
المدرستين كانتا ناجحتين وكانتا المع نقطتين فى سماء المؤسسة، ولكن الهيئ
وجدت انهما غير كافيتين فاضطرت الى تأسيس روضة ثالثة، واشطره
الاقتصاد، فاضافت غرفا لفصول الروضة بكل ابنيتها الجديدة، وهكذ
اصبحت الهيئة تملك روضة، وتساعد روضتين، وتدير فصولا فى بعض
الروضات لاولئك الذين يلتحقون بالمدرسة دون سن التعليم الاجبارى
وهم حوالى ٥ ٪، اذ ان التعليم لا يكون اجباريا الا فيما بين الخامس
والرابعة عشرة . ومع ان ٩٠ ٪ من ابناء نفس المنطقة يلتحقو
بالمدارس الابتدائية، الا ان بعض هذه المدارس تتبع الكنائس، ومن ث

فلا يمكن ان تتشابه هذه المدارس ومدارس اية منطقة اخرى . اما الـ ١٠ ٪ الباقون من ابناء المنطقة فيتعلمون فى المدارس الخاصة على اختلاف انواعها .

ويعقد عادة امتحان للتلاميذ فيما بين الحادية عشرة والثانية عشرة من اعمارهم ، فيختار الناجحون منهم ليوزعوا تبعا لصلاحيتهم واستعدادهم ، على المدارس الثانوية ، التجارية والصناعية على ان هذا يجب ان يكون تبعا لرغبة الآباء الذين قد يفضلون ان يترك اولادهم المدرسة فى سن الرابعة عشرة . على ان الحرب الحاضرة ، جعلت من المباح ترك المدرسة فى سن الخامسة عشرة .

ويوصى «هادو» و «اسبنس» فى تقريريهما بان تخصص فى التعليم فترة تتألف من اربع سنوات — عند سن الحادية عشرة ، او بعدها — تباح فيها الدراسة لجميع الاطفال . ومع ان هذه الوصاية لم تطبق بحذافيرها فى اية منطقة ، الا ان كل المناطق اخذت تعمل على تنفيذها ، لما لها من فائدة عظيمة ، لا سيما وان الامة بأسرها ، مقتنعة بفائدتها . وقد اصبح من الممكن الآن الحاق الاولاد بين سنى الحادية عشرة والخامسة عشرة ، بمختلف المدارس المتوسطة Senior او الصناعية الابتدائية والتجارية الابتدائية ، ومدارس الاعمال ، ومختلف انواع المدارس الثانوية ، رغم ان سن الالتحاق بهذه المدارس قد تختلف .

كذلك يمكن اليوم ان يدرب التلاميذ على الاعمال والمهن وان يعدوا للدراسة العليا فى جميع المدارس المتوسطة للبنين . كما انشئت اقسام للتجارة وصناعة المعادن والابحاث العلمية ، وفروع البنات يتلقين فيها التدبير المنزلى فى برنامج يدرس لاربع سنوات . وكل هذه الاقسام والفروع جهزت بكافة ما تحتاجه من الاجهزة والآلات والادوات . كذلك اصبحت توجد فى الريف مزارع مدرسية — حقول تجارب — وانشئت فى بعض المقاطعات مدرسة متوسطة ، صارت جزءا من الآلة التى تدير التعليم فيها ، وتعرف باسم «كلية القرية» .

ومن ثم اصبحت المدارس المتوسطة تضم الاولاد الذين لم يلتحقوا بالمدارس الثانوية، او بأى مدارس اخرى من درجتها اى انها تضم على الاقل اربعة اخماس مجموع التلاميذ . وتؤسس هذه المدارس بحيث يكون لكل مدينة ثلاث او اربع منها وبحيث يكون لكل تسع او عشر قرى مدرسة . وهكذا تسعى المدارس المتوسطة — او كليات القرى كما تسمى — لان تصبح مراكز تعليمية وتثقيفية عامة . وتهيئ هذه المدارس لتلاميذها ما يحتاجون اليه من معامل للتجارب العلمية ومن قاعات للمحاضرات، وملاعب للرياضة واحواض للسباحة وحمامات، اذ انها تضم الى ابنيتها كثيرا من الحجرات الاضافية المنفصلة فتجتمع فيها لجان الموسيقى والتمثيل والمحاورة كما تخصص منها حجرات لمنتديات للفلاحين، وفصول لتعليم العمال .

والى جانب هذا، رؤى ان تكون المكتبة والمقصف بكل مدرسة وسيلتين لجعل المدرسة المتوسطة وسطا اجتماعيا . على ان هذا لم يقتصر على مدارس الريف فقط، بل انه اتبع فى المدارس الحديثة فى المدن ايضا، وتتجه الجهود الى التوسع فيه مع ادخال التحسينات باستمرار . كذلك ينتظر ان تؤسس فى كل مدرسة عيادة طبية، ومكتب يتولى السعى لتوظيف الطلاب عند تخرجهم كما ينتظر ان تعم المزارع المدرسية وساحات الالعاب الرياضية .

ويوجد الآن فى كل مدرسة ابتدائية مكتب صحى يتولى فحص كل تلميذ ثلاث مرات على الاقل خلال الدراسة فى مراحل العمر بين ٥ و ١٤ أو ١٥ أو ١٦ اى خلال فترة التعليم الالزامى وتستخدم كل هيئة اطباء باطنيين واطباء للاسنان وممرضات واخصائيين ممن يعملون فى مكافحة الامراض من ثلاثين عاما . وقد اجمع هؤلاء على وجوب تقديم اللبن الحليب والغذاء مجانا للاطفال وقد زادت الحرب من هذه الجهود التى تبذل لتحسين حال المدارس وتلاميذها، فضلا عما ينتظر لها من اطراد فى المستقبل .

ولكل هيئة للتعليم مدرسون اعدوا ودربوا خصيصا، ليلقنوا الاولاد اصول الرياضة البدنية والالعاب النظامية والرقص . وتتعاون مكاتب صحة المدارس مع هؤلاء المعلمين لتحسين صحة الاولاد وازالة بعض العاهات التى قد توجد باجسامهم .

وقد ازدادت اهمية الرياضة البدنية وأثمرت ثمارا حسنة، ولا سيما فى المدارس الثانوية والجامعات وهيئات الشباب . وقد بدأ الجميع يدركون آثار جهود اللورد بادن باول، وكلية الرياضة البدنية النسوية، وقد ظهرت الفوائد التى عادت من الاهتمام بالرياضة فى الحرب الحاضرة حيث يحتاج السلاح الجوى الى الشباب الرياضى، اذ انخرط ربع الشباب فى سلك التدريب للالتحاق بالسلاح اذ ان الرياضة البدنية من اهم اجزاء برنامجه التدريبى .

ومع ذلك فان الهيئات التعليمية المحلية لم تؤد كل ما يجب عليها بما اقدمت عليه من فتح مدارس الاطفال والمدارس الابتدائية التى تضم الاولاد فيما بين الخامسة والحادية عشرة من العمر، وبما انشأت من المؤسسات الصحية والرياضية فى المدارس، وبما نظمته لتقديم الغذاء للتلاميذ . لم تؤد تلك الهيئات كل ما يجب عليها، بل كان من اللازم ان تقوم ايضا بادارة المدارس الثانوية والصناعية ومراكز الشباب والمدارس المسائية التى ترتبط بالجامعات والمؤسسات المخصصة لتعليم البالغين . فهذا العمل كله يقع على لجان التعليم العالى التى تعد من فروعها . ولا ريب ان الآباء يتأثرون عند تخير المدرسة التى يلحقون بها ابناؤهم بما هم عليه من حالة مالية، ولذا فستعمل هذه الهيئات فى المستقبل على تلافى هذه العوائق وعلى الحاق التلميذ بالمدرسة التى تلائم استعداده .

وتؤهل المدارس الثانوية طلابها لنيل الشهادة التى تعد كجواز يمكنهم من الالتحاق بالمدارس الاعلى درجة ومع ذلك فان ١٠ فى المائة من التلاميذ يدخلون المدرسة الثانوية فقط كما ان ١٠ فى المائة هم الذين يلتحقون بالجامعات بعد سن السادسة عشرة ويتخرجون فيها . وقد ازدادت

اهمية السنة السادسة من سنى الدراسة الثانوية . وتعد المدارس الثانوية مسرحا لكثير من النشاط الرياضى لا سيما وان انكلترا بلد يتعشق اهله الرياضة . ولذا نجد فى كثير من هذه المدارس جماعات للكشافة والمرشدات . كذلك هى مجال لكثير من نواحى النشاط المدرسى حيث يوجه التلاميذ لعمل الأشياء النادرة لمتحف التاريخ الطبيعى او الميكانيكى او لمعارض الفنون الأخرى . كما توجد فى المدارس الثانوية جماعات ومنتديات متباينة لتشجيع الاقدام وحب الزعامة بين الطلاب . وتتاح للمتفوقين والموهوبين فى هذه الجماعات فرصة الاعداد للتخصص فى الاجتماع ، او الدراسات العلمية او التبحر فى اللغات الاجنبية . فاذا بلغ التلميذ السنة الدراسية الأخيرة برزت ميزاته الثقافية ومؤهلاته ومقدرته الذهنية نظرا لاهمية هذه التجارب للاولاد والبنات الذين يلتحقون بالجامعات الانكليزية . فقد وضعتها الهيئات المحلية فى مقدمة الموضوعات التى تهتم بدراستها وبحثها ورأت ان تقتصد الاموال اللازمة لانشاء جامعة للعناية بهذا البحث وتلك الدراسة المعلقين بهذه التجارب .

فصل مدرسى فى أثناء دراسة علم الجغرافية بمدرسة ويغان الثانوية .





تلاميذ من مدرسة تشلتنهام الثانوية وهم يذاكرون .

وينجح فى امتحانات الانتقال من المدرسة الابتدائية للجامعة خمسة
ى الالف عادة يتوقف بعضهم عن متابعة الدراسة فيما بين الرابعة عشرة
والسابعة عشرة من اعمارهم ويعمدون الى العمل لكسب قوتهم بطريقة من
طريقة يجدونها امامهم . وهؤلاء ايضا يخصص جزء من اوقاتهم ٦٠٠...١
لدراسة المسائية . وهناك نظام هام جدا تنحو اليه المؤسسات الصناعية
والتجارية لرفع مستوى هؤلاء فى الحرفة التى يزاولونها، اذ يعد لهم دراسات
راقية تتولاها جماعات متطوعة للخدمة العامة . ولا تفتتح لذلك مدارس
خاصة وانما تستخدم لها المدارس النهارية، ما دامت لا تلقى فيها الدروس
ى الليل . ومع ان جماعات الشباب تعمل يدا بيد مع هؤلاء المتطوعين فيما
يتعلق بالرياضة البدنية الا انها مخولة انشاء المعسكرات والساحات
الرياضية وتنظيم المحاضرات التى تتناول الدروس التى حرم منها العمال
باضطرارهم لهجر مقاعد الدراسة . وهذه الحركة تزداد اتساعا فى هذه
الايام .

اما فى ميدان التعليم الصناعى، فتهتم هيئات التعليم المحلية فى
المناطق الصناعية — امثال ستوك وشيفيلد ومنشستر — بالصناعات
المحلية، فتنشئ فى الجامعات فصولا خاصة — فضلا عما بها من دراسات
صناعية عامة — للبحوث الصناعية المحلية، كصناعة الخزف والفولاذ
والقطن . ويتولى التدريس فى هذه الفصول عادة خليط من معلمى
الصناعة والصناع المحليين . وبعض الشركات تنشئ مدارس مستمرة
تتلقى المساعدات من الهيئات المحلية .

ولقد درست المبادئ التى تقوم عليها هذه الفصول الدراسية دراسة
تامة، الا ان الحكومة لم تمدها بما يلزمها من المال واذا اريد لها ان تدوم
وتؤتى بفائدة فلا بد لوزارة المعارف من انْ تضطرها الى العمل جميعا
دون تقاعس لا سيما وانها تضم اكثر من مليون طالب . كما تملك الهيئات
المحلية مدارس لضعاف العقول والابدان ومدارس — تعقد فى الهواء
الطلق — للمرضى، ومدارس للعميان، كما تتولى تأسيس المكتبات والمتاحف .
ومن ثم فليس ثمة منصب اثقل عبئا واخطر مسؤولية من منصب مدير
المعارف فى المنطقة .

. . . .

هذا موجز عن نظام التعليم فى انكلترا، وعن تطوره، وعنينا فيه بان
نبين مدى اهتمام الأمة الانكليزية بأسرها بمشكلة التعليم . وليست بنا
حاجة لان نذكر ان الشعب الذى يملك هذه الامبراطورية العظيمة،
شعب درس وتثقف ثقافة ممتازة، ولذا فلا بد ان نظام التعليم الانكليزى
هو ارقى نظم التعليم، وهذه الحرب خير شاهد على ذلك، فقد وجدنا
الثقافة والاخلاق الانكليزية تتغلب على جميع العقبات والصعاب، مما
يضمن خروج هذا الشعب من هذه الحرب منصورا ظافرا، ليوطد دعائم
السلم والحرية والديمقراطية .

عبد الله محي الدين
الموصل — مدير معارف المنطقة الشمالية

الثقافة العربية

مصادرها واطوارها وخصائصها العامة

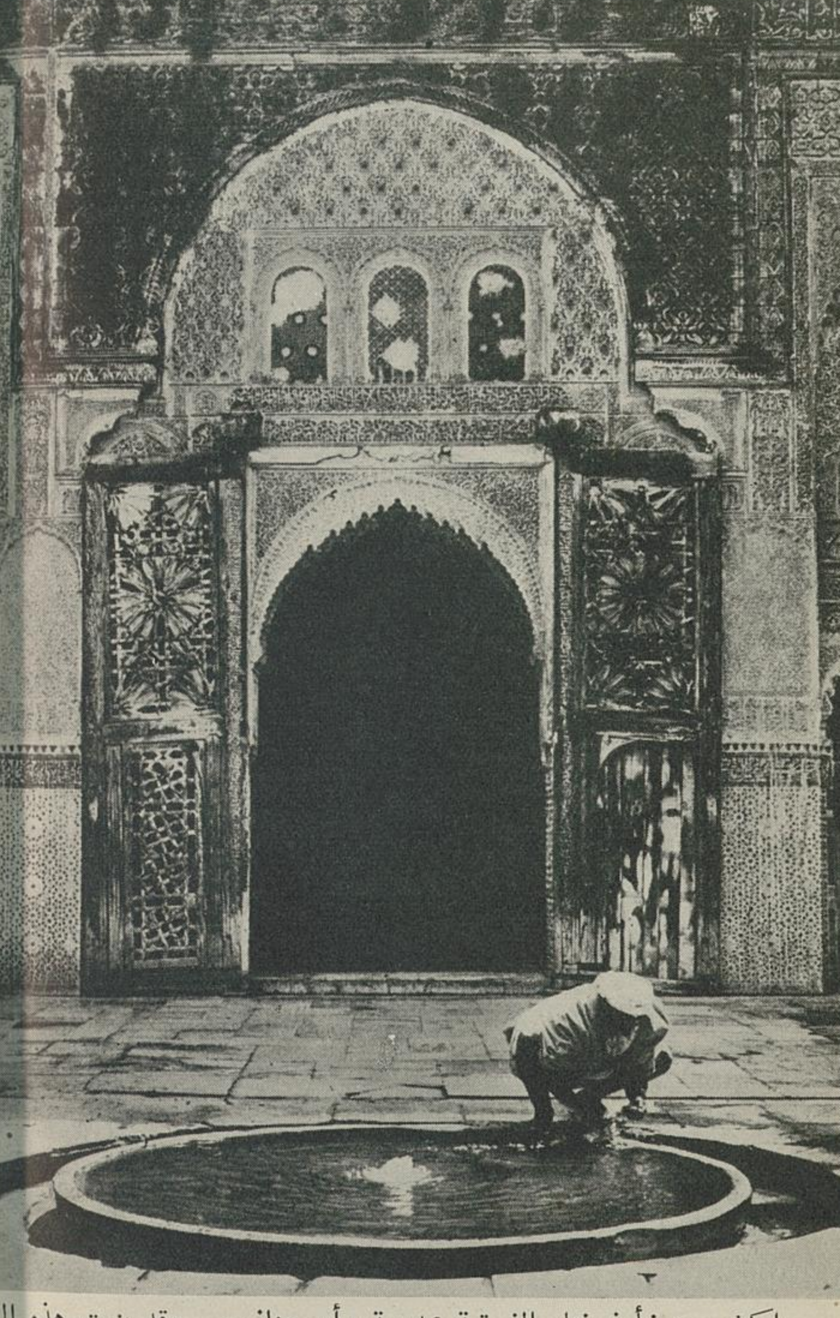
بقلم عمر فروخ دكتور فى الفلسفة

لم تهاجم ثقافة قط بمثل العنف الذى هوجمت به الثقافة العربية. ان الثقافة الصينية او الهندوكية او البهلوية قد خضعت بلا ريب لنقد ربما كان قاسيا، ولكن الثقافة العربية وحدها منيت بالهجمات المتتالية على ايدى كتاب يتمتعون بنفوذ واسع لدى سواد القراء الاوروبيين. ولقد كان لموقف هؤلاء الكتاب نتيجتان: ميل عن الثقافة العربية، وجهل نسبى، بالاضافة الى مجموع القراء الاوروبيين، لما فى الثقافة العربية من قيمة ذاتية ولما للعرب انفسهم من اياد بيض على الثقافة عامة.

وكان مما شغلنى فى السنوات العشر التى خلت ان ابحث عن الاسباب الحقيقية التى تحمل الغربيين عموما على بخس الثقافة العربية حقها وعلى الوقوف منها موقفا مريبا. ولقد وضح لى بقليل من العناء والمطالعة ان اكثر الذين هاجموا الثقافة العربية كانوا بشكل من الاشكال او على صورة من الصور غير ملمين بالموضوع تمام الالمام، وانه لمن دواعى الاسف الحقيقى ان امثال هؤلاء يتمتعون باعجاب قراء كثيرين، وانهم يوسعون الشقة بين الشرق والغرب، ثم هم يساعدون على ازدياد سوء التفاهم بين شباب العرب الذين اخذوا يستيقظون من سباتهم الماضى وبين قادة الحركات الثقافية من الغربيين.

....

وكما ان التهجئة فى اللغة الانكليزية متأثرة بالتطور التاريخى للكلمات الانكليزية اكثر من اعتمادها على لفظ تلك الكلمات فى ايامنا هذه، فان الثقافة العربية ايضا خاضعة لعوامل تاريخية اكثر من خضوعها للاحوال المسيطرة على حاضرها.



مراكشى يتوضأ فى فناء الفسقية بمدرسة «أبو عنانى» . وقد بنيت هذه ال
الجميلة بين سنتى ١٣٥٠ و ١٣٥٥ .

ان للثقافة العربية خمسة مصادر : الجاهلية والاسلام وعصر القومية العربية فى الدولة الاموية وعصر التقدم العلمى فى الدولة العباسية، ثم العصر الاندلسى. ولكن هنالك مصادر فرعية أخر يمكن ان تضاف الى هذه التى سبق فعددناها، وهى تتناول جميع البلاد وجميع الثقافات التى شملها العالم الاسلامى فى جميع عصوره.

على ان هذه المصادر الفرعية قد اثرت فى الثقافة العربية تأثيرا محدودا فقط. واحب هنا ان استشهد بوجهين مختلفين من وجوهها كلها. من هذه الاوجه ما هو فطرى كالاعتقاد الفينيقى الذى لا يزال شائعا بين العامة وغير العامة : اذا هل الشهر القمرى ورأى الناس الهلال الجديد اخرجوا من جيوبهم قطعا من العملة فقبلوها او نظروا اليها فقط، وكثيرا ما تمتموا باماني مختلفة او نطقوا بدعوات طيبة. ومن هذه الاوجه ما هو ذو مرتبة عالية فى سلم التفكير البشرى : هنالك آراء ترجع فى اصلها الى الشرق الاقصى من الصين او الهند او فارس القديمة تطلع عليك من بعض القصائد العباسية خاصة. الا ان هذه التقاليد المفردة والآراء الغريبة محصورة فى طبقة خاصة من الناس او فى دواوين بعض الشعراء واقوال بعض المتصوفين.

اما اذا اتينا الى المصادر الرئيسية نفسها فاننا نجد ان المصدر، كلما كان اقدم كان تأثيره اشد وابرز. وها هى المصادر الخمسة منسوقة حسب قدمها واهميتها معا :

١- الجاهلية : كان العصر الجاهلى قبل الاسلام عصر الفروسية والشجاعة والمغامرات : لقد كان عصر الابطال والشعراء. ومن هذا العصر ايضا ورث العرب لغة كانت ترجع يومذاك الى ما قبل النبى عام على الاقل، اذ اننا عرفنا اللغة العربية اول ما عرفناها، فى القرن الخامس للميلاد، تامة فى الفاظها وصيغها وصرفها ونحوها واوزانها وفى قوة التعبير بها. تلك اللغة لم تزل بخصائصها الجاهلية من كلمات واحكام صرف ونحو وتركيب لغة الكتابة فى كل صقع تزله العرب فكانوا فيه قطانا

او مهاجرين الى حين. وعلى الرغم من ان لكل صقع عربى لهجة يتكلمها اهله، فان اهالى الاصقاع المختلفة يتفاهمون بلغة الكتابة اذا تحدثوا ويفهمونها اذا قرئت عليهم ولو كانوا اميين.

ومع اللغة حتما، يسير الادب جنبا الى جنب. ان روائع الادب الجاهلى لا تزال سائرة شائعة الى يومنا الحاضر، لا فى مجاميع الشعر والنثر ولا بين الادباء فحسب، بل فى الكتب المدرسية الابتدائية وبين بعض العامة.

ولقد تركت الجاهلية فى العرب الفخر والعصبية وحب المغامرات. وتركت فيهم فوق ذلك مثلا عليا فى الضيافة والحفاظ والشرف والوفاء تتفق تماما مع ما عرفه الجاهليون. ولا تزال هذه المثل العليا حية فى اقصى القرى المتغلغلة فى تخوم آسيا الصغرى وفى اصغر الواحات الضائعة فى رمال الصحراء الافريقية الكبرى. ان تلك المثل العليا قد سارت وراء اللغة الى كل منزل ومستقر.

٢ — الاسلام: لقد حمى الاسلام اللغة العربية وحمى الامة العربية ذلك لانه كان اقوى حرز تحرزت به امة من الامم. والاسلام لم يفاجئ العرب ولم يأتهم من مكان بعيد، بل نبع على عكس ذلك كله فيهم، وكان تنظيما لقواهم المشتتة وتنسيقا لاستعدادهم المتنافر. وقد حررهم من الوثنية التى كانت اجنبية عن بلاد العرب وعن العرب انفسهم، وحرر بلاد العرب، والعرب انفسهم فيما بعد، من السلطان الاجنبى. ان العرب لما هزموا الفرس فى معركة ذى قار قبيل الدعوة او حولها (٦١٠—٦١١ م) ووصل الخبر الى الرسول اهتز الرسول لذلك وقال: «هذا اول يوم انتصف فيه العرب من الفرس بحق».

وتطور الاسلام كذلك تدريجيا ليوافق حاجات العرب فى عهد يقظتهم الروحية. وكان الاسلام للعرب فوق ذلك عقيدة وقومية ونظاما اجتماعيا، فساعد على توحيدهم وعلى خلق شخصيتهم التاريخية. ولقد تقبل الاسلام كثيرا من عادات العرب الاولى بعد تحوير قليل او كثير فيها، فان الحج مثلا قد تحول من زيارة للاصنام الى اجتماع اسلامى عظيم يأتيه



ل المسجد الأعظم بالقيروان، بتخطيطه الجميل، الذى يدل على التناسق
جيب فى تخطيط بنائه .

سلمون من كل صقع وقطر . وعالج الاسلام ايضا حب القتال فى نفوس
عرب حتى تمكن من ان يؤلف بين قلوبهم وينسيهم احقادهم ثم يوحد
جهودهم فى سبيل قتال اعدائهم، فتغلبوا حينئذ على الفرس والروم
واجتاحوا الامبراطوريتين الفارسية والرومية فى اقل من قرن واحد .
وهكذا اصبح الاسلام ركنا فى حياة العرب اليومية وجزءا اساسيا من
ثقافتهم العامة .

والى جانب القضايا الاعتقادية الفلسفية كالتوحيد المطلق والايمان
بالقضاء والقدر وبخلود النفس وبالبعث، برزت قضايا واقعية عملية اهمها
توحيد السلطتين الدينية والدنيوية فى الرسول ثم فى خلفائه من بعده .
ومن هذه القضايا ايضا نظام الزكاة ونظام الزواج والطلاق والارث

ونظرية الحرب : «واعدو
لهم ما استطعتم من قو
ومن رباط الخيل ترهبون ب
عدو الله وعدوكم — وا
جنحوا للسلم فاجنح لها —
ومن اعتدى عليكم فاعتدو
عليه بمثل ما اعتدى عليكم
الى غير ذلك من النظ
الاجتماعية الضرورية ف
الحياة . من اجل ذلك
يكن الاسلام للعرب عقيد
يعتنقونها فحسب، بل كا
الحياة العربية نفسها مضاف
اليها حسن التطور وعنص
التحسين والتنظيم .
٣—عصر الدولة الاموية



توضح هذه البوابة المحفورة حفرا بديعا — بوابة بو جاود — بفاس ما كان للمهندسين المعماريين والنقاشين العرب من مهارة رائعة فى النقش قديما .

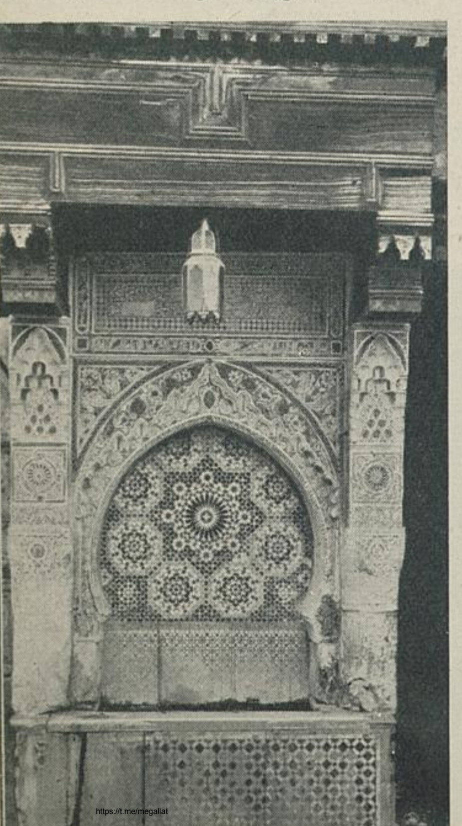
هذا العهد الذى امتد نح
قرن كامل (٤٠—١٣٢
٦٦٠—٧٥٠ م) كان عه
الامبرطورية العربية . ا

جميع الفتوح المهمة من تخوم الصين الى شواطئ افريقية واوروبة عل
الاطلنطيق قد تمت فى هذا العهد. وكذلك تنظيم الدولة اكتمل فى هذ
الحقبة ايضا . ولكن اعظم من هذا كله كان تعريب الامبرطورية
لقد اقتنع الامويون منذ ان اطمأنوا على خلافتهم بان يكون للعرب سك
(عملة) قومية، وبان تصبح اللغة العربية لغة الدولة . ان سجلات الحكوم
ظلت الى ذلك الحين تكتب بالفارسية او الرومية او القبطية (فى فارس

العراق او فى سورية او فى مصر) . وبما ان العرب لم يكن لهم سكة خاصة بهم فقد كانت العملة الرومية او الفارسية هى العملة الرائجة فى جميع الامبرطورية حتى فى سورية مقر حكومة الامويين، وفى بلاد العرب نفسها مهد الدعوة الاسلامية وينبوع القومية العربية . فلما قلبت الدواوين (سجلات الحكومة) خاصة من الفارسية والرومية والقبطية، لم تبق الثقافة العربية ثقافة طبقة مخصوصة من الناس ولا ثقافة جنس واحد من الاجناس، بل اصبحت ثقافة كل طبقة وكل جنس فى تلك الامبرطورية الواسعة . ومع ان هذه الثقافة قد استمدت اشياء من الشعوب اصحاب المدنيات القديمة فان خصائصها القومية ظلت الخصائص المطلقة المسيطرة .

فى هذا الدور ثبتت الناحية القومية من الثقافة العربية .

فسقية النجارين المنقوشة نقشا بديعا بفاس



٤ـ عصر الدولة العباسية: ان القرون الخمسة (١٣٢ـ٦٤٨ هـ ٧٥٠ـ ١٢٥٠ م) التى كانت بغداد فى اثنائها المركز الحقيقى او الاسمى للعالم الاسلامى، شهدت الثقافة الاسلامية فى ذروتها . ان التقدم الادبى والرقى العلمى والتطور العقلى هى التى خلقت خصائص هذا الدور المزدهر فى تاريخ العرب والاسلام، فمذاهب الفكر، الفارسية والهندية منها ثم اليونانية على الاخص، كانت موضوع درس وموازنة وكانت، الى حد ما، موضوع نقد عاقل، وان الثقة المطلقة التى تمتع بها ارسطو فى اوروبة الى اواسط القرن السادس عشر قد تزعزعت فى بغداد قبل ان ينتصف القرن التاسع .

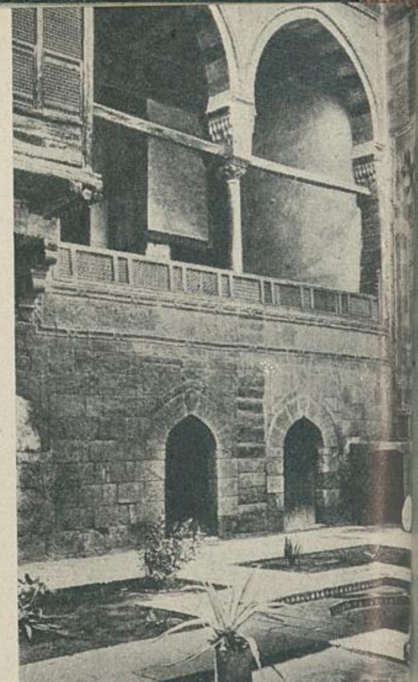
والعرب لم يأخذوا بجميع المذاهب الفلسفية مرة واحدة، بل كانوا يختارون من المذاهب كلها وكانوا اذا وجدوا مذهبا غامضا او قاصرا جلوه بالتفسير والشرح او اتموا ما فيه من القصور والنقصان . وهكذا دخلت هذه المذاهب الفلسفية اجمالا فى نسيج الثقافة العربية . وليس من الانصاف لهذه الثقافة فى شيء ان نصغى الى التهمة التى تزعم ان العرب «استعاروا» الفلسفة من اليونان، ان التفكير العربى قد تنبه بعوامل من الفلسفة اليونانية، كما تنبه التفكير اليونانى نفسه من قبل بعد ان احتك بالحكمة الشرقية واطلع على علوم اهل الشرق .

٥ ــ عصر الاندلس : هذا العهد، الذى يتفق فى الزمن مع العهد العباسى تقريبا، خلع على الثقافة العربية زخرفها ورونقها . ومع ان هذا الدور كان تطورا من الدور الذى سبقه او تقليداً له على الاصح، فانه ساعد على صقل الثقافة العربية : ان الشعر بلغ فى الاندلس حد الكمال، والعلم والفلسفة بلغ بهما الاندلسيون الذروة . اما الفلسفة الخالصة فقد اكتسبت ثمت خصائصها الاثباتية والطبيعية والعقلية المطلقة . واما فن البناء والنقش وصناعة تجليد الكتب وما اليها كلها

جامع الكاظمين التام التناسق والمنقوش نقشا جميلا، ببغداد .







اليمين : ساحة منزل جمال الدين المبنى فى سنة ١٦٣٧ ، بالقاهرة .
اليسار : جامع مرجم وهو قائم فى وسط بغداد .

فانها اشهر من ان اتناول عليها الكلام هنا .

ليس من الغريب ان تكون ثقافتنا العربية نتاج الاعصر الغابرة ، ولكن الغريب ان يقف تقدمها فى زمن متوغل فى القدم . على اننا نحن اليوم نجهد لنحيي هذه الثقافة القديمة : اننا نتطلع الى يقظة عامة . ان تلك الثقافة ، التى حملت العرب الى العظمة والمجد من قبل ، تستطيع ان تحملهم مرة ثانية الى العظمة والمجد .

ثم ان اصرارنا على احياء « ثقافتنا » القديمة لا يعنى اننا نبرأ من « المدنية » الحديثة . نحن العرب احق الناس اليوم بالاستفادة من المدنية الغربية ، بالاستفادة من مكتشفاتها ومخترعاتها حتى نستطيع ان نساير العالم فنساعد على الوصول بالانسانية الى هدفها الاسمى . ولكن هذا الهدف لا يمكن ان يتحقق ابدا ما لم تقف الشعوب الغربية من ثقافتنا موقفا اكثر يسرا ولينا ، وما لم تقدر تلك الشعوب القيمة الذاتية فى ثقافتنا حق قدرها ، وتقدر الجهود الحقيقية التى بذلها العرب فى سبيل الثقافة العامة . يجب ان نوفر على العالم شيئا من العناء .

شعراء انجلترا المعاصرون

٢ - والتر دى لامار

فى المقال الأول من هذه السلسلة التى هى بمثابة مقدمة بدائية
لتاريخ الشعر الانجليزى المعاصر، تحدثنا عن شخصية شاعر الملك، جون
ميسفيلد وعن شعره، وقد رأينا أنه كان فوق كل شىء شاعر البحر، وأنه
عبر عن روح بريطانيا من ناحية تشوقها إلى المجازفة الجريئة والبسالة
البالغة التى تحملها عبر بحار العالم النائية دائبة التطلع إلى الأفق البعيد
ولكنها لا تبلغه، لاقية فى هذا المطلب الدائب شدائد ومسرات تفوق
حد التعبير. وأما فى مقالنا الثانى هذا فنختار رجلا ذا شخصية وميول
من نوع شديد الاختلاف، فهو وإن لم يغفل عن بريطانيا عبر البحار فقد
جعل مقصده فوق كل شىء أن يعبر عن بريطانيا فى الجزر البريطانية
نفسها، وبخاصة بريطانيا فى الريف الانجليزى والمدن الانجليزية.

ولد والتر دى لا مار فى قرية بمقاطعة كنت فى انجلترا فى اليوم
الخامس والعشرين من ابريل ١٨٧٣، وهو كما يدل اسمه سليل للأسر
الفرنسية الهيجونوتية المشهورة أسرة دى لا مار التى لجأت مع أسر فرنسية
كثيرة أخرى إلى بريطانيا محتمية بها من الاضطهاد السياسى منذ أجيال
كثيرة مضت. هذه الذرية الهيجونوتية قد برزت فى كثير من ميادين
النشاط فى البلد الجديد الذى اتخذوه وطنا لهم، فلم يضع هباء ما
أسبغته عليهم بريطانيا من كرم الضيافة وما تظل تسبغه على اللاجئين
الموهوبين الذين يفرون من الظلم والجور فى القارة الأوربية.

وبعد أن قضى دى لا مار مدة قصيرة يتعلم فى مدرسة المرتلين
بكتدرائية القديس بولص انخرط فى سلك الخدمة بشركة الزيت الانجليزية
امريكانية ككاتب حسابات واحصائى. وربما يظن أن هذا النوع من
العمل ليس وسطا صالحا يشجع على النشاط الأدبى، ولكن كثيرا ما حدث

فى تاريخ الأدب الانجليزى أن الخدمة فى إدارات مملة مسئمة وراء مكاتب يعلوها التراب والغبار قد أذكت لهيب العبقرية ولم تخمده، ولنضرب لذلك مثلا واحدا هو تشارلز لامب أعظم الأدباء الانجليز من كتاب المقالات كان مستخدما فى شركة الهند الشرقية ككاتب فى مكتبها بلندن ولكنه مع ذلك خلق من خياله الدقيق المرهف عالماً متألقا متنوعا من الكلمات السحرية التى أطربت أجيالا متعاقبة من القراء !

بدأ دى لا مار ينشر تآليفه فى سنة ١٨٩٥ وسرعان ما رسخت قدمه كأحد الشعراء والكتاب الذين يبشرون بأبهر مستقبل .. ومنذ ذاك ألف كثيرا من الروايات والقصص القصيرة والمقالات إلى جانب الشعر الذى سنراجعه فى مقالنا هذا . ويتميز كل ما ألفه بأسلوب فائق ممتاز وبتخير دقيق منفرد للألفاظ ويتميز فوق كل شىء ببعد النظرة الشاعرية وبادراكه لعالم الغموض والأسرار المتجاوز لعالم العقول العادى . ولعله ليس من المبالغة أن يعد هذا العنصر التصوفى راجعا إلى أصله الكلتى . لأن الكلت فى فرنسا وولاية ويلز وايرلندا يتميزون بما يسمى (البصر الثانى).

هذه الميزة العجيبة تتخلل شعره بأكمله، ولكى نتفهم هذا ندرس قصيدة من أشهر قصائده وهى (المستمعون) :

«هل هنا أحد؟» هكذا قال المسافر

طارقا الباب الذى يكسوه ضياء القمر؛



منظر صميم لطريق قروى فى المقاطعة الغربية بانكلترة .



وحصانه فى السكون المخيم يمضغ الأعشاب
على التربة السرخسية للغابة :
وطار من البرج طائر
حلق فوق رأس المسافر
فطرق الباب طرقة ثانية
وقال «هل هنا أحد؟»
ولكن أحدا لم ينزل إلى المسافر
ولا أطل عليه من افريز الشباك المكسو بالأوراق

ناظراً فى عينيه الرماديتين
وهو واقف فى حيرة وسكون .
ولكن حشدا من الأشباح المستمعة
التى كانت تسكن اذ ذاك فى البيت الموحش
وقفت متسمعة فى سكون ضياء القمر
ألى ذلك الصوت القادم من عالم البشر :
وقفت محتشدة فى أشعة القمر الضئيلة على الدرجة المظلمة
التى تؤدى إلى البهو المقفر فى أسفل الدار .
تستمع فى هواء يضطرب و يخفق
بنداء المسافر الوحيد .
فأحس فى قلبه بغرابتها
إذ جاوب سكونها صيحته
بينما تمشى حصانه يقضم الخميلة الداكنة
تحت قبة السماء المليئة بالنجوم والأوراق .

منظر لنهر لاغان فى إرلندة الشمالية .



فانه طرق الباب بغتة
طرقة أشد عنفا ورفع رأسه
وقال «خبروهم أنني جئت وما أجابني أحد
وأنني بررت بوعدي» .
ولكن المستمعين لم يصدروا أدنى حركة
برغم أن كل كلمة نطق بها
تردد صداها في ظلال البيت الصامت
صادرة من المرء الوحيد الذي بقى صاحيا :
نعم إنهم سمعوا قدمه على ركاب السرج
وصوت الحديد على الصخر
وكيف أن الصمت امتد الى الوراء رويداً
بعد ما انقطع صوت طرق الحوافر .

السكون المفعم بالأشباح، والظلال الحالكة، وضوء القمر الضئيل الباهت، وحياة الأموات المفقودة الشاحبة، تلك هي الصور التي يكرر الشاعر رسمها . فهو يعتقد أن الأموات ليسوا ساكنين في صمت القبر الخالد، ولا محلقين في أطباق السماء سماء الحياة اللانهائية . بل إنه يتبع أقدم العقائد الهوميرية فيصور الأموات كظلال عاجزة تعسة الحظ تحدق في صمت وجمود وشوق إلى دنيا الحياة البشرية التي لم يعد لها فيها نصيب . وهو يرى أن الحياة بكل مسراتها ولذائذها ليست إلا برهة عارضة قصيرة الأمد في الرحلة الخالدة الخطيرة المليئة بالاضطراب والثوران . وهكذا يقول في قصيدته (الطيف) :

في راحتيك سلام
وفي مقلتيك سلام
وفي جبينك سلام
يا زهرة لبرهة قصيرة من الساعة الخالدة الأزلية
سلام على الآن .

ى فى حديقة دفديل الوطنية .

ون ريفية فى واريكشير .

لم تضطرب موجة
ولا هتف طائر
قلبى مثل بحر
قد صمت وسكن بعد انقضاء عاصفة
ينام فى جوانحى .

كل قطرات ندى الليل
وكل أوراق أشجار الدنيا
وكل ثلوج الشتاء
تبدو ساكنة كأنها قد أخمدت فى حلم الحياة
كل الأحزان الآن .

وإذ كانت الحياة عرضا زائلا وكان الجمال مسرة لا يحصل عليها
إلا لبرهة قصيرة من الزمن ينبغى على الانسان أن يتمتع بأكمل قدر
يستطيعه بالمناظر الجميلة والأصوات المطربة من حوله . ففلسفة دى لا ما



موسم نوار الكريز فى مقاطعة كنت .

ـبع مذهب انتهاز اللذات اتباعا لا خفاء فيه، ولكنه انتهاز رفيع روحى ـام يتنزه عن تعقب اللذائذ لمجرد لذتها الهينة الذى يعبر عنه المثل : «Gather ye rose-buds while ye ma اقطف أكمام الورد ما ـت قادرا . »

انظر إلى كل الأشياء الجميلة نظرتك الأخيرة
فى كل ساعة . ولا تدع ليلة واحدة
تختم على حسك بنعاس الموت
حتى تستمتع بكأس السرور المترعة
فان كل الأشياء التى تعجبك بجمالها
قد سلبت من أناس آخرين أحبوها
فى الأيام الخالية .

حقا إن الحياة مليئة بالمسرات العارضة والصور البديعة الحسن، لكنها برغم ذلك لولا حقيقة الحب الخالدة الباقية لكانت بسبب عرضها ـقانى مأساة غلابة لا تحد .

أجلس وحيداً
فتدور بخلدى أفكار واضحة
صور قريبة تارة وطوراً بعيدة
صور الخيال الجامح الفانى
أنا سعيد قرير العين
فى خلوتى ووحدتى .
ولكن الحياة شىء رهيب
حالكة بالرعب والمخاوف
بنان الحسن تبرد حرارته
وأسمع صيحات حزينة
والموت بسيماه الصخرية
قريب قريب . . . .

الحب وحده يقدر أن يستنقذ
هذه الحقيقة وتلك المسرات
وأن يستعيد الصبح مزدهرا من جديد
من الليل الذى أنهكه الداء العياء
وأن يعيد الموجود إلى المفقود
ويعيد البصر إلى من عمى .

ومن تلك «الصور القريبة تارة والبعيدة تارة أخرى» التى تدور بخلد الشاعر صورة تتكرر فى الأدب الانجليزى تكررا عجيبا، فهى نتاج للوشائج القديمة القوية بين بريطانيا والشرق، تلك هى صورة مثالية لجزيرة العرب، مفعمة بجمال سماوى وسحر أخروى :

بعيدة هى ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الأمراء فى الهاجرة
خلال الأودية المخضرة والأجمات اليانعة
تحت طيف القمر
وتلك القبة الزرقاء شديدة الحلكة
والأزهار تنبت فى الغابة
وتنشق أكمامها على النجوم الضئيلة
الباهتة فى سماء الظهيرة .

حلوة هى أنغام جزيرة العرب
حلوة فى قلبى حين أتبينها فى أحلامى
وأتبين ينابيعها المتدفقة فى شفق الفجر الضعيف
وأسمع ألحانها الغريبة على الضفاف الخضراء
ترن رنيناً بالأسى وبالسرور
من المغنين ذوى الأردية الحريرية القاتمة والشعر الأسود الحالك
فى سكون الليل المخيم المطبق .



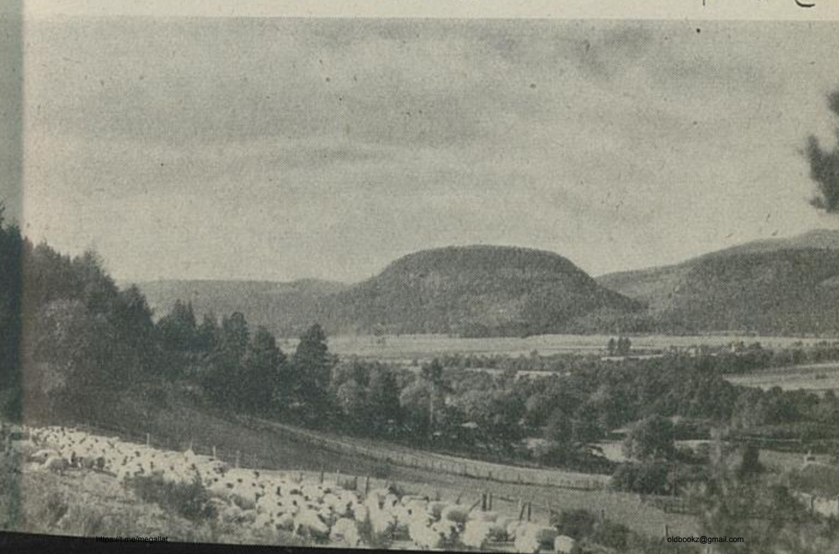
مناظر صميمة للريف
[illegible]يزى توضح جمال الريف
[illegible]ة والسكة، والوديان
[illegible]ل المحروثة .

إنها تعتادنى، أنغامها وغاباتها
لست أرى على وجه الأرض جمالا
إلا وقد ظللته أحلامى بما تستعيد
من جمالها وإبداعها إلى مخيلتى
ولكن أناساً لا يزالون يرمقوننى شزرا
ويهمسون فى صوت جاف قائلين :
«إنه معتوه بحب جزيرة العرب النائية
لقد سلبته لبه وجنانه » .

ولكن ما يسحر لب الشاعر أكثر من أى شيء آخر إنما هي مناظر وطنه انجلترا وأصواتها . وليس هناك شاعر فاق دى لا مار فى جودة وصفه للريف الانجليزى، فوصفه ينبض بما يكنه الشاعر الوطنى لبلاده من حب حار مبرح ولكنه حب طبيعى معقول .

ليس هناك من تلال أبدع حسنا من تلالك
أراحت همومى وأفكارى
وليس من وديان تفوق وديانك الرائعة الهادئة
التى ملأت صدرى بالهدوء والسكون .

قطيع من غنم صعيد اسكتلاندة على طريق بالاتر - أبوين.



فلك الغابات التى تفر اليها روحى
فى وقت وهج الهاجرة
تفر إلى ملجأ مخضر منعش
هادئ هدوء الحلم .

وبحارك المائجة المزبدة تدوى كالأبواق
وسحائبك ما أكثر ما راقبتها
وأبراجها المضيئة تتسلل فى سكون
إلى عالم اللانهائية !

إن قلبى ليصعق فى جوانحى
إذا شرد بعيدا عنك فى مجرد التفكير
فليكن منك لحدى الذى إليه آوى
وليكن ظلامك ظلامى الأخير .

والتر دى لا مار، ذلك الشاعر الذى نشر ديوان قصائده حديثا على
الناشرين فابر وفابر، يخاطب عصرنا الملىء بالأسى بهذه الرسالة البينة،
الحب والجمال يعلوان على كل أحزان هذه الدنيا العارضة الزائلة
كتب فيها الموت على الجميع، والحب والجمال يؤججان قبسا خالداً
السعادة الباقية، السعادة التى تنتشل الروح المضناة التى أنهكها
تقال من عالم الفناء إلى السرور الدائم وسهوله الضاحية .

أيها القلب الفانى الذى يستطيع برغم فنائه
أن يخفق إلى عالم المجهول خفقات الثناء والاكبار
والذى يستطيع فى الينابيع المتدفقة فى العلياء
أن يرشف الحب الحلو الذى ينعش الفؤاد !

أ . ج . أ .

★

المدينة المحرمة

بقلم ستابلتون تروويل

لا شيء يحث الانسان على مضاعفة جهده حث السدود والعراقيل في طريقه ولا شيء يرهف عزمه ويلهب تصميمه على تحقيق مثله العليا وإدراك هدفه المقصود مثل الشيء الذى لا ينال. وإنما يزيد الاخفاق عزيمة الناس قوة وإرهافا، وإذا أردت مثلا لهذا العزم المصمم الذى يقهر الاخفاق ويحيله فوزا باهرا فاليك مغامرات تلك المستكشفة الباسلة مدام الكساندريا دافيد نيل التى قامت بمحاولات أربع فاشلة لاختراق أرض التبت المجهولة وفى كل من هذه المحاولات الأربع صدتها السلطات وأرجعتها عن تلك البلاد المحرمة على الأجانب، ولكنها في محاولتها الخامسة فازت باجتياز البلاد والوصول إلى مدينة لهاسا حيث أقامت شهرين ومع كل ذلك بقى سرها مكتوما لم تطلع عليه عين في ذلك الاقليم.

ذلك أنها كانت على تمام العلم باللغة التبتية المعقدة الصعبة وبأساليبها الاصطلاحية كما كانت خبيرة بعادات أهلها فمكنها ذلك من أن تختلط بهم وتحيا معهم دون أن يكتشف سرها مع أنه فى خلال رحلتها الخطرة كان يحدق بها دائما شبح الاخفاق والخيبة مرة أخرى لو انفضحت حقيقتها.

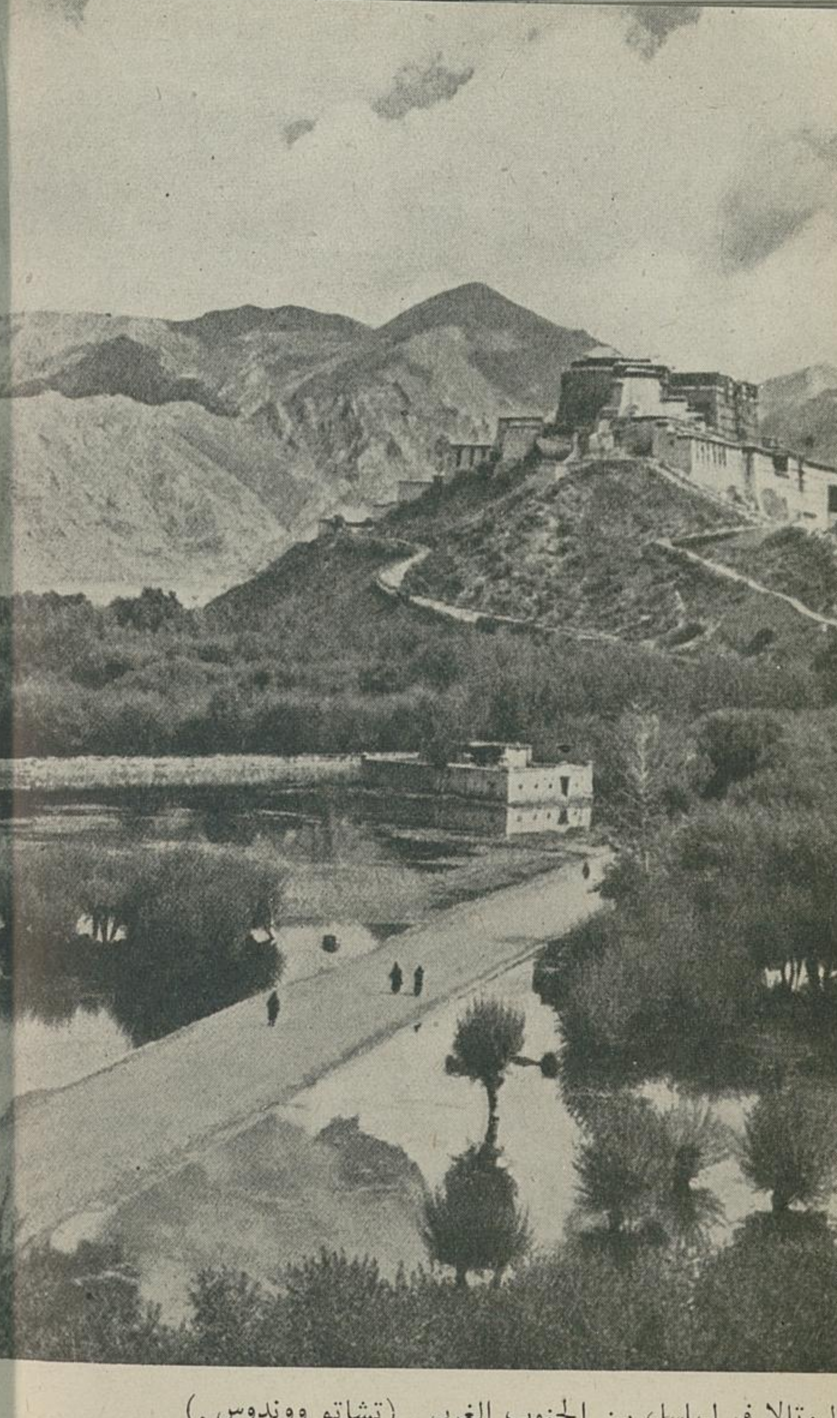
كان والداها مختلفى الجنسية، وقد تلقت العلم فى جامعة السوربون فى باريس وطنها، وصارت لزمن ما أستاذة فى جامعة بروكسل. ولكن حبها للارتحال كان شديدا فقامت بجولات شاسعة فى أنحاء آسيا. وكتبها مفعمة بالجدة وبالمعرفة الشخصية الوثيقة والاطلاع الثاقب على



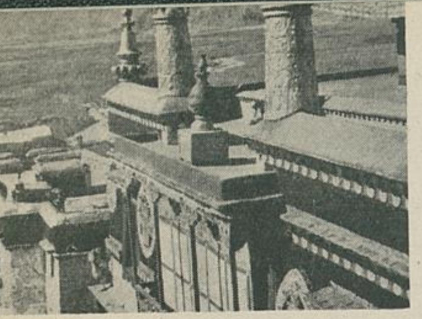
ـة من قوافل بلاد التبت (الصورة من تصوير المؤلف) .

موضوعات تكاد تكون مجهولة ومن ذلك عادات الشعوب المختلفة فى تلك الأصقاع من الدنيا التى زارتها .

بينما كانت تجتاز سلسلة جبال خاكاربو مع زميلها المخلص يونجدن الذى كان « لاما » أى قسيساً تبتياً وصاحبها فى عدة رحلات لها فى آسيا، تظاهر الاثنان بأنهما قد تاها عن حمالهما وتنكرا فى زى الحجاج المسافرين على الأقدام المستجدين الطعام فى طريقهم، وبدأ رحلتهما المليئة بالمجازفة والأخطار. وقد أصابت مدام دافيد نيل فى اختيار هذا الزى التنكرى إذ أنه يساعد الانسان على السير دون أن يهتم به أحد أو يلقى اليه شأنا فى تلك البلاد المليئة بالشكوك والريب، إذ



البوتالا فى لهاسا، من الجنوب الغربى . (تشاتو ووندوس .)





اليمين : المعبد الذى يظلل قبر الدالاى لاما السابق .
اليسار : الشكل الخارجى للطبقة العليا من ذلك المعبد .

ما حدث مرة واحدة أن شك أحد فى شخصيتها . وكان يونجدن لاما حقيقيا واسع العلم فارتدى رداء اللاما المعتاد ذا اللون الأرجوانى الحالك ويمنطق بزنار فى وسطه وارتدى اشارات دالة على أنه واحد من (القبعات الحمراء) اى الطبقة العليا بين طبقات القساوسة التبتيين وفى هذا الزى صاحب مدام دافيد نيل التى تصنعت أنها أمه . ونجم عن معرفتها أنها كثيرا ما اضطرت تحت ظروف قاهرة إلى أن تستغل بساطة عقل أولئك الناس وايمانهم بالخرافات بأن استعملت قوتها المزعومة فى فن السحر وفى التنبؤ بالمستقبل . ثم إنهما عبرا ممر دوكر وقاما برحلة مليئة بالأخطار عاشا فى خلالها عيشة شاقة على النزر اليسير من الطعام وهما متنكظان بهذا الزى التنكرى حتى وصلا مدينة لهاسا بعد أن صادفا كثيرا من المغامرات المدهشة اضطرت مدام دافيد نيل فى احداها الى أن تجرد مسدسها من مخبئه وتطلق النار على لص هاجمهما مدافعة بذلك عن حياتهما وقد كادت هذه الحادثة تنتهى بفضح حقيقة شخصيتها .

وقد ظلا يسافران ليلا و يختبئان نهارا ليتجنبا الاختلاط بالمسافرين التبتيين حتى توغلا فى أعماق تلك البلاد فان التبتى بسبب قساوة المناخ وصعوبة الطريق يقصر سفره على وقت الصبح وقل أن يغامر بالرحيل آخر النهار أو فى اثناء الليل فى تلك البيداء الموحشة البرية خوفا من اللصوص وقطاع الطريق ، ذلك أن أخلص التبتيين ذمة وأنقاهم ضميرا يعد من العار أن ينقلب إلى لص وسارق و يسلب اخوانه من بنى البشر .

والناس هناك يندر أن يستحموا أو يغسلوا أنفسهم وتلك فيهم عادة لعل
من أسبابها حالة المناخ هناك ، واذا اعتبرناهم بالمقارنة الى شعوب
أخرى وجدنا مستوى معيشتهم ومرافق الصحة بينهم من أحط نوع ولولا
قساوة المناخ هناك وشدته لحصدت الحمى السكان بأجمعهم حصدا .

وقد حدث مرات كثيرة أن مدام دافيد نيل خارت قواها لعدم وجود
طعام مغذ ولكنها استمرت فى سيرها مجاهدة خلال عواصف الثلوج وزوابع
الأمطار وخلال السيول المزمجرة والرياح القارسة البرد . فان ذلك القطر
قفر برى ممحل شديد الوعورة ، وقد سمى بحق (سقف العالم) فان بعض
الممرات الجبلية يبلغ ارتفاعها ١٨٠٠٠ قدم وهى مغطاة بالثلوج وليس
فيها إلا ممر وعر للأقدام ليس له من علامات هادية إلا بعض كومات
من الأحجار هنا وهناك . ولكنهما إذ كان العزم والشجاعة يملآن صدريهما
اقتحما كل هذه المخاطر والصعاب ونجوا وهما قيد شعرة من أن يرتاب
فيهما وتفضح حقيقتهما مرات كثيرة لا تتسع هذه القصة الموجزة لاستيعابها
كلها حتى أصبحا ذات يوم وقد غادرا قرية دتشن وإذا بهما يريان
فى نور الصبح المنبثق المقاصير الذهبية المتلألئة لقصر بوتالا وهو القصر
العظيم الذى يسكن فيه الدالاى لاما وأسفل منه تمتد مدينة لهاسا
وما أسرع ما نسيا مخاوفهما إذ قد أفلح مسعاهما وتكلل بالنجاح . وفى
لهاسا عاشت مدام دافيد نيل ورفيقها يونجدن شهرين من الزمان
يتفرجان على كل شيء ذى شأن ويستكشفان وهما فى كل ذلك قد أجادا
تنكرهما فى هيئة شحاذين حتى إنه فى مرة من المرات نزل جندى من
جنود البوليس بالضرب على مدام دافيد نيل فى شوارع لهاسا لأنها كانت
تستجدى فى حى يسكنه الأشراف !

أما لهاسا تلك المدينة المحرمة فتقع فى واد عميق يحيط به سلسلة وعر
من الأرض وهى على ارتفاع ١١٨٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر
وفى الشتاء تكتسح هذه الهضبة الشامخة رياح شديدة وعواصف هائلة
محملة بالغبار ، والأرض المجاورة ماحلة عارية ولكن أشعة الشمس

دير دريبونغ — وهو أكبر أديرة الدنيا .
وإلى الأسفل على اليمين : قاعة الاجتماع بدير سيرا — وهو ثانى أديرة العالم كبرا.
وإلى الأسفل على اليسار : رئيس الرهبان المسن لدير سيرا .
(تشاتو ووندوس .)





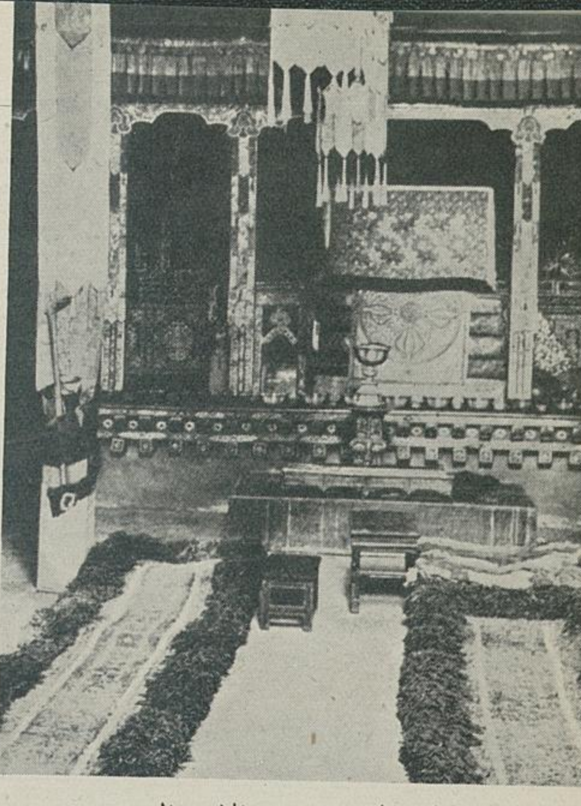
القنطرة الفيروزية فى لهاسا . وترى البوتالا فى مؤخرة الصورة . (تشاتو ووندو

مدخل « كاتدرائية » لهاسا — أعظم أبنية التبت قداسة . (تشاتو ووندوس

ساطعة تكسوها الوانا رائعة الخلابة . وليس هناك ما يسر العين فى
نظر البيوت التبتية فى لهاسا فانها ملوثة بالأقذار، والشوارع عبارة
ن مزابل عامة وهى إلى جانب ذلك مليئة بالكلاب الطريدة الشاردة
تى تجثم فى أنحائها . وبرغم أن البيئة كلها مقبضة وضارة بالصحة فان
سكان انفسهم يفيضون مرحاً وضحكا مما يجعل المنظر شاذا مخيفا .
ديانة الاقليم هى الديانة البوذية وهى تامة السيطرة على حياة الناس
تتمثل فى قساوستها اللامات ولكنها لسوء الحظ قد داخلها الخلط
التشويش حتى صار من العسير تمييز البوذية الحقة بين أغلبية اللامات
عامة الشعب كما أن الديانة كلها قد تقسمت إلى طوائف عديدة من
آلهة حتى أصبحت إفسادا للعقائد الأصلية الخالصة لهذا الدين . ويسود
ناس الايمان بالخرافات وتدل عاداتهم على ما للاما من النفوذ الهائل
حياة أغلبية التبتيين الذين يتملكهم الفقر والأمية . وليس مسموحا لأى
جنبى دخول القطر ما عدا موظفى الحكومة البريطانية الذين يزورون البلاد
حتى هؤلاء لا بد لهم من القيام بتدابير خاصة أولا وسبب ذلك أن اللاما
خاف أن يفقد قوته وسلطته على الشعب . وهو يعيش على كاهل
شعب فهو فى الحقيقة عالة على المجتمع لا يعمل ولا يزرع ولذلك
سعى فى بث الرعب فى قلوب التبتيين السريعى التصديق بتخويفهم
ن مجىء الأجانب . وكان هذا السد المنيع هو ما دفع مدام دافيد نيل
ى أن تصمم على أن ترى بعينها المدينة المحرمة وان تتوغل فى أسرارها
نتزع هذه الأسرار من مكامنها وتعرضها على العالم .

ومدينة لهاسا مدينة مكتظة إذ هى لا تشمل إلا مربعا محيطه من
يلين إلى ثلاثة أميال ويحيط بها شارع خارجى يسمى (لنج كور) أو
ارة المنتزه وفرض واجب على كل بوذى متمسك بدينه أن يطوف بهذا
شارع كل يوم وخصوصا فى الأيام المقدسة المعينة . وحين نخترق هذا
شارع المحيط الملىء بأشجار الصفصاف المتهدلة الأغصان نرى عجلات
عبادة الضخمة مثبتة فى جانب الطريق وكلما مر بها مؤمن حركها

لتدور كواجب دينى علي
حتى يبعث بالأدعية إل
آلهته كما تقضى العاد
التبتية المرسومة . ويصطف
المتسولون صفوفا فى مختلف
النقط من الشارع وما اك
ما نشاهد من الحجا
المسافرين فى رحلتهم الور
حول المدينة لا ينفكون ع
إدارة عجلات العبادة
التسبيح على سبحاتهم ب
ترفرف فوق رءوسهم رايا
العبادة لتطرد الأرو
الشريرة وهى مثبتة ع
أعمدة مغروسة فى الأرض
متهدلة على أغصان بعض



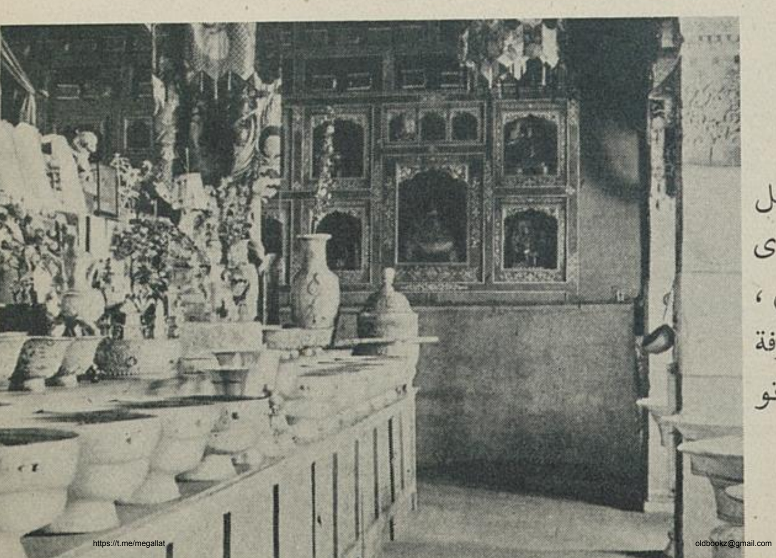
عرش الدالاى لاما فى حجرة الاستقبال بقصره فى نوربهو لينغكا . (تشاتو ووندوس .)

الأشجار . ويمر الشارع على خزان يسمى كالنج تشو بنى فى سنة ٧٢١
ليحمى المدينة من الفيضان . ولا يزال يبدو علامات تدل على الفت
الصينية الماضية تتجلى فى الهياكل والنقوش والتصاوير وأمثالها ومن الأس
لا يسمح لنا الفراغ بأن نفصل فى وصف شارع لنج كور ، وإذ
مضطرون إلى ان نكتفى بوصف مقتضب لبناء بوتالا ذلك البناء ال
يتطلب وصفا مطولا مفصلا فنحن نأمل أن الصور التى تحلى هذا الم
ستساعد القارىء على أن يتخيل تلك المحاسن الجمة ويقدر ما لها من قيم

ولا يسعنا أن نمضى دون أن نشير إلى بناء جوكنج وهو أع
الأبنية قداسة فى التبت كلها وهذا الهيكل الذى يقع فى وسط لها
إليه يحج كل الحجاج البوذيين المخلصين . وقد بنى فى سنة ٦٥٢

ميلاد ليضم التماثيل التى ابتاعتها زوجتا الملك سنج توين جمبو البوذيتان، ولكن البناء قد أضيف إليه بعد ذلك حتى ازداد حجمه زديادا عظيما. وفى داخله المقاصير والمعابد بنيت للآلهة المتعددة وكثير من الأوثان محلاة بالأحجار الثمينة ذات القيمة الغالية.

وبناء بوتالا يشرف على مدينة لهاسا بأجمعها إذ هو يعلو بمقدار ٤٤٠ قدما على مستوى المدينة ويمتد إلى اتساع ٩٠٠ قدم. وهو بسيط البناء ومنظره مخيف يملأ القلب خشوعا ورهبا وهو من أروع الأبنية فى الدنيا وأشعة الشمس تنعكس على أعمدة سقفه الذهبية وتبعث شعل من اللهيب، وأما فى الليل فان ضياء القمر ينعكس من حيطانه البيضاء الدهان. والبناء مخروطى الشكل نوعا ويبدو كأنه مائل إلى الوراء ويعزز هذه الهيئة أن النوافذ أعرض فى قاعدتها منها فى أعلاها. وليس للبناء إلا مداخل ثلاثة يقود إليها سلالم ضخمة ملتوية تعززها بطان قد نحتت فيها درجات عظيمة الضخامة أيضا. وقد كان بناء بوتالا على يد الدالاى لاما الخامس الذى تتمتع ذكراه بقداسة بالغة واسمه لبسانج جياتسو. ولكن لا يستطاع الجزم بتقدير الأبنية السابقة التى كانت موجودة فى ذلك المكان والتى ضمت إلى البناء الحالى



الأسفل
الدالاى
السابق ،
زخرفة
(تشاتو
س .)




صورة على حيطان الإصطبلات بقصر الدالاى لاما فى نوربهو لينغكا . إلى اليسا
قاعدة نفير مصنوعة من الخشب المدهون الجميل ، وتستعمل فى احتفالات ال
الجديدة على سقف البوتالا . (تشاتو ووندوس .)

ولما مات ذلك اللاما فى سنة ١٦٨٠ كان البناء لم يتم بعد ولكنه أكم
بعد بضع سنين سنج جيا جياتسو وزيره وناصحه الكفء . وحيطان البوت
تدهن بالدهان الأبيض مرة فى كل عام كما أن النوافذ تدهن باللو
البنفسجى الزاهى .

والطقوس الكبيرة فى السنة التبتية تكاد كلها يقام بها فى داخ
حيطان البوتالا أو على سقفه الفسيح . وبينما كانت مدام دافيد نيـ
فى لهاسا أسعدها الحظ بأن شاهدت مراسم الاحتفال بالعام التب
الجديد تلك المراسم التى غبر عليها العهد وفى اثنائها يرتدى النا
والموظفون أبهى حللهم حتى يصير المنظر بديعا رائعا مليئا بالألو
المبهجة والموظفون يختالون فى زهو وكبرياء ووقار . وكان على سقـ
البوتالا مبارزات مصطنعة ومنافسات فى الرمى ورقص الشيطان المثـ
ورقصات الاشباح ولكن أعظم من ذلك كله وقعا على النفس راقـ
(القبعات السوداء) بما لهم من الأسرار والرموز. وهذه الاحتفا
تستمر أياما عدة مصحوبة بغير انقطاع بقرع الطبول النحاسية وبالأنـ
الرنانة الصادرة من أبواق الهيكل الضخمة وبرنين الصنوج وأصو
الآلات الموسيقية الأخرى .

وبينما المنظر الخارجى للبوتالا رائع رهيب إذ بداخله مجمـ

باشدة من الأفكار الفنية ممثلة فى مختلف الحجرات والدهاليز . ومرة كل يوم يجب أن يجتمع كل موظفى لهاسا من دينيين ومدنيين فى قاعة اجتماع العظيمة فى وقت معلوم وهذا للتأكد من أن الموظفين باقون فى أعمالهم لم يهجروا المدينة . والحيطان الداخلية للبوتالا مغطاة بمختلف التصاوير وما أكثر ما يشاهد هناك من التحف الفنية مثل المصابيح البديعة الصنع وأوانى الخزف النادرة المثال والمصنوعات المعدنية الدقيقة التصميم ونماذج لمختلف المعابد والصناديق السحرية الثمينة القيمة والأقراط الطويلة المصنوعة من الفيروز وهى ميزة رجال الطبقة العليا فى تبت وهؤلاء يلبسون قرطا واحدا يتدلى من شحمة أذنهم اليسرى أضف إلى ذلك عددا لا يحصى من الجواهر التى لم تقطع ولم تصنع والتى لا تبارى فى صفائها وتلألؤها، ويقال إن البوتالا وأقبيته تضم كنوزا من المال لا يصدق مقدارها وأحجارا ثمينة ومعادن وهى هدايا أهداها الحجاج الأتقياء واكتنزها كبراء اللامات خلال السنين.

وأشد أجزاء البوتالا وقعا على النفس الضريح الذى تثوى فيه الأجساد المحنطة لكبراء اللامات، ويقال إن أحدها موضوع فى تابوت ذهبى مطعم بالذهب ومحلى بالفيروز واللازورد والجمست والجزع المعرق والياقوت الأزرق والأحمر والماس . ومن سقف الضريح يشرف الرائى على أعجب منظر لمدينة لهاسا بمنازلها ذات السقوف المسطحة وشوارعها الضيقة والمتنزهات فى خارج المدينة ولنج كور والبوابات الضخمة العديدة فى مداخل المدينة وجسر الفيروز الذى سمى بهذا الاسم بسبب لون سقفه المغطى بالقرميد ونوربهو لنجكا البديع المنظر أو متنزه الجواهر الذى يصيف فيه الدلاى لاما والسقف الذهبى للجوكنج ورايات العبادة الشامخة ومن وراء ذلك كله حقول الشعير المقسمة إلى مربعات تحفها سلسلة الجبال الشامخة الشماء الرهيبة المنظر محيطة بالهضبة كلها .

وفى جوار لهاسا توجد الأديار الثلاثة العظيمة دريبنج وسيرا وجاندن المسماة (أعمدة الدولة الثلاثة) وهى أكبر الأديرة فى الدنيا وفى داخل

جدرانها يسكن حوالى عشرين ألفا من النساك وكل دير منها ينافس الآخر
الحصول على السيطرة السياسية . وكل أسرة فى التبت لها أمل مقصود أ
يكون من بين أفرادها لاما واحد على الأقل . وحين يدخل الواحد ديرا وه
حديث السن يقضى هناك سبع سنين متتلمذا فان هذه المدة أقل ما يلز
لتعلم الصلوات والطقوس تعلما تاما، وإذا حدث أن أحد اللامات فى الوظائ
العليا خانته ذاكرته مرة واحدة فقد يسبب ذلك فقدانه منصبه الرفيع

وفى إثناء احتفال العبادة العظيم الذى يشمل الأسابيع الثلا
الأولى من العام التبتى الجديد يكون فى أيدى اللامات السلطة التا
على المدينة فيلغون قوانين القطر ويحلون محلها قوانينهم هم، وفى ه
المدة القصيرة يحدث عادة متاعب وفوضى أخلاقية كبيرة تسب
التصادم بين الموظفين العاديين والكبار من ناحية وبين اللامات المتغطرس
المتطفلين من دير دريبنج من ناحية أخرى . والشعب أجبن وأجه
من أن يحاول قمع إساءة اللامات لاستعمال سلطتهم . وكثير من الأدي
تكاد تكون أوكارا للعقبان إذ هى معتزلة منفردة قد بنيت على ارتفا
سحيق على جوانب الجبال الشماء .

والسيطرة فى داخل القطر مقسمة بين الدالاى لاما وبين نائبه الو
على العرش ويعتقد التبتيون أن روح اللاما الاكبر متسلسلة، وح
يموت فما أكثر ما يحدث من الطقوس والبحث حتى يكتشف الطفل الذ
سيحل محله . والدالاى لاما يحيا حياة اعتزال . وقد تسبب من ش
تسلط الرهبان على القطر أن القطر لا يزال فى درك شديد الانحطاط
المدنية حتى إنه لا توجد طرق معبدة ولا صناعات هندسية أو معد
ولا سكك حديدية ولا يوجد إلا آلة واحدة للاسلكى وخط واحد للتلف
وهذان لا يرتبطان إلا بادارات الموظفين البريطانيين فى الحكو
الهندية فى درجيلنج ، وحتى فى أيامنا هذه التى تستعمل فيها آلات الطبا
فى كل اطراف العالم لا يزال ورقهم يصنع باليد وهو ورق سميك الح
مرقش الشكل خشن السطح وبسبب إدخال أوراق نبات البيش فى صن

ورة نادرة للراقصين المشهورين ذوى القبعات السوداء، على سقف البوتالا. رقصهم مليء بالتصوف والحركات الرمزية، وهم يرقصون لكى يبعدوا الأرواح الشريرة التى تجمعت فى السنة القديمة المنصرمة. (تشاتو ووندوس.)

من أهل التبت يشتركون فى احتفالات السنة الجديدة. لاحظ الطرز المختلفة لملابسهم. (تشاتو ووندوس.)



من علماء اللاما يقرأ كتابه المقدس .



تابة رايات للصلاة ويبيعها فى الشارع.



دوى رحال من أهل التبت ومعه عجلة الصلاة.

ت : شحاذ ومعه طبلة جمجمية وجرس دورجى صاعقة مقدسة) . (تشاتو ووندوس .)



لا تأكله الحشرات . وقوالب طباعته تصنع باليد مع العناء الكبير معكوس على الخشب وكتبهم ذات صفحات طويلة من الحجم الكبير جدا يض إحداها إلى الأخرى أشرطة من القماش وتنفتح إلى الجانبين وهى فى أغلب تحتوى على كتب الديانة البوذ والصلوات والطقوس . ولا تزال التب خالية من الأشياء النافعة المفيدة ال يعرفها العالم الغربى لأن اللاما يعرفون أن جلبها إلى البلاد يجل معه التعليم فتتضاءل قوتهم بمقدار تنتشر المعرفة وروح الاستقلا والطموح بين الفلاحين . ووسائ السفر بسيطة للغاية فهى اما بالركو على ظهر الحصان الصغير الحجم حيوان الياك أو بالسير على الأقد ولهذا السبب نجد الناس هناك ب فى أحوال معيشتهم . وهم لا يحتاج إلا النزر اليسير فى حياتهم، ولكنه بد أن يوجد فى داخل هذا الأص ثروات لا تحصى من المعادن والخا فضلا عن ما لفنونهم وصناعاتهم جمال لم يكتشف بعد .

بعد قضاء شهرين فى لـ غادرت مدام دافيد نيل



يتحدث مع سائقين من سائقى
غل . (من تصوير المؤلف .)
ى سيدات الطبقة الراقية فى التبت.
اتو ووندوس .)

سكون كما جاءت، وفى عودتها
تنكرت فى زى امرأة من الطبقة
الوسطى صاحبة حصانين وخادم
هو بالطبع يونجدن ولما عبرا
نهر كيى علوا ممرا صغيرا وتوقفا
ليلقيا نظرة على لهاسا التى بدت
وكأنها حصن خرافى معلق فوق
مدينة ثم استدبرا فى روح من
الكآبة والحسرة تلك المدينة
السحرية ومضيا فى رحلتهما
الطويلة عبر نهر براهمابترا الى
أودية يانلنج الخصيبة وبعد مدة
وصلا إلى جيانتسى حيث أثارت
مدام دافيد نيل دهشة الموظفين

البريطانيين إذ حضرت أمامهم فى زى امرأة تبتية تتحدث بالانجليزية فى طلاقة تامة !.

وهكذا انتهت رحلتها وإن كان بقى أمامها طريق قارس البرد عبر الهضاب والممرات الساحقة التى تكتسحها عواصف الثلوج من جيانتسى إلى الحدود الهندية . ومدام دافيد نيل أول امرأة من الجنس الأبيض يتسنى لها دخول مدينة لهاسا المحرمة وتشق بذلك طريقا لمغامرى المستقبل، وهكذا نرى تلك القوة البدنية الضئيلة المودعة فى الانسان تسيطر عليها قوة الارادة التى لا تغلب فتقهر عناصر الطبيعة وتتغلب على أصقاع مجدبة فى نفسها وفى سكانها وتلغى تلك القوانين الصارمة التى وضعها لامات التبت محرمة زيارة الأجانب لبلادهم ورؤيتهم لما فى «المدينة المحرمة» الذائعة الصيت من فنون وصناعات ومحاسن .

يق من أهل التبت . (من تصوير المؤلف .)



فصول الرسم والتلوين فى برامج الدراسة

بقلم الآنسة اجلال حافظ

ان من ابرز التغييرات التى ادخلت على برامج الدراسة فى العالم الراقى اليوم هى العناية الكبيرة التى اصبحت توجه الى تدريس الفن اى الرسم والتلوين للاطفال منذ اول التحاقهم بالمدرسة اى حوالى السادسة من العمر، او قبل ذلك بقليل، حتى الرابعة عشرة او الخامسة عشرة . فتوجد فى هذا الميدان اليوم حركة واسعة مهمة يخصها المشتغلون بالتعليم بعناية كبيرة ودراسة دقيقة لما اكتشفوه من المزايا والفوائد التى تعود على الطفل من دراسة هذه المادة . وهذه المنافع التى يجنيها الطفل لا تقتصر على تعلم مادة الرسم نفسها بل ان لهذه الدراسة اثرا بينا على تطوره وتكوينه العقلى بوجه عام سواء اظهر الطفل اتجاها وشغفا خاصا نحو الرسم او لم يظهر مثل هذا الميل .

ولاننى على يقين من ان مثل هذا الموضوع هو مما يهم البلاد الشرقية وانه يجب ان يحتل نفس الاهمية من نفوس المشتغلين بالتعليم فى كل تلك البلاد رأيت ان اروى فى هذا المقال بعض التفاصيل مما اكتسبته من خبرتى فى المدارس الانجليزية .

وكما قدمت فان الفوائد التى يجنيها الطفل فى دروس الرسم ليست محصورة على تزويده فى النهاية بالمهارة الفنية التى بها يستطيع محاكاة النماذج التى توضع امامه بقلمه الرصاص او ما يماثله بل ان افق هذه الدراسة اوسع من هذا بكثير وانه اذا اجريت هذه الفصول على الطريقة المثلى ساعدت على تكوين ملكات عديدة عند الطفل ربما عجزت اى مادة اخرى عن غرسها فيه .

والطفل فى حداثة سنه منذ بلوغه الثالثة احيانا، عندما لا تخرج

حدود دنياه الصغيرة عن اللعب تراه يبدى ميلا ظاهرا للرسم، فهو
قبل ان يتعلم شيئا عن القراءة والكتابة تراه يقبض على القلم او قطعة
من الطباشير كيفما اتفق ويحاول ان يخط خطوطا ويرسم اشكالا على
قطعة من الورق وهو بهذا يحاول ان يعبر عن اشياء رآها او سمع بها او
ربما املاها عليه خياله المحض، وان كان ذلك الخيال مهما اشتدت قوته
وغرابته لا يخرج عن خبرته التى اكتسبها من العالم المحسوس الذى
يحيط به . وهو من هذه الناحية يشبه الرجل الاولى الذى عاش فى
الكهوف من قديم الزمان عندما كان يستخدم الرسم للتعبير عما يجول
بنفسه قبل ان يكتشف الكتابة بل قبل ان يعرف الكلام .

اذن الرسم كاللعب هو من اول الميول التى تبدو عند الطفل، وكما
ان طرق التعليم الحديثة تستغل غريزة اللعب او ولع الطفل باللعب
فى سنى عمره الاولى لتلقينه العلم شيئا فشيئا كذلك اصبح هذا الميل
للرسم عند الطفل مصدرا لتوسيع افق ادراكه وغرس ملكات عظيمة
الاهمية فى نفسه .

ما هى تلك الملكات التى تنميها دروس الرسم عند الطفل؟ ان اول
تلك الملكات واهمها هى قوة الملاحظة التى هى اقوى سبيل للتعليم
فالطفل الذى تشتد عنده تلك الحاسة جدير بان يكتسب من العلم و
يجرى حوله من تجارب الحياة اضعاف غيره ممن لم تتطور عندهم هـ
القوة .

بيد ان الخيال هو اولى الملكات التى تبرز عند الطفل وفى درو
الرسم يستطيع المدرس ان يهذب هذه الملكة وان يعمل على زيادة
وتنميتها، وسعة الخيال الذى تصحبه القدرة على الابداع والابتكار
مزايا غنية عن الوصف .

وقوة الحافظة ملكة اخرى تلعب دورا جديا فى تكوين الانس
العقلى ويمكن تدريبها وتقويتها فى فصول الرسم، هذا الى جانب صف
اخرى عديدة عظيمة الاهمية كالدقة والنظام والتبصر وقوة الحكم .



تلميذات فى فصل للرسم عن الحياة بمدرسة تشلتنهام .

لكل هذه الاسباب يشتد اهتمام اولى الامر بفصول الرسم فى المدارس الاولية او ما نطلق عليه عندنا رياض الاطفال وفى المدارس الثانوية التى يلتحق بها الاطفال وهم فى العاشرة من العمر تقريبا حتى حصولهم على شهادة البكالوريا او ما يعادلها .

وتتدرج المواضيع التى تدرس باختلاف الاعمار كما يختلف عدد الحصص ومدتها تبعا للسن كذلك ففى حالة صغار الاطفال يكثر عدد الحصص فى الاسبوع وتكون مدة الحصة الواحدة قصيرة، حوالى نصف ساعة، لعدم استطاعة الطفل الصغير المثابرة لفترة طويلة .

ولا ينبغى ان يقيد الطفل فى اول عهده بالدراسة بموضوعات يمليها عليه المدرس بل يجب ان تترك لخياله اكبر فرصة، وان تترك له حرية التعبير عما يختاره هو نفسه من الموضوعات ومن الخطأ ان يزحم المدرس عقل الطفل بارشادات ونقد عن الرسم فى هذه المرحلة والا افسد على الطفل ذلك الخيال او حده بقيود تعود عليه بالضرر. وان كان لا بد للمدرس من اختيار الموضوع فليعط الطفل عددا من الموضوعات ويترك له ان يختار من بينها ما يشاء وفى كل هذا لا يجب عليه ان يعطيه من الارشادات عن اصول الرسم الا الضرورى جدا والا عقد السبيل امامه كما قدمت .

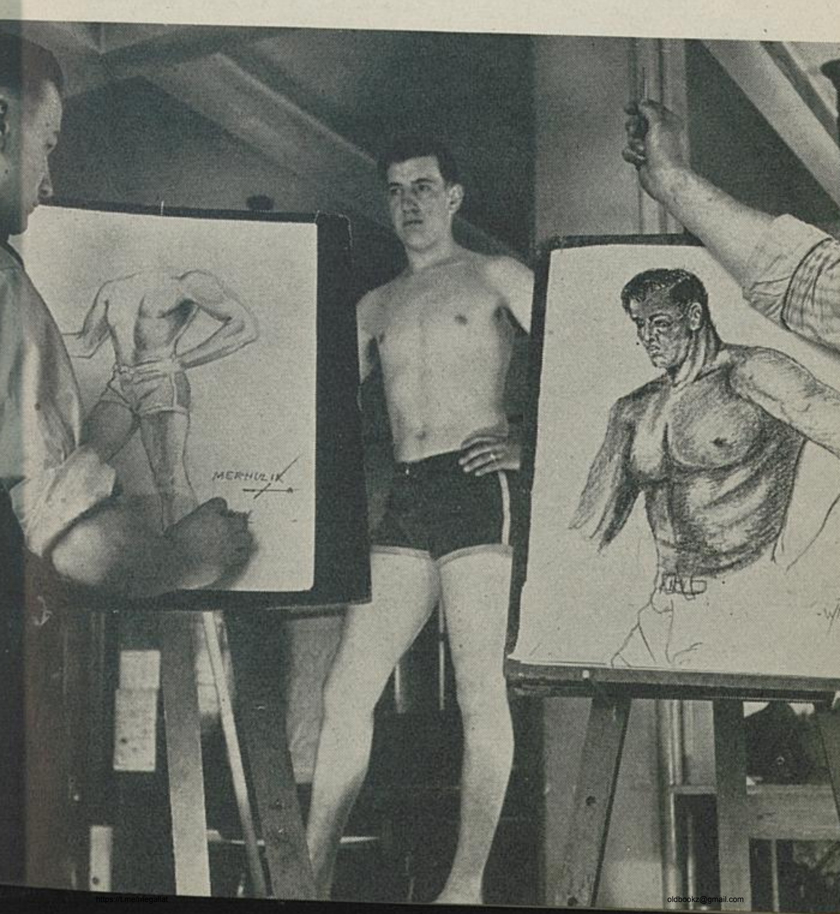
وكلما تقدم الطفل فى العمر استطاع المدرس ان يزيد فى تحديد الموضوعات وكذلك يستطيع ان يزيده من الارشادات بالتدريج .

والنظرية السائدة اليوم هى ان يبدأ الطفل دروس الرسم باستخدام الالوان المائية والفرشة فى عمل صورة لا رسم نموذج معين ثم التدرج بعد

ذلك الى الرسم بالقلم الرصاص ، هذا على العكس من الطرق القديمة التى بها كان يترك استخدام الالوان المائية حتى مرحلة متأخرة من التعليم .

وتلك النظرية القديمة عقيمة ولها مضار عديدة فهى تحد من حرية الطفل الذى يفضل ان يرى نتيجة سريعة لعمله ولا يمكنه ان يحصل على تلك النتيجة عن طريق استخدام القلم الرصاص وثانيا فهى تواجهه بمشكلات وصعوبات تجعله يخشى دروس الرسم ان لم يمقتها بالكلية .

والالوان المائية هى انسب مادة للطفل فهى تشبع فيه حبه وولعه بالالوان الزاهية كما ان الفرشة توفر للطفل اكبر قسط من الحرية فى وضع الاشكال والرسوم على الورق . وتقسم دروس الرسم الى فروع تتفق مع مراحل نمو الطفل العقلى وظهور ملكاته تبعا لسنه . فمثلا ، كما قلت من قبل ،



ن ملكة الخيال تظهر فى سن مبكرة لذلك تختار موضوعات تعين على تنمية
لك الملكة فتقتصر الدراسة، الى وقت ما، مثلا على عمل صور ملونة . ومن
هذه الدروس يتدرج المدرس الى تقوية قوة الملاحظة عند الطفل كأن
يجعله ينظر الى الجسم او الشئ قبل رسمه . ثم تأتى بعد ذلك الحاجة الى
تدريب قوة الحافظة فيطالب الطفل برسم نماذج من الذاكرة ثم يعاد
وضع النموذج امام الطفل ليرى اخطاءه .

ومن الفروع التى لها اهمية خاصة فى دروس الرسم دروس
الزخرفة التى تستحث فى الطفل قوته الابداعية والابتكارية ويمتد اثر تلك
الدروس فى حياة الطفل العامة داخل المدرسة وخارجها وهى وسيلة
كبرى فى تعليم الطفل نظريات الالوان وتهذيب ذوقه الفنى بوجه عام .
وهذا الفرع يكثر تدريسه فى السنوات الاولى اى انه يسير جنبا الى
جنب مع دروس عمل صور ومناظر طبيعية .

ولست اريد ان ادخل فى تفاصيل دقيقة فنية فى الموضوع فى هذه
المقالة ولكنى سأرجئ التبسط فى النقط الفنية الى المقال المقبل .

ولكنى قبل ان اختتم اشير الى ظاهرة اخرى عن العناية بتدريس
الرسم لاطفال المدارس وهى المجلات العديدة التى تظهر شهريا او
اسبوعيا بعضها للمدرسين وبعضها للاطفال انفسهم وفيها يرون
نماذج ملونة من رسوم الاطفال وارشادات تنفعهم كثيرا . والى جانب
المجلات توجد معارض الرسم للاطفال وقد زرت عددا كبيرا من تلك
المعارض التى تقام فى فترات منتظمة وكانت المعروضات فيها مدهشة حقا .
وسأتكلم عن هذه ايضا فى المقال الآتى .

ن من طلبة
ن يرسمان عن

خيال الظل فى القطر المصرى

بقلم بول كاله

قليل من يعرف «خيال الظل» فى القطر المصرى اليوم فقد اصبح هذا النوع من التسلية فى القرن الاخير قاصرا على الطبقة الفقيرة او افقر الطبقات، فقط انها لم تكن كذلك دائما، فلهذا النوع من التسلية تاريخ طويل وشهير وقد كان يدور فى القطر المصرى كملاهى الطبقات العليا او اعلى الطبقات من الناس، فنسمع مثلا ان صلاح الدين الايوبى حضر مشهدا من خيال الظل هو ووزيره القاضى الفاضل حوالى عام ١١٧١ ميلادية او ٥٦٧ هجرية، وكثيراً ما ذكر ابن اياس فى تاريخه تلك الروايات وهو يحكى ان السلطان چقمق اصدر اوامره فى عام ١٤٥١م او ٨٥٥ هـ بحرق كل الشخصيات التى ظهرت فى خيال الظل والسبب فى ذلك هو ربما ان المسلم لا يباح له مشاهدة اشياء تحاكى المخلوقات الحية، ويحكى ايضا ان السلطان محمد ابو السعادات طرب كثيرا لفكاهات رواية خيال الظل لممثلها ابى الخير اثناء المولد النبوى عام ١٤٩٨ م او ٩٠٤ هـ. وايضا ان السلطان التركى سليم، بعد ان تم له فتح القطر المصرى عام ١٥١٧ م او ٩٢٣ هـ اراد ان يرفه عن نفسه بمشاهدة خيال الظل رأى فيها اعدام طومان بك آخر سلطان فى دولة المماليك وهو معلق بباب الزويلة، ويقال ان طربه لمشاهدة هذه الرواية كان عظيما حتى انه اصطحب الممثل معه الى استانبول ليقدم الاعيبه امام ولده وولى عهده المشهور السلطان سليمان.

وقد ساعدنى الحظ فوجدت فى القاهرة مخطوطات فيها اصول لروايات خيال الظل يرجع تاريخها الى ١٧٠٧ م او ١١١٨ هـ. وقد اشترك ثلاثة من ممثلى روايات خيال الظل للقرن السادس عشر الميلادى او العاشر الهجرى، اشتركوا فى وضع اصول تلك الروايات وهم الشيخ سعود والشيخ

على النحلة والرئيس داود المناوى العطار وكان الشيخ سعود هو استاذ داود وكان على النحلة هو شيخ الطريقة فى ذلك العهد . وقد الفوا القطع الشعرية على هيئة ازجال وبلاليق وانواع اخرى من الفنون الحديثة . ويصف داود فى قطعة طويلة من الزجل رحلته مع بعض ممثليه الى استانبول عن طريق رشيد والاسكندرية فى عام ١٦١٢ م او ١٠١٢ هـ وكان عليهم ان يحضروا فى حفلة زفاف اوكوز محمد باشا الذى كان ولى منصب الحاكم العام للقطر المصرى لمدة اربع سنين وتزوج، بعد ما عاد الى استانبول، ابنة السلطان وكان عمرها فى هذا العهد ثلاث سنين لا غير . وكان هذا فى ثلاثين من يونيو عام ١٦١٢، وفى الشتاء التالى امر السلطان ان هؤلاء المصريين يمثلون خيال الظل فى حضرته فى ادرنه (ادريانوبل) .

وقد اكتشفت فى بلد صغيرة اسمها منزله تقع بين دمياط وبورت سعيد شخصيات فى روايات خيال الظل على درجة كبيرة جدا من الاهمية وتحتوى على اسلوب راق وتعد بين احسن الامثلة فى فن المماليك . وتزين بعض تلك الشخصيات بشعار النبلاء الخاص بالامير جندار حارس السراى الذى عاش فى النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادى او الثامن الهجرى . ولا بد ان الشخصيات التى زينت بذاك الشعار قد عملت بناء على اوامر خاصة اصدرها امير ذلك العهد . وهى تعد اقدم شخصيات فى روايات خيال الظل لها وجود قائم فى العالم اليوم . اذ لا نجد فى بلاد الصين ولا فى جزيرة جاوه من جزائر الهند الشرقية حيث نعلم بوجود خيال الظل من عهد قديم الى يومنا الحاضر اقول لا نجد شخصيات يمكن مقارنتها فى القدم بتلك الشخصيات المذكورة .

ونحصل من القطر المصرى ايضا على اصول لروايات خيال الظل اقدم مما نجد فى اية مملكة اخرى وقد الف تلك محمد بن دانيال ووظيفته كحال فى القاهرة وقد توفى عام ١٣١١ م او ٧١١ هـ وقد وصف ابن دانيال هذا بانه احد شعراء اللغة العربية فى سرعة الخاطر واكثرهم

فكاهة وذكاء وحقا قد كان ذلك الشاعر من ذوى الادب المثقفين وكانت روحه الفكاهية فريدة فى الادب العربى . وكان ابن دانيال فى شبابه معاصرا للسلطان العظيم الظاهر بيبرس المتوفى عام ١٢٧٧ م او ٦٧٦ هـ وتعكس كتاباته الاحوال السائدة فى القطر المصرى اثناء حكم ذلك السلطان بطريقة فائقة واذا تذكرنا ان تلك المؤلفات تحتوى على الامثلة الوحيدة الموجودة لدينا عن الشعر الروائى العربى فى العصور الوسطى ادركنا اهميتها الفريدة .

ولكن ابن دانيال مؤلف يختلف عن غيره فكل مؤلفاته مكتوبة على اسلوب السجع او الشعر واغلبها قصائد وان كانت تحتوى كذلك على بعض الفنون الحديثة مثل موشحات وازجال ودوبيت وغيرها والاسلوب العام لتلك الاشعار يذكرنا بالحريرى الذى يشير اليه ابن دانيال مرارا فى مؤلفاته ولكن بينما نجد فى تلك المؤلفات شرحا نفيسا للحريرى يساعدنا على فهم مقاماته الا اننا لا نجد ما يعاوننا على فهم ابن دانيال، وايضا فبينما نملك فى حوزتنا مخطوطات فائقة لمقامات الحريرى فان المخطوطات الثلاث التى وصلت الى ايدينا وتحتوى على روايات خيال الظل لابن دانيال قد كتبها رجال اساءوا فهم اصولها فى بعض الاحيان . والمادة فى هذه المؤلفات عظيمة الحجم والنسخة الموجودة فى استانبول والتى يرجع تاريخها الى ١٤٢٥ م او ٨٢٨ هـ مدونة بخط اليد وكلماتها متباعدة وتشتمل على ١٨٢ صفحة بينما النسخة الموجودة فى مكتبة الاسكوريال فى بلاد الاندلس والتى تؤرخ ١٤٤١ م او ٨٤٥ هـ مدونة فى ٦٣ صفحة ولكن كلماتها متقاربة . اما النسخة الموجودة فى القطر المصرى فقد دونت بعد السابقتين بمائة سنة وكانت تقع فى حوزة احمد باشا تيمور ولكنها الآن فى دار الكتب المصرية، وتشتمل هذه النسخة على ٦٧ صفحة ولكن بها فجوة كبيرة .

ويطلق المؤلف على الرواية الاولى « طيف الخيال » وفيها يعطى صورة واضحة عن الاحوال السياسية والثقافية فى القطر المصرى خلال القرن

الثالث عشر الميلادى او السابع الهجرى ومما يستحق الذكر ان ابن اياس فى تاريخه عندما يصف الاحوال فى القطر المصرى اثناء حكم الظاهر بيبارس يقتبس قطعة طويلة من هذه الرواية الاولى اى طيف الخيال وفيها يعطى صورة هزلية لبعض الاوامر التى اصدرها السلطان وتشتمل ايضا على قصيدة بديعة عن ابى مرة يعنى الابليس الذى هدم حكمه حكم السلطان . وفى الرواية الثانية «عجيب وغريب» يصور لنا المؤلف ثلاثين نوعا من السوق فى القاهرة وتدخل الشخصيات المختلفة واحدة بعد الاخرى وتصف كل واحدة منها صنعتها بروح فكاهية، وفى احدى تلك الشخصيات، مقدام المؤاسى، يقدم لنا ابن دانيال بصراحة صورة مضحكة عن نفسه وعن وظيفته كطبيب . اما الرواية الثالثة المسماة «المتيم» فتتضمن حب المتيم لليتيم وفيها يقدم بطريقة رفيعة قتال الديوك وقتال الاكباش وقتال الثيران .

اما الشخصيتان الرئيسيتان فى الرواية الاولى فهما طيف الخيال الاحدب القصير الذى تسمى الرواية باسمه والامير وصال الذى يظهر فى زى جندى له سبال منفوش ويرتدى شربوش . وسأعطى هنا مثلا من روايات ابن دانيال وهو بعض مناظر من روايته الاولى تدور حول زواج الامير وصال .

(تمر بضعة مناظر يعلن بعدها الامير وصال عزمه على الاستقرار والزواج . ام رشيد العجوز القوادة تدعى للمساعدة . ام رشيد خبيرة بكل نقط الضعف فى طباع الامير وتذكر فى جملة ما تذكر حادثة دارت بين الامير وما يزال صبيا وبين زوجها، حادثة لا يسر الامير لذكرها كثيرا . والمحاورة هى الآتية) :

يقول الامير وصال (كانه ما سمع كلامها) — يا خالتى ام رشيد كيف نعم الله عليك، ولقد كنت قسما بالله العظيم مشتاقا اليك، وما طلبتك الا لتزوجينى، والى غيرك لا تحوجينى .

فتقول العجوز — هذا من اعجب الامور، ما برحت تكره الاناث وتحب
الذكور .

فيقول الامير وصال — اذا امتلأ الجيب، فما فى حلال من عيب،
وأريد هذه العروس تكون درية اللون، حسنة الكون، ملفوفة
البدن، لا رقيقة ولا مفرطة السمن، اسيلة الخد، قائمة النهد . . .

فتقول ام رشيد — وكبدى، كانت وصفة العروسة التى عندى، فانها بهذه
الاوصاف الظراف، وموضع يا من خاف، وهذه صبية، وأى صبيه،
كانها قبة مبنيه، كما قيل (وتنشد) :

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة	كأنها لؤلؤ فى الخدر مكنون
حسن جرى قلم البارى فأبدعه	خطا تحار لمرآه الدواوين
فقدها الف حسنا ومبسمها	ميم وحاجبها فى شكله نون
وصدغها عطفه واو ومقلتها	صاد وطرتها من شعرها سين
راشت لواحظها نبلا فحاجبها	قوس على انه بالموت مقرون
فالخد والصدغ اذ يبدو ومبسمها	در وآس وريحان ونسرين
والغصن يعهد فى البستان مغرسه	وهذه غصن فيه بساتين

(وتصف ام رشيد ما امتحنت العروس مع زوجها الاولانى وما امتحنت
هى بنفسها فى شبابتها)

فيقول الامير وصال — مثلك من لا يرى على بردى .

فتقول ام رشيد — أى والله يا ولدى وإذا وقع التراضى، فلا بد من
الولى والقاضى وان شئت بلا قاضى (وتضحك على العاده،
معرضه بالقياده .)

فيقول الامير وصال — قد عزمت متوكلا، فبارك اللهم كما باركت فى لا
ولا (القرآن ٢٤،٣٥) وهذا اليوم اتصاله محمود، وأحضرى
العاقد والشهود .

(فيحضر الولى والشاهد)

فيقول العاقد — الحمد لله ساتر العيوب، وعالم الغيوب، المفرج من الكروب، والمؤلف بين القلوب، واشهد ان لا اله الا الله غافر الذنوب، واشهد ان محمدا عبده ورسوله الصادق المصطفى المحبوب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه دائمة الوجوب؛ هادى الأمة، وكاشف الغمة؛ الذى سن النكاح، ودعا الى الفلاح؛ وبعد: فان التناكح والوصل، سن لوجود الذكر ببقاء النسل؛ وهو العاصم من الاوزار، والدخول الى النار؛ نتاجه الاولاد، والسادة الانجاد؛ يعمرون الدار، وينصرون بالاكثار، ويدرك بهم الثار، وتقال بهم العثار. والزوجة المباركة هى الحافظة للفعال، الجامعة للمال، والمعدة لحسن المآل؛ والموطؤة للطعام، والممهدة للمنام؛ وهى مشتكى الحزن، ومستودعة السر والعلن؛ والمساعدة على الاغراض، والمعللة فى الامراض؛ الخليلة الصاحبة، والنائحة النادبة؛ والمسامرة الضجيعة، والمطية المطيعة.

وهذا الامير وصال، مشكور الخصال، وقد رغب فى الاتصال؛ بالست المصونة، والدرة المكنونة؛ ضبة بنت مفتاح، على ما اصدقها فيه فى هذا النكاح؛ وهى مائة معجلة، واربعة مؤجلة؛ قل قبلت هذا النكاح بهذا الصداق، عصمك الله من الفراق والطلاق.

يقول الامير وصال — قبلت، ولبئس ما عملت.

(فعندها تطلق ام رشيد البخور، وترش الماورد على الحضور.)

يقول الامير وصال — لا بد من تدبير المال، وتجهيز الحال؛ على انى الليلة اجوع من زنبور، وافلس من الطنبور. وينشد:

امسيت افقر من يروح ويغتدى	ما فى يدى من فاقتى الا يدى
فى منزل لم يحو غيرى قاعدا	فاذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة	ومخدة كانت لأم المهتدى

ملقى على طراحة فى حشوها ... قمل شبيه السمسم المتبدد
والبق امثال الصراصر خلقة ... من متهم فى حشوها او منجد
يجعلن جلدى وارسا فتخاله ... من قرصهن به ندوب المجلد
وترى براغيثا بجسمى علقت ... مثل المحاجم فى المسآء وفى الغد
وترى البعوض يطير وهو بريشه ... فاذا تمكن فوق عرق يفصد
والفار يركض كالخيول تسابقت ... من كل جردآء الاديم وأجرد
يأكلن اخشاب السقوف شبيهة ... فارات نجار حددن بمبرد
وترى الخنافس كالزنوج تصففت ... من كل سوداء الاديم وأسود
دهن اذا طردت ارتك لحاجة ... فى طردها والويل ان لم تطرد
ولربما اقترنت بصفر عقارب ... قتالة مثل الحمام الركد
وتقيم لى عند المساء زبانها ... فأراه وهو كأصبع المتشهد
هذا وكم من ناشر طاوى الحشا ... يبدو شبيه القاتل المتسود
وكذلك الحرذون صوت مثله ... فى مسمعى صوت الزناد المصلد
وكأن نسج العنكبوت وبيته ... شعرية من فوق مقلة أرمد
وكأنما الزنبور البس حلة ... موشية اعلامها بالعسجد
مترنم بين الذباب مغرد ... لا كان من مترنم ومغرد
واذا رأى الخفاش ضوء ذبالة ... عندى أضر بضوئها المتوقد
حشرات بيت لو تلقت عسكراً ... ولوا على الأعقاب غير مرددى
هذا ولى ثوب تراه مرقعاً ... فى كل لون مثل ريش الهدهد
لولا الشقاوة ما ولدت وليتنى ... اذ كان حظى هكذا لم اولد
ولكيف أرضى بالحيوة وهمتى ... أسمو وحظى فى الحضيض الأوهد

فيقول طيف الخيال — يا امير وصال عهدتك ذا مال وجمال وخيل وبغال.

فيقول الامير وصال — مال المال وحال الحال وذهب الذهب وفضت الفضة وسلب السلب وفرغت الكياس بطون الاكياس وبعت العقار فى رشف العقار واما فرسى وقد افترسته يد الأسقام.....

(وداومت هذه المحاورة مدة طويلة)

فتخرج ام رشيد القوادة وتقول — مسيتم بالسعادة ! يا ولدى قد وقع الفاس، فى راس، فاعمل عمل الناس؛ واما انا فقد درت بالمؤدنات، وسرت فى الشوارع مثل « الصانعه يا بنات »؛ واطلقت من الضامنه ليلة الجمعه، فاكترى للجلا ولو عشرين شمعه؛ وقد اكتريت حلى زهر البستان، والمغنية الورد الطرى الريان؛ والماشطة ام شهاب الدمشقيه، والجلا فى قاعة المهتار بالبرقيه؛ فاحمل فى كمك للنقوط من الدراهم والانصاف الخفاف، والا صفعونا بالدلاكش والخفاف.

فيدخل الامير وصال ويخرج فى زفه، وقدامه المغانى والشمع منصفه؛ ومن خلفه البوقات والطبول، وهو راكب على فرس من اجمل الخيول؛ ثم يترجل ويدخل بأدب وناموس، وتبرز للجلا المواشط بالعروس؛ وتجلا عليه بالخلعه والشربوش، وتتخطر مستورة الوجه بمنديل مذهب منقوش؛ فاذا كشف عن وجهها الخمار، نهقت نهيق الحمار؛ واذا هى، من اكبر الدواهى؛ بأنف كالجبل، ومشافر كالجمل، ولون كالجعل؛ بأجفان مكحلة بالعمش، وخدود مضرجة بالبرش والنمش؛ واسنان كأسنان التمساح، ونكهة تفوح كالمستراح؛ ويد كيد الحرذون، وساق كساق البرذون؛ فعينها لذلك غين، والزين بها شين؛ وينشد ويقول —

لها البهار خدود والشقائق الحاظ ومبسمها فى خضرة الآس

قال — فعندما يراها الامير وصال خر سريعا من الاختلال . . . .

★

القنال

عندما تترك قنال جمرة بحيرة بكشهر يكون لون مياهها هو اللون
العادي للمياه لكنها ما تكاد تصل سهل قونية حتى ينقلب لونها كلون
الدم .

قد تظن ان المياه اكتسبت هذا اللون بتأثير مرورها فى ارض هذا
السهل الحمراء لكن هأنا اخبرك بان المياه اكتسبت لونها من دماء محمد
الديدمكاوى ومن دماء اخيه .

وليس لون الافق الذى يحد سهل قونية ازرق ارجوانيا بل هو اصفر،
نعم اصفر .

قد تظن انه اكتسب هذا اللون من تأثير التراب الذى تثيره
الرياح لكننى اخبرك بانه اكتسبه من شحوب لون زغر محمد الموجود
بسجن قونية .

. . . .

لا يجنى الحصاد فى تلك البادية الا بعد عمل يدوى مرهق . فتلك الارض
التى تعجز الجرافة ليس تنبت سوى عوسج وحشائش طولها بوصة، ولا
ترضى الا بتعريض سطحها الذى احترق من قلة المياه عاريا لسماء خلت
من السحب .

اما الطريق المائى الذى حفرته يد الانسان فما يفيد الا فى زيادة
عطش هذه السهول الى المياه . فتلك المياه الطينية البطيئة التى تتهادى
فى طريقها عابثة وكانها غضبى لجريانها فى ذلك المكان لا تقصر عن اطفاء
عطش الارض التى تصرخ شقوقها تطالب الماء فقط بل هى ايضا لا
تعوضها شيئا بما تجلبه من بخار ورطب . فهى اشبه بنهير من زيت
الزيتون ينطلق فى بطء وغم فى مجرى عكر .





وفى قرى ذلك السهل المحرشة، تلك القرى التى تشابه اكواما من الرماد، يكدح رجال قد امتلأت ايديهم من العمل بالقروح ولفحت الشمس وجوههم، يعملون ويكدون ليستخلصوا من تلك الارض الضنينة قليلا يتقوتون به .

وتقع قرية ديدمكوى على مقربة من القنال لكن المياه بعد ما غادرت بحيرة بكشهر ما تكاد تصل القرية حتى تكون قد تناقصت فى المقدار الى ما لا يكفى لرى حديقة خضروات فى حجم المنديل ناهيك بفدادين عديدة من الحقول .

وهكذا تجد الاوجه المبتسمة والعيون التى تفيض بالبشر اثناء موسم الامطار تتجعد وتعبس فى سنى الجفاف . تجد هذه العيون تسلط ابصارها على مياه القنال الصفراء لا هى تتركها ولا هى تنتظر منها عونا اذ تدرك عبث مثل هذا الرجاء . اما موسم المطر فلا يحل الا كل خمس سنين مرة .

. . . .

كان محمد الديدمكاوى وزغر محمد جارين ولم يكن بينهما فارق فى العمر . لقد لعبا فى طفولتهما سويا فوق رمال الارض القفراء وتمرغا معا فى تراب الشارع وعفاره . وقاما معا وهما يحملان عصيا تفوقهما طولا بسوق ابقار عجفاء الى القطيع الذى اعتاد ان يمر باطراف القرية، ومعا ايضا كانا يقومان بالقاء الطوب على الضفادع فى القنال .

وعندما تقدم بهما العمر بعض الشئ اعتادا الذهاب مع اميهما الى السوق لبيع السمن واللبن الزبادى . وكانا يذهبان سويا لجلب الاخشاب من الجبال فى رحلة تقطع فى سبع ساعات على ظهور الحمير بل كانا يبيعان هذا الخشب فى حضرة كليهما واذا ما تمكنا من بيعه بما يزيد عن سعر السوق ببضعة قروش لموظف من منطقة اخرى غير خبير بالاسعار كانا يبتاعان من نفس القماش قطاعين يصنعان منهما لنفسيهما قميصين متشابهين .

وكحدثين كانا يذهبان الى الافراح سويا ويشاهدان النساء يرقصن . وكما هو الحال مع كل رجال الاناضول الاوسط كانت الصداقة بين هذين الرجلين صداقة صامتة خلت من العبارات لكن بدت ظواهرها منذ فجر شبابهما فى اعتيادهما السير جنبا الى جنب ويد الواحد منهما فى يد الآخر .

وبتقدم العمر بهما جعلت الرزانة التى يمتاز بها من يكدحون لاستخلاص ردهم اليومى من الارض، علاقتهما اكثر ابتعادا عن المظاهر . وعندما كان من نصيبهما تحمل مسئوليات الاسرة قل لقاؤهما عن ذى قبل . كان زغر محمد قد تزوج اما محمد الديدمكاوى فان اباه قد مات وتركه يعول امه واخته الكبرى واخا اصغر يبلغ من العمر ثمانية عشر ربيعا .

كان يحدث احيانا ان يجتمع الصديقان القديمان عند اقتراب الليل فى جوار حائط المسجد حيث يجلسان يشاهدان القطعان عائدة الى القرية وكانا يظلان الى ما يقرب من نصف ساعة ساكتين لا يتبادلان

اية كلمة ثم ينظر الواحد منهما الى الآخر ولا ينطلق على وجهيهما سوى ابتسامة ثم يخلفان جلستهما ويعودان الى منزليهما .

واخيرا كيما يضيفا الى الايدى العاملة فى المنزل تزوج محمد الديدمكاوى واخوه مصطفى فى يوم واحد فحضرت عروستان لم تزالا فى العشرين من عمرهما للاقامة تحت سقف البيت الواحد المبنى من اللبن .

وهكذا سارت الحياة فى مجراها، كما كانت تسير منذ قرون مضت على شكل كفاح هادئ من اجل استخلاص بلغة طعام من ارض شحيحة .

وفى غمار التفكير فى الطعام واستئثاره بكل ما عداه اخذت الصداقة والنزهات تنطوى رويدا فى طيات النسيان وتهوى تدريجيا وراء سحبه الى درجة انه بمرور الوقت تغدو ممحاة حتى من الذاكرة .

. . . .

وفى ذات يوم ذهب زغر محمد ليروى حقله من القنال فوجد المجرى خلوا من الماء ليس به الا طبقة من طمى اصفر . عند ذلك رفع رأسه وبد يتطلع الى القنال ثم نظر الى حقل محمد الديدمكاوى الذى علا حقله قليلا فوجد انهم قد اقاموا على المياه سدا وانهم مشتغلون برى ارضهم

عند ذلك ارسل زغر ابنه البالغ من العمر ست سنين اليهم فانطلق الطفل يجرى عارى القدمين فوق سماد البقر الجاف الى ان وصل الى حقل محمد الديدمكاوى فنادى عليهم قائلا «الوالد يقول يجب عليكم ان تطلقوا المياه» .

لم يجب محمد فانتظر الطفل لحظة ثم قفل راجعا يجرى الى حقله .

وبعد ذلك وقف المحمدان يرقبان بعضهما عن بعد لا يزيد عن مائة وخمسين ياردة .

لقد افصحت تلك النظرة عن اشياء كثيرة لكن اول واهم ما نتج عنها هو انه منذ ذلك اليوم قد نشب بينهما خلاف لا سبيل لتسويته . لم تحمل النظرة اى حقد اذ لم يحدث بينهما ما يسببه . لم يكن فى تلك النظرة سوى

شبح خلاف منشؤه الأرض والماء، شبح يسدل السواد على افكار الرجال .
بل لعل النظرة حوت ايضا شيئا من الحزن، حزن مبعثه ادراكهما تحتم
تبادل ضربات قاضية كيما يمكن الاستمرار على الحياة ويتيسر الاحتفاظ
بتلك القطعة الشحيحة من الارض الطباشيرية، كيما يمكن استخراج ملء
يد من الحبوب من هذا الحقل المقسم .

اذ فيما عدا ذلك لم يكن بين الرجلين ما يسبب الحقد .

لم يكن فى وسع زغر محمد ان يقف فى وجه الاخوين ولذلك كان
السلم غرضه الاول، لكنه كان يعلم ان ذلك محال وان المياه لن
تكفى بما يرضى حاجة الطرفين. ولذلك ايضا لن يرد محمد الديدمكاوى
على رسالته .

ومع ذلك فقد انتظر زغر محمد . ظل يذهب الى حقله ويراقب مجرى
الماء وما فى قاعه من طمى اصفر جاف ثم يوجه بصره طويلا الى محمد وهو
يسير فى حقله . ينتظر ويتطلع الى السماء يبحث عن السحب، واستمر
على انتظاره .

اما السنابل، السنابل الهزيلة فقد صارت تنكمش تدريجيا حتى
غدت لا تزيد عن الشبر طولا .

بعد ذلك اقلعت الشمس عن كل وظائفها وركزت اشعتها على تلك
البقعة الصغيرة فى منطقة البادية تجفف ذلك النقع الاخضر الصغير .
تحت اشعة الشمس راحت تلك الوريقات الرقيقة ترتجف ارتجاف لسان
كلب ارهقته الحرارة .

ولم تنم تلك السنابل الى ما يزيد عن الشبر طولا، تلك السنابل
الصغيرة البائسة. اما السنابل فى حقل محمد الديدمكاوى فقد نمت ووصلت
في طولها الى الركبة هذا بينما الشمس مركزة اشعتها على حقل زغر
محمد حيث بدا لون السنابل التى لا تزيد عن الشبر طولا يميل الى الصفرة .

كان فى جمرة مكتب لمراقبة توزيع المياه، وكان للمكتب رئيس وكان

له جباة لضرائب المياه وموظفون آخرون وبالرغم من ذلك لم تمر حتى ولا نقطة واحدة من مياه القنال وراء حقل محمد الديدمكاوى .

رأى زغر محمد ان زوجته ووالدته البالغة من العمر ستين عاما اللتين تعملان فى الحقل منحنيتى الظهر طوال النهار وكذلك ابنه البالغ من العمر ست سنين رأى الكل قد علا الشحوب وجوههم كما هو الحال مع السنابل التى ضربت لونها الى الصفرة وهى لا تزال فى طول الشبر فتفكر زغر وانتظر. وليس هناك من يعلم كنه ما يدور فى خلد فلاح فى البادية ولا ما ينتظر من اجله .

. . . .

وفى باكورة صباح ذات يوم حمل زغر بندقيته وانطلق الى الحقل وانبطح فى المجرى الجاف الى ان رأى محمد الديدمكاوى واخاه فاطلق خمسة اعيرة .



وليس هناك شيء اسهل من الموت والقتل فى تلك الحقول الجدباء .
طلب زغر محمد من زوجته التى اقبلت مسرعة ان تفتح مجرى القنال وان تروى الحقل وأخبرها انهم منذ ذلك اليوم لن يتركوا احدا يحجز مياه القنال لانه لم يبق من رجال الحقل الأعلى احد .
وبينما زوجته فى طريقها الى السد المقام على القنال لتزيله صاح عليها من ورائها يوصيها بأن مواهب الطفل يجب الا تضيع وطلب منها ان تحضره فى فترات ليزوره فى السجن والا تسئ معاملة والدته العجوز .
وعند ذلك جلس زغر على طرف الحقل واطال النظر الى زوجته وهى تفتح طريق المياه منتظرا حضور الشرطى وشيخ البلد اقبلا من بعد متجهين اليه .

. . . .

فمياه قنال ديدمكوى حمراء قانية — حمراء فى لون دماء محمد الديدمكاوى واخيه مصطفى . والافق الذى يحد سهل قونية اصفر اللون — فى لون بشرة زغر محمد . وكان فى السجن راع من ديدمكوى حكم عليه بالسجن عامين بناء على ادلة سماعية تفيد انه سرق شاة لان سيده لم يعطه اجر عام . وقد اعتاد الراعى ان يغنى اغنية ديدمكاوية لزملائه المساجين الذين يلتفون حوله فى مكان لا يبعد عن زنزانة زغر محمد، كان الراعى يغمض عينيه ويلقى برأسه الى الوراء وينشد

«يأتى الموت ويحوم امام دارنا،
فتتبلبل العروستان وتثغيان كثغاء الغنم .
لا تغسلوا اجسامنا ودعوا دماءنا تجرى
اتركوا اصدقاءنا ينتحبون
واعداءنا يشاهدون ويتفرسون . »

ولأن زغر محمد لا يطيق الاستماع الى تلك الاغنية فقد اعتاد الراعى ان يسكت اذا ما ظهر شبحه من بعد .

(مترجم من الاصل التركى .)

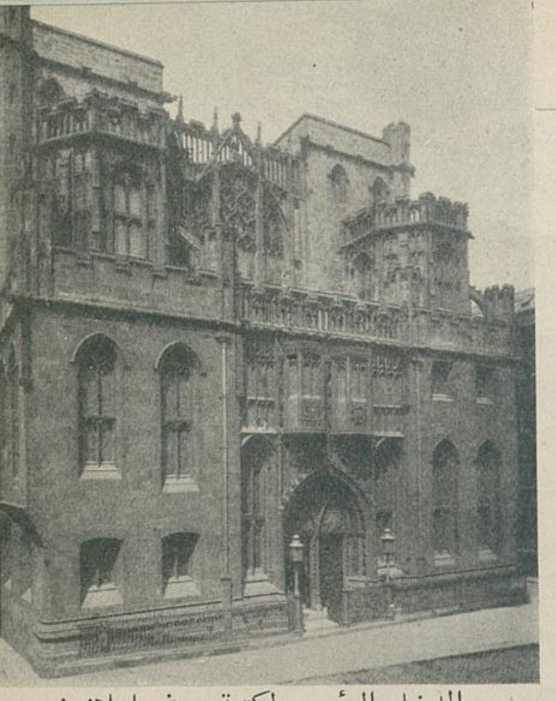
أوراق البردى والمخطوطات العربية بمكتبة جون ريلاندز بمانشستر

بقلم الأستاذ ادوارد روبرتسون

أغلب مجموعة أوراق البردى والمخطوطات العربية قد اشتريت من الايرل كروفورد فى سنة ١٩٠١ وكان هو قد اشترى أوراق البردى قبل ذلك بمدة وجيزة وأما المجموعة النفيسة للمخطوطات العربية فكان قد بدأ بتكوينها جده الاعلى فى أثناء ترحله فى مصر وسوريا فى سنتى ١٨٣٦ و ١٨٣٧ ثم زيدت هذه المجموعة بالحصول على ما جمعه ناثانيال بلاند والكولونيل و. ج. هاملتون، كما أنه ابتيعت مخطوطات أخرى من مكتبة كل من المستعربين الذائعى الصيت كوسان دى برسفال وسلفستر دى ساسى. ثم إن الدكتور ا. منجانا الذى رتب فهرستا للمخطوطات لمديرى المكتبة حصل أيضا على عدة مخطوطات أخرى فى خلال رحلاته فى الشرق الأدنى فى سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ وفى سنة ١٩٢٩.

ومجموعة أوراق البردى العربية مجموعة خليقة بالاهتمام، فهى تتكون من عدد وفير جدا من القطع التى جمع أغلبها من كومات الأنقاض القديمة بمصر وهذه هى قطع مما طرح من الخطابات والوثائق الرسمية والحسابات والوصولات والسجلات وما إلى ذلك، فهى فى الحق مما يلقى به فى سلة المهملات فى كافة العصور. وأكثرها قد مزق قبل طرحه فى كومة المهملات. والكتابة تختلف فى قدرها من الجودة والخط عادة نوع فج من خط النسخ وكثير منها تتبين فيه اليد غير المثقفة. واللغة هى لغة الناس البسيطة فى حياتهم اليومية. واكثر القطع هى من خطابات كتبها ناس لا شأن لهم عن مسائل منزلية وشخصية تتجلى فيها من المشاغل والمصاعب والمسرات والأحزان ما تمتلىء به الحياة المنزلية للطبقة العادية من الرجال والنساء فى مدينة مصرية صغيرة فى عهد قديم. ويبدو أن

لب القطع يرجع إلى القرن
ثالث الهجرى و إن كان
ضها يرجع إلى القرن الرابع
يل جدا منها إلى القرن
امس. فهى فى الحقيقة ترجع
العهد الذى كان الورق
قد بدأ يحل محل البردى
السوق. وفى سبيل حفظ
ه المئات من القطع وتناولها
ع أكثرها بين ألواح
اجية، وقد قام بقراءتها
رتيبها فى فهرست الأستاذ

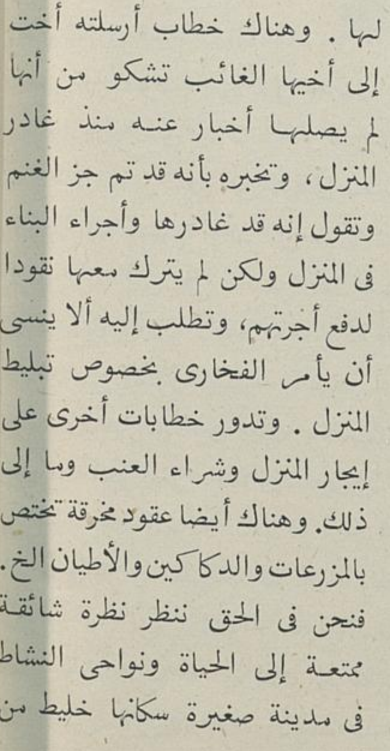


المدخل الرئيسى لمكتبة جون رايلاندز .

س. مرجليوث الذى توفى حديثا.

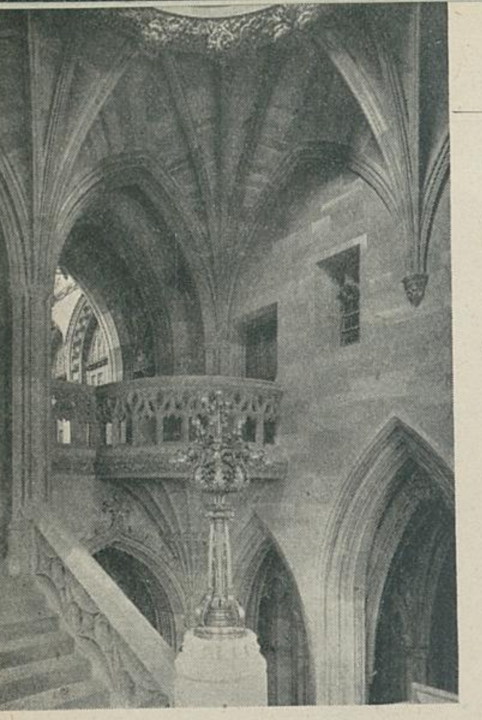
والمكان الذى يذكر أكثر من غيره فى هذه الوثائق هو أشمون وهى
ينة لا تبعد كثيرا عن المنيا فى صعيد مصر إلى الجنوب منها غربى النيل .
خطابات بعضها رسمى .وبعضها شخصى، وفى خطاب منها يطلب إلى
سل إليه أبى على الحسن ألا يدع الخطاب من يده قبل أن يركب
شنشور ليأمر الأقباط بدفع مائة أردب من القمح . وخطاب آخر يأمر
لا من عمال الشرطة بالقبض على رجل من سكان رمجوس حاول
حتيال على موظفين وبأن يعاقب معاقبة يكون فيها رادع للآخرين .
طاب آخر يأمر باطلاق سجين إذ قد تقدم ضامن يضمن دينه . وكثير
الخطابات المزقة تدور على الخراج إذ يشكو أناس مما حاق بهم من
ظلم فى فرض الخراج، ثم إن موظفا يطلب إليه أن يقوم بالبحث فى
كوى من فرض الخراج على البعض ممن هم معفون منه، وما إلى
. وتتهم امرأة لها ملك بعرقلة جابى الخراج فى عمله والامتناع عن
ع الضريبة إليه وإثارة الأقباط عليه، وهلم جرا .

وأما الخطابات الشخصية فهى عظيمة التنوع فى مضمونها . ففى أحدها يحض المرسل إليه على أن يعجل بارسال جارية . وفى آخر يشكو موظف صغير من أنه منذ وصول الحاكم الجديد لم يجد من وقته فراغا يخرج فيه إلى الشارع . ثم فى خطاب آخر يتوسل المرسل إلى عمته أن تلتمس من عمه السماح له بقدر من القمح . فهو يشكو ويقول إنه قد طرد من ملكه كما تنزع الشعرة من العجين وعرض إلى البرد والعرى والجوع . وفى خطاب آخر يطلب المرسل إلى صديقه أو وكيله أن يبتاع خبزا وزيتونا ويجهزها لشخص آخر حين يمر هذا صاعدا فى النهر . ثم هناك سيدة متغيبة عن منزلها تكتب عن مسائل منزلية فتأمر الجارية بجلب القمح من جرن الدراسة وبخزن الحب بعناية فى الجرار الصالحة ، كما أن عليها أيضا أن تذهب إلى الاسكاف لعمل نعال لها . وهناك خطاب أرسلته أخت إلى أخيها الغائب تشكو من أنها لم يصلها أخبار عنه منذ غادر المنزل ، وتخبره بأنه قد تم جز الغنم وتقول إنه قد غادرها وأجراء البناء فى المنزل ولكن لم يترك معها نقودا لدفع أجرتهم، وتطلب إليه ألا ينسى أن يأمر الفخارى بخصوص تبليط المنزل . وتدور خطابات أخرى على إيجار المنزل وشراء العنب وما إلى ذلك. وهناك أيضا عقود مخرقة تختص بالمزرعات والدكاكين والأطيان الخ. فنحن فى الحق ننظر نظرة شائقة ممتعة إلى الحياة ونواحى النشاط فى مدينة صغيرة سكانها خليط من



قاعة الرئيسية للمطالعة بمكتبة جون يلاندز.





السلالم الرئيسية لمكتبة جون رايلاندز

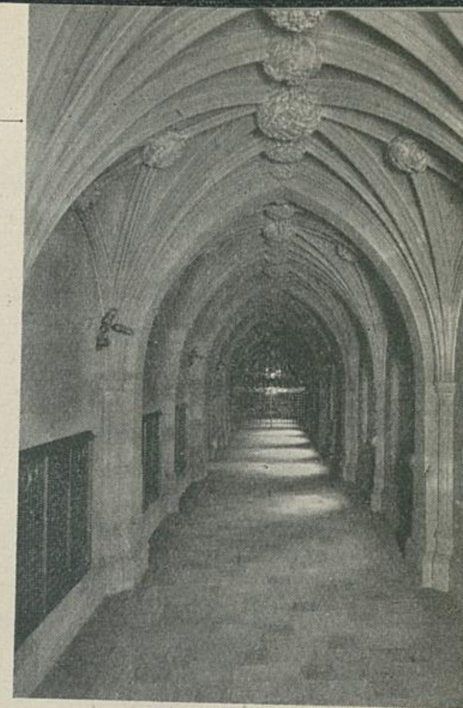
سلمين والأقباط، ونجد أن مشاغل
ناس ومشاكلهم لا يختلف عن
شاغلنا ومشاكلنا فى يومنا هذا
لا قليلا .

ولكننا إذا تحولنا إلى المخطوطات
عربية وجدنا أنفسنا فى ميدان
ديد الاختلاف. وعددها ثمانمائة،
بها من التنوع ومن القيمة الثقافية
ينتظر من مثل هذه المجموعات.
ع أن الأدب الاسلامى هو
غالب فيها فان للأدب المسيحى
را صغيرا من التمثيل. ونستطيع
نشير إلى سعة مداها فى
وضوعات : من القرآن وتفاسيره،
علم العقائد من سنية فوهابية وصوفية ودروزية ونصيرية، والحديث بما
ه الأحاديث المختصة بعلى وعمر، والفقه من حنفى وشيعى ومالكى
يدى، والتاريخ مما يتعلق بجزيرة العرب وسوريا والعراق ومصر والجزائر
لغرب الاقصى وافغانستان والهند، والجغرافيا والرحلات، والعلوم
طبيعية من طب وكيمياء وتاريخ طبيعى ورياضيات وفلك وتنجيم،
لفلسفة والأخلاق، والشعر ومنه عدة دواوين، والادب، واللغة من نحو
سرف ومعاجم، أضف إلى ذلك عددا عظيما من الموضوعات المتنوعة.
لمخطوطات تتفاوت بالطبع فى قيمتها، ولكنها جميعها ذات أهمية وقيمة
متخصصين فى الدراسات العربية. وفى هذا العرض الموجز لا نوجه
تمامنا إلا إلى بضع مخطوطات تتطلب ملاحظتنا لأسباب شتى.

فهناك قطع من القرآن مكتوبة بالخط الكوفى على رق غليظ وهى ذات
مة أثرية عظيمة، وأغلب الظن أنها ترجع إلى ما بين آخر القرن الثانى

الهجرى وآخر القرن الرابع . وأقدم
هذه القطع تشمل قسما كبيرا من
الجزء الخامس والعشرين، وفواصل
آياتها ورود صغيرة مذهبة . ويكتب
التنوين نقطتين حمراوين، وتكتب
الهمزة نقطة خضراء . ومن الشائق
أن نلاحظ أن أسماء بعض السو
فى هذه القطع مختلفة عن الأسما
المستعملة الآن .

وإنه وإن كان جميع الناس
يفخرون بتحلية نسخ كتبهم المقدس
فان الخط العربى بشرطه الجميل
الأنيقة ينسجم فى شكل زخرفى ه



دهليز ذو أروقة فى المكتبة .

أشد أناقة من أى خط آخر . وفى المجموعة الريلاندزية ثلاث نسخ من أقسا
من القرآن ذات حروف ذهبية بديعة فاخرة . وإحدى هذه النسخ هى مخطوط
مغربية جميلة مكتوبة بتمامها بحروف كبيرة من الذهب ولها زخارف ذهب
تبين الأحزاب وأقسامها . والصفحتان الأوليان محلاتان بالذهب
والألوان تحلية دقيقة فائقة . وتاريخها هو على أغلب الظن حوالى س
أربعمائة هجرية . وهناك أيضا مصحف عظيم القيمة هو المخطوطة الضخ
التى تحمل خاتم قانصوه الغورى السلطان المملوكى قبل الأخير لمصر و
كان يبذل المال بسخاء . وأغلب الظن ان المصحف كتب بناء ع
طلبه بعيد سنة ست وتسعمائة هجرية . وهذه المخطوطة مكتوبة ع
أربعمائة وسبعين ورقة عظيمة الحجم والسمك ويقال إن هذا المصح
أعظم مصاحف العالم حجما . والصفحات الثلاث الأولى مكتوبة بتما
بحروف ذهبية . والعنوان شديد التنميق والزخرفة وقد نزع قسم
هذا العنوان واستبدل به قسم فرنسى حديث الكتابة يحاول به الحل

مل القسم الأصلى . ويختلف عن هذا
لصحف اختلافا شديدا مصحفان آخران
سلان مكتوبان على أدراج صغيرة ،
حدهما طوله أحد عشر قدما ونصف قدم
جين يدرج لا يتجاوز قطره ستة عشر
ليمترا، ويرجع هذا المصحف إلى حوالى
نة ١١٥٠ هجرية، ويغلب على الظن
نه صنع كتميمة لأحد الأمراء . وهناك
طوطة أخرى ذات قيمة ترجع إلى حوالى
قرن التاسع الهجرى مصحوبة بترجمة
رفية فارسية وتركية مكتوبة بين السطور .
الترجمة التركية فريدة فى نوعها وذات
همية لغوية عظيمة .

ومن مخطوطات علم العقائد مخطوطة
يدة فذة ذات قيمة عظمى وهى المؤلف
جدالى الذى ألفه الطبيب على بن ربن
طبرى (وهو غير الطبرى المؤرخ) . وقد
ن المؤلف كاتبا للمازيار الذى حكم
رستان فى خلافة المعتصم (٢١٨—
٢٢ هـ) . وبعد ذلك صار المؤلف أحد
ماء الخليفة المتوكل وهو يعترف فى كتابه
ن الخليفة قد ساعده فى تأليفه . وهذا
كتاب تقرير بأن الاسلام أسمى من كل
لأديان الأخرى وبخاصة المسيحية
يهودية والزردشتية . وقد قام بنشر
س الدكتور منجانا . وهناك أيضا

دفعة إيجار فى سنة ٣٠٦ هجرية ،
مأخوذة من مجموعة أوراق البردى
للعقود بمكتبة جون رايلاندز .

الان

غداً ارد هبات الناس للناس
وعن غناهم استغني بافلاسي
واسترد رهوناً لي بذمتهم
فقد رهنت لهم فكري واحساسي
ورحت اتجر في اسواق كسبهم
فما كسبت سوى هم ووسواس
وكم فتحت لهم قلبي فما لبثوا
ان نصبوا بعلهم في قدس اقداسي

غداً اعيد بقايا الطين للطين
واطلق الروح من سجن التخامين
واترك الموت للموتى ومن ولدوا
والخير والشر للدنيا وللدين
وألبس العرى درعاً لا تحطمه
ايدي الملائك او ايدي الشياطين
فلا تروعني نار الجحيم ولا
مجالس الحور في الفردوس تغريني

غداً اجوز حدود السمع والبصر
فادرك المبتدا المكنون في خبري
فلا كواكب الا كان لي سبل
فيها، ولا تربة الا بها اثري
لي في القضاء قضاء والمنون مني
وفي ملاحمة الاقدار لي قدري
غداً؟ . . ولا امس لي حتى اقول غدا
فلتمحها الآن من نطقي ومن فكري

ميخائيل نعيمه (الاديب : تموز ١٩٤٣، ص ٣ .)

NOW

To-morrow I shall yield again
Such gifts as I received of men:
I shall not need their hoard of pence
In my abundant indigence,
But therewith purpose to redeem
The thought I pledged, my mortgaged dream.
I trafficked in their gainful mart,
But all I gained was grief of heart
And cheated hope; infatuate,
I opened wide my spirit's gate,
But they that to its altar won
Set up their golden calf thereon.

To-morrow clay to clay must be
Restored: from vain surmise set free
On wings unchained the soul shall soar.
Death to the dead, the loins that bore—
All good and ill I shall assign
To judgment human and divine.
My nakedness shall be my shield
Invincible, that will not yield
To angel's charm or devil's might:
No flaming Hell will me affright,
Nay, nor the company entice
Of dark-eyed maids in Paradise.

To-morrow I shall further fare
Beyond the borne of sense, to where
Dwells the far percept of the mind:
Among the stars my path shall wind,
And not a clod but will proclaim
There lies a relic of my name.
Doom spells my doom, and Death my death;
Yet 'tis my fate, while I have breath,
Against the Fates to wage affray.
To-morrow? Why, since Yesterday
Was never mine, let Now make naught
To-morrow in my speech and thought.

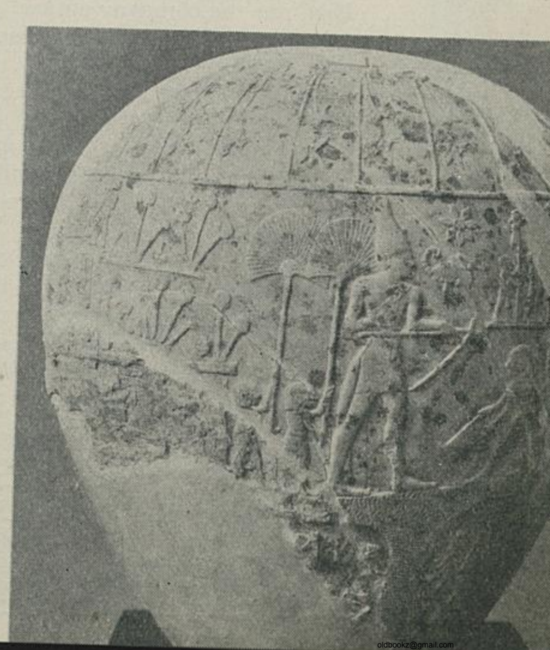
A.J.A. MICHAEL NAIMA.

الأطرزة فى صناعة النسج المصرية - ٢

يقول و . م . فلندرز بترى فى كتابه (الفن الزخرفى المصرى) (لندن ١٨٩٥) فى الصفحة التاسعة :

«إننا نستطيع أن نستكشف مصدرا لأكثر العناصر المألوفة من أشكال الرسم فى الزخرفة التى كانت مستعملة فى مصر قبل أن يعرفها العالم الخارجى بزمن طويل . فاننا إذا أردنا أن نعثر على أصل تلك الموضوعات ومنشأها وجب علينا وجوباً منطقيا أن نتتبع هذه الأصول فى مصر . وهكذا إذا بحثنا عن المنبع الذى صدر عنه أكثر عناصر الزخرفة المتنوعة التى تكسو حيطاننا وأراضينا و صحوننا وغلافات كتبنا بل محطاتنا الحديدية لزم علينا أن نبدأ بدراسة مصر . »

ونحن فى مقالة سابقة قد وصفنا موضوعين زخرفيين هما الحيوان ذو القرنين والطائر، وهما موضوعان يتكرران ويترددان خلال التاريخ الطويل للفن المصرى من العصور السابقة لفجر التاريخ حتى يومنا هذا، كما أوضحنا كيف ترك هذا العنصر التقليدى أثره على منتجات الفنانين فى مواد مختلفة خلال كل هذه الحقبة . ونحن الآن نحاول أن نتم هذا الوصف الاجمالى العام بدراسة موضوعين آخرين هما أيضا عامان ومألوفان، وهما



لوحة رقم ١ — رأس الصولجان للملك العقرب (ستيوديو لمتد .)



ة رقم ٢ — زهريات خزفية من العهد السابق للأسرات . (ستيوديو لمتد .)

شجرة والزهرة . ولقد تنوولا ونميا فى أشكال مختلفة تفوق العد على يد فنانى
سر وصناعها، وسنهتم بنوع خاص باستخدام هذين الموضوعين فى تصميم
م الأنسجة . وسنحلى هذه المقالة كما حلينا سابقتها بزخارف للأنسجة
نعها حديثا طلبة مصريون يتمون بانجلترا إعدادهم الفنى .

والمرء إذا أدرك ما تقدمه النخلة — تلك الظاهرة المألوفة البديعة
سن فى الطبيعة المصرية — نقول إذا أدرك ما تقدمه من
الات زخرفية واسعة المجال فانه يدهش إذ يجد أنها لم تستخدم فى
صور القديمة كموضوع فنى إلا استخداما ضئيلا . وفى لوحة (١) نرى
ولا فجا بعض الشىء للنخلة على الرأس الصولجانى للملك العقرب،
ع هذه القطعة إلى عصر ما قبل الأسر. والشكل تقليدى يتضمن
ن مزايا التصميم الحق . وأوانى الفخار التى ترجع إلى نفس العصر
وحة ٢) أكثر بساطة وفجاجة ولكنها مفعمة بحيوية وروعة . ولكننا
قارنا هذين المثالين بالشكل النسيجى الذى ابتكرته الآنسة فتحية
نة (لوحة ٣) رأينا على الفور مبلغ سعة المجال الذى يفتحه هذا
نوع أمام الفنان الحديث . ومن العجيب أيضا أن ما يتجلى فى
كل القيم الذى وضعته الآنسة إجلال حافظ من الجمع بين الورقة
نة حول الجذع (لوحة ٤) جمعا بديعا على بساطته — من العجيب أن
لم يستعمل فى مصر القديمة إلا استعمالا قليلا . حقا إن التناول



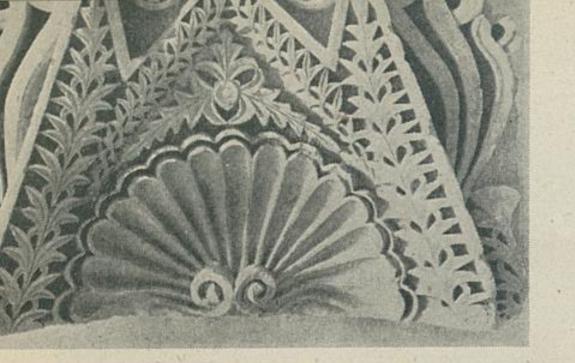
لوحة رقم ٣ — نموذج للنسيج من عمل الآنسة فتحية خليفة .

لوحة رقم ٤ — رسم للنسيج من عمل الآنسة إجلال حافظ .



التقليدى للورقة مألوف وبخاصة فى
الزخارف المعمارية . ونذكر لهذا
مثالين أحدهما (لوحة ٥) من العصر
المسيحى القديم وثانيهما (لوحة ٦)
من جامع ابن طولون . وفى الشكل
البديع الذى وضعته الآنسة عطية
عويس نرى جمعا رائعا بين سعف
النخلة وعنقود البلح، وهو موضوع
يعرفه كل من درس فن الأسر الأخير
(لوحة ٧) .

وليس من موضوع فنى فى الفن
القديم يبارى فى شيوعه وانتشار
أو فى غزارة الصور المتنوعة التى
عرض فيها موضوع زهرة اللوتس
بل إن بعض الخبيرين قد اعتقد
أن هذه الزهرة هو أصل كل الأشكا
الزخرفيـة . ويبدو من المؤكد أ
زهرة اللوتس أو زهرة أخرى تشابه
كزهرة نبات البردى مثلا ق
استعملت فى الزخرفة فى مصر قبل أ
تستعمل فى أى قطر آخر من أقط
العالم حتى الهند نفسها . ومهما يك
من الأمر فاننا نجد هذا الموضو
معروفا فى عصور ما قبل الأسر، و
يتردد خلال الأسر المتعاقبة .
يسمح لنا الفراغ هنا إلا بأن نقت



حة رقم ٥ — غطاء كوة
باويت .

الين أو ثلاثة . فهناك الزرد المشهور لأمنحتب الثانى ذو النسيج
ركش (لوحة٨) وله أهمية خاصة إذ أننا نجد فيه شكلا نسيجيا حقا،
و الآن محفوظ فى متحف الآثار المصرية بالقاهرة . كما أن كنوز توتعنخ
ون تحتوى بطبيعة الحال على نموذج فائق الجودة (لوحة٩) عرض فيه
ذا الموضوع عرضا كاملا لا فجاجة فيه، وهو رسم رائع التهاويل تنوول
ه الموضوع الأساسى فى اشكال بديعة التنوع . فاذا وصلنا إل العصور
سلامية وجدنا زهرة اللوتس قد استقرت فى أسلوب جامد وعرضت
اسب متميز، ومثال هذا اللوحة الخشبية المأخوذة من أبواب القصر
كى للفاطميين (لوحة ١٠)، وهناك مثال حديث لزهرة اللوتس
وضوع فنى فى رسم الأنسجة وهو ما ابتكرته الآنسة اجلال حافظ من
ل بديع وإن كان بسيطا (لوحة ١١) . قارن بين روح هذا الشكل وبين
ج آخر بديع لنفس الفنانة (لوحة ١٢) وفى الشكل الأخير قد عرض
وع الطائر عرضا تقليديا ذا تناسب .
فالزهرة مصدر رئيسى للالهام فى فن التحلية على تعدد أنواعه
ثالاتها المتنوعة قد رادها الفنانون المصريون وبخاصة فى العهد

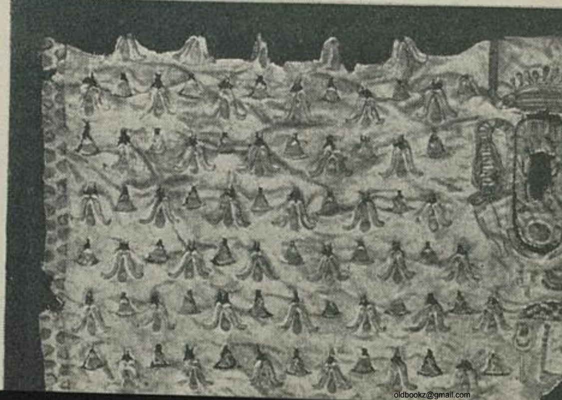
وحة رقم ٦ — جزء من النقش المتكرر لأقبية الخلوة بجامع ابن طولون .





لوحة رقم ٧ — نموذج خلاب للنسيج مؤلف من خوص النخيل وعناقيد البلح ، من وضع الآنسة عطية عويس .

لوحة رقم ٨ — قطعة من نطاق من النسيج الموشى لأمنحتب الثانى، وهى محفوظة الآن فى متحف القاهرة . (ستيوديو لمتد .)



الاسلامى حين عرض هذا
الموضوع فى كل نوع ممكن من
أنواع العرض . ونحن هنا
لا نقدم إلا بضعة من
التصاوير، فهناك مثلا
صهريج نحاسى من القرن
السابع فائق الحسن مطعم
بالذهب والفضة (لوحة ١٣
وهو الآن محفوظ فى المتحف
البريطانى ، وفى هذا
الصهريج يتخذ نقش عربى
إطاراً لشكل جميل متنوع من
الأزهار . وهناك شمعدان
برنزى من القرن السابع
مطعم بالفضة (لوحة ١٤
وفيه تأليف مشابه للسابق
(وهو الآن فى متحف فكتوريا
وألبرت بلندن) . وهناك
مصباح زجاجى مطلى بالمينا
من مصابيح المساجد يرجع
إلى نفس العهد (لوحة ٥
وكل زخرفته بأجمعها من نفس
الزهرة معروضة فى اشكال
متنوعة وهى زخرفة جميلة
جدا . وقد حسن بنا
نختم هذه المجموعة بمثال

٩ — توت
و زوجته،
أمون، فى
لى بأكاليل
.
لتد .)

١٠ — إفريز
ن أبواب
السلطانى
.
لتد .)



لوحة رقم ١١ — رسم مقتبس من زهرة اللوتس، من وضع الآنسة إجلال حافظ .

لوحة رقم ١٢ — مخمل حليته طير، على رسم متناسق، من وضع الآنسة حافظ .



حديثين . فالآنسة عويس
تقدم إلينا شكلا نسيجيـ
(لوحة ١٦) يتجلى فيه التأثير
الأوربى الشديد ولكنه مع
ذلك يحتفظ بروحه المصرية
الصميمة كما يتضح إذا قورن
بلوحات ١٣ و ١٤ و ١٥
وفى شكل آخر ابتكرتـ
الآنسة خليفة (لوحة ١٧
نجد نفس الموضوع الأساسى
ولكن التأثير العصرى يتجلى
فى ما يحيط به من عمل جميل
هنا نتم هذا العرض
الموجز القصير للموضوعات
الفنية فى أشكال الأنسجـ
المصرية، ولكننا لا نضـ
القلم دون أن نعبر عن
أصدق شكرنا للفنانات
الثلاث اللاتى تكرمن
بالسماح لنا بطبع مبتكراتهن
هنا . فهؤلاء الفنانات
قد واصلن دراساتهن
فى انجلترا فى الحرب
الحاضرة وظروفها الشديدة
القاسية . وتحملن مع شعب
هذه البلاد كل المصاعب

م ١٣ — صهريج نحاسى يرجع إلى القرن السابع، محفوظ فى المتحف البريطانى،
حلية بالخط العربى والزهور مطعمة بالذهب والفضة .

م ١٤ — شمعدان من البرنز مطعم بالفضة، وهو الآن فى متحف فكتوريا وألبرت.
م ١٥ — مصباح مسجد من الزجاج المطلى بالميناء، ضمن مجموعة فى
كتوريا وألبرت.

والأخطار التى جلبتها الحرب فى أعقابها . وإنه لمما يدل أوضح دلالة
على ما لهن من موهبة طبيعية رفيعة وما اتسمن به من روح المثابرة
والحماسة أنهن قد قمن بمثل هذا الانتاج الثمين القيمة وقدمن إلى
أساتذتهن وأصدقائهن الانجليز الدليل على أن مصر لا تنفك بعد تاريخها
الطويل المجيد رائدة للفنون الجميلة ولا تزال أما للفنانين رحبة الصدر
ومصدرا غنيا للالهام فى عالم الرسم الزخرفى .

★

ة رقم ١٦ — نموذج نسيجى مؤلف من
هور، من وضع الآنسة عطية عويس .

لوحة رقم ١٧ — نموذج آخر من
الزهورية، من وضع الآنسة خليف





جلال الدين الرومى

بقلم مرغريت سميث

جلال الدين الرومى هو أعظم الشعراء الصوفيين بين الفرس، ويلقب ولانا. ولد سنة ٦٠٤ هجرية (١٢٠٧ ميلادية) فى بلخ حيث كان لده بهاء الدين ولد على نصيب من العلم كبير وأستاذاً فى العلوم دينية فى بلاط الحاكم خوارزمشاه الملقب تكش. ويقال إن هذا حاكم داخله منه حسد فترك بهاء الدين مدينة بلخ مصطحبا أسرته يروى أنه بينما كانوا مارين بنيسابور لاقوا الشاعر فريد الدين العطار ذى دعا للصبى بالبركة وأهداه نسخة من كتابه (أسرار نامه) اى تاب الاسرار.

ذهبت الأسرة حاجة إلى مكة وبعد ذلك استقر بها المقام فى قونية فى اناضول التى كانت تسمى بلاد الروم ومن هنا تسمية جلال الدين لرومى. ويقال إن جلال الدين ولما يزل صبيا كان يصوم وكان يرى ى وإنه علم اقرانه الصبيان الفلسفة. وفى بادىء الأمر قام والده عليمه كما أنه تلقى العلم على الشيخ برهان الدين الترمذى الذى لمه مبادىء التصوف ولما توفى والده فى سنة ٦٢٨ هجرية خلفه فى صبه كأستاذ وانكب بكليته على دراسة التصوف ورحل الى حلب دمشق حتى يتبحر فى العلم.

وبعد ذلك استزاد من علم التصوف بدراسته على شمس تبريز عروف بلقب پرنده وكان قد جاء إلى قونية فى سنة ٦٤٢ هجرية وذلك ن مرشده الروحى أخبره فى تبريز بان فى أرض الروم صوفيا يتألق لحب الالهى وأن عليه أن يرحل ثم وينفخ فى هذا الحب المتقد حتى جعله شعلة نيرة فرحل شمس تبريز فى التو واللحظة الى قونية وبحث

عن جلال الدين حتى وجده وصار له عليه تأثير كبير وأصبح مرشده . وقد قضيا وقتا طويلا فى خلوة مع أحدهما الآخر حتى أحس تلاميذ جلال الدين بالحسد من شمس تبريز وأجبروه فى النهاية على الفرار ولكن زيارته لجلال الدين نجم عنها أن جلال الدين اعتزل منصبه كأستاذ وحبس نفسه على التصوف .

وفى هذا الوقت أنشأ جلال الدين الذكر الصوفى الذى يؤدى على نغمات الناى والذى نظم هو شعراً لغرض الانشاد فيه وكان هذا بداية طريقة الدراويش الذاكرين المسمين باخوان المحبة لأن أساس الطريقة ومبدأها الوحيد كان محبة الله . وقيل إن حركات الذكر ترمز إلى دوران الكواكب السيارة حول شمسها المركزية وانجذاب المخلوقات إلى خالقها .

ويبدو أن شمس تبريز عاد إلى قونية وقتل فى فتنة نشبت هناك . وتوفى جلال الدين فى قونية سنة ٦٧٢ ودفن فى التكية التى أسسها ولم يقتصر مشيعو جنازته وراثوه على المسلمين بل كان بينهم المسيحيون واليهود أيضا .

واشهر مؤلفات جلال الدين هى (ديوان شمس تبريز) الذى يشتمل على شعر غنائى بالغ فى العذوبة والرقة و (المثنوى) وهو قصيدة كبيرة فى كتب ستة يقال إن جلال الدين نظمها حين اقترح ذلك عليه تلميذ من تلامذته اسمه حسام الدين . وهذه القصيدة تحتوى على حكايات وقصص رمزية وامثال وخواطر الغرض منها شرح المذهب الصوفى وإيضاحه ويقال إن نظم هذه القصيدة استغرق أكثر من أربعين سنة .

وفى المثنوى يستعمل جلال الدين صورا متعددة مبتكرة جامعة بين رشاقة الصنعة وجلال الروح شديدة العمق فى عاطفتها وفى فكرتها . وموضوع القصيدة حب الروح لله مصدرها وكيف تعود إليه . ومقدمة الكتاب الأول تتحدث عن القصبة أى النفس تشكو انفصالها عن الله مصدرها .

والذات الالهية كما يتصورها جلال الدين حالة فى الكون وداخلة جوهره وليست مجردة عنه . فهو يقول فى المثنوى :

يا خفيا قد ملأت الخافقين — قد علوت فوق نور المشرقين
أنت سر كاشف أسرارنا — أنت فجر مفجر أنهارنا
يا خفى الذات محسوس العطا — أنت كالماء ونحن كالرحا
أنت كالريح ونحن كالغبار — تختفى الريح وغبراها جهار

ثم يسترسل الرومى فى أبيات فارسية ترجمتها كالآتى :

أنت كالربيع ونحن فى نضارة الروضة المخضرة ، والربيع مختف بينما فضله واضح لكل بصر .

أنت كالروح ونحن كاليد والقدم ، وقبض اليد وبسطها من عمل الروح .

أنت كالعقل ونحن مثل لسانه ، وهذا اللسان يستمد بيانه من العقل .

أنت مثل السرور ونحن الضحك ، لأننا نتيجة سرورك المبارك .

كل حركة لنا ليست فى الحقيقة إلا شهادة بالايمان مستمرة ، تشهد لذى الجلال السرمدى .

الله هو الحى :

« فاختر حب ذلك الحى الذى يبقى أبداً والذى يسقيك من الخمر التى تنمى الحياة . »

وهو معطى السر ، وهو شمس متوهجة ، وهو نور الأنوار الذى إليه ع جميع المخلوقات .

« ونور الله تتألق منه انوار الحس ، وهذا معنى قوله تعالى « نور على » ، أما نور الحس فيجذبنا إلى الثرى ، وأما نور الله فيجذبنا إلى العلى . »

ومثل الله يرى فى كل الأشياء لأن الكون ليس إلا مرآة له :

« رأيت الأبد مرآة عامة لك ، وفى عينك رأيت نقش نفسى أنا . »

وفى شرحه لكنه الروح يعتقد أنها فى الأصل الهية وأنها كانت فى البدء متحدة مع الحقيقة العظمى :

«كنا جوهرا واحدا مثل الشمس، كنا بلا عيب وكنا فى صفاء الماء.»

وقد حجبت الشمس الالهية نفسها عن الانسان حتى يتجلى الموجود الخالص فى المعدوم إذ ان الشىء لا يتجلى إلا فى ضده فالنور يتجلى فى الظلام والوجود فى المعدوم. وهو يعتبر المرأة شعاعا من الله ويعدها كائنا خالقاً اكثر منه مخلوقا :

«هى شعاع من الله، هى ليست معشوقة، بل هى خالقة وليست مخلوقة.»

وما دامت الأرواح فى الجسم فى هذه الدنيا فهى كأسرى فى القيود واحتكاكها بما هو مادى قد عكر مرآة الروح، والروح لا تنطلق من أسرها هذا إلا فى الليل :

فى كل ليلة أنت تطلق الأرواح من شرك الجسد، وتمحو الآثار من على ألواح العقل.

الأرواح تحرر كل ليلة من قفصها، فتصير فارغة من الأحكام والكلام والقصص.

فى الليل لا يشعر المحبوسون بحبسهم، ولا السلاطين بدولتهم.

فلا غم هناك ولا تفكير فى الربح أو الخسارة، ولا خيال عن فلان وفلان.

هذه هى حال العارف حتى حين لا ينام، فقد قال الله «وهم رقود» فلا تنكر هذا.

فهو نائم ليلا ونهارا عن أحوال الدنيا، مثل قلم تقلبه يد الله.

ومن لا ير اليد تكتب يظن أن فعل الكتابة ناشئ عن حركة القلم.

هان و هان این رازرا با کس مگو ۰ گرچه از تو شه کند بس جُست و جو
۱۷۵ گورخانهٔ رازِ تو چون دل شود ۰ آن مُرادت زودتر حاصل شود
گفت پیغمبر که هرکه سِر نهفت ۰ زود گردد با مرادِ خویش جفت
دانها چون در زمین پنهان شود ۰ سِرِّ آن سَرسَبزئ بُستان شود
زرّ و نقره گر نبودندی نهان ۰ پَرْوَرِش کی یافتندی زیرِ کان
وعدها و لطفهای آن حکیم ۰ کرد آن رنجوررا ایمن زبیم
۱۸۰ وعدها باشد حقیقی دلپذیر ۰ وعدها باشد مَجازی تاسه‌گیر
وعدهٔ اهلِ کرم نقدِ روان ۰ وعدهٔ نااهل شد رنجِ روان

در یافتن آن ولی رنج‌را و عرض کردن رنج اورا پیش پادشاه،

بعد زآن برخاست و عزمِ شاه کرد ۰ شاه‌را زآن شمّهٔ آگاه کرد
گفت تدبیر آن بود کآن مردرا ۰ حاضر آریم از پیِ این دردرا
مردِ زرگررا بخوان زآن شهرِ دور ۰ با زر و خلعت بده اورا غرور

(۱۷٤) A Bul. هان هان: (۱۷۵) A گر زخانهٔ راز. B Bul. چونك اسرارت نهان در (۱۷٦) ABCL پیغامبر. AB این مرادت: so corr. in A and in marg. C. دل شود B هرکو. (۱۷۷) L Bul. دانه چون اندر زمین. AL Bul. سرّ او. B سرّشان, and so corr. in C. (۱۸۰) Bul. وعدهٔ ها. (۱۸۱) Bul. in first hemistich گنج روان. In BC گنج in written above نقد.

After the Heading Bul. adds:

آن حکیم مهربان کارگر ۰ یافت از رنج کنیزك چون خبر

L has the following verse:

ان حکیم مهربان چون راز یافت ۰ صورت رنج کنیزك باز یافت

(۱۸۲) B om. و. Bul. adds:

گفت شه پس چیست در تدبیر این ۰ می نماید خود خطر تأخیر این

(۱۸۵) The following verse in added in BL and in marg. C:

چونك سلطان از حکیم آنرا شنید ۰ پند اورا از دل و از جان گزید

Bul. adds:

چونکه این تدبیررا شه کرد گوش ۰ بود پندش زیور منگوش گوش

...حة مستخرجة من
...ثنوی » (الكتاب
...ول والثانی) من سلسلة
...ری ك. ج. و. جیب،
...حیح ر. أ. نیكولسون.
...ظ على الخصوص
...لیقات التی بأسفل
...صفحة، مما یدل على
...غ العناية التى بذلت
...إخراج هذه الطبعة.

Metre: مُضارِعِ مُثَمَّنِ اخرَب [– – ‿ | – ‿ – – | ‿ – –] – –

V.

...م نِگارِ خودرا میگشت گِردِ خانه
...اشته ربابی میزد یکی ترانه
...خمهٔ چو آتش میزد ترانهٔ خوش
...ت و خراب و دِلکش از بادهٔ شبانه
...ردهٔ عِراقی میزد بنامِ ساقی
...ود باده بودش ساقی بُدش بهانه
...ی ماهروئی در دستِ او سبوئی
...گوشهٔ در آمد بِنهاد در میانه
...کرد جامِ اوّل ز آن بادهٔ مُشعَّل
...ب هیچ دیدی کآتش زند زبانه
...کف نِهاد آنرا از بهرِ عاشِقانرا
...ه بکرد سِجده بوسید آستانه

C Lakh. TV

(V). بنهاده ۴

صفحة من القصائد
المختارة من ديوان
شمس تبريز، من
إخراج مطبعة جامعة
كمبردج فى سنة ١٨٩٨.
والصفحات المقابلة
للنص الأصلى فى الكتاب
تحمل ترجمة إنكليزية
لتلك القصائد السنية.

قد أظهر الله قسما من حالة العارف هذه، بينما الخلق يغمرهم نوم الحس .

قد ذهبت أرواحهم إلى الصحراء التى لا وصف لها، واستراحت أرواحهم وأجسادهم .

وإنك لترجعهم إلى الشرك بصفير، وترجعهم جميعا إلى القضاء وإلى القاضى .

فالق الاصباح، مثل إسرافيل، يرجعهم جميعا من ديار الروح إلى دنيا الصورة .

وواجب الانسان أن يصقل روحه من صدأ الهوى وحب النفس حتى تعكس صورة الله كالمرآة الصافية، ولذلك وجب على الانسان أن يتجمل بالصبر ويؤدب نفسه ولا ينفك عن الجهاد حتى يتطهر :

«اذا أنت تأففت من كل مسحة فأنى لك أن تصير مرآة مصقولة؟ »

وهو يحكى قصة الصينيين واليونان الذين تخاصموا أمام السلطان أيهم هو أجود فنا، فأعطوا حجرتين باب أحداهما مقابل باب الأخرى وأعطى الصينيون عددا عظيما من الألوان وأما اليونان فقالوا إنهم لا يحتاجون إلى ألوان وإنما يقتصرون على إزالة الصدأ . فأغلقوا الباب واستمروا يصقلون الحجرة حتى صارت صافية كالسماء، وأما الصينيون فحينما اتموا عملهم دخل السلطان حجرتهم وبهرته الصور التى رآها، ثم جاء الى اليونان فرفعوا الستار وإذا بصور الصينيين قد انعكست على الحيطان التى قد صقلوها وازداد منظرها بذلك جمالا وبهاء. فاليونان يمثلون الصوفيين الذن صقلوا مرآة قلوبهم وطهروها فوصلوا إلى عين اليقين :

اولئك الذين يصقلون قلوبهم ينجون من مجرد العطر واللون، وينظرون الجمال فى كل لحظة بدون تريث .

فهم قد هجروا نقش العلم وقشره، ورفعوا راية عين اليقين.
قد ذهب الفكر ووجدوا النور، وعثروا على نحر المعرفة وبحرها.

ثم يقول جلال الدين إن «روح الانسان مثل الهواء المختلط بالتراب
حجب السماء فلا تستطيع العين أن ترى الشمس، وحين ينقشع التراب
صبح صافيا طاهرا».

وهكذا فطريق العودة الى الله انما يكون بتأديب النفس وتضحيتها
إماتتها. فجلال الدين يقول فى الديوان:

أيتها الروح صممى على نشدان الأمل مثل من ينشد الماء.
ويا أيها العقل اسلك طريق الفناء لتحصل على البقاء الدائم.
وتذكر الله دائما بكيفية تنسيك نفسك،
حتى تمحى الداعى والدعاء فى مدعوك بدون ريب.

ويقول فى المثنوى:

ما معنى تعظيم الله؟ اعتبار المرء نفسه حقارة وخالية.
ما معنى توحيد الله؟ حرق المرء نفسه بين يدى الواحد.

وإماتة النفس هى إحياء الروح فانه «حين يسقط الزهر يبدو الثمر
ين يحطم الجسم تعلو الروح، والخبز لا يمدنا بالقوة إلا إذا كسر
لأعناب التى لا تدق لا تعطى خمرا».

وهو يحث الروح على أن تستمر فى سعيها إلى الهدف المقصود
ا تتوانى:

أيها القلب لماذا أنت أسير هذه الأرض الفانية؟ طر من هذه
الحظيرة، فأنت طائر من العالم الروحى.
أنت محبوب الخلوة المقرب، أنت دائما خلف الحجاب السرى،
لماذا تقيم فى هذا المقام الفانى؟
اعتبر حال نفسك وانطلق وسافر من حبس عالم الصورة إلى
روضات المعانى.

ن مولوى، موطن الدراويش الذاكرين فى قونية .

جلال الدين الرومى فى مسجد خان مولوى بقونية .

أنت طائر من عالم القدس ونديم فى مجلس الأنس، فان أنت أقمت هنا فوا أسفاه.

فى كل صباح يأتيك صوت من السماء ينادى «إذا أنت نفضت غبار الطريق فستنطلق إلى هدفك المقصود».

فى الطريق إلى كعبة الوصل انظر تجد فى كل أيكة من الشوك ألوفاً من قتلى الشوق ضحوا بحياتهم ببسالة.

ألوف سقطوا جرحى على هذا الطريق دون أن يصل إليهم نسيم من عطر الوصل كدليل من جوار الصديق.

والحب هو بيت القصيد فى مذهب الرومى فهو يرى أن الحب فيه [illegible]صنا من الكبرياء والغرور وأنه هو الطبيب المداوى لكل عللنا، [illegible] هو الحب الذى يغفل النفس ولا يذكر إلا المحبوب، والحياة الخالدة [illegible]هى بالاغفال التام للحياة الفردية:

«ياحياة العشاق فى الموت، لن تجد قلبا إلا بعد أن يحطم قلبك.»

فالعاشقون المخلصون هم كالظلال والظلال تزول وتختفى حين تشرق [illegible]س فى أبهى نورها، و «العاشق المخلص هو ذلك الذى يقول له الله [illegible]لك وأنت لى».»

وبالحب يصير المر حلوا ويتحول النحاس إلى ذهب ويصفو العكر [illegible]بح الألم شافيا ويصير الموتى أحياء، والحب هو الحياة السماوية [illegible] سطح الأرض:

العشق معناه الطيران فى السماء وتمزيق مائة حجاب فى سبيل النفس.

أولا تنزع النفس من النفس، ثم تفصل قدم عن قدم وأن تعتبر هذه الدنيا غير مرئية، وألا ترى منظر نفسك.

ولكن الغرض من الحب الذى يضحى بالنفس ويميت الذات هو [illegible]ول على الحياة بمقدار أغزر. فانكار الذات يمهد الطريق إلى

ادراك هذه الحقيقة أنه ليس موجود إلا الموجود الواحد، أما زينة الحياة
ومتعها ومشاغلها فتحجب الحقيقة عن أعين الناس، وعليهم أن يجوزو
ذلك الى الثمل الروحى الذى ينسى الناس أنفسهم ويرفعهم إلى تجلى
الحقيقة الخالدة فى صورتها الرائعة البهية.

وهكذا يصل الصوفى إلى هدفه المنشود ويتحد مع الواحد، وهذ
الاتحاد يرى الرومى أنه الحصول على الحياة الخالدة هنا وفى وقتنا هذا
فقد انفلق صبح السعادة لأن نور الله يشع فى الروح:

« ذلك الذى قد حصل على مقام ومكان فى القرص، لا يزال يغرق
فى نوره دائماً.»

وحين يحصل الانسان على الحياة المتحدة لا يعود هناك حاجة إلى
الوسائل والشفاعات، فالمرسلون والأنبياء ضروريون لقيادة الشخص
العادى إلى الله، وأما الشخص الذى يسمع الصوت الباطن فى داخل
نفسه فليس هو فى حاجة إلى الكلمات الخارجية وهو أسمى وأروع حا
من الأنبياء أنفسهم إذ أنه قد أصبح أحد أولياء الله الثملين بالذات الالهية
فهو غارق فى جلال رب الجلال وهو متحد مع البحر اللانهائى للذا
الالهية:

مكانى هو لامكان، وعلامتى ليست بعلامة، ليس هناك لا جس
ولا روح، لأنى جزء من روح الأرواح.

لقد طردت الاثنين من نفسى، ورأيت العالمين عالما واحدا، وبحث
عن الواحد، وعرفت الواحد، ورأيت الواحد، ودعوت الواحد.

هو الأول هو الآخر هو الظاهر هو الباطن، ولست أعرف آخ
سوى « ياهو » و « يا من هو ».

فالله يقول إنه لسان الأولياء وعينهم وحسهم ونعيمهم وشقاؤهم
فالصوفى بالاتحاد قد صار الذات الالهية نفسها وزال « أنا » و « أنت
وبقى الواحد:

لقد دبرت هذه المسألة مسألة «أنا» و «نحن» لكى تلعب مع نفسك لعبة العبادة .

حتى يصير «أنا» و «أنت» أى «نحن» روحاً واحدة ، وفى الختام نستغرق كل الأرواح .

جلال الدين الرومى صوفى حلولى ، وهو الى جانب ذلك من أعاظم راء وقد قيل عنه إنه بسمو فكره وعظمة أسلوبه يبارى أعظم الشعراء ائيين أضف إلى ذلك أن وضوح خياله يكسب شعره روعة فائقة .

والموضوع الرئيسى فى شعر الرومى هو حب الروح المبرح وهى تسعى حاد بالله . والحب الأسمى فى رأيه هو ذلك الذى لا يرى نفسه ى يتحمل كل الأشياء ويؤمن بكل الأشياء ويأمل فى كل الأشياء ويصبر كل الأشياء . وهو يرى أن الايمان الحقيقى يتولد من الحب ، وأى آخر لا قيمة له . وهو عالمى ، فأى انسان فى أية أمة ما دام يحب الله ذ إرادته فهو مقبول عنده . وبواسطة التأمل الروحى والزهد الذى ى على الشعور بالذات وعلى الارادة الذاتية وكل تلك العواطف ول البشرية التى تسبب الانفصال عن الواحد الحق ، بواسطة هذا ى الصوفى إلى فناء النفس ويدرك البقاء إذ يبعث من جديد بعثا يا فيحيا فى الحياة الالهية الخالدة وهكذا يتوصل الى الاتحاد بالمحبوب ى فيه إلى الأبد .

★

جون هنتر - الرائد البيولوجى

بقلم الاستاذ ا . ج . ا . كيف
متحف كلية الجراحين الملكية بانجلترا

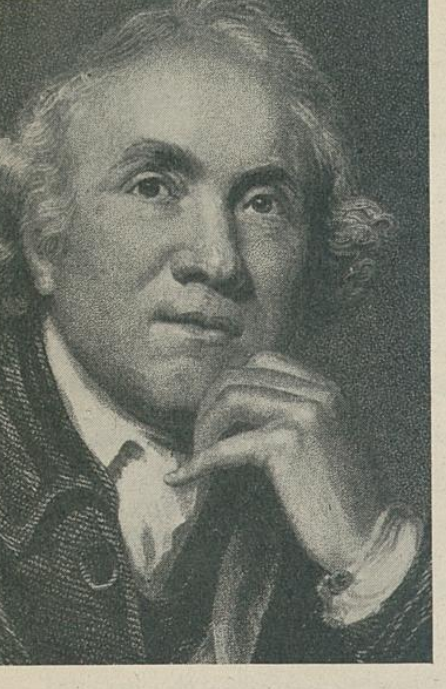
(احتفلت كلية الجراحين الملكية بلندن هذا العام بمرور مائة)
(عام على تأسيس زمالتها بأن أضافت إلى سجل زملاء الشرف فيها)
(أسماء عدة من عظماء الرجال من بينهم المستر تشرشل . وهذه)
(المقالة تدور على احتفال تذكارى آخر تحتفل به الكلية هذا العام)

فى اليوم السادس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٧٩٣ حدثت الكار
التى قضى فيها جون هنتر نحبه ولما يزل فى عنفوان نشاطه، ذلك الجرا
الانجليزى الأعظم الذى كان أكبر عالم طبيعى بين أرسطو وداروين . وه
فى قوة عبقريته الطبيعية وفى نشاطه الذهنى المتصل وفى تعطشه الذ
لا يروى إلى العلم الطبيعى لا يعلو عليه أحد اللهم إلا ليوناردو وحده

وإن الطب العلاجى والعلم الطبيعى اليوم ليتجلى فى كليهما الطا
الذى لا يمحى لقدوة هنتر وتعليمه، وإن (التقليد الهنترى) الذى أنش
لم يقتصر على إنقاذ كلا العلمين من بقايا ظلمات القرون الوسطى بل انه
حدد الطريق التى كان عليهما بعد ان يسلكا . ولذلك نجد كلا من الجر
والعالم البيولوجى يشيدان بذكر هنتر وإن كانت أسبابهما مختلفة .

فهو قد رفع بفن الجراحة من تجربة الحلاق الفجة إلى جلال العـ
المنظم المنطقى النبيل الذى يقوم على دعامة العقل والمبادىء العلمية .
إنه حدد البيولوجيا تحديدا جديدا فذا هو التحديد المورفولوجى، فجعـ
امتحانا للاشياء الحية لا من حيث أنها غرائب أو مواد تصنف بحسـ
أجناسها ولكن باعتبار أنها النتائج التى تحصلت عليها الطبيعة بتجريـ

جون هنتر .



الخاص الذى لا يبارى فى أنسجة
واجهزة قابلة للتشكيل تحت ظروف
طبيعية لا يمكن ان تقلد .

وهو إنما أصبح جراحا بضغط
الظروف المالية القاهرة وإن كان
بطبيعته الحقة عالما طبيعيا بالمعنى
القديم الحكيم للعبارة، واليوم يسمى
هذا الصنف من العلماء علماء
مورفولوجيين أو فيزيولوجيين . وإنه
من المؤكد أن الانقلاب الذى أحدثه فى وجهة النظر العلاجية وفى المهنة ذاتها
كان ثانويا إذا قورن بانكبابه التام على اصول التفاعلات البيولوجية بل
مشتقا منها، تلك الأصول التى فى سبيل تحديد قوانينها الباطنة قد جاهد
هو بعزيمة رائعة لا تفتر مدى ثلاثين عاماً لم ينقطع حبلها إلا بوفاته .

ويمكن أن يلخص عمل هنتر فى هذه العبارة الصحيحة : أنه اختار
ميدانا لجولاته الفكرية ذلك المحيط الشاسع المجهول للطبيعة الحية بكليتها،
وصمم على أن يكتشف أسباب العمليات التى تقوم بها الظواهر الحيوية،
وأن يستغل ما يحصله من علم جديد فى علاج المرض . وهكذا كانت
حياته قصة رائعة عجيبة للكد الذى لا تخبو ناره والبحث الذى لا يكل
مما جعل عمله يتخذ هيئة الغرابة والشذوذ وذلك صاغ حياته العملية
فأذهل معاصريه ممن لم يكونوا فى مثل استنارته . وهكذا كان مشتغلا
فى اهتمام متساو بعدد لا يحصى من الموضوعات الغريبة الشاذة التى لم
يكن بينها ارتباط ظاهر، كالنحل واقتصادها . والحيتان وأجهزتها
التنفسية . وقوة السمع فى الأسماك . والحرارة الطبيعية للنباتات . والهضم

فى الحيوانات اللبونة التى تقضى الشتاء نائمة . ونمو عظام الخنازير وقرون الأوعال . وبروز الأسنان وأمراضها . وتجمد الدم . وبرء الجروح . وطبيعة الأمراض التناسلية . وجريان الدم التكميلى . وتكون الجنين والأعضاء . وشذوذ الخلقة . والنباتات المتحجرة . والحيوانات اللافقرية . ودراسة كل ما استطاع أن يتحصل عليه فى عالمى النبات والحيوان من جهاز وعضو ونسيج من حيث تشريحها ووظائف أعضائها وطبيعة أمراضها . وهذه القائمة ناقصة نقصا شديدا ولكنها ستكفى فى الارشاد إلى جزء من النشاط الشامل المتعدد النواحى لهذا العقل العظيم الفذ .

هذا البحث المتنوع التشريحى والفيزيولوجى كان لا بد أن يؤدى إلى نتائج معينة . فهو قد أدى بصاحبه إلى أن حدد الأصول التى اكتشفها وراء ما للتركيب والوظيفة من ظاهرات متنوعة لا تحصى، فان عرض هذه الأصول صار أمرا لا محيص عنه وكذلك الدلائل الواقعية التى استنبطت منها . وفى سبيل هذا العرض وجدت وسائل ثلاث : الشرح الكلامى، والشرح الكتابى، والمتحف التشريحى . وقد استخدم هنتر هذه الوسائل الثلاث جميعاً .

ففى سنة ١٧٧٣ بدأ محاضراته الشهيرة الخالدة عن أصول الجراحة وممارستها ، وأدخل فيها عمداً «كل ما يلزم من الحياة الحيوانية لتوضيح الأصول » . وهكذا كانت المحاضرات فاتحة لعصر جديد إذ ضربت بتقاليد العصر القديمة عرض الحائط وكانت انقلابية فى موضوعاتها وفى مداها وبواسطتها أسبغ هنتر يدا بيضاء على جراحى المستقبل وأطبائه وهو شى لم يكن إذ ذاك موجودا فى غير انجلترا ونعنى ما اكتسبوه من علم نافع بأصول العلوم الأساسية التى تسبق العلاج من تشريح وتكون الجنين ووظائف الأعضاء والطريقة الاختبارية .

فهو كان سابقا لعصره وجيله إذ أدرك بوضوح الضرورة الماسة للتجهيز الفكرى والتدريب الذهنى فى تعليم الجراح والحاجة إلى تشريب المهنة

جراحية والطبية بالأصول العلمية . وهكذا سبق فأدرك المهمة العظمى
جامعات الحديثة وللكليات الطبية قبل هذه بعشرات السنين . وليس
ن المبالغة أن نقول إنه فيما بين وفاة هنتر وتأسيس هذه المعاهد فيما بعد
تبق شعلة الطب العلمى — فى بريطانيا على الأقل — متقدة
لا بفضل التقليد الهنترى المجد .

اولئك الذين حضروا المحاضرات (هوم وجينر وآستلى كوبر وابرنثى
كلاين وغيرهم) تلقوا تلقيا مباشرا ثمرات تلك الجهود العظيمة فى
يادين الشاسعة للتشريح وتكون الأجنة وعلم وظائف الأعضاء وطبيعة
لأمراض ودراسة الكائنات المنقرضة وعلم تركيب النباتات، تلك الجهود
تى بذلها رجل لم يكن فرداً واحدا بل كان معهدا حيا للبحث
بيولوجى والطبى .

فهم قد استمعوا إلى مبادىء جديدة يصدع بها، أن علم الباثولوجيا
ى طبيعة الأمراض لا يمكن أن يفهم بدون معرفة كافية بعلم التشريح
علم وظائف الأعضاء المقارن . وأن حقائق الظاهرات الحيوية كالتنفس
الهضم وغيرهما كثيراً ما يكون إدراكها أوثق بواسطة البحث المقارن
الاختبارى الواسع بل أحيانا لا يمكن إدراكها البتة إلا بهذه الواسطة .
ن الوظيفة (أى العمل الفيزيولوجى) يحدد التكوين (أى الهيئة
ورفولوجية) . وأن قابلية شفاء المرض موجودة أصلا فى الجسم الحى،
ن الطبيعة لا تنفك تحاول شفاء نفسها بنفسها، وأن المهارة الطبية الحقة
ا هى فهم طرق الطبيعة ووسائطها ثم إعانتها بما يؤدى إلى نجاح عملها .
ولقد كان عظيما حقا ذلك الجهد الذى بذله هنتر فى تحضير هذه المحاضرات،
أنه لم يسلم بشىء لا حجة عليه ، وكان رجوعه دائما إلى الطبيعة ،
يتفوه بتقرير إلا ودعمه وبرهن عليه بملاحظته وتدبره الشخصيين . وفى
بدء لم يقدر إلا القليلون من مستمعيه أهمية كل ما سمعوا وما رأوا، فانهم
ن ينقصهم ما لأستاذهم من عقل جبار . ولكن تعليم هنتر بدأ يحرز
هو جدير به من تقدير الجيل المعاصر إحرازا أكيدا وإن كان بطيئاً .

فصارت قدوته مبعثا للالهام واتبعت طرقه وسلم بصدق وجهة نظره الفلسفية، واستقر التقليد الهنترى فى عقول الجيل الناشئ من الجراحين وعلى يدهم احتفظت به الجراحة البريطانية احتفاظا سرمديا .

وإلى جانب تلك المحاضرات قد أعلن هنتر نظرياته فى ميادين أخرى مثل اجتماعات الجمعية الملكية وجمعية ترقية التاريخ الطبيعى والحلقات الطبية التى كانت تجتمع بانتظام فى منزله . وأما دعاوته الكتابية فوجدت ميادين فى مراسلاته الغزيرة وفى رسائله العديدة إلى الجمعيات العلمية حول أعمالها وفى كتبه ومقالاته التى طبعت جميعها ما عدا واحداً فى مطبعته الخاصة .

ولكن الوسيلة التى عبرت عن معتقداته أبرز تعبير وأفرده كانت متحفه المنقطع النظير الذى تطلب إنشاؤه ثلاثين عاما من العمل المستمر والذى كلفه الاحتفاظ به ثروته بأجمعها . ولقد كان هذا المتحف



حفر لعيادة طبية فى القرن الثامن عشر، مع تمثيل الآلات الجراحية لذلك العهد

من ممتلكاته وأدعاها لفخاره ثم صار أصدق تذكار له . فان شهرة هنتر
رجل من رجال العلم لا تنفك تقترن بهذا المتحف الذى هو واسطة
ئعة للتعليم البيولوجى وللبحث البيولوجى صاغها عقله ويداه .

وقد وجدت المتاحف التشريحية منذ أوائل القرن السادس عشر
ذلك لم تكن شيئا مستحدثا فى القرن الثامن عشر انما كانت تزداد
تشارا ورواجا . ولكن المتاحف قبل المتحف الهنترى كانت إما مستودعات
غرائب والعجائب على نمط القرون الوسطى وإما مجموعات الغرض
وحيد منها المنفعة المادية المحضة . وأما متحف هنتر البديع فقد امتاز
انه لم ينتم إلى أحد النوعين بل كان شيئا جديدا تام الجدة فى فكرته
غرضه . فهو لم يكن مجموعة مختلطة من التشريحات والنماذج جيدة كانت
و رديئة، ولا كان مزيجا من الأشياء التى لا تناسق بينها ولا ترابط كما كان
تحفا رويش وسوامردام . بل كان تجسيما لمبادئ وأفكار وشرحا على
لأصول الجوهرية للعلم التشريحى .

فلقد كانت رغبة هنتر أن يلخص فى وسائط النماذج والتحضيرات
لقوى المحركة التى تكمن وراء التشريح ووظائف الأعضاء وطبيعة المرض
ى العالم الحيوانى بأكمله . وإن مبلغ طموح هذه الرغبة لدليل قاطع على
بتكار عقله وسعة نظرته الفلسفية .

ولم يكن بجانب المتحف الهنترى متاحف أخرى تنافسه وتباريه،
لسوء حظ العلم البيولوجى لم تكن متاحف أخرى تقلده وتحذو حذوه،
انه ما من شك فى أن عدم اتباع خطى هنتر فى خلال الأجيال التالية
دى بالبحث المورفولوجى (عن هيئة وتكوين الكائنات الحية) إلى الحيد
ن جادة الطريق والزيغ إلى سبل تافهة أو عقيمة .

وإن تحليل محتويات المتحف الهنترى الأصلى ليدل بطريقة قاطعة
لى أن اهتمام هنتر وجهده كانا فى جوهرهما وأساسهما بيولوجيين ولم
يكونا متعلقين بالجراحة إلا من وجه ثانوى . فكان عدد التحضيرات
لفيزيولوجية (أى المقارنة) ٤٣٦٢ وهذا يكاد يكون ضعف عدد الباثولوجية

اى المتعلقة بالامراض (٢٢٤٥). وعلم دراسة الكائنات المنقرضة يمثله ٣٧٠٩ نماذج أخرى. وعلم الحيوان يمثله نحو ألفين. وهكذا نجد أن النماذج المورفولوجية من كل الأنواع كان عددها عشرة آلاف وتسعة وثلاثين نموذجا بينما كان عدد النماذج الباثولوجية المتعلقة بالامراض لا يتجاوز خمس ذلك العدد. ومن الهام أن نلاحظ أن التشريح الانسانى لم يخصص له قسم مستقل فى المتحف، بل رتبت التحضيرات الانسانية بحسب محلها المناسب ضمن المجموعة الفيزيولوجية تابعة لتسلسل التحضيرات النباتية والحيوانية.

خلاصة محتويات المتحف الهنترى الأصلى

تحضيرات فيزيولوجية (فى الكحول)	٣,٧٤٥
تحضيرات فيزيولوجية (مجففة)	٦١٧
تحضيرات عظمية	٩٦٣
تحضيرات حيوانية (حيوانات محنطة)	١,٩٦٨
تحضيرات لكائنات منقرضة (نباتات)	٢٩٢
تحضيرات لكائنات منقرضة (حيوانات لافقرية)	٢,٢٠٢
تحضيرات لكائنات منقرضة (حيوانات فقرية)	١,٢١٥
تحضيرات باثولوجية (فى الكحول)	١,٠٨٤
تحضيرات باثولوجية (مجففة)	٦٢٥
تحضيرات باثولوجية (حصوية)	٥٣٦
تحضيرات للمخلوقات الشاذة الخلقة	٢١٨
تحضيرات ميكروسكوبية	٢١٥
	١٣,٦٨٠

وما حدث قط قبل ذلك ولا بعد ذلك أن مثل هذه الذخيرة الوافرة من المواد المورفولوجية جمعت بمثل ذلك الكد والمثابرة فى سبيل الهدف الذى كان يرمى إليه هنتر. وهو نفسه قد بذل بسخاء وقته وجهده وثروته

صحته الجسمانية فى سبيل نوال غايته باخلاص للعلم محض النزاهة يعلوه إخلاص بل يكاد لا يوجد له نظير. وجهده الشخصى يوضحه تشريحه لخمسائة نوع حيوانى على أقل تقدير كلها مختلف عن الآخر ولا يدخل ذلك تشريحاته المتكررة لنوع واحد معين ولا أبحاثه النباتية الكثيرة. نزاهته المتجردة من الغرض الذاتى يوضحها أنه تحمل على كاهله هو وحده العبء المالى الجسيم لمتحفه الضخم الذى ابتلع كل ما كسبه من مهنته الجراحية حتى ترك من كان يعولهم فى فاقة وعوز. فهو إذن إذا حكم عليه بأحكام الاقتصاد اعتبر مبذرا ولكنه ترك العالم العلمى مدينا له.

وبعد وفاة هنتر بست سنوات ابتاع البرلمان للامة متحفه المحبب الذى أغدق عليه ثلاثين عاما من التفكير والكد المضنى والذى أنفق عليه ثروة تقدر بنحو سبعين ألفا من الجنيهات. ولما كان المتحف ذا شخصية مميزة منفردة فى غرضه ومداه ومحتوياته عهد بالمحافظة عليه إلى جمعية الجراحين بلندن التى سميت فيما بعد بكلية الجراحين الملكية بانجلترا.

وكان اختيار جمعية الجراحين لتحافظ على المتحف أمرا طبيعيا لم يكد يكون منه بد لعدم وجود متحف بيولوجى قومى. وهنتر نفسه كان عضوا فى جمعية الجراحين وقد وجه تعليمه إلى الجراحين، وقد أثرت قدوته ووجهة نظره الفلسفية على الجيل الناشئ من رجال الطب الذين كان بأيديهم فى ذلك الوقت أكثر التبعة فى صون العلم الطبيعى وتقدمه.

وقد برهنت الحوادث على أن هذا الاختيار كان سعيدا موفقا. فان الكلية لم تقتصر على القيام بواجب كفالتها باخلاص تام، بل إنها عملت بحكمتها على تخليد المثل الهنترية بان شجعت اتساع المتحف الأصلى اتساعا طبيعيا أو تطوريا وبأن نسقت مجموعتها الفاخرة التى جمعتها هى جاعلة المتحف واسطة العقد منها. وهكذا نجا متحف جون هنتر من المصير الذى آل إليه متحف أخيه وليم، فلم يصر نموذجا أثريا راكدا عقيما بقى على إحدى الأحقاب بل صار تراثا مثقفا للاجيال القادمة وأداة للتعبير عن غرض مؤسسه وشرحا منقطع النظير على تعليمه.

ظلت الكلية مدى قرن ونصف قرن من الزمان تكلأ بعين رعايتها التى لا تكل ذلك التذكار البارز لهنتر وتنميه، مستخدمة للقيام بوظائف المتحف علماء أكفاء مبرزين، من بينهم أوين وفلاور وباجت وشاتك وكيث . كما أن أجيالا من الجراحين ورجال العلم الطبيعى والاخصائيين فى علم البيولوجيا والسائحين والمستكشفين الجغرافيين وغيرهم من ذوى العقول المستنيرة اعتبروا كواجب عليهم وشرف لهم أن يزيدوا من هذا الكنز العلمى الوفير الذى صار خلال ذلك كعبة الباحثين والعلماء .

وهكذا قام متحف الكلية بمواصلة مشروع هنتر وإنمائه باخلاص وأمانة متجاوزا كل ما هو منفعى محض أو مختص بالمهنة ومكونا معهدا تعليميا هو أعجوبة العالم التشريحى وفخاره فى وقت معاً . وإن التقدم الذى قامت به أقسامه المتعددة يمكن أن يقدر بعض التقدير بالاطلاع على الجدول المضمن هنا الذى يبين ثروتها العددية قبل أن يدمرها السلاح الجوى الألمانى فى اليوم العاشر من مايو سنة ١٩٤١ .

فى تلك الليلة المشئومة دمرت أبنية متحف الكلية ومحتوياتها كلها تقريبا . فهلك ثلثا النماذج الهنترية واكثر من ثلاثة أخماس نماذج الكلية . وتلك كارثة بليغة على الكلية وعلى الأمة وعلى عالم العلم . وإن هذ الرزء الأليم ليعجز عن وصفه البنان، والجدول التالى نفسه لا يمكن أن يوضح قيمة الخسارة .

ولكن هذا العمل الوحشى لن يكون الضربة القاضية على متحف هنتر وأهميته البيولوجية . فانه قد بقى من نماذج هنتر ونماذج الكلية ما سيكون واسطة العقد لمتحف جديد ينظم على المنوال الهنترى ويضحى مرة أخرى مركزا عالميا للمعرفة الطبية والبيولوجية . ولقد أصدر مجلس الكلية قراره الرسمى بهذا، بينما تفضل صاحب الجلالة الملك جورج السادس بالتعبير عن اهتمامه الشديد بمشروع تجديد المتحف .

وإنه سيكون لزاما واجبا على بريطانيا والشعوب البريطانية بل

	١٩٤٠		١٩٤١	
	عدد النماذج			
	المتحف الهنترى	الكلية	المتحف الهنترى	الكلية
تشريح البشرى - - - -	—	١،٦٨٠	—	٣١٠
تشريح المقارن - - - -	٥،٤٠٠	٩،٤٥٠	٢،٠٢٦	٢،٨٧٠
لم تركيب العظام - - -	١،٦٥٥	١٥،٥٤٥	٩٠	٦،٢٠٠
لم دراسة الأسنان - - -	٨٠	٦،٠٠٠	٨٠	٦،٠٠٠
لم دراسة الأمراض - -	١،٨٨٠	١٦،٠٣٠	١،٦٠٠	٣،٥٥٠
لم دراسة المخلوقات الشاذة	١٧٠	١،١٧٠	٢٣	٩٣٠
	٩،١٨٥	٤٩،٨٧٥	٣،٨١٩	١٩،٨٦٠

(هذه الأرقام لا تشمل التلف الذى أصاب الآلات والعدد والمجموعات
لتاريخية والمخازن بالكلية .)

عالم بأجمعه أن تقوم بهذا العمل العظيم الشاق عمل تجديد المتحف .
لكن قد وصلت الآن تبرعات للمعونة المادية وغير المادية من كل أنحاء
لامبراطورية ومن الدول الحليفة وغيرها من الدول وهذا مما يضاعف
لأمل . ويزيد من أهمية هذه التبرعات أنها قدمت طوعا بمجرد أن نشر
بأ الكارثة التى أصابت المتحف . فهى تدل على اعتراف عالم العلم
بدينونته لهنتر وعلى عزمه الأكيد أن يبقى إلهامه نير الشعلة واضح
القبس للاجيال القادمة .

قد أحرق السير ادوارد هوم المخطوطات الهنترية وبرغم ذلك
انتصرت عبقرية مؤلفها . والآن قد أحرق الألمان متحف هنتر ولكن
الروح الهنترية خالدة لا تفنى .



ڤيكرز آرمسترونج ليمتد

شركة الصلب الانجليزى التعاونية ليمتد

شركة متروپوليتن - كامل

كاريج و واجون ليمتد

الخ - الخ

شركة ڤيكرز آرمسترونج ليمتد

مهندسين لبناء البواخر والطيارات .



الطرادة البريطانية « شفيلد »

قام ببنائها

شركة فيكرز - آرمسترنج لمتد





ALL-BRITISH QUALITY

BICYCLES

Renowned the World over

J. A. PHILLIPS & Co. Ltd.

CREDENDA WORKS, SMETHWICK 40, BIRMINGHAM, ENGLAND.